السنة السابعة العدد ٧٥ ـ جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ ـ مارس ١٩٨٢ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

جزء خاص بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير العاشرة









سوق الفن : نحو أزمة عالمية

فشلت محاولة استدراج ثروات العرب
والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٥ - جمادى الأولى ١٤٠٢هـ - مارس ١٩٨٢م

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج

مرزوق بشير

التحرير

النور عثمان أبكر — عبدالله جابر

نادية رزق — ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني

محمد نبيل الحداد — نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان

أحمد عبدالله — علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين أمريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

● المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت او لم تنشر

● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأى الوزارة او المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هذا العدد


محمد المهدى المجذوب


د . جابر الأنصارى


د . عبد السلام العجيلي

● عايش الحياة بفرح وخذها بقوة .. هذه نصيحتى ... ...
خالد محمد خالد ٦

● الأديب الذى يستحق تمثالا في كل مدينة عربية ... ...
د . محمد جابر الأنصارى ١٠

● فرعونيون وعرب ... ...
أحمد حسن الزيات ١٢

● الاسلام السياسي ... ...
فتحي رضوان ١٤

● الاسلام وولاية المرأة للقضاء ... ...
د . محمد عماره ١٨

● معنى العظمة ... ...
فؤاد كامل ٢٠

● قراءة فى قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي ...
أحمد عبد الله متولي ٢٤

● الفرح « قصـــيدة » ... ...
محمد الفهد العيسى ٢٧

● غاندى وجذوره الفكرية ... ...
محمد العزب موسى ٢٨

● بياض وذهب وتعاويذ (قصيدة) ... ...
محمد المهدى المجذوب ـــ

● وجهان فى الزحام ... ...
عبد الله جفري ـــ

● ذكريات ... ...
جورج خوري ٣٥

● التاريخ .. هذا الفضولي المزعج ... ...
د . عبد السلام العجيلي ٣٦

● النشـــو ... ...
جمال الغيطاني ٣٨

● شجون ودروس من سيناء ... ...
درويش مصطفي الفار ٤٦

● الأمومة عند الحيوان ... ...
د . عز الدين فراج ٤٨

● نزار قبانى .. قمة شعرية ... ...
علي حسن تقي ٥١

● الفتنة بالشاعر اليوت خطر على الأدب العربي ... ...
د . عبد الله الطيب ٥٢

● شعراؤنا وقضية تحرير المرأة ... ...
صبري أحمد نصره ٥٨

● اشتياق « قصة » ... ...
فؤاد قنديل ٦٠

● قراءات ... ...
طلعت حسن جاد الله ٦٢

● رسائل غير عادية .. الى أم ... ...
معروف رفيق ٦٣

● أضواء على تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق ...
وجيه الشربجي ٦٤

● جزء خاص : « ٢٢ فبراير بعد عشر سنوات » ... ... ـــ

● دائرة المعارف القرآنية : « الصدقة » ... ...
د . محمد البهي ١١٥

● إلى أين أيها الانسان الآلي ؟ ... ...
د . عبد المحسن صالح ١١٦

● الرحلة داخل المغلف الرمادي (قصة) ... ...
نهى سمارة ١٢٢

● « الكشر » يقع فى فخ المناورات الماكرة ! ... ...
صنع الله ابراهيم ١٢٤

● الفنان القطري يوسف أحمد بين الحرف العـــربى
وقضايا التراث ... ... جمال قطب ١٣٢

● لقطات من الكون المثير ١٣٦

● الخروج من الظل بين السينما التسجيلية والسينما
الروائيـــة ... ... رءوف توفيق ١٣٨

● الزجاج بين يدي الفنان السوري ... ...
عادل أبوشنب ١٤٤

● مع انور المعداوى فى كتابه « كلمات فى الأدب » ... ...
د . عيسي الناعوري ١٤٧

● انطون بوتجيج : رئيس جمهورية مالطا وشاعرها الأول
عبد العزيز السيد المصرى ١٥٠

● ميشيل خليفى : أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة
سمير فريد ١٥٤

● لماذا لايفكر الانسان المعاصر الا فى الدمار والانتحار ؟!
جمال كنـــائي ١٥٨

● انطلاق « قصيدة » ... ...
شهاب غانم ١٦٣

● سوق الفن : نحو أزمة عالمية ... ...
عبود عطيه ١٦٤

● ضحكات الشـــهر ... ...
صلاح الليثي ١٧٠

● دوحـــة القراء ١٧٢

● استراحة الدوحـــة ١٧٦

● الورقة الأخيرة : ادب سياحي ... ...
عباس خضر ١٧٨

كلمة

كيف ننقذ الثقافة العربية من هذا الطوفان؟

في حياتنا الأدبية والثقافية ظواهر تثير الألم ، وتدعونا إلى الانتباه واليقظة والحذر ، حتى لا تسقط ثقافتنا العربية المعاصرة بصورة نهائية فى الفوضى ، وقد أثرت على صفحات الدوحة منذ شهور ، قضية « الأمن الثقافى العربى » ، ووضعت فى مقدمة الأخطار التى تهدد أمننا الثقافى « خطر » تزوير الكتب ، وهو الخطر الذى انتشر كالنار فى حركة النشر العربية ، وخاصة فى بيروت ، ففى الوقت الذى نجد فيه ناشرين مسئولين يلتزمون بكافة القوانين الأخلاقية والثقافية ، ويحاسبون انفسهم - برقابة من ضمائرهم - على كل ما يقدمونه للقارىء من انتاج أدبى ... فى الوقت الذى نجد فيه هذا النوع من الناشرين المسئولين ، نجد إلى جانبهم طبقة أخرى من الناشرين ، يتعاظم شأنها ونفوذها وتزداد ثروتها وقوتها يوما بعد يوم ، وهذه الطبقة من الناشرين تعمل أساسا بتزوير الكتب لا بنشرها ، فهى تنشر ما تختاره من الكتب الرائجة الناجحة من المكتبة العربية أو العالمية ، دون أن تهتم بأن ينال المؤلفون أو المترجمون حقوقهم ، وبذلك تذهب جهود المثقفين عبثا ، ويعيشون فى ظل معاناة مادية كبيرة ، فى الوقت الذى تمتلىء فيه بالذهب والفضة جيوب هذه الطبقة من الناشرين الذين احترفوا تزوير الكتب وتقديمها إلى الأسواق بكميات كبيرة ، دون اتفاق أدبى أو مادى مع أصحاب هذه الكتب .

على أن ظاهرة تزوير الكتب قد تجاوزت كل الحدود ، فلم يكتف الناشرون المزورون بسرقة الحقوق المادية للكتاب والمثقفين ، بل امتد ذلك إلى سرقة الحقوق الأدبية كذلك ، وأمامى نموذج حى من هذه «السرقة المعنوية» ، واعتقد أن هذا النموذج ينبغى أن يدفع جميع المسئولين عن الثقافة فى الوطن العربى إلى اتخاذ موقف حازم ضد هذا النوع من التزوير والسرقة ، لأن الضرر هنا يمتد ويتسع ليصبح تشويها كاملا للثقافة العربية المعاصرة .

والنموذج الذى أتحدث عنه هو نموذج يتمثل فى مجموعة قصص قصيرة مترجمة من الأدب العالمى بعنوان « صديق الشدة وقصص أخرى » ، وهذه المجموعة كما ظهرت فى الطبعة البيروتية المزورة قد امتلأت بأخطاء فادحة منها .

١ - ظهرت المجموعة وعلى غلافها اسم « سومر ست موم » مما يوحى بأن المجموعة القصصية كلها من تاليف « موم » والحقيقة أن « موم » ليس له من المجموعة سوى القصة الأولى فقط ، بينما المجموعة تتضمن سبع عشرة قصة لكل منها كاتب مختلف .

٢ - لم تذكر الطبعة المزورة من هذه المجموعة اسم مترجم القصص ، وهو أديب عربى كبير رحل فى العام الماضى بعد أن تجاوز الثمانين من عمره ، وبعد أن خدم الثقافة والأدب فى الوطن العربى ستين عاما متصلة ، حيث ظل يؤلف ويترجم منذ سنة ١٩٢٠ حتى وفاته فى العام الماضى « ١٩٨١ » . هذا الأديب الكبير هو الأستاذ



غلاف الطبعة المزورة من كتاب .... صديق الشدة



علي أدهم حذفوا اسمه وأنكروا حقوقه المادية والأدبية

« علي أدهم » ، الذى كان مثالا للجد والاخلاص والعمق والأمانة فى كل ما كتبه وترجمه خلال حياته الثقافية ، بالاضافة إلى ما اتصف به من التواضع والبعد عن الغرور والادعاء طيلة حياته الأدبية والفكرية . هذا الأديب الكبير هو مترجم هذه المجموعة القصصية ، وقد ضن عليه الناشر الذى قام بتزوير الطبعة البيروتية بذكر اسمه كمترجم للمجموعة فحذفه نهائيا من الكتاب .

٣ - لم يكن جهد « علي أدهم » فى هذه المجموعة هو جهد الترجمة فقط ، بل لقد كتب مقدمة للمجموعة تعالج وضع القصة كفن فى الأدب الحديث ، كما كتب لكل قصة مقدمة عن كاتب القصة واتجاهاته الأدبية والفكرية وسيرة حياته ، ولذلك جاءت المجموعة جهدا يجمع بين الدراسة والبحث والترجمة فى ان واحد . ومع ذلك قام الناشر بحذف اسم « علي أدهم » ، وبذلك فان الناشر لم يكتف بحرمان الكاتب من الحقوق المادية ، بل حرمه أيضا من حقوقه الأدبية .. وهذا الحرمان الاخير أخطر من الحرمان المادى .

٤ - فى الطبعة المزورة اختلطت مقدمات القصص بالقصص نفسها مما أساء إلى الكتاب إساءة موضوعية كبيرة .

هذه بعض أخطاء الطبعة المزورة من مجموعة « صديق الشدة » ، ولقد أتيح لى أن أكتشف هذه الأخطاء ، لأننى كنت على صلة بعلي أدهم وانتاجه الأدبى ، وكنت قد حصلت على المخطوطة الأصلية بهذه المجموعة ، عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة الهلال وسلسلة روايات الهلال الشهرية ، وقد قدمت المجموعة إلى دار الهلال الشهرية ونشرتها الدار فى «روايات الهلال» بالفعل . وجاءت الطبعة المزورة من هذه المجموعة ، لتلتهم اسم المترجم وتشوه الكتاب تشويها كاملا على الصورة التى أشرت إليها .

إننى أحاول أن أكتم غيظى وسخطى وأنا أكتب هذه الكلمة ، لأننى أود أن تتحول القضية من قضية انفعالية عاطفية ، إلى قضية موضوعية واقعية ، نسعى فيها إلى علاج هذه الظاهرة الخطيرة ... ظاهرة تزوير الكتب والعبث بالحقوق المادية الأدبية التى تتصل بهذه الكتب .

ولا حل فى تصورى إلا أن يستيقظ ضميرنا الأدبى يقظة حقيقية ، وأن تتحول يقظة الضمير الأدبى العربى إلى « قانون » يضرب على أيدى المزورين ، ويغلق كل الأبواب فى وجه ما يطبعون وما ينشرون .... على أن تلزم كل وزارات الثقافة فى الوطن العربى ضد التزوير والمزورين .

هذا ... وإلا فسوف تغرق الثقافة العربية فى طوفان من الفوضى ، لن ينجو منه العقل العربى خلال أجيال متعددة قادمة .

رجاء النقاش

نحن لا ننتظر من شبابنا أن يحزن ويأس ويستكين . إننا ننتظر منه أن يشعل لنا شمساً جديدة ، وأن يخلص أوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان .. وأن يرينا من عزمه المقتدر جنون الشجعان . ننتظر منه أن يضع مكان يأسنا أملا .. ومكان خوفنا اقتحاماً .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقاً ..

عايش الحياة بفرح وخذها بقوة.. هذه نصيحتي

بقلم

خالد محمد خالد

دخل عَلَيَّ مكتسى الوجه بتهلل متكلف ، تعلو ثغره ابتسامة متعبة ، ويتهدل جفناه تحت رموش وهنانة . ووراء هذا كانت شخصيته تتلفع بقدر كبير من التشاؤم والحيرة .

هو فتى غض الاهـــاب ، ريـان الشباب . أتاه الله ذكاء ووسامة . ومع الذكاء والوسامة صحة جيدة . ومعه كل ما يجعله للحياة صديقاً ودوداً ، وما يجعل الحيـــاة توده وتحابيه ..

جلس حيث تعود أن يجلس . وراح يتدفق فى الحديث المكرر تارة ، والجديد تارة أخرى . وأنا مشغول ومشغوف بالطريقة التى يحلل بها نفسه ، ويستعرض بها حياته .

لو اشتغل بالفلسفة لجاء منـــه فيلسوف جيد ، ولكن ظروف التعليم فى بلدنا ذهبت به الى دراسة الفنون الجميلة . وأى بأس .. اليس الفنان كالفيلسوف . كلاهما قادر على تفسير الحياة ومصادقتها ؟!

رأيت فيه وفى حيرته ومخاوفه شبابنا العربى المعاصر . وزاد ذلك من رغبتى فى الأصغاء لما يقول .

إنه واحد من القافلة المزدحمـــة التى تشق طريقها وسط الأتربة والصخور .

قلت له بعد أن أصغيت إليـــه طويلا : فلنرجع إلى طفولتك . فسرح بفكره بعيداً ثم قال : لا شىء غير عادى . اللهم إلا ذلك المشهد الذى أظن أنه قد ترك بصماته الضاغطة فى حياتى . مشهد جدتى وهى تعانى مرض الموت ، ثم وهى تسلم أنفاسها ، ويطوقها الموت بذراعيه القويتين الرهيبتين .

أومن أجـــل ذلك تحمل أكفانك ، وتعيش أنضر أيام حياتك بهذا المزاج

الماتمى .. ؟!!

كل الناس يرون المرض ويرون الموت . ولكنهم يتفوقون عليهما برغبتهم فى الحياة وإصرارهم عليها .. فلنبحث فى شبابك الماثل ..

إنه شبابٌ فتىّ أنهى حيـــــاته المدرسية والجامعية بنجاح . وإنه ليحيا حياة طيبة . لا هى حياة ترف ، ولا هى حياة فاقة .. ثم هو يشـــتغل بالتدريس . وله آمال ذكية تستطيع أن تمارس مائة صـــــنعة بمقـدرة المتخصص . وفى هذا عون له على ملء فراغه .

إذن فما هى أزمته التى تجعله يفكر فى الموت بعمق ، وفى الحياة بحزن وفى المستقبل بفزع .. ؟!

إنها أزمة جيل بأسره كتب عليه أن يعيش فى عصر يضطرم بالمفارقـات والتناقضات ..

جيل يكاد حكامه وسادته يدفعونه بسلوكهم إلى الانتحار إذا هو فكـــر تفكيراً جاداً ، أو إلى الضياع إذا هـو أسلم نفسه إلى اللامبالاة . جيل يتمثل بقول الشاعر :

إنى لافتح عينى حين أفتحهـا
على كثير ، ولكن لا أرى أحداً

جيل يسبح ضد التيار :

فى بحار تئن فيها الريـــاح
ضاع فيها المجداف والمـــلاح

● ●

قلت للشاب الذكى : ان خوفك من الموت امتداد لخوفك من المستقبل .. والتهيب من المستقبل آفة الشباب فى عصرنا الموئس .

ان الشاب قد يفقد أباه فجأة ـ كما حدث لك ـ فتتوتر علاقاته بمستقبله ، لأن الأب كان كل ما يحتاجه من أمن ودفء وكفالة .. وسقوطه بينما أبناؤه وسط الطريق يجعلهم يوجسون خيفة من مستقبلهم .

ولقد سقط الأب الكبير لكل عربى . هذا الأب المتمثل فى الوطن العربى ..

إنه يسقط كل يوم مرة أمـــام المؤتمرين والمتربصين له .. وجيـل شبابنا المعاصر يستمع فى غثيان إلى غوغائية الساسة ، وديماجوجية الحكام والقادة . ويبصر تلك الدولة الصغيرة ـ اسرائيل ـ وهى تعيث فساداً فى وطنه العربى الكبير دونما أى عمل ايجابى من سادته وحكامه ، فيتراءى له المستقبل مظلماً نكداً ، وتملأ روع الشباب فكرة الانفصال عن المستقبل وتخطيه إلى يأس الموت وظلمات العدم !!

وقد يدفعه إلى اليأس من المستقبل أيضاً ما يراه من نهم القطيع الجشع المتمثل فى تلك الطغمة المسعورة فى كل بلد عربى ممن يسعون إلى الثراء الفاحش غير المشروع بوسائل متلصصة . وكأنهم صمموا على ألا يتركوا لغيرهم شيئاً يناله .. !!

ويتسلى الشباب بقصة ذلك الطفل الذى جلس بين رجال كبـــار ، عراض الأكف حول قصعة لحم وثريد وعندما رفع الطفل إلى فمه أول لقمة من الثريد لسعت حلقه ولسانه ، فبكى .. وسأله الرجال ما يبكيك ؟ قال الثريد ساخن .. قالوا : دعه حتى يبرد قال : أنتم لا تدعونه .. !!

وقد يقطع ما بين الشـــــباب والمستقبل فقدان هدف نبيل يحيون به ، ويحيون له . إذ لا شىء يســـمو بالحياة فوق كل المثبطـــات مثـــل تكريسها لهدف عظيم . هدف شخصى أو هدف إنسانى يخرج بهـــــا من التقوقع داخل الذات .

قلت هذا للشاب . وقلت له : إنك تذكرنى بطرفة تذكر عن بلد اســـمه « إديث » وصفوه فقالوا : « إديث بلد يحده من الشمال إديث ، ومن الجنوب إديث ، ومن الشرق إديث ، ومن الغرب إديث » !!! أى أنه بلد مقطوع الصلة بالعالم الخارجى ، وهو كنقطة تائهة فى الفضاء .

كذلك الانسان الذى يسجن نفسه حيث يعيش فى عالم من المرايـــا . لا يرى أمامه ولا خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله إلا صورته وذاته !!

وتكريس الحياة لهدف نبيل يتطلب منها الغيرية .. ويتطلب منها أن تنتشر خارج ذاتها .. يتطلب منها أن تكدح وتكد من أجل تحقيق هدفها مهما يجشمها ذلك من مشقة وألم ، فصدقاً قيل : لا شىء يجعلك عظيماً سوى ألم عظيم !!

عايش الحياة بفرح وخذها بقوة.. هذه نصيحتي

قلت للشاب : غادر نفسك وعايش الحياة بفرح ، وخذها بقوة ، وتعرف إلى كل ما هو نبيل فيها وجميل .

● ●

قال : ان لى خطايا توبقنى وتثقل خطاى ..

قلت له : هنا تجد الأمن والملاذ فى قول ربنا عز وجل : « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعاً » ..

وتجد الأمل والبشر فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل بنى آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون » ..

وأنت تعرف أن التجربة والخطأ هما المعراج الذى عرج عليه الانسان إلى سماوات تألقه وتفوقه . ولو أن كل انسان يخطىء ثم يعيش حياته يجتر الندم على خطئه لكان بمسلكه هذا يقدم لشيطان الغواية والعجز فرصة لا تعوض فى هدم حياته وجعلها تراباً فى تراب ..

إن التوبة ترفع الانسان إلى مقام الفرح بالله . وليس هناك خطيئة مهما كبرت تتعاظم رحمة الله ..

إن الله سبحانه يقول فى حديث قدسى : « أنا عند ظن عبدى بي . إن خيراً فله ، وإن شراً فله » .

وإن أقدر الناس على ترويض مشقات الحياة ، وتطويع أيامها . هم أولئك الذين يعيشون معها فى فرح حكيم ، ولا يعرف اليأس اليهم سبيلا .

فلا تيأس . وإذا غلبك اليأس ، فامض فى طريقك وأنت يائس .. تماما مثل الحكمة التى تقول : « لا تخف . وإذا غلبك الخوف فامض فى طريقك وأنت خائف » .. !!

إننا لا ننتظر من شبابنا أن يحزن ويأس ويستكين ..

إننا ننتظر منه أن يشعل لنا شمساً جديدة ، وأن يخلص أوطانه مما هى فيه من ضياع وخداع وهوان وأن يرينا من عزمه المقتدر جنون الشجعان .. !!!

ننتظر منه ألا يسجن داخل نفسه ، وداخل أوهامه ومخاوفه ..

ننتظر منه أن يضع مكان يأسنا أملا .. ومكان خوفنا اقتحاماً .. ومكان انكسارنا عزة وصلابة .. ومكان وجومنا بهجة وانطلاقاً ..

وطريقه لذلك أن يتبنى الأهداف الكبيرة وأن يهبها حياته . وليس الطريق أن يقف جباناً مفزعاً أمام الصعاب أو أمام الموت .

ومهما تكن ظروف الشباب فأن فى استطاعته أن يتفوق على كل المثبطات . فى استطاعته أن يواجه الموج مبسوط الذراعين ، وأن يحول الهول إلى هباء .

● ●

واذا كنا نطالب الشباب خاصة بأن يواجه الحياة بشجاعة ، فنحن مطالبون بأن نعرف له الشجاعة .. فالشجاعة اقتحام تقوده الحكمة . بينما التهور انتفاض يدفعه النزق ..

وإذا كنا مطالبين بأن نوازن بين ما نريد أن نعمل ، وما نستطيع أن نعمل ..

إذا كنا مطالبين بألا نلقى بأنفسنا من حالق رغبة فى تصفيق الجماهير.

إذا كنا مطالبين بألا نستدرج إلى مسئوليات وأعمال تقوم بينها وبين طاقتنا جسور متهاوية .. فليس معنى ذلك أن نستعين بالحكمة على هدم الشجاعة . إنها عندئذ لن تكون حكمة بل ستكون تبريراً . والجبان يستطيع أن يجد مائة عذر لتبرير جبنه . وليس هذا ما نريده من شبابنا .

ان جنون الشجعان يساوى حكمة الشجعان حين تكون الشجاعة فضيلة النفس ونداء النجدة .

ومن ثم ، فنحن نريد من شبابنا أن يجعل شعاره حكمة «فيكتور هيجو» – « إنى أرى ، لا أكثر .. وأومن ، لا أقل .. أما العواقب فشىء لا يدخل فى حسابى أبداً » .. !!

أجل – علينا أن نرى ونفكر جيداً . ثم نؤمن ، ونؤمن كثيراً .. وبعدها لا نجعل للعواقب المحتملة سيادة على إرادتنا وشجاعتنا .

قلت للشاب ، وأقول لجيله كله : إن آفتك فيما يبدو أنه ليست لك مسئوليات نبيلة وعظيمة تشغلك ، وتشد إليها فكرك وإرادتك .. فنحن فى عصر ، وفى بلاد يحيا الناس فيها حياة تلقائية وعشوائية . ويخشون أن تكون لهم مسئوليات واضحة يرتبطون بها ويحيون لها !!

فحاول أن تكتشف مسئولياتك . وسواء كانت هذه المسئوليات متعلقة بشخصك أم بالناس .. بأمور عادية أو بجلائل الأعمال ، فابذل فيها مهما يكن حجمها كل روحك وجهدك ،

فعظمة الروح لا تتجـــزأ . وهى فى الأعمال الضئيلة مثلها فى الأعمـال الجليلة . قلت له : ابحث عن قضية عامة من قضايا وطنك أو من قضايـا الانسانية وعش لها ، وضعها ضمن مسئولياتك أو على رأســها ، وثبت نفسك بالقدوة العظمى التى ضربها للناس خيار الناس .

● ●

تذكر رسول الله « محمداً » وهو يحتضن مسئولياته فى رسوخ أشم ، ويهتف فى وجه خصومه الضالين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هـذا الأمر ما تركته حتى يقضيه الله أو أهلك دونه » .. !!

وتذكر السيد المسيح ، وهو يبصر أكثرية قومه من اليهود تتحول إلى خراف ضالة تحترم الباطل وتمتهن الحق وتكذب على الله .. وتتراءى له الخُشُب الموبقة التى كانت تعـــد صلباناً للدعاة والهداة ، فلا يجزع ولا يخاف ولا يهرب من مسئوليـاته الجسام .. !!

لا تقل : هذا المسيح ومحمد . فمن يبلغ شأوهما ؟!

فهناك أعـــداد هائلة من الذين حملوا مسئولياتهم فى شجاعة وغبطة .. هذا هو الشيخ الجليـــل « ابن تيمية » يناهض فى أيامه الذين يحكمون الناس بالظلم ، والـــذين يملأون عقول النـــاس بالخـــرافة ، فيؤذى ويضطهد ويسجن ، فلا يلقى مسئولياته من يمينه . بل يشـــبع مضطهديه سخرية ويقول : « مـــاذا يصنع أعدائى بي ؟ إن حبسى خلوة .. وقتلى شهادة .. ونفيى سياحة .. فماذا يصنع الأعداء بي » ؟!!

وهذه « مدام كورى » ـ ترى صرعى العـلة والمرض يتهـــاوون كالعهن المنفوش . وتلتمع أمام بصيرتها بادرة أمل فى اكتشاف الدواء الناجع . فتحمل من فورها مسئولية هـــــذه البادرة . كما لو كانت رسالة تلقى إليها ، أو وحياً يتنزل عليها ، فتثابر وتضنى وتعيش هى وزوجهـــا فى « بدروم » منزل . وتلاقى فى بحثها الفشل تلو الفشل ، ويذوى عودها تحت وطأة المرض والفقر والسهر حتى يفتح الله لها مغاليق السر ، وتضع يدها على « الراديوم » فيـــه شفاء للناس . ثم ترفض رغم فقرها عروضاً مغرية قدمها لها سماسرة الشقاء والحرب الذين حاولوا أن تأذن لهم بتحويل الخير الذى كشفته إلى أداة قتل وتدمير .. !!

وكان عندنا فى مصر رجل يملك من المال والجاه مالا يجد معه من وقته فراغاً يملؤه بعمل جاد . فضلا عن تضحيات تزهو على كثير مما نعرف من تضحيات .

وجد أمته تسام الخسف والقهر من مستعمر دخيل ، فخلع جـــاهه وجعله للقضية دثاراً .. وجمع ماله الكثير وجعله للقضية فدية .. وترك القصر ودخل السجن .. ثم قضى حياته محروماً من كل راحة بعيداً عن كل مرفأ ، حتى مات غريباً لا يجد ثمن الدواء . !!

إنه « محمد فريد » معجزة الرجال ، ومفخرة الأبطال .

● ●

قلت للشاب وأقـــول لجيـــله : لا تخش خطراً مـــا ، إذا دعتـك مسئولياتك وناداك واجبك .

وسواء كانت هذه المسئوليـــات سياسية ، أو اجتماعية ، أو انسانية ، أو حتى شخصية .. سواء كانت عملا من أعمال القمة أم من أعمال السفح .. سواءكنت وزيراً أو كاتب « أرشيف » . لا تلق مسئولياتك على الأرض خوفاً على منفعة ترجوها ، ولا حذراً من خطر تخشاه ..

ولا تخش أن تقول لنفسك ولغيرك « لا » إذا اقتضت مسئوليتك العادلة أن تقولها . فليس فى الحياة أمتع ولا أبهج من كلمة « لا » عندما توجه إلى باطل ، وعندما يتوجه بها الأدنى إلى الأعـــلى .. والأضـــعف إلى الأقوى .. !!

قلت للشاب : والآن تعال نرجع إلى حيث بدأنا .. إلى الفرح بالحياة والقوة فى أخذها ، فليس لـــدى الحزانى والضعفاء سوى الحيرة والدموع .

وبدون أن تفرح بالحياة وتأخذها بقوة سيصعب عليك أن تتحمـــل مسئولياتك ، بل وسيصعب عليك أن تحيـــا ..

فعايش الحياة فى فرح ..
وخذها بقوة ..
وهذه نصيحتى ..

خالد محمد خالد



لماذا تعرّض هذا الرجل للإهمال ؟

الأديب الذي يستحق تمثالا في كل مدينة عربية

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

شيء ما في تاريخ الحركات الأدبية يجعل بعض الأدباء مشهورين يتردد ذكرهم على كل لسان وفي كل كتاب وتصدر عنهم عشرات الدراسات ويبقى صداهم حياً في فترات لاحقة ..

بينما أدباء آخرون يكونون ملء السمع والبصر بنتاجهم ونشاطهم ومواقفهم .. ثم يختفي ذكرهم فجأة ويفقدون المساحة التي استحقوها ويسدل عليهم الستار !

هل السبب – دائماً ؟ – في أن من بقي ذكرهم استحقوا ذلك لآثارهم الخالدة التي تركوها وان من أسدل عليهم الستار ، استحقوا ذلك أيضاً لخلو آثارهم الأدبية من مقومات البقاء ؟؟

لم ان في الأمر عوامل أخرى تعلو بمن تشاء وتهبط بمن تشاء ، كما يحدث لشخصيات التاريخ التي يختفي ذكرها لبعض الوقت وتبرز محلها وجوه أخرى ، أصغر منها بكثير ، وأضأل ، الى أن يعود ميزان الحقيقة التاريخية الى خط الاستواء بعد زمان يقصر او يطول ، فيعود العملاق عملاقاً ، وتختفي الظلال الصغيرة الداكنة وتتلاشى تحت وهج الشمس العائدة من جديد ؟

أطرح هذا السؤال وفي ذهني من الأدباء أحمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ،

وصاحب الأفكار القومية والاجتماعية الخالدة ، وصاحب الأسلوب العربى المشرق الأصيل .. لماذا أسدل الستار عليه واحيط بالصمت والأهمال ومحيت مساحته الرحبة الشاسعة من حقل الأدب العربى بعد أن كانت رسالته الصحفية (مجلة الرسالة) مدرسة الأجيال العربية ، ورسالته القومية الفكرية من طلائع حركة التوحيد العربى المنطلق من مصر العروبة ، ورسالته الأدبية اللغوية الجمالية مثالا ونموذجاً يحتذى برشاقة الأسلوب العربي المصفى ومتانته ورقته وسموه ؟

إنني لم أجد حتى الآن كتاباً واحداً عن حياة هذا الأديب الخالد واثاره وأدبه — وأرجو أن أكون مخطئاً — على الرغم من ان الزيات يمكن اعتباره ابرز الأدباء الرواد الذين مهدوا طريق الفكر والأدب والصحافة لظهور حركة ٢٣ يوليو فى التاريخ المصرى والتاريخ العربى الحديث .

إن المعالم الرئيسية فى تفكير الزيات هى المعالم الرئيسية ذاتها فى حركة القومية العربية والوحدة العربية ، بل ان الأفكار هنا وهناك هى هى ذاتها الى حد التطابق ، والفارق ان الزيات سبق اليها فى الثلاثينات بينما الفكر الوحدوى العربى طرحها فى الأربعينات والخمسينات . وهذا السبق الزمنى يمنح أحمد حسن الزيات حق الأبوة وحق الريادة الأصيلة للاتجاه الوحدوى العربى فى مصر أكثر من أى أديب آخر من الذين تتصدر اسماؤهم الواجهات الأدبية حتى يومنا هذا .. والذين يغيرون جلودهم بين وقت وآخر ..

والأفضل أن ندع الزيات يتحدث إلينا بصوته وبكلماته الخالدة لنستعيد حيوية تلك اليقظة القومية العربية فى مصر فى ثلاثينات هذا القرن وكيف انطلقت الروح المصرية الأصيلة منذ ذلك الوقت المبكـــر — وهى تحت وطأة الاستعمار البريطانى — تقارع الاتجاهات الاقليمية والانعزالية والانحطاطية لتؤكد وجه مصر العربى وجوهرها الاسلامى وارتباطها المصيري بامتها العربية ووطنها الكبير .

عام ١٩٣٣ حاول بعض دعاة الانعزاليـــة انكار عروبة مصر فاثاروا ردوداً كثيرة من رجال القلم والفكر فى مصر . وكان أول هذه الردود رد عبد الرحمن عزام فى جريـــدة « البلاغ » على طه حسين ، حيث قال :

« لقد قبل المصريون دين العرب ، وعادات العرب ، ولسان العرب وحضارة العرب ، واصبحوا عرباً فى طليعة العرب ، والذى نعلمه من البحث فى أنساب أقاليم مصرية بأكملها ان اكثرية دماء أهلها ترجع الى العرق العربى ، وان فرداً واحداً من تسعين فى المائة من سكان مصر لا يستطيع أن ينكر ان عروقه تجرى فيها الدماء العربية ، والواقع الملموس ان مصر الآن من جسم الأمة العربية فى مكان القلب » تلك هى الأمة العربية وتلك هى أمتنا التى ننتسب اليها ونفخر بتاريخها » .

وتوالت ردود كثيرة على هذا المنوال ، غير ان الكلمة الفصل التى حسمت الجدل ، ونفذت الى صلب القضية وجوهر الموضوع وجسمت الحقيقة خالدة باقية ، لايطالها جدل المجادلين ولا يؤثر عليها انكار المنكرين كانت كلمة أحمد حسن الزيات فى افتتاحية « الرسالة » بتاريخ ١٩٣٣/١٠/١ .

فى هذه المقالة أسبغ الزيات على صلابة الفكرة حرارة العقيدة وجمع بين ثبات العقل وعنفوان القلب وجمال التعبير ، فجاءت كلمته الخالدة التى ستبقى ما بقيت أرض الكنانة فى قلب الأرض العربية :

● « هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال . أزهقوا ان استطعتم هذه الروح ، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر ، وهل يبقى إلا أشلاء من بقايا السوط وأشباح طائفة ترتل كتاب الأموات ، وجباه ضارعة تسجد للصخور ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى اغفلت الدنيا وأنكرت الحياة ، لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لأنها لا تجد مدداً لحيويتها ، ولا سنداً لقوتها ، ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب . انشروا ما ضمت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين .. ثم تحدثوا واطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائماً ان الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وان اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وان القيثار الذى توقعون عليه الحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وان آثار العرب المعنوية التى لا تزال تعمر الصدور وتغذى العالم هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة » .

هذا الحسم فى الانتماء وفى تقرير الهوية أعلنه الزيات بهذا الصوت الذى لا شبهة فيه قبل ربع قرن من اعلان دستور ١٩٥٦ الذى نص فى احدى مواده الأساسية على ان مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .

واذا كان الزيات قد شاركه آخرون فى درجة من هذا الوعى القومى العربى ، فانه تميز عنهم باضافة وعي آخر ، جديد بمعيار المرحلة ، الى الوعى القومى ، ونعنى بـــه « الوعى الاجتماعى » أى التنبه الى ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية والاهتمام بالحياة المعيشية للغالبية العظمى من المواطنين ووقف ترف القلة الزائد والقائم على جهد الآخرين وعرقهم .

والزيات يطرح المسألة الاجتماعية بمنتهى الوضوح والنضج الفكرى — فى الثلاثينات أيضاً — وكأنه ينطق باسم دعاة التوحيد القومى والاصلاح الاجتماعى فى الخمسينات والستينات بمصر وغيرها من البلاد العربية .

ولقد أحصيت للزيات ٩٣ مقالة كتبها فى الرسالة بين يناير ١٩٣٩ ومارس ١٩٤٤ ، فوجدت حوالى ثلاثين مقالة من بينها — أى ثلث عدد مقالاته فى خمس سنوات — تتناول المشكلة الاجتماعية ، وبالذات مشكلة الفقر والغنى وطرق مكافحة الفاقة .

فى ١٦ يناير ١٩٣٩ كتب الزيات يقول : « يا صاحب السعادة لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء ؟ أنا وأنت نبتتان من أيكة آدم نمتا فى ثرى النيل ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب الى الماء ومغرسي لسوء حظى كان أقرب الى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذويت » .

فى ٦ فبراير ١٩٣٩ ينبه الزيات الى خطورة المشكل الاجتماعى قائلا : « هيهات أن يكون فى الأرض ايمان مادام فى الأرض فقر » .

فى ١٣ فبراير ١٩٣٩ يعالج الزيات مشكلة الفلاحين المصريين الذين يشكلون السواد الأعظم من الأمة : « من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لاولئك الفلاحين الذى اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة

لماذا تعرّض هذا الرجل للإهمال ؟

الضرائب وحراس السجن ، أما المعارف والأوقاف والأشغال فشأنها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير التمدن » .

في ٢٤ ابريل ١٩٣٩ ينبه الزيات ولاة الأمر في مصر في ذلك العهد الى خطورة المشكلة بالنسبة للنظام الاجتماعي كله قائلا : « كل ثورة في تاريخ الأمم ، وكل جريمة في حياة الأفراد انما تمت بسبب قريب أو بعيد الى الجوع » .

• • •

بالاضافة الى « التصور القومي » و « التصور الاجتماعي » هل كان لدى الزيات تصور عملي لتحقيق الغايتين القومية والاجتماعية ، ونقلهما الى حيز التطبيق ؟

هنا أيضاً يفاجئنا الزيات بطرافة فكره وريادته .

فهو يرى ان هذا المشروع القومي الاجتماعي الكبير يحتاج الى « مصلح قومي » والى « رجل منتظر » يخرج من بين صفوف الأمة ويفرض قيادته التاريخية على مجرى الأحداث ليحقق بالسلطة وبالفكر ما تطمح نفوس الأمة اليه من خلاص ومن اصلاح .

يقول بتاريخ ٢٩ ابريل ١٩٤١ :

« والمتوقع الذي لا حيلة فيه ان نظل كما نحن لعبة تلعب أو نهبة تنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذي ننتظر ... وهو بين اصحاب السلطات يكون أسرع نجاحاً وأوسع صلاحاً منه بين اصحاب الفكر ، ولهذا الرجل الذي تنتظره الأمة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تتماسك في قول أو فعل .. وتستبهم المذاهب ، وانقطاع الأمة عن ركب الحياة ، ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه، ولأمته قبل أسرته ولانسانيته بعد وطنه ، لا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه .. ولقد ظهر أمثاله في بعض الأمم وهي على شفا الهاوية فأعادوها الى الحياة وردوها الى الجادة ، ولا تزال الأمة العربية تحدق النظر في الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره .. رياه ! « انا نسالك الراعي الذي يطرد الذئب والنظام الذي يجمع الحب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العلم والأستاذ الذي يعلمنا أن نصنع الابرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة » .

ونلاحظ ان الزيات يدعو الى ظهور مصلح قومي وقائد قومي للأمة العربية كلها يتجاوز الحدود الاقليمية ويمثل الوحدة القومية الشاملة ، دون ارتباط بهذا القطر أو ذاك ، وذلك قبل ظهور أي تجمع عربي مشترك كالجامعة العربية ونحوها .

وهو بهذا يبدو منسجماً مع دعوته القومية وايمانه بالوحدة العربية .

• • •

وهكذا كان الزيات رائداً في طرحه لهذه المسائل الكبرى الثلاث في الفكر العربي وفي جمعه بينها بشكل منسجم وبدرجة عالية من الوعي :

- المسالة القومية .
- المسالة الاجتماعية .
- المسالة القيادية .

ولا أعتقد ان فكر الزيات قد درس على ضوء معالجته لهذه المسائل وجمعه بينها في تصور فكري متكامل كان بمثابة التمهيد لحركة التوحيد العربي والاصلاح الاجتماعي في التاريخ العربي المعاصر بشكل دقيق الملمح مستشف لمجرى التطورات .

وهذا جانب واحد فقط من جوانب ابداع الزيات ، فقد كان بالاضافة الى ذلك صاحب اسلوب شفاف أقرب الى الشعر ، وصاحل معالجات نقدية وقصصية ، وصاحب دراسات في تاريخ الأدب العربي والأجنبي ، وفي شئون التربية وطرق تجديد اللغة العربية .

وضمن التوجه الجديد لاعادة كتابة تاريخنا العربي وابراز اعلامه ورجالاته ، فان الزيات يستحق ان يكون من أوائل الرجال الذين من حقهم علينا واجب التقدير والدرس والتقييم المنصب في عشرات الابحاث والمقالات .

وفي رأينا ان الزيات لو لم يكتب غير تلك الكلمة الخالدة في عروبة مصر ، فان من حقه على العرب ، كل العرب ، أن يقيموا له تمثالا في كل مدينة عربية يذكرهم ، رغم توالي المحن وتغير الزمن ، بمن كان لهم من رجال قالوا كلمة الحق والضمير القومي ، دون تلون ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه .

د . محمد جابر الأنصاري

من تراثنا المعاصر

فرعونيّون وعرب

بقلم : أحمد حسن الزيات

عفا الله عن كتابنا الصحفيين ! ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح ، ويبعثوا حرباً من غير جند !

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطياً يجادل في الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى ! فقال على هذا القياس : أفرعونيون نحن أم عرب ؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية ؟

نعم قالوا ذلك القول وجادلوا فيه جدال من أعطى أزمة النفوس وأعنة الأهواء يقول لها كوني فرعونية فتكون ، أو كوني عربية فتكون ! ثم اشتهر بالرأي الفرعوني اثنان أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام ، فبسطوه في المقالات ، وأيدوه بالمناظرات ، ورددوه في المحادثات ، حتى خال بنو الأعمام في العراق والشام أن الأمر جد ، وأن الفكرة عقيدة ، وأن ثلاثة من الكتاب أمة ، وأن

هذه المقالة بأسلوبها البديع وتفكيرها القومى الأصيل الواعى كتبها الأديب العربى الكبير أحمد حسن الزيات فى أول أكتوبر سنة ١٩٣٣ أى منذ ٤٩ عاماً . وتبدو هذه المقالة وكأنها مكتوبة اليوم ، رداً على كل هؤلاء الذين يحاولون إثارة الغبار والضباب حول عروبة مصر ... فالى هؤلاء جميعاً والى الأجيال العربية الجديدة نقدم هذه المقالة كوثيقة نلحقها بالمقال الذى كتبه الكاتب الكبير الدكتور الأنصارى على الصفحات السابقة !

مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات ، والمساجد معابد ، والكنائس هياكل ، والعلماء كهنة !

مهلا بنى قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق ! ورويداً بنى عمنا لا تسيئوا بقسوة الظن الى القرابة ! إن الأصول والأنساب عرضة للزمن والطبيعة : تواشج بينها القرون وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة . فاذا قلنا فلان عربى أو فرنسى أو تركى فانما نعنى بهذه النسبة انطباعه بالخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب ، كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين فمهيار عربى وأصله فارسى ، وروسو فرنسى وأصله سويسرى ، والأمير فلان تركى وأصله مصرى ، لأن كلا من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءاً من شعبه ، ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه .

فبأى شىء من هذا يتمارى إخواننا الجدليون وهم لو كشفوا فى أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الالهام لرأوا الروح العربية تشرق فى قلوبهم ديناً ، وتسرى فى دمائهم أدباً ، وتجرى على ألسنتهم لغة ، وتفيض فى عواطفهم كرامة ؟ ...

لا نريد أن نحاجّهم بما قرره المحدثون والعلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق الى العربية الجاهلية ، فان هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل ... وكفى بالواقع المشهود دليلا وحجة . هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلثاً من التاريخ العربى نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال ... وذلك هو ما ماضى مصر الحى الذى يصيح فى الدم ، ويثور فى الأعصاب ، ويدفع بالحاضر الى مستقبل ثابت الأس شامخ الذرى عزيز الدعائم .

أزهقوا إن استطعتم هذه الروح ، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى ، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر . هل يبقى غير أشلاء (١) من بقايا السوط وأنضاء (٢) من ضحايا الجور ، وأشباح طائفة ترتل «كتاب الأموات» ، وجباه ضارعة تسجد للصخور وتعنو للعجماوات ، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الأرض ، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة ؟ وهل ذلك إلا الماضى الأبعد الذى تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة تصور بألوانه وتشدو بألحانه وتحيا أخيراً بروحه ؟ ولكن أين تحسون بالله هذه الروح ؟ إن أرواح الشعوب لا تنتقل الى الأعقاب إلا فى نتاج العقول والقرائح . فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة والقبور الصم مكتبة واحدة تحدثكم عن فلسفة كفلسفة اليونان ، وتشريع كتشريع الرومان ، وشعر كشعر العرب ؟ أم الحق أن مصر القديمة دفين فنيت روحه مع الآلهة ، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة ، والخامد لا يبعث حياة ، والجامد لا يلد حركة ؟

لا تستطيع مصر الاسلامية إلا أن تكون فصلا من كتاب المجد العربى ، لأنها لا تجد مدداً لحيوتها ولا سنداً لقوتها ولا أساساً لثقافتها إلا فى رسالة العرب . أما أن يكون لأدبها طابعه ولفنها لونه فذلك قانون الطبيعة ولا شأن لمينا ولا ليعرب فيه ؛ لأن الآداب والفنون ملاكها الخيال ، والخيال غذؤاه الحس ، والحس موضوعه البيئة ، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها فى كل قطر . فاذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة ، ويؤلف بين روحه وروح البيئة فاته اللون المحلى وهو شرط جوهرى لصدق الأسلوب وسلامة الصورة .

وقديماً كان لون الأدب فى الحجاز غيره فى نجد ، وفى العراق غيره فى الشام ، وفى مصر غيره فى الأندلس ، دون أن يسبق هذا التغاير دعوة ولا أن يلحق به أثر !

انشروا ما ضمنت القبور من رفات الفراعين ، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين ، وغالبوا البلى على ما بقى فى يديه من أكفان الماضى الرميم ، ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب ، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تنفخونها فى مومياء فرعون هى روح عمرو ، وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مضر ، وأن القيثار الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرىء القيس ، وأن آثار العرب المعنوية التى لاتزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم ، هى أدعى الى الفخر وأبقى على الدهر وأجدى على الناس من صفائح الذهب وجنادل الحجارة .

إنما تتفاضل الأمم بما قدمت للخليقة من خير ، وتتفاوت الأعمال بما أجدت على الانسان من نفع . أليس (الخزان) خيراً من الكرنك ، والأزهر أفضل من الأهرام ، ودار الكتب أنفس من دار الآثار !

وبعد فان ثقافتنا الحديثة إنما تقوم فى روحها على الاسلام والمسيحية ، وفى أدبها على الآداب العربية والغربية ، وفى علمها على القرائح الأوربية الخالصة . أما ثقافة (البردى) فليس يربطها بمصر العربية رباط ، ولا بالمسلمين ولا بالأقباط .

(أول أكتوبر سنة ١٩٣٣)

(١) الاشلاء جمع شلو وهو العضو بعد البلى والتفرق .

(٢) الأنضاء جمع نضو وهو المهزول .

أحمد حسن الزيات

الإسلام السياسي

بقلم : فتحي رضوان

قد يقع هذا العنوان فى سمع القارىء ، موقعاً غريباً ، أو منكراً ، لأن المسلم الذى يعرف دينه جيداً ، لا يعتقد أن هناك اسلاماً سياسياً ، وآخر اجتماعياً ، وثالثاً اقتصادياً ، بل انه يؤمن بان الاسلام ، وحدة لا تنحل الى أجزاء ، لأن للاسلام غاية واحدة ، هى الدعوة الى عقيدة التوحيد ، وتثبيتها فى النفوس ، وهذه العقيدة هى الأساس الذى يقوم عليه بناء شامخ ، متعدد الطبقات ، يطل على جميع الجهات ، يدخل فى اطوائه المادى والمعنوى ، وما يتصل بالدنيا ، وما يتصل بالآخرة ، وما ينظم علاقة الفرد بالمجتمع ، وما يرى أحكام المال ، واستنباطه ، واستثماره ، والتصرف فيه ، وبناء الدولة ، وحقوقها على الفرد ، وحقوق الفرد قبل الحاكمين ، وقوانين السلام والحرب ، وأصول التربية ، ومبادىء تنشئة المسلم وتنشئة الجماعات .

فالقول بان هناك اسلاماً سياسياً ، يتحدى هذه القاعدة الكلية ، من قواعد الاسلام ، ولا يتسق مع منهجه الثابت ، الذى يأبى أن يقسم بين عناصر حياة المسلم ، لايمانه بأن جسد المسلم ، وعقله وفكره ، وما يحب ، وما يكره ، وما يخفى ، وما يصدر عنه من قول ، أو ما يتلقاه من فكر ورأى هو كل يتفاعل بعضه مع بعض ويفضى أوله الى آخره ، وظاهره الى باطنه .

ولكن مع ايماننا بهذه القاعدة ، ودعوتنا اليها ، باعتبارها المدخل الى كل ما يتمناه المسلم لدينه ، من رد العدوان عنه ، واقامة سلطانه ، وبسط أحكامه ، وتجديد حضارته ، واستئناف عزته ، فنحن نقر أن هناك اصطلاحاً صحفياً ، أو سياسياً ، ساد الدوائر العالمية ، مؤداه أن هناك اسلاماً سياسياً ، بمعنى أن الظروف الدولية الأخرى ، والتغيرات التى طرأت على مسرح الأحداث العالمية أضفت على الاسلام والمسلمين ، أهمية سياسية .

ولم يكن ظهور هذه الأهمية السياسية بالأمر الذى تستبعده دوائر السياسة فى الشرق والغرب ، أى عند الاتحاد السوفيتى ، ومن لف لفه ، وجرى فى فلكه أو عند الولايات المتحدة ، وحلفائها فى أوروبا ، فانشغال بال أوروبا والغرب كله بالاسلام استمر منذ بزغ نجم الدولة العثمانية ، فى الشرق العربى ، وفى المنطقة التى تحيط بهذا الشرق ، وتتصل فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى ، حتى أفل نجم هذه الدولة فى الحرب العالمية الأولى التى استمرت من سنة ١٩١٤ حتى ١٩١٨ ، والتى أعقبها سقوط الخلافة الاسلامية العثمانية على يد كمال أتاتورك فى يناير ١٩٢٤ ، ثم انسلاخ تركيا ، من العالم الاسلامى ، واعلانها العلمانية مذهباً لها .

وكان الغرب على اختلاف نزعاته السياسية والمذهبية ، يساوره خوف عميق من أن تندلع من تحت رماد الدول

الاسلامية المنهارة ، نار جديدة ، يمكن أن تلتهم ما يبدو راسخاً وباذخاً من ملك أوروبا وأمريكا ،وسلطانهما الذى ترامت آفاقه . ولقد طالت نومة المسلمين ، وتعاقبت القرون ، وغفوتهم لا تريد أن تنتهى ولا يبدو أن ستكون لها نهاية ولو بعيدة . وقد كان هذا كله جديراً بأن ينفث فى نفوس دهاقين الاستعمار الغربى شعور الراحة والطمأنينة لأن الاسلام لفظ أنفاسه كقوة سياسية ، وان لم يكف المسلمون عما يشبه الثرثرة عن تجديد الاسلام ، وبعث أمجاده ، ولم شعثه ، وبعث وحده المؤمنين به .

ولكن هذه الثرثرة ، صاحبها شيء من التنبه السياسى الذى كان نذيراً بأن الاسد الاسلامى ، يمكن أن ينطلق من الغابة التى أوى الى ركن فيها مستسلماً لأحلام الماضى وعظمته ، راضياً من الحياة ، بما يقيم الأود ، ويبقى على الدماء فى الأبدان .

وكان أكثر هذه الحركات عسكرياً ، وكان العمل العسكرى فيها جميعاً ، يكشف عن عبقرية المقاتل والقائد المسلمين ، لم تنطفىء جذوتها ، وأن فى مقدور كليهما ، مع قليل من التهيئة والاعداد الجادين ، أن يعود الى امتشاق حسامه وارهاف سلاحه ، والاهابة بالاخوان والأهل ، لأن ينفضوا عن أنفسهم غبار النوم ، ليبدأوا حياة ، جديرة بماضى الاسلام ، وبحضارته وبثقافته وبالعمران الذى شاده ، والعلم الذى بعثه ، وبالمبادىء الانسانية الرفيعة التى بشر بها ثم طبقها ...

فليس ثمة سياسى أوروبى أو أمريكى ، أو سوفيتى ، ينسى حروب الهنود المغول المسلمين ضد الاستعمار الانجليزى ، وكيف أثخنوه جراحاً ، وضيقوا عليه الخناق ، ولا كيف أفزع عبد القادر الجزائرى ، الاستعمار الفرنسى ١٧ عاماً وهزأ به ، وأنزل الهزائم ، ولا كيف أسقط محمد بن عبد الكريم ، الوزارات ، الوزارة تلو الوزارة فى فرنسا ، كما أسقط نظام حكم الملك الاسبانى الفونسو الثالث عشر وديكتاتوره دى ريفيرا حين قاد قبائل الريف فى أقصى شمال المغرب ضد الاستعمار الاسبانى والفرنسى .. الى جانب الثورات المدنية التى قادها مصطفى كامل وسعد زغلول ، والتى كانت فجر عهد جديد ..

لكن هذا كله كان بشائر ، تلوح وتختفى ، ولم يكن يربط بعضها ببعض أى رباط ، وكانت تتناثر وتتباعد ، زماناً ومكاناً ، فلا توحى قط بعمل منتظم ، ولا بحركة تتسق ، ولا ببدايات تتلاحق ، حتى تأتى الى نتائج ، تغير ولو قليلا من واقع المسلمين الكريه .

شيء جديد على المسرح الدولى

إلا أن النصف الثانى من القرن العشرين ، شهد شيئاً جديداً . فثورة سنة ١٩٥٢ استطاعت أن تحقق على مسرح الحياة الدولية أموراً لم يكن يخطر على العالم أن أمة مسلمة يمكن أن تضطلع بها ، وتتحمل نتائجها . فالاحتلال البريطانى حمل عصاه ورحل ، والسلطان الاقتصادى الغربى فى مصر ، الذى اتسع وتغلغل ، وثبتت جذوره ، اقتلع من هذه الجذور ، وألقي به كشجرة جافة ، والاستعمار الثقافى الذى تحصن فى آلاف المدارس والمعاهد ، يعلم المسيحية الغربية ، ويشوه صورة الاسلام ، ويقيم الحواجز بين بنات وأبناء المسلمين وبين تاريخ دينهم ، وتاريخ أمتهم العربية ، فجرى من مصر ، وهو لا يكاد يلوى على شيء ، وقناة السويس أعظم شرايين المواصلات استعادتها مصر وبسطت عليها سلطانها ، وعمقتها ووسعتها ، وزادت كفاءتها والساسة الغربيون أمثال انطونى ايدن الانجليزى وجى موليه الفرنسى



أول مقال بعد السجن

هذا أول مقال يكتبه الكاتب العربى الكبير فتحي رضوان بعد خروجه من السجن ، فقد كان ضمن مجموعة كبيرة من الكتاب والادباء والمثقفين تم اعتقالهم في سبتمبر ١٩٨١ ، حيث قضى في السجن مائة يوم ، وكان ضمن أول مجموعة أفرج عنها الرئيس حسني مبارك ،

واستقبلهم في مكتبه في ديسمبر الماضى ، ويسعد الدوحة أن تنشر هذا المقال ، كما يسعدها أن تنقل الى قرائها وعد فتحي رضوان والتزامه بالكتابة الدائمة للدوحة ، وبذلك ينضم هذا القلم الواعي النظيف المؤمن باسلامه وعروبته ووطنه الى النخبة التى أصبحت الآن جزءاً عزيزاً غالياً من أسرة الدوحة ، حيث أصبحت «الدوحة» بفضل هذه الأسرة الكريمة مجلة كل قارىء عربى وأصبحت تنفد بعد ساعات من صدورها ، ومرحباً بفتحى رضوان في أسرة «الدوحة» الى جانب أفراد هذه الأسرة اللامعة من خالد محمد خالد الى غازى القصيبى ومحمد الفهد العيسى وعبد السلام العجيلي ومحمد جابر الانصارى وعبد الله جفرى وغيرهم من أصحاب الفكر النقى والأقلام اللامعة الواعية والفن الرفيع .

الإسلام السياسي

سقطا من عرش سياسة بلادهما ثم تحطماً حقاً لا مجازاً .

لم تكن كل هذه الانتفاضات العنيفة ، فرقعات محلية قصيرة العمر ، وإنما كانت ارهاصاً واضحاً ،بما يعتمل داخل العالم الاسلامى وفى قلبه وعقله .

ولم يخف هذا على أساطين الاستعمار ، فتنبهوا تماماً وحسبوا حساب كل حركة ، وسكنة ، وكانت تدفقات البترول ، فى بلاد العالم الاسلامى العربى منها ، وغير العربى ، وأصبح البترول السيد الذى لا يقاوم له أمر ، أو تعصى له اشارة ، وامتلأت الخزائن العربية والاسلامية بالملايين ثم البلايين . وصحبت هذه الثروة غير المسبوقة والتى لا نظير لها ولا شبيه فى التاريخ ، احساس قوى وواضح ، ما لبث أن أصبح ملحاً ، بأن كل حجة كان المسلمون يلتمسونها فى تبرير تخلفهم ، وتبعيتهم ، وتقصيرهم فى استعادة دورهم ، قد نفدت قيمتها ، فلم يعد المال وحده الذى أسلم قياده لهم ، بل إن موقعهم الاستراتيجى بين الشرق والغرب ، بين آسيا وافريقيا وأوروبا ، واتصال دولهم ، وتشابه عاداتهم ، ووحدة ثقافتهم ، يمنحهم من المزايا فى كل جانب من جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ما يعد فى ذاته ثروة لا تتمتع بها مجموعة من الدول الأخرى .

ثم جاءت تطورات أخرى على الساحة الاسلامية تثير بعض الحزن والاحساس بخيبة الأمل ، مما لا يخفى عن عيون الناظرين الى واقع العالم الاسلامى اليوم ، وما يجرى من صراعات بين المسلمين مما جعل الغرب يتنفس الصعداء ، ويمنى نفسه بأن المد الاسلامى قد أصبح جزراً .

ومع كل هذه التطورات المؤسفة التى ملأت قلوب معظم المسلمين حزناً وهماً فان الحقائق الباقية ـ بعد الخسائر وخيبة الأمل ـ أن الاسلام يفيض بالحيوية ، وأن غفوته انتهت ، وان جموعه الكثيرة ، قادرة على أن تحقق بعمل سلمى جماعى خال من العنف وبعيد من العثرات . وهذا ما أدركه الغرب والشرق ، وجلسوا يحسبون حسابه ، ويفكرون فى نتائجه وعوائقه . ويقولون همساً حيناً ، وبأعلى الصوت حيناً آخر .هل سنصبر حتى تأتى موجة أخرى من المد الاسلامى فنتعظ بما تم فى السنوات الأخيرة وتستطيع أن تضع لبنة قوية متينة ، فى أساس الاسلام السياسى . ثبت لهذا العالم ، أن ما يجرى فى الميدان الشرقى الشمالى من العالم الاسلامى ، وما يخالطه من أخطاء ، وخلافات ، وسوء تقدير ، وعنف ، لن يستمر ، فالاسلام سيفعل شيئاً جديداً أو حاسماً ليضع حداً لكل هذا ، ليبدأ العالم الاسلامى السياسى ، أو ليحاول أن يخطو أولى خطواته .

ماذا عن هذا العالم

فماذا يكون أولا هذا العالم الاسلامي السياسي ؟

يقصد بالعالم الاسلامى السياسى ، هذا العالم الذى سيحس بنفوذه وأثره على توجيه الأحداث الكبرى ، التى تمس مصالح الناس قاطبة ، كما تمس مصالح دول المسلمين وشعوبهم ، ودول العرب وشعوبهم . العالم الذى يدرك أنه أكبر مجموعة انسانية ، تشغل حيزاً جغرافياً يكاد يكون قطاعاً متصلا فى الكرة الأرضية ، يقف من خلفه تاريخ واحد وحضارة واحدة ، وثقافة واحدة ، كان صاحب سلطان عظيم ، فى وقت ما ، ثم فقد سلطانه بالتدريج فى عصور متقاربة. وأنه الآن ـ لأكثر من سبب ـ يستطيع أن تكون له كلمة مسموعة ، تؤيد الحق ، وتحول دون المظالم التى يعانى منها الانسان الفقير والمغلوب على أمره ، فى آسيا وأفريقيا ، بلا مواقف تزيد من الفرقة والتخلف بين الشعوب .

العالم الاسلامى السياسى هو عالم المسلمين الذين تأمل علماؤهم فى حقائق العالم اليوم .. علماؤهم فى الدين بفروع الذهن المختلفة ، وعلماء المادة من أفذاذه وكبار أساتذته ، ثم علماء الانسانية من قادة الجامعات فى العالم ، ورجال التربية ، والاحصاء والاقتصاد فى دنيا المسلمين .

وقد يبدو هذا القول ، قولا خطابياً لا يمثل أى مدلول بمعنى أن اجتماع هؤلاء العلماء الذين تعلموا فى بلادهم ثم أتموا تعليمهم فى جامعات أوروبا وأمريكا ثم عادوا الى بلادهم فترة ، ومالبثوا أن استأنفوا حياتهم العلمية فى أكبر جامعات الغرب كأساتذة فى تلك الجامعات ، يضيفون الى بحوثها ، ويقومون بغزوات كبرى فى كل اتجاه ، يظن بعض الناس أن من العبث جمع هؤلاء الأساتذة فى مؤتمر اسلامى ، يطلب منهم فيه ، أن يضعوا برنامجاً فضفاضاً لما يرونه العلاقة المثلى بين العالم الاسلامى ككل ، والعالم الغربى والشرقى ، كوحدة يكون بدوره أساساً لخطة شاملة ، للعمل السياسى لمجموعة الدول الاسلامية يعلو فوق الخلافات بين الدول الاسلامية والدول العربية ، ويطل على مستقبل قريب تتوارى فيه هذه الخلافات ويبدو مستقبل جديد للعالم الاسلامى يلعب فيه دوراً أكبر من دوره الحالى ، يحتل بفضله هذا العالم المكانة اللائقة .

ولكى أضرب مثلا لما يمكن أن يفطن اليه أعضاء هذا المؤتمر ، أضع تحت نظر القارىء هذه الحقيقة التى تغيب عن أكثر مفكرى العالم الاسلامى ، وهى أن نسبة عدد مواطنى الاتحاد السوفيتى من المسلمين بلغت فى العام الماضى ٥٦,٨٪ بمعنى أنها أوشكت أن تصل الى نحو ثلثى مجموع سكان الاتحاد السوفيتى وهى نسبة هائلة ، واذا اضطردت نسبة المسلمين فى الاتحاد السوفيتى بهذا المعدل ، فان نتائج هذه الزيادة السياسية والاجتماعية ، من الخطورة بحيث لا تخفى على أحد . ومما يزيد هذه الخطورة حقيقتان أولهما أن المسلمين في الاتحاد السوفيتى يتوطنون الجمهوريات الآسيوية فى وسط آسيا

والحقيقة الثانية أن هذه الجمهوريات تقع فى محاذاة الحدود مع كل العالم العربى الاسلامى والصين . وقيام هذه التجمعات الضخمة من المسلمين على حدود الصين أو على الأقل قريباً منها . سيجعل من السهل اتصال تلك التجمعات بهذه القوة الدولية الجديدة ، ذات المستقبل الواسع ، وأعنى بها الصين .

ومادمنا قد ذكرنا الصين فانه من الواجب على السياسى المسلم أن يفكر طويلا فى عقد صلات ذات طبيعة خاصة متسمة بالود والتعاون بالصين وباليابان وكلاهما ، يكره هيمنة الدولتين الأعظم ، ويسره ان ينسق خطوط سياسته مع دول الاسلام والعرب ، وكل من اليابان والصين فى حاجة الى بترول العرب وبترول المسلمين .

نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية

ويسرنى أن أختم هذا المقال بفقرتين جاءتا فى بحث وضعه الدكتور أنور عبد الملك ، الاستاذ بجامعات باريس ، ومن أكثر الباحثين المصريين العرب ، استنارة ، قال فى صفحة ١٢ من البحث المقدم الى الاجتماع السنوى الثالث للمائدة المستديرة الاشتراكية فى العالم .

«ان الاسلام أكثر من أنه مجرد واحد من الديانات التوحيدية الثلاث : ان التركيب التاريخى للاسلام ، خصوصاً فى فترة القرن الثانى من الهجرة ، أى القرن التاسع الميلادى ، هو تركيب الحضارة العالمية التى امتدت من الأندلس الى شواطىء الشرق فى آسية شاملة بذلك تشكيلات كبيرة من الثقافات والقوميات والمجموعات فى جنوبى أوروبا ، وشمال ووسط افريقيا الشرقية ، وكذلك وسط وجنوبى آسية حتى جنوبى شرق آسية ، ولقد تعرضت الدائرة العربية الاسلامية فى شواطىء أوربا الى موجة من الغزوات على شكل غزوات صليبية ما بين القرنين التاسع والخامس عشر . ولقد وجدت هذه الشعوب ومجتمعات هذه المنطقة فى الاسلام ، كفلسفة ودين ونظام سياسى وكثقافة ، حصنها المنيع فى مواجهة العدوان والسيطرة الغربية ، وللحفاظ على مجتمعها الوطنى ، وشخصيتها الثقافية وبذلك فان الاسلام يقوم الآن بدور الفلسفة الشمولية القادرة على حماية الوجود الوطنى للمجتمعات فى هذه المنطقة عبر القرون ، منذ القرن التاسع حتى قرننا العشرين ، فى مواجهة الصليبيين والصهيونيين والأمبريالية الطبقية المتسلطة . وبهذا المضمون يختلف الاسلام عن المسيحية ، وديانات رئيسية أخرى ، خصوصاً أن المسيحية واليهودية ، دعمت جانب العدوان ، والتسلط والهيمنة العنصرية ضد المناطق الاسلامية العربية ، لقد أعطت الاسلام مضمونها السياسى والثقافى المميز . وفى المنطقة السياسية على وجه التحديد ، كان الاسلام السياسى ، هو حامى الاستقلال الوطنى».

ثم يقول ان الاسلام بالاضافة الى كونه ديناً سماوياً :

«هو نظرية اجتماعية للصيغة الوطنية ، والتطور الاجتماعى ورخاء الجماهير ، ولقد خلقت هذه الطبيعة العامة للاسلام وضعاً ، لم يعد معه مكان لأية فلسفة شمولية أخرى سواء أكانت تلك الفلسفة الليبرالية للبرجوازية الوطنية ، أم فلسفة الماركسيين الغربيين . وبذلك يصبح من الواجب أن يكون تطور الفكر الوطنى التقدمى فى اطار الاسلام الحضارى والسياسى».

إن الاسلام السياسى والحضارى يؤلف الاطار الرئيسى الذى يجب على الفكر التقدمى أخذ عناصره منه .

فتحى رضوان

سعد زغلول



مصطفى كامل



الإسلام وولاية المرأة للقضاء

بقلم : الدكتور محمد عمارة

من الناس من يظن أن ولاية المرأة للقضاء وتوليتها لمهام الفصل بين الناس فى المنازعات واحدة من المسائل الشائكة التى استقر الفقه الاسلامى ـ قديماً ـ فيها على رأى ثابت ، هو الرفض ، رفض توليها للقضاء والحكم بين الناس فى المنازعات .. ومن ثم فلا مجال لفتح باب الاجتهاد فى هذه المسألة من جديد ! ..

لكن واقع هذه المسألة ، إسلامياً ، يؤكد أن هذا الظن لا يقوم على أساس ، فضلا عن أن يكون الأساس إسلامياً ، ومتيناً ؟ ! ..

وبادىء ذى بدء ، فان على من يريد فقه موقف «الفكر» الاسلامى من مسألة ولاية المرأة وتوليها للقضاء ، أن ينظر الى هذه المسألة فى ضوء الموقف العام الذى وقفه الاسلام من المرأة .. وهو موقف كان ولايزال ، وبكل المقاييس على مستوى الثورة التى حررت المرأة العربية والمسلمة وانتقلت بها الى حال كيفى جديد .. ويكفى أن القرآن الكريم قد أسس هذا الموقف على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، عندما قالت آيته الكريمة (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف) ـ البقرة : ٢٢٨ ـ .. أما «العوامة» التى قررها الاسلام للرجل على المرأة فى بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) فانها الرياسة التى لا تنتقص من حرية المرؤوس ، وإنما تقتضيها الفطرة القاضية بوحدة القيادة فى المجتمع ، صغيراً كان أو كبيراً .. ثم إنها مرتبطة ومؤسسة على القدرات والامكانيات والعطاء ، لا على اختلاف الجنس والنوع فقط ! ..

تلك هى نظرة الاسلام للمرأة ، وهذا الاطار والمدخل الذى يجب استحضاره وتصوره قبل النظر فى جزئيه : موقف «الفكر» الاسلامى و « الفقه » الاسلامى من قضية تولى المرأة لمنصب القضاء .

ولقد يكون مناسباً ، بل وضرورياً ، التنبيه، فى البداية على عدد من النقاط :

فأولا : إن ما لدينا فى تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء ، هو «فكر » إسلامى ، « وآراء فقهية » ، و «اجتهاد فقهاء» .. وليس « ديناً » وضعه الله وأوحى به الى رسوله ، عليه الصلاة والسلام .. فالقرآن الكريم لم يعرض لهذه القضية . كما لم تعرض لها السنة النبوية الشريفة .. لأن القضية لم تكن مطروحة على حياة المجتمع عندما ظهر الاسلام .. فليس لديه فيها نصوص دينية أصلا ، سواء أكانت هذه النصوص قطعية الادلة والثبوت أو ظنية فيهما أو فى إحداهما .. فهى خاضعة للاجتهاد .

وثانياً : إن أقوال الفقهاء حول تولى المرأة للقضاء مختلفة باختلاف اجتهادهم فى هذه القضية ، ولقد دام اختلافهم فيها جيلا بعد جيل .. فليس هناك اجماع فقهى فيها حتى يكون هناك الزام للخلف باجماع السلف .. فهى من قضايا الاجتهاد المعاصر ، كما كانت من قضاياه بالامس القريب والبعيد ..

وثالثاً : إن جريان « العادة » فى الأعصر الاسلامية السابقة ، على عدم ولاية المرأة لمنصب القضاء لا يعنى « تحريم » الدين لولايتها هذا المنصب .. فدعوة المرأة وانخراطها فى جيوشه هو مما لم تجربه « العادة » فى الأعصر الاسلامية السابقة ولم يعن ذلك «تحريم» اشتراك المرأة ، عند الحاجة والاستطاعة ، فى القتال .. فهى قد مارسته وشاركت فيه على عصر النبوة .. بدءاً من معاونة الجند ، وامدادهم بالسلاح ، الى مداواة الجرحى وتجهيز الشهداء ودفنهم .. بل وممارسة القتال ، كما حدث فى غزوة أحد وغزوات أخرى ، على عهد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، عليهم رضوان الله .. « فالعادة » لا تحل حلالا ولا تحرم حراماً ، لارتباطها « بالحاجة » المتغيرة بتغير الظروف والملابسات ..

ورابعاً : إن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولى المرأة لمنصب القضاء ـ فى غيبة النصوص الدينية التى تتناول هذه القضية ـ كانت اختلافهم فى الحكم الذى « قاسوا » عليه توليها للقضاء .. فالذين « قاسوا » القضاء على « الامامة العظمى » التى هى رئاسة الدولة والخلافة ـ مثل فقهاء المذهب الشافعى ـ قد منعوا توليها للقضاء ، لاتفاق الفقهاء على جعل «الذكورة» شرطاً من شروط الخليفة ، فاشترطوا هذا الشرط فى القاضى ، قياساً للقضاء على الخلافة والامامة العظمى ..

والذين أجازوا توليها القضاء فيما عدا القضاء فى قضايا « القصاص والحدود » ـ مثل أبى حنيفة وفقهاء مذهبه ـ قالوا بذلك لقياسهم « القضاء » على « الشهادة » ، فاجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه ، أى فيما عدا «القصاص والحدود» ..

أما الذين أجازوا قضاءها فى كل القضايا ـ مثل الامام محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ ٨٣٩ ـ ٩٢٣ م) وفقهاء مذهبه ـ فلقد حكموا بذلك لقياسهم « القضاء » على « الفتيا» .. فالمسلمون قد أجمعوا على تولى المرأة لمنصب الافتاء الدينى ، وهو من أخطر المناصب الاسلامية ، فقاسوا القضاء عليه ، وحكموا بجواز تولى المرأة كل أنواع القضاء ..

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الجوهرى والثابت فى شروط القاضى إنما يحكمه القصد والهدف من القضاء ، وهو ضمان وقوع الحكم بالعدل بين

المتقاضين .. وبعبارة أبى الوليد بن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م) : فان « من رأى حكم المرأة نافذاً فى كل شىء قال : إن الأصل هو أن كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الاجماع من الامامة الكبرى » (١) والخلافة ورئاسة الدولة ..

وخامساً : فلم تكن « الذكورة » هى الشرط الوحيد الذى اختلف حوله الفقهاء من بين شروط من يتولى القضاء .. فمثلا : اختلفوا فى شرط « الاجتهاد » ، فاوجب الشافعى وبعض المالكية أن يكون القاضى مجتهداً ، قياساً على أمية النبى صلى الله عليه وسلم .. (٢)

واختلفوا فى شرط كون القاضى «عاملا» ـ وليس مجرد « عالم » ـ بأصول الشرع الأربعة ، الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس .. فاشترطه الشافعى (٣) وتجاوز عنه غيره من الفقهاء ..

كما اشترط ابو حنيفة ، دون سواه ، أن يكون القاضى عربياً من قريش (٤) ! ..

فشرط « الذكورة » فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها الفقهاء .. اشترطها البعض باطلاق ، ورفض البعض اشتراطها باطلاق ، واشتر طها البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر .. فليس عليها إجماع فى « الفكر الفقهى » ، كما أنه ليس فيها نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهاد المجتهدين والمفكرين .. واذا كانت الشريعة مقاصد ، والهدف من التشريع هو تحقيق المصالح والغايات للأمة ، فان توافر الاهلية والكفاءة لاقامة العدل بين المتقاضين هى محور الشروط التى يجب توافرها فيمن يلى منصب القضاء ..

●●

لكن بعض الذين أشترطوا « الذكورة فيمن يلى منصب القضاء قد أضافوا الى علة قياسهم القضاء على الامامة العظمى والخلافة العامة ، أضافوا « الاحتجاج » ببعض الأحاديث النبوية التى رويت فى المرأة ، رغم انقطاع الصلة بين المراد بهذه الأحاديث النبوية وبين تولى المرأة للقضاء وأهليتها كى تتساوى بالرجل فى هذا الأمر وفى أمثاله من الأمور ..

● فالماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م) ، مثلا ، يورد ـ فى معرض رفضه مذاهب الذين يجوزون قضاء المرأة ـ يورد حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « ما أفلح قوم أسندوا أمرهم الى امرأة » (٥)

ولعل من الأهمية بمكان أن نقف وقفة تجلى المراد النبوى بهذا الحديث ـ الذى شاع كسلاح يحاول الكثيرون به حرمان المرأة من الحقوق باسم السنة النبوية الشريفة .. وليس سوى معرفة ملابسات قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لهذا الحديث سبيلا لفقه المعنى المراد منه والغرض المقصود .. إن الصحابى «أبو بكرة» ، رضى الله عنه يروى هذا الحديث فيقول : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

ـ من يلى أمر فارس ؟

ـ قالوا : امرأة

ـ قال : ما أفلح قوم يلى أمرهم امرأة (٦)

فهذا الحديث كما يتضح من سياق قوله هو نبوءة سياسية من الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بفشل الفرس المجوس ، أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة وليس حكماً بتحريم ولاية المرأة للقضاء .. فلا ولايتها العامة ولا ولايتها الخاصة كانت بالقضية المطروحة على النبوة كى تقال فيها الاحاديث ! ..

● وحديث آخر يورده الماوردى فى هذا المقام ، هو قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن النساء :

« أخروهن من حيث أخرهن الله » .. وهو يستدل به على وجوب تأخير النساء عن منصب القضاء ، لأن الله قد أخرهن !

ونحن عندما نرجع الى مصادر السنة النبوية الشريفة ، ونطالع الحديث كاملا وفى سياق قوله وملابسات هذا القول وأسبابه، نعلم يقيناً أن لا علاقة لهذا الحديث بتولى المرأة للقضاء .. فهذا الحديث هو أمر تنظيمى لصفوف المسلمين والمسلمات عندما يصلون بالمسجد ، خلف الامام .. فقديما ، وفى معابد بنى اسرائيل كانت النساء يصلين مختلطات بالرجال .. وفى البداية الاسلامية كان المسلمون يصنعون ذلك ، فنهى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، وطلب تقدم صفوف الرجال وتأخر صفوف النساء ، حتى لا ترى الرجال عورات النساء من « الأزر » الضيقة ! .. وقال فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى ، رضى الله عنه :... وان خير الصفوف صفوف الرجال المقدم وشرها المؤخر ، وخير صفوف النساء المؤخر ، وشرها المقدم . يا معشر النساء ، اذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن ، لا ترين عورات الرجال من ضيق الأزر ! »

بل وحتى هذا الحديث الذى يورده الماوردى نجد مقدمته التى يقدم له بها راوية عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه ، تقول : « كان فى بنى اسرائيل الرجل والمرأة يصلون جميعاً » .. الأمر الذى يكشف عن المراد بهذا الحديث ، الخاص بتنظيم صفوف الرجال وصفوف النساء فى الصلاة بالمسجد ...

فاين من ذلك أهلية المرأة للقضاء ؟ ! .. وما علاقة هذه الأحاديث بتوليها الفصل بين الناس فى المنازعات ، اذا هى حصلت شروط العدل فى فصل الخصومات ؟ ! ..

●●

وهكذا .. فسواء أنظرنا الى القضية فى اطار النظرة العامة التى نظر الاسلام بها الى المرأة .. أم من خلال « الفكر الفقهى » الاسلامى ، الذى اختلف أئمته حول هذه القضية .. أو بالنفاذ الى فقه النصوص التى أوردها البعض حولها ... فاننا سنجد ولاية المرأة للقضاء واحدة من القضايا التى خضعت للخلاف والاجتهاد ، والتى يجب أن تبحث مجدداً على ضوء تغير واقع المرأة المسلمة وتطورها ، وما أحرزت فى عصرنا من أهلية وقدرة لم تكن لها فيما تقدم من العصور .

هوامش

(١) (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) جـ ٢ ص ٤٩٤ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م ، وانظر كذلك : الماوردى : (أدب القاضى) جـ ١ ص ٦٢٥ ـ ٦٢٨ . طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م و (الأحكام السلطانية) ص ٦٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

(٢) (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) جـ ٢ ص ٤٩٣ . ٤٩٤ .

(٣) (أدب القاضى)جـ١ ص ٦٤٣ .

(٤) محمد محمد سعيد (كتاب دليل السالك لمذهب الامام مالك) ص ١٩٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م .

(٥) (أدب القاضى) جـ ١ ص ٦٢٧ .

(٦) رواه أحمد بن حنبل .

(٧) رواه ابن ماجة وابن حنبل .

معنى العظمة

بقلم : فؤاد كامل

نقول عن سقراط إنه فيلسوف عظيم ، ونقول عن نابوليون : كان قائداً عظيماً ، ونقول عن جيته وشكسبير ودانتى وأبى العلاء المعرى : هؤلاء شعراء عظام ، ونقول عن بيتهوفن لقد كان موسيقياً عظيماً ، ونقول عن ونستون تشرشل إنه سياسى عظيم .. الخ . فما هذه العظمة التى تسلك فى حبات عقدها هؤلاء الأشخاص جميعاً رغم تفاوت المجالات التى لمعوا وبرزوا فيها ، ورغم تباعد الأزمنة والأمكنة التى نشأوا وظهروا فيها ؟ أهناك صفة واحدة أو عدة صفات يشتركون فيها وتنتظمهم جميعاً ؟

والاجابة على هذا السؤال من أصعب الأمور ؛ فمازالت عظمة هؤلاء جميعاً سراً من الأسرار لا يستطيع أن يجلوه إلا عظيم مثل هؤلاء العظماء أتيح له ما أتيح لهم من سر ، وما أغدق عليه من مواهب .

على أن الله سبحانه وتعالى بما كرم به الانسان ، وبما سخر له من الكون ، وبما أسجد له من الملائكة ، بعد أن علمه الأسماء كلها ، واستخلفه فى الأرض ليمتلك زمامها ، ويطلق فيها يده ، وليبرز فيها مشيئة الخالق فى الابداع والتكوين ، والتركيب والتحليل ، والتحوير والتبديل .. «وسخر لكم ما فى الأرض جميعاً» ، قد وضع فيه من الطاقات الكامنة ، والقدرات الهائلة ، والمواهب المذخورة ، والامكانيات الكثيرة بحيث يستطيع أن يكون أعظم الكائنات فى هذا الكون البديع المسخر له : «وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» و «اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين» فالانسان بحكم وضعه الكونى ، والروح الالهية التى نفخها فيه الله ، وبما سواه وقومه عظيم بالامكان دائماً ، عظيم بالفعل أحياناً : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ..» وهو «.. الذى خلقك فسواك فعدلك..» و «نفس وما سواها ..» .. و «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ..» ولكن هذا الانسان نفسه يمكن أن يتردى فى حضيض المهانة والتحقير : «ثم رددناه أسفل سافلين ..»

فالانسان كائن مزدوج يمكن أن يصعد الى أعلى عليين فيكون «قاب قوسين أو أدنى» ، ويمكن أن يهبط الى الدرك الأسفل من الفجور والضلال : «.. فالهمها فجورها وتقواها ..» ذلك أن الانسان وهب سر المعرفة ، الذى رفعه فوق الملائكة ، كما وهب سر الارادة المستقلة التى توقفه موقف الاختيار .

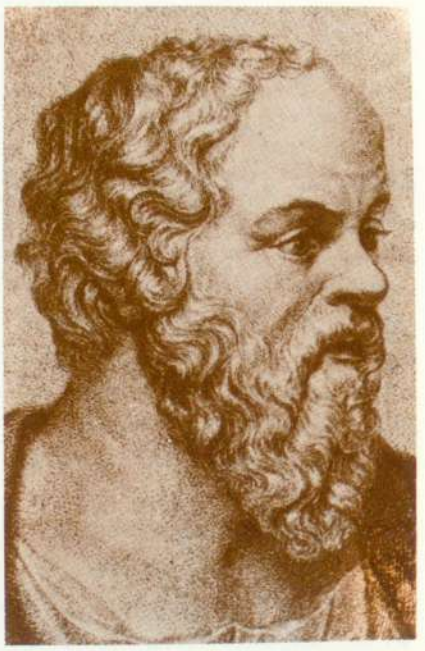
ومع هذه العظمة الكامنة فى الانسان بحكم خلقه وطبيعته ، فان عظماء الناس نادرون ، فهل العظمة هبة من هبات الله سبحانه وتعالى يمنحها لمن يصطفيه من عباده ؟ أم هى نتيجة جهد مبذول وكد موصول ، وكدح طويل ، وثمرة للكسب والتحصيل ؟

وهذا سؤال آخر تختلف الاجابة عليه . ولكنى أميل الى القول بان العظمة نعمة من نعم الله يمن بها على من يشاء من عباده ، ولكنها فى الوقت نفسه ثمرة للكد والنصب ، فما رأينا عظيماً متوانياً أو كسولا ، أو مكتفياً بموهبته عن العمل المتواصل ، والسعى الدءوب ، وكم رأينا من مواهب بددها أصحابها فلم يصلوا الى أعتاب العظمة ، بل ظلوا على أبوابها لا يدخلون !

وخلاصة القول ان العظمة لغز لم يسبر بعد غوره كالشخصية سواء بسواء .. فمازالت الشخصية الانسانية لغزاً يحير علماء النفس وعلماء الاجتماع ، فأولى أن تكون العظمة لغزاً محيراً وهى الدرجة التى تتمثل فيها الشخصية فى أوج اكتمالها ، وذروة كمالها .

الخلفية التاريخية

شهد التاريخ منذ غابر أزمانه وعصوره أشخاصاً ميزهم الناس عن سواهم ، ورفعوهم درجات عليهم ، واتخذوهم أسوة وقدوة .. بل لقد



سقراط



جوته

استحال هؤلاء الأشخاص الى كائنات أسطورية ، وأحياناً الى أبطال قوميين يمجدهم البشر ، وفى الحقب البدائية من تاريخ الانسانية كان الانسان العظيم ، أو البطل القومى جامعاً لبطولة المحارب وحكمة المشرع ، وعقلية المخطط والمخترع ، وبراعة الشاعر والفنان والمفكر . كان هذا كله يؤلف شخصاً واحداً ، فلا غرو أن تمجيد الأبطال كان أمراً منتشراً بين الشعوب فى المرحلة البدائية من التاريخ . (جلجامش عند الفرس ، وبتاح حقب عند المصريين ، وأدون عند الاسكندنافيين) ، بل لقد ظل تمجيد الأبطال ظاهرة منتشرة عند بعض الأقوام حتى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ، كما نرى ذلك عند أهل الشمال فى السويد والنرويج .

ولم يكتب الانسان التاريخ إلا عندما أحس



نابليون



تشرشل

بالحاجة الى تخليد ذكرى عظمائه وأبطاله . والمؤرخون العظماء من أمثال هيرودوت ولويخان – لم يكتبوا التاريخ إلا بعد أن اتصل الحديث بينهم وبين عظماء الانسانية فى الأزمنة السحيقة ، معتقدين أن اتصالهم بهؤلاء العظماء وتدوين أعمالهم ، وتسجيل أفعالهم ، إنما هو اتصال بكل ما هو عظيم ، وبكل ما تتمثل فيه عزيمة الانسان الأخلاقية ، وارادته المبدعة ، ونظرته الشاملة ، ووضوح رؤياه .. وهذه صفات تضرب بجذورها ، وتمتد أصولها فى الأفراد العظماء .



شكسبير



بتهوفن

ومنذ ذلك الحين السحيق أصبح التاريخ هو تاريخ من ظهر فى الدنيا من العظماء كما يقول كارلايل : «... فهم الأئمة وهم المكيفون للأمور ، وهم الأسوة والقدوة ، وهم المبدعون لكل ما وفق اليه أهل الدنيا ، وكل ما بلغه العالم» .

ولكل شعب طريقته فى توقير العلماء وتبجيلهم . وهذه الطريقة التى تنسب بها العظمة هى التى تحدد مستوى هذا الشعب من الشعوب أو ذاك ، وبالتالى تحدد الانسانية فى مجموعها . فالرجل العظيم لا يكون عظيماً فى شعبه وحسب ، بل يكون عظيماً بالنسبة للانسانية جمعاء وهذا شرط من شروط العظمة .. وفى العظماء يتعرف كل عصر على نفسه ، فهم الذين يحددون معالم العصور واتجاهاتها ومبدأها ومنتهاها . وقد ينسى الناس العظماء ، ولكنهم لا يغيبون طويلا ، بل يعودون الى الظهور ويراهم الناس فى صور أوضح ، ثم ينسحبون مرة أخرى ويحتجبون ويعاود التاريخ اكتشافهم وابرازهم ، فلا تاريخ بغير عظماء ، بل إن الوجود نفسه يظل تافهاً بغير دلالة إن خلا من العظماء .

ولقد كانت العظمة تحظى منذ أقدم عصور التاريخ بصنوف من التشريف والتكريم .. وكانت تتمثل غالباً فى زعماء القبائل البدائية ، وفى

معنى العظمة

رهبان الهند الأسطوريين (الرتيشى) الذين ينطقون عن الالهام ، وفى بعض المفكرين الهنود الأوائل من أمثال باجنا فالكيا وساندیليا ، وكابيلا) ، وفى مؤسسى العصور القديمة فى الصين ، وفى حكماء مصر من أمثال امحوتب وبتاح حقب ، وايبورو ، وفى جلجامش فى بابل القديمة .. وهؤلاء جميعاً يتخذهم الناس مرشدين لهم فى مجال الفكر والتقاليد والسياسة والاختراع .. الخ . وتاتى بعدهم الشخصيات التاريخية الحقيقية ، وفى مقدمتها شخصيات «العهد القديم» والاغريق والرومان ، ثم بعض الصينيين والهنود المتفرقين ، من زعماء ومصلحين ونماذج للسلوك القويم ، ودعاة للخير والحياة السعيدة .

وكانت العظمة فى أول ظهورها مجرد واقعة بسيطة ، لكنها تحولت منذ نظم هوميروس ملحمته البطولية الشهيرة المعروفة باسم «الالياذة» الى موضوع للتامل والتفكير . وأعلن هرقليطس قولته المشهورة : «شخص واحد يعادل عندى عشرة آلاف شخص ، لو كان الأفضل !» وفسر السوفسطائيون وأفلاطون وأرسطو وبوزيدونيس العظمة على انها موهبة تدفعهم الى الحماس ، وتميزهم بكمال فى الذكاء فهى عبارة عن اتحاد أصيل لكل الملكات المبدعة فى الطبيعة البشرية .

وكان « لونجان » (القرن الأول الميلادى) أول من كتب تخطيطاً للعظمة الانسانية . ومن ضمن ما قاله إننا نعجب دائماً بما هو خارق للعادة ، وعظماء الرجال لا يهتمون بالتفاصيل ودقتها ، بل يستهدفون دائماً عظائم الأمور وجلائل الاعمال ، وبهذا يرتفعون فوق مقاييس الفانين . ومن لا يرتكب خطا يعض من اللوم ، أما الرجل العظيم فيرغمك على الاعجاب .

وتعاورت على العظمة مفاهيم كثيرة مع التقلبات التاريخية . ففى عصر النهضة مثلا تركز معناها على فكرة العبقرية . وكان من مميزات هذا العصر تخلصه الواضح من التعصب لطائفة من العظماء دون طائفة ، بل كان تامل العظمة والتفكير فيها موضوعياً ، واشتمل البحث عن العظماء شعوب الأرض جميعاً ، حتى الشعوب المعادية . وهذه حسنة من حسنات ذلك العصر .

وشحذ هذا الاحترام الحقيقى للعظمة فى كل زمان من حساسية البحث ، وسمح بتمييز أفضل لكل ما هو فريد ، ولم تعد هذه الحساسية تكتفى باعجاب مجرد لا يرتبط بشىء ، بل على العكس من ذلك ، أخذت ماخذ الجد ما تعرضه العظمة من مطالب ، وما تدعو اليه من تحد ، وما تدفع اليه من نظرة جادة كل الجد .

معنى العظمة

وشرع البعض فى اكتناه هذا اللغز المغلق ، وهذا السر المستغلق وكان كارل يسبرز الفيلسوف الالمانى المعاصر من أبرز المهتمين بالكتابة فى هذا الموضوع . وهذا هو مجمل رأيه :

« الرجل العظيم أشبه بانعكاس للكل فى الوجود ، وظهور الرجل العظيم فى العالم هو فى الوقت نفسه ثغرة تخترق هذا العالم ، قد تكون هذه الثغرة على هيئة شعاع جميل صادر عن انجاز جليل ، أو على هيئة سقوط فاجع (تراجيدى) ، أو بوصفه نوعاً من الراحة أو السكينة الملغزة فى الحركة الدائبة التى يصخب بها أعماق وجوده» .

وقد يرى بعض الناس العظمة فى العمل النافع ، لكنها فى حقيقة الأمر قد لا تكون عملا ، ولا نفعاً ، أياً كانت كميتهما . ذلك لأن العظمة لا يمكن ان تقاس . إذ هى تتعلق بوجودنا كله ، وبالعالم كله ، وبالعلو . والعنصر النافع فى التحقيق لا يصبح عظيماً الا إذا تلقى معناه من شىء أبعد من ذلك كثيراً .. أعنى من الشامل .

وتظهر العظمة عندما يصير ما هو واقعى بواسطة ذلك الانعكاس البعيد ، رمزاً للكل . وحيثما وجدت العظمة ، كانت القوة . بيد أن القوة ليست هى العظمة . وسواء أكانت هذه القوة طاقة حيوية دافقة فياضة لا تستنفد ، أو كانت قوة روحية خلاقة مبدعة ، أو قوة قاهرة لذهن متوقد ، فان فيها ـ بلا شك ـ شيئاً ينتمى الى العظمة . ذلك أن الفاتر الرتيب الكئيب الشاحب الباهت السريع التبرد ، لا يمكن أن تكمن العظمة فيه . ومع ذلك فان الحيوية ، والخصوبة والغزارة فى الانتاج ، والذكاء ، وسرعة التصرف والقدرة على العمل .. هذا كله منفرداً لا يصنع العظمة ولن يفعل ذلك إلا شاعت فيه وسمت به روح العلو .

ومع ان فى العظمة شيئاً من الكلى ومن الشامل ، فان فيها أيضاً شيئاً فريداً لا يمكن استبداله من الناحية التاريخية . فالشخصية العظيمة لا تذوب ولا تنحل فى الكلى الذى تجىء به الى العالم . فهى لا توجد عدة مرات بنفس الطريقة . فما كان من الممكن أن يحققه شخص آخر أيضاً لا يمكن أن يكون عظيماً . وكل ما يمكن اعادة صنعه ، وتعلمه ، واجادته ، وان كان الذى فعله فى البداية ، وبالضرورة ، شخص واحد ، مثل هذا العمل لا يمكن أن يكون عظيماً . وعلى هذا يمكن أن نقول ان ما لا يستبدل هو وحده الذى ينسب الى العظمة .

بيد أن هذا الاستبدال لا يتصف بالعظمة من حيث هو فرد فى جزئية الفردية ، بل لابد أن يكتسب طابعاً موضوعياً بواسطة وسيلة للتحقيق ، والانجاز ، أى لابد أن يخرج الى حيز العمل والفعل والابداع ، وعندئذ يصبح حقيقة أمام الكل ، أوجدتها شخصية فريدة لا تتكرر . فالعظمة تفترض أن ما هو صحيح صادق حقيقى على نحو كلى ، يتخذ شكلا شخصياً من الناحية التاريخية . واتحاد الفرد الشخصى بالعمومية الموضوعية هو الذى يحقق العظمة . الفائق على الشخصى يتحدث فى العظمة بواسطة الشخصى ، وعندئذ يتخذ ما هو شخصى دلالة موضوعية .

كيف نتعرف على العظمة

وأنا لا أرى اختلافاً كبيراً بين نظرية يسبرز فى العظمة وبين النظرية الاسلامية اللهم الا فى المصطلح ، فهو يرى أن الانسان يكون عظيماً بمقدار مشاركته فى العلو ، ومؤدى النظرية الاسلامية أن الانسان يكون عظيماً بمقدار تحقيقه لاستخلاف الله له على الأرض .

ثمة حدود تقيد طبيعتنا الانسانية ، وفى المجهود الذى نبذله لتجاوز هذه الحدود نبحث عن رجال يكونون أعظم منا وأعظم . وبينا نكون

● لا ينبغي أن يصل تبجيل العظمة إلى حدّ تأليه صاحبها .. فإن أعظم الناس وأندرهم يظل بشرًا مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا

فى وعى بضالتنا ، نخوض فى الوقت نفسه بالعظماء الذين نعرفهم تجربة ذلك الطلب المطلق الذى نحاول به توسيع حدود امكانياتنا البشرية وتعميق أبعاد طبيعتنا الفانية . فالعظمة تكون حيثما ندرك ـ فى تبجيل عميق ، ورؤية واضحة ـ ما يمكن ان نصبح به نحن أنفسنا أفضل مما كنا . ومن عظماء الرجال تشع قوة تجعلنا ننمو ونزيد بمحض حريتنا واختيارنا ، وهم يعمروننا بالعالم اللامرئى الذى يكشفونه ويستشفون شيئاً مما فيه . إنهم بعظمتهم يكشفون لى عمن أكون . وأما كيف أشاهد العظمة ، وكيف أتوصل معها ، فهذا ما يكشفنى لنفسى وكلما كانت الارادة أقوى ، وكلما كان الفكر أنقى وأصفى ، تحدثت الى ارادة العظماء بمزيد من الوضوح والبيان . فبفضل إمكانيات طبيعتى الخاصة أستطيع أن أدرك معنى العظمة .

وتبجيل العظماء وتوقيرهم يحتم على احترام الكائن الانسانى أيا كان . فمن يحترم الانسان هو وحده القادر على رؤية العظمة المستجدة فى العالم الحاضر ، وكما تعطى لنا فى العصر الذى نعيشه . ومعاصرونا الذين ننظر اليهم بعين الاعتبار فى حب واجلال يزودونا بالمعايير التى تعيننا على تقييم الانسان بوجه عام ، وتقييم امكانيته .

ولا وجود للعظمة حين يبهرنا ما هو كمى ، ذلك اننا ندرك بمقياس عجزنا وقصورنا قوة أولئك الذين يسيطرون علينا . فنحن لا نستطيع أن نرى العظمة عندما تحرمنا غريزة الخضوع فينا من مسئوليتنا ، وعندما تعكر رغبة العبودية الكامنة فينا رؤيتنا الواضحة ، فنخترع انساناً أعلى هو فى حقيقة الأمر انسان أسفل .

ولا وجود للعظمة أيضاً عندما نقنع بالابحاث والتحليلات ، إذ تغوص العظمة وتختفى فى خضم علم النفس وعلم الاجتماع ، ذلك أن طرائق التفكير فى هذين العلمين تطمس ملامح العظمة وتعمى عن رؤيتها ، إذ تذوب العظمة بواسطتها فى صفات وخصائص ، وفيما يمكن تقريره أو اثباته موضوعياً وكمياً بواسطة اختبارات ، ووقائع ... الخ .

ان وجود العظماء أشبه بضمان ضد العدم ، ومجرد رؤيتهم هو فى حد ذاته غبطة لا تضارع ، ولا مثيل لها . ونتساءل مع كارلايل : « ألا يحس المرء أن فى إجلاله لمن هو أرفع منه رفعة لنفسه ؟ وهل جال فى صدر المرء إحساس هو أشرف من ذلك وأعظم ؟ » .

ولا ينبغى أن يكون بتبجيل العظمة وتوقيرها تاليهاً للانسان .. ذلك أن أعظم الناس وأندرهم وأكملهم يظل بشراً مثلنا ، ومن طينتنا وجنسنا .

● الصغار وحدهم هم الذين يجدون متعتهم في إبهار الآخرين وانتزاع حرّيتهم

وقد وصف الرسول الكريم نفسه فى القرآن بانه بشر فيه كل ما للبشر من صفات النقص ، وأنه ينزل عليه الوحى من ربه بين آن وآخر ،ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي إنما إلهكم إله واحد» « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب » . وكان الرسول حريصاً على أن ينفى عن نفسه صفة الألوهية . « قل سبحان ربى هل كنت الا بشراً رسولا ؟ » وكذلك حرصت بقية الرسل ، «قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم» ويؤكد القرآن الكريم هذا الأمر تأكيداً قاطعاً فيقول : «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله » . . كما يؤكد الرسول الكريم أنه لم ير الله قط أو يطلع على أسراره ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ولا يفعل المعجز وخوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله . هكذا كانت شخصية الرسول التاريخية ، حتى لقد صعب على معاصريه التصديق به وعجبوا من أمره عندما أنكر كل شىء خارق للعادة .

وتحويل الانسان العظيم الى أسطورة ليس هو ما يحفظه ويبقيه للأجيال ، بل النظر الى حقيقته نظرة نفاذة شاملة تحيط بجوهره ، وتقترب من مكنون سره . وربما انتشر هذا التاليه فى العصور البدائية عندما لم يكن التفكير منصباً على الشخصية العينية والفرد الواقعى الماثل أمام الناس بقدر ما كان منصباً على القوى الروحية التى تفعل فيه وتحركه . ولم يلتفت احد الى مشاعره الباطنية أو جوانيته أو فرديته أو عقليته المتميزة ، وانما كان الالتفات كله الى عمله والى المثل الذى يمثله ، وخضوع الناس لفرد بوصفه سلطة عليا ، لم يكن بسبب طبيعته الشخصية ، ولكن للاعتقاد بأنه إرادة عليا ، وقوة خارقة تتجسد فيه .

ومن واجب الفلسفة بل من اهم واجباتها أن تضع حداً لتمجيد الانسان عن طريق وضوح العقل ورؤيته ، وذلك لحساب احترام العظمة الانسانية نفسها . ولم يتسامح العظماء قط فى تاليه الناس لهم حتى المسيح نفسه إذ يحاوره الله : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب »

فالعظماء حقاً وصدقاً فى كل زمان ومكان ، وضعوا علاقاتهم مع الآخرين على نفس المستوى المشترك مع بسطاء الناس ، وان فعلوا غير ذلك ، فقدوا عظمتهم . ومن الحق أن بعض عظماء الفلاسفة قد تمتعوا فى حياتهم وبعد مماتهم بصنوف من التشريف والتكريم غير المألوفة عبر الأجيال ، فكان أفلاطون مثلا يسمى أفلاطون الالهى ، وبمثل هذا استمتع زعماء المدارس الرواقية والأبيقورية والافلاطونية المحدثة ، وكذلك كان كونفوشيوس وبوذا ولاوتسى بين أتباعهم . ويحدث هذا بصورة أقل لكبار الأساتذة فى الجامعات المعاصرة .

بيد أن هذه الظاهرة شىء مناف تماماً للفلسفة وان كان من المقبول طبعاً أن يحظى عدد قليل أو شخص واحد ، باعجابنا واختيارنا دون الآخرين ولكن ينبغى أن يظل هذا الحب جزئياً دون ادعاء للكلية الشاملة . والمهم هنا هو التأثير الذى يمارسه هذا العظيم على تربيتنا الشخصية ، وان نضع فى اعتبارنا أنه من المستحيل معرفة كثير من الفلاسفة بنفس الدرجة من العمق التى نعرف بها فيلسوفنا المفضل .

والواقع أن ما حدث لكبار الحكماء بعد مماتهم لم يكن شيئاً يريده هؤلاء . والصغار وحدهم هم الذين يريدون أن يكونوا عظماء ، وهم وحدهم الذين يجدون متعتهم فى ابهار المشاهد وانتزاع حريته ، أما العظمة الحقيقية فهى التى تسعى لحمايتنا منها ضد نفسها . وأعظم الناس هم أولئك الذين يعتقدون أنهم يتحدثون باسم روح أعظم منهم ، ويفعلون بتأثير ارادة أقوى منهم . ولا يستطيع انسان مهما بلغت عظمته أن يحتوى الكل ، أو أن يكون كاملا كمالا مطلقاً ، ولهذا ينبغى أن ننصرف عن البحث عن «الانسان الكامل» ، لقد وجد العظماء لكى يوجد من هم أعظم منهم .

والانسان العظيم يظل انساناً ، وعظمته توقظ فينا ما يمكن ان يكون مشابهاً له . وفى مقابل القيمة التى تتمتع بها العظمة ولا يمكن أن يحل محلها شىء آخر ، هناك ما لا يمكن استبداله فى كل نفس انسانية ، وما يظل خافياً متسترا غير مرئي . ومن يدرك العظمة يحس بأنه ينبغى عليه هو نفسه أن يكون عظيماً .

فؤاد كامل

قراءة في قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي



الشاعر الدكتور غازي القصيبي

بقلم: أحمد عبدالله متولي

جميع المطارات عندى سواء
جميع الفنادق عندى سواء
وكل ارتحال قبيل الشروق
وبعد المســـاء
ســـواء

بهذا يستهل الدكتور غازى القصيبى قصيدته (فيم الغناء ؟) .. إيقاع كجدول رقراق يصب فى قافية (السكون) .. فيه شعور بالسأم .. يذكرنى باستهلال صلاح عبد الصبور لرائعته (الظل والصليب) ـ رغم اختلاف الرؤيا والرأى للقصيدتين .. حيث يقول صلاح :

هذا زمان السأم
النفح فى الأراجيل سأم

بداية فيها الشكل التقريرى .. المقصود والمتعمد .. مدخل حيث الألوان ـ فى لحظة ما ـ مختلطة .. لا فرق بين الأحمر والأخضر والأزرق .. الاحساس بالأعماق مختلط .. الساخن بالبارد .. والبارد كالساخن ! .. لا طعم للأشياء ! .. لا شعور بفرحة الوجود ، لا فرق بين الليل الوديع الساكن الحالم للشعراء .. أو الشروق ، حيث خلق عالم جديد فيه الحركة والتجدد ...

ترى ما الذى يدفع شاعرنا دفعاً نحو هذا الشعور القاسى والمدمر ؟ ـ

يقول الدكتور غازى القصيبى :

وكل الوجوه
تطاردنى عند كل وداع
تلاحقنى عند كل لقاء
سواء

فى جو غير عادى ، تتسطح الأشياء .. ويستوى النور بالظلام .. والصواب والخطا .. نعم جو غير عادى لهذه الدنيا غير الصريحة .. ولأن النفس مرهفة .. شديدة الشعور بايقاع الحياة .. وتوقيعاتها .. هنا يتحول الحب «الشكلى» و «الرسمى» الى مطاردة وملاحقة ! .

وما أتعس أن تختنق لحظات الوداع .. وما أتعس أن تموت لحظة اللقاء .. وما أشق على نفس تبحث عن الحق والخير والجمال أن يستوى الوداع باللقاء ، واللقاء بالوداع . فيصبح الكل سواء .

ومن هذا الواقع ينبت الشعور بالسؤال : فيم الغناء ؟

الغربة والغرابة

الكل باطل .. فى لحظة يضيع فيها الشعور الحقيقى بالحب ، ويضيع اليقين فى غابات الوجوه ومئات الابتسامات المرسومة .. والورقية .. والقبلات الجاهزة المضمخة بالمصالح أو بحكم التكلف أو (التكليف) أو ـ العادة على أحسن تقدير .. عندئذ يتساءل الشاعر ، بايقاع مرير .. فيم الغناء ؟

تساؤل فيه الغربة والغرابة والاستغراب .. ممزوج بتساؤل العالم ببواطن الأمور . وكثير من المعرفة والمشاعر المرهفة يساوى كثيراً من الألم والمعاناة ! .

إن الوقوف على قلوب الناس ضرب من المستحيل ، والوقوف على مشارف الظن بهم عذاب .. وماذا يفعل القلب وسط دياجير الظلام ؟

أسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
أصافح نفس الأيادى المليئة
بالعطر والمكر . ألمح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
ففيم الغناء

صحيح أن الشعراء لا يلتزمون بأبحاث العلوم النفسية ـ وفى عصرنا اهتمام بذلك . ولكن لا يمنع الأمر أن يعنى الشعراء بتحليل النفوس والعواطف والأهواء .. وها هو ذا الشاعر يقف وقفة أو وقفات يركز بصره فى داخله آلاف المرات .. وحوله آلاف المرات ! ويرصد الخواطر .. المشاعر والاحاسيس والأفكار .. ويعصر أفكاره فى الوجود ، الى تأملات نفسية .

ففى درب الحيـاة ، قد نسـير فى درب ملوث بالدماء والظلم ، وقد نصافح أيادى قتلة وسفاحين ، ومن يرسمون البراءة والطهارة والرياء والخداع ، ويدهنون وجوههم المستعارة بالف لون براق .. ولسان ذلق حرير .

ولأن الشر والخير ، توأمان فى الحياة ، وفى

قلب الانسان .. وقد يستسلم الخير للشر أحياناً في قلوب البشر .. ويظل نموذج الانسان الثعلب أو الانسان الذئب .. موجوداً بيننا .. مطروحاً في الاسواق وفي المجالس وبين الاصابع في الطعام .. وتحت اللسان ! .

وقد يطل اللؤم بين باقات الورود .. وقاعات الاستقبال ! .. ولكن روح الشاعر المرهفة تتألم .. رغم علم صاحبها أن الحياة فيها الأقدار المتصارعة ، صراع الأشباه ، وصراع الاضداد .. ودفع الناس بعضهم لبعض .. حيث الدئرة لا تنتهي ! .. إنها الأقدار .. والروح الشاعرة ، المرهفة ، تعرف أن المشكلة عويصة فعلا ..

هذا المعجم الخاص

هل تأتي رياح تنزع أقنعة النفاق ، وتعريها على حقيقتها ؟

يقول النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم : (اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) ولكن ألا يحتاج الأمر لوقفة .. لسؤال .. لماذا النفاق ؟ ذلك السم الرهيب ! فحين يتوارى الصدق خجلا ، ويتضاءل .. ويغيب القلب الشجاع .. ويرحل من دنيا القلب آخر شعور رحيم وفد الى داره .. يستحيل الغناء مستحيلا !

وحين يصير الدينار والدولار وثنا . الغناء مستحيل .

وحين يغيب الحب عن القلب .. مستحيل الغناء .

يقول الشاعر غازي القصيبي :

وألهو بنفس القرارات
اهذي بنفس الخطابات
أسمع نفس الغناء
وأضحك حين يشاء القضاء
وأحزن حين يشاء القضاء
ففيم الغناء
ففيم الغناء

الشاعر يمشي ـ بكل وعيه ومشاعره الفياضة ـ في غابة كثيفة بالأدعياء ، أصحاب الأقوال الجوفاء .. وتصبح الكلمات عارية ـ عن الحقيقة ـ وخالية من رنة الصدق .

وقرارات وأوراق صماء .. بلا فعل .. لعله يذكرنا بالمثل الشائع .. أسمع جعجعة ولا أرى طحنا .

وفي عالم الشعراء ، يتعمق بكل حسه ، وينقل ما يشاهده أو يبصره في الكون يغوص في باطنه وخفاياه .. فيتسرب تحت جلدنا .. وكأننا تحت سحر رائع .. إنه يسري عنا .. يمتعنا .. يزيد وعينا بانفسنا .. يضيف الى حياتنا حيوات .

وحين تلبس الألفاظ أثواباً غير فضفاضة ، ولا يلجأ الشاعر الى الرنين والبهرجة اللفظية .. والابتعاد تماما عن الالفاظ الخلابة الفخمة ، يكون قد نجا من مصيدة اللفظ !

وهنا ـ واسمحوا لنا ـ تثار مسالة اللفظ ! . بطرح سؤال هل ينبغي لألفاظ القصيدة الابتعاد ـ أو الارتفاع ـ عن نثر اللغة اليومية للناس ؟ أو بطريقة أخرى هل يجوز لألفاظ القصيدة أن تترك برجها العاجي وتنزل للشارع ؟ النقاد العرب .. أجمعوا على أن يظل قاموس الشعر كما هو ، ولا يحق للشاعر ان يتجاوز هذا المعجم الخاص .

اللغة البسيطة

ولكن .. هل سكت الشعراء والتزموا بارادة النقاد ؟ .. أغلب الظن لا .

أبو العتاهية كان يرى أن من حق الشاعر الخروج عن اللغة الكلاسيكية القديمة ، الى لغة مشتقة من حياة الشارع ، لغة المجالس والطرقات والحياة العامة .

وليس وحده صاحب الدعوة ، ها هما أبو تمام وابن الرومي أيضاً .. يخرجان عن طوق النقاد . وكل من خرج استحق غضب النقاد ولعنتهم !

ثار النقاد على ابي تمام وابن الرومي بحجة أن شعرهما أشبه ما يكون بالنثر ! ـ وما أشبه اليوم بالبارحة ! ـ نفس الكلام نسمعه حين يصرخ النقاد عن (القصيدة النثرية) .. هذا ليس بشعر .. سموه أي شيء آخر .. الا انه شعر !

لابد للشعر من قاموس .. وقالب ... يفضلونه عمودياً .. منتظم القافية .. وهنا سؤال هل من الأصوب أن يسجن الشاعر نفسه في ألفاظ بعيدة عن لغة الناس ؟ فتصبح مكررة .. معادة ! .. ألا يمكن أن نكف عن القصيدة المعملية ؟..

عفواً لهذا الابتعاد . لنعد الى قصيدة الدكتور غازي القصيبي وهو ينشد بأسى :

أفيق مع الفجر
أشرب شاي الصباح
أسير الى غابة الأمس واليوم
حيث تسيل الدماء
أصافح نفس الأيادي المليئة
بالعطر والمكر .. ألمح نفس الرياء
ونفس الخداع
ونفس الغباء
ففيم الغناء .

لغة بسيطة خالية من الزخرف اللفظي ، تشرح في بداهة نفسها ، وهنا نشد على يد الدكتور غازي القصيبي ، ونحيي شاعريته الأصيلة ، لأنه لم يستسلم لاغراء الألفاظ ـ وللألفاظ قوة رهيبة ـ إنها تعبر عن مداركنا ومعارفنا وكل ما في الحياة .

إن البعد عن الغموض ـ في عالم مضطرب متداخل ومليء بالمفاجآت ـ مطلوب . إن ما يعاب فعلا على الشعر الحديث .. والموجة الجديدة بالذات ـ جنوح الكثيرين الى الغموض والابهام وكأنهم يحملون الينا أشباحاً تكلمنا .. وحين نقرأ قصيدة في الصباح ـ وفي ظني أن القصيدة وسط أخبار السياسة والاعلانات وأخبار الناس هي الوردة والبقعة المضيئة في صفحة الجريدة ـ قصيدة مغلفة بالغموض ومسربلة بالابهام والضباب ، أكاد أصرخ في صاحبها ـ أو في نفسي غالباً ـ لماذا الغموض ؟ هل لأن الرؤية لدى الشاعر .. ناقصة أو مضطربة ؟ أم انه يخاف الافصاح عن نفسه ؟ إذن الصمت أصوب ، حتى لا يزيد رصيد هؤلاء الذين يتكلمون كلاماً هراء ! وهم المسئولون عن الدنيا التي تستحيل (سواء) .. ويستحيل الغناء !

لا نطالب الشعراء بالطبع أن يتكلموا بلغة المنطق .. أو الدروس العلمية .. ولكن رفقاً بنا .. وقليل من الابهام والغموض أيها السادة . فنحن قوم تشيع بيننا أمية رهيبة ! ومثقلون بهموم العالم الثالث .. وضغوط العوالم الأخرى !

العناية باللغة الشعرية مطلوبة .. ولكن ليست اللغة مطلباً !

الموسيقى في الشعر مطلوبة ولكن ليست الموسيقى هدفاً .

وليس مطلوباً أن يتحول الشعراء الى الانفعالات الموسيقية واثارة نفوس القراء .

هل المطلوب تحويل الشعر الى ذبذبات صوتية ؟ حتى لو ابتعدت عن معانيها العميقة ،



قراءة في قصيدة للشاعر الدكتور غازي القصيبي

وحوافزها النفسية .

فحين تقرأ قصيدة مثل (أغنية الجندول فى كرنفال فينيسيا) للشاعر علي محمود طه . تجد حلاوة الألفاظ وثراء المادة اللفظية ولكن لا شيء آخر . لا فكرة أو معنى وراء القصيدة .. وإنما العناية بأصوات الكلمات المنتقاة ، والموسيقى الخلابة !

يستوقفنى قول د. غازى القصيبى :

وأضحك حين يشاء القضاء
وأحزن حين يشاء القضاء
ففيم الغناء
ففيم الغناء

كل منا حين يتأمل حياته ، يرى القدر يرسم له أبعاداً كثيرة .. فنحن لا نختار لون جلودنا ، ولا عصرنا الذى نعيشه ، ـ وكان يمكن أن نولد فى فجر التاريخ أو يستبد بنا العصر الحجرى فى عصور ما قبل التاريخ ـ ونحن لا نختار الأم والأب ولا الميلاد والموت ! ، ولا التركيب العصبى الذى يتحكم فى مزاجنا . فنحن نخضع للبيئة والوراثة ومئات القوانين الأخرى !

ولكن يبقى سؤال عملاق بحجم الحيرة والعذاب لكل البشر :

الى أى مدى يتفاعل الانسان مع القدر ، فيصنع التاريخ (المقدر له بخيره وشره) ؟ .

الى أى مدى يحيا الانسان الواعى العارف ، الساعى أبداً للتقدم والتسامى فوق ترابيته ؟ ليصنع الأمل ..

القضاء والقدر فى صميم الحياة .. وكل مؤمن يسلم بقضاء الله خيره وشره .. ولكن قلب الشاعر الكبير .. يتأمل الأشياء بحب كبير ... وينحنى للحب ..

يقول الشاعر د. غازى القصيبى :

ولا يعرف القفر أنى
سكبت دموعى عليه
ولا يعرف الحب أنى
ارتميت ، لثمت يديه
ولا يعرف الظلم أنى
تململت فى قبضتيه
ولا يعرف الناس أنى
غضبت وقد عذب الأبرياء
وحاربت حين طغى الأدعياء

ففيم الغناء
ففيم الغناء

قلب كبير .. حب كبير .. يستوعب العالم كله .. يتعاطف مع الدنيا .. يلتصق بالبشر ، حتى القفر يجد من يبكيه ! لغياب الحياة فيه . واللهفة الى دنيا الحب والوفاء والمودة والاخاء .. تستحق منه أن يرتمى يلثم يد الحب .. لعقيدة الشاعر أن فى الحب خلاص العالم . فكيف لا تهفو النفس الى الحب دائما ؟ وقبضة الظلم القاسية وهى تتحكم فى أقدار العالم بشراسة تدعو للتململ ثم الغضب وقد عذب الأبرياء . وطغيان الأدعياء .. لهذا العالم المسكون بروح ساديه .. يصرخ شاعرنا ويتألم ..

فيم الغناء ؟

انه رفض صريح لعالم مهترىء .. عالم مزور ، مدع ، تهفو الروح الى هواء نقى حيث تسترد أعلى حالاتها سموا وارتقاء . وهو حزن يختلف عن الحزن المرضى الذى انتاب أبا القاسم الشابى (مع حبى للشابى) ـ حين قال الشاعر التونسى :

لا تعنينى أغاريد الصباح
بلبل الأفراح
ففؤادى وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
وأغانى النور

إن أبا القاسم الشابى يرفض غناء العصفور ! لأنه لا يرسل الى قلبه حنينا ولا حبا عميت رؤيته عن الصباح ، وصمتت أذناه أمام صوت البلبل الفرح ، وصارت الدنيا ظلاما ..

السواد يفرش أجنحته فوق دنيا ـ الشابى ـ وتعصف به رياح الذعر والخوف من ربوع العالم .. ويبقى الفزع مزروعاً فى قاع القبور المرعبة ـ (ربما لمرض الشاعر بالقلب ، وأبو القاسم الشابى الشاعر التونسى مات سنة ١٩٣٤ ولما يبلغ الخامسة والعشرين بعد صراع مع المرض . وهو فلته من عصرنا الحديث فى حدة الاحساس وعمقه ، ودقته)

وظنى أن حب الحياة ـ كما ينبغى أن تكون ـ ذلك الحب العميق الذى يسطع فى كل حرف ونبض لشاعرنا د. القصيبى .. دائم البحث عن ينابيع الحب ، (ولا يعرف الحب انى ارتميت .. لثمت يديه) .

ويقف شاعرنا .. متأملا مشارف النهاية :

وحين أغيب .. وراء المغيب
يقولون كان عنيداً
وكان يقول القصيدا
وكان يحاول شيئاً جديدا

نعم .. لابأس من التفكير فى الموت حتى ننطلق فى الحياة ، والموت يعطى المبدع الأصيل فرصة كبيرة للحرية ولمزيد من الابداع . ويجدد عشق الشاعر للحياة . وليس كما فعل أبو حيان التوحيدى ـ الأديب الفيلسوف ـ الذى أحرق كتبه وقال : حرام أن يبقى المعقول ويفنى العاقل !

والسؤال : فيم الغناء ؟ .. نابع من حب الحياة العظيم ، واستلهام أجمل ما فيها . وإذا كان القانون الأزلى فى الوجود أن نسقط ، فلا يصح أن نضيع كل حياتنا نتهيأ للسقوط ونتحول الى أوراق خريفية تكنسها الرياح فى خضم اللانهاية. وخير للانسان أن يتحطم من أن يعلن الهزيمة والاستسلام ، تماماً كما صرخ الصياد العجوز فى «العجوز والبحر ـ رائعة همنجواى» ، أن يحاول الانسان شيئاً جديداً .. وأن يمد يده لاخراج الليل من أفق النهار .. والعمل على ظهور الفجر من عمق الليل .. يكفى أن يقال : مات وهو يحاول (وهو أرقى وسام فى الأساطير اليونانية) ..

وكان يحاول شيئاً جديداً ..

إنها المحاولة الأبدية لكتابة التاريخ الجديد .. بالنور .. حتى يختفى السؤال .

فيم الغناء ؟ .. ليكون .. الى : الغناء .. والبناء

أحمد عبد الله متولى
الرياض



محمد الفهد العيسى

الفرح

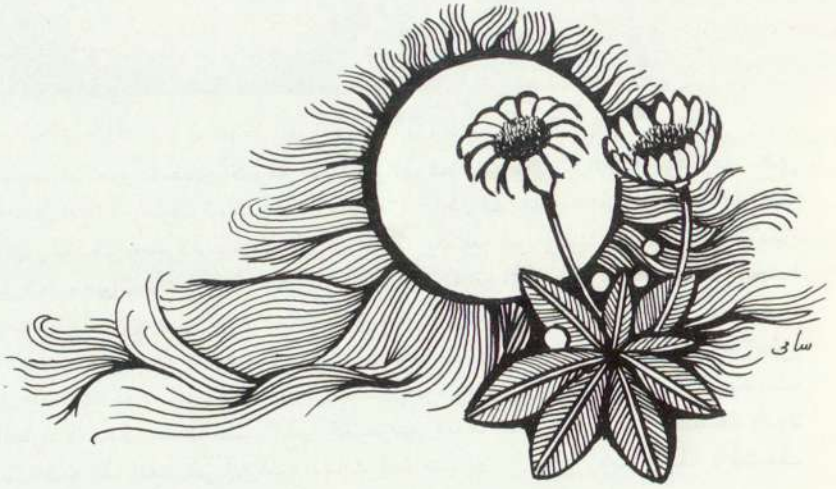
تَدَفَّقى شَلاَّلَ بَوْح ..
زَغْرَدَتْ فيه انثيالاتُ الفَرَحْ .
تَألَّقى أفْوَافَ زَهْر الأقْحُوَان
والخَزَامى ..

(يا ربيعَ الوسْم) فى رَوْضِ الحَبَقْ
اشْرِعِى ابتسامةً تثل
ـ فيها غَيْمَة فلِّية المطَرْ ..
(يا هلا) ..

نهدةٌ تموجُ من جوانح وَلْهَى ..
الى اشْراقةٍ منسوجةٍ بمغزل
عذْب الصُّوَرْ ..
الدفءُ والحنانُ أجمعا

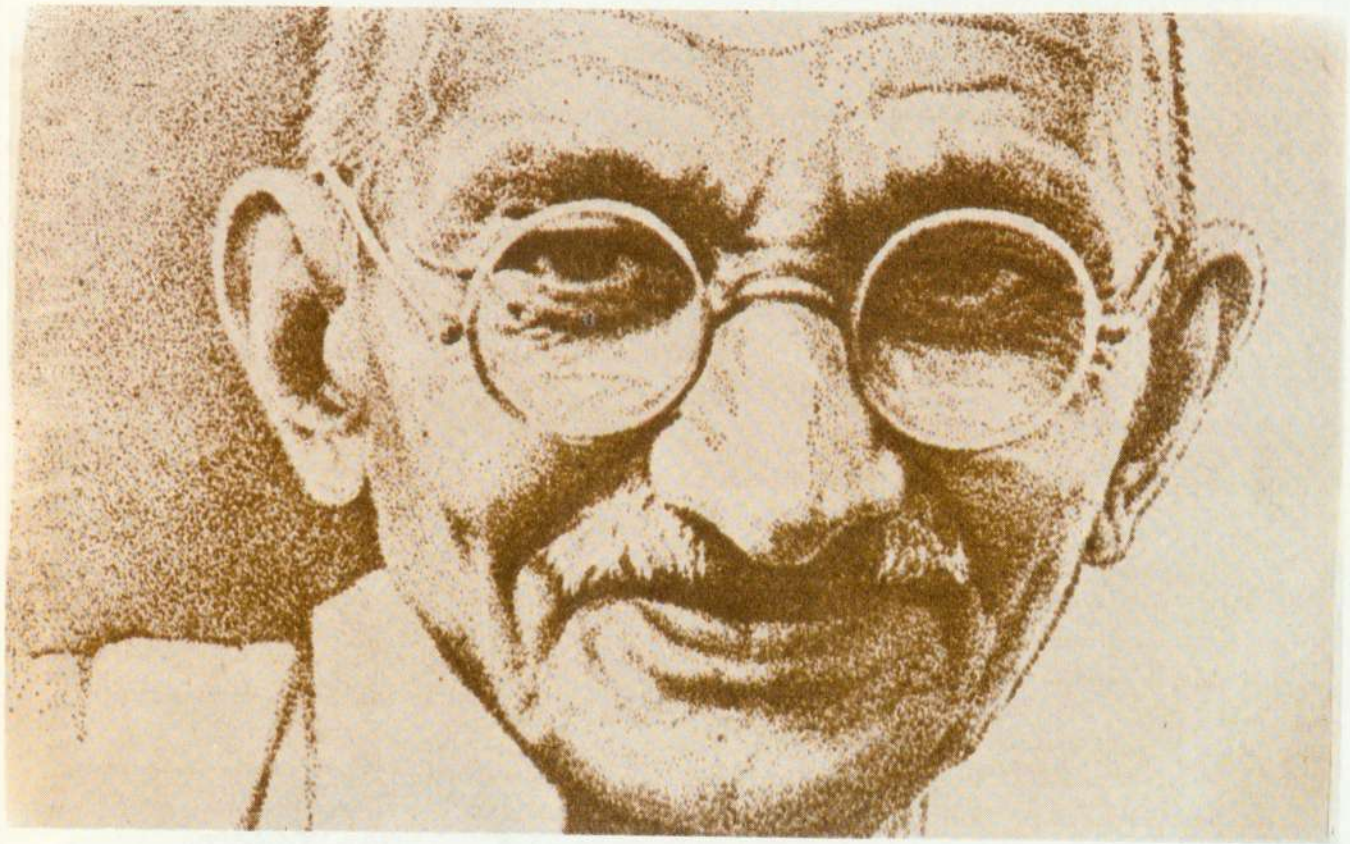
.....

لا يبرحَانِ منبَعَ العَبَقْ
تدفقى فَرَح ..
مَهْمَا تَنَاغَتْ الحُرُوفُ ...
لن تَتِمَّ الملحَمَةْ



غاندي
وجذوره الفكرية

بقلم : محمد العزب موسى



من بين قادة القرن العشرين جميعاً قد يكون غاندى اكثرهم غرابة واقدرهم على تحريك الخيال والتأمل . قال عنه أنيشتاين فى عام ١٩٤٤ « ان الأجيال القادمة سوف تشك فى أن مثل هذا الرجل قد عاش فعلاً بلحمه ودمه على الأرض » ، فهذا الرجل الذى تصدى لأعتى قوة فى عصره ، قوة الامبراطورية البريطانية فى أوجها ، والذى قاد الملايين من أبناء وطنه المهانين المطحونين الى الحرية والتسامح والكرامة ، والذى أيقظ ضمير العالم من سبات عميق .. هذا الرجل لم يكن يملك أية قوة مادية أو عسكرية ، ولم تكن لديه أسلحة وجيوش ، وكان فقيراً لا يملك شيئاً من المال ، ضعيفاً يشبه هيكلا متهالكاً من العظام ، حتى الثياب لم يكن يضع شيئاً منها على جسده ، فهو عريان البدن إلا من مئزر يلفه حول نصفه الأسفل ، فى يده مغزل ينسج به ثيابه البسيطة ، والى جانبه عنزه يقتات على لبنها ، وعلى أرنبة أنفه تقبع نظارة مستديرة الحجرين من الطراز القديم يعلقها على أذنيه الكبيرتين بينما تفتر شفتاه عن ابتسامة ودود باهتة كأنه يريد أن يقول : واغفروا لى أيضاً هذا القدر من الجلد والعظام فما أحب إلا أن اكون روحاً هائماً لا تضيف شيئاً الى أثقال هذه الأرض !

عاش هذا الرجل فى عالم لا يفهم غير لغة القوة ولا يؤمن بغير منطق الحديد والنار ، ولم يكن غافلا عن هذه الحقيقة وانما كان ثائرا عليها ، كانت لغة العصر واضحة بما يكفى فى اذنيه الكبيرتين ، فعندما بدأ كفاحه فى أوائل هذا القرن كانت ثورة ١٩٠٥ تهز روسيا بعنف ولم يلبث أن ظهر لينين رافعا راية الثورة الحمراء ، وتلاه ماوتسى تونج فى الصين على طريق الزحف الطويل ، ثم أخذت رياح الفاشية تتجمع فى سماء أوربا الباردة لتلد عما قريب زوابع النازية والفاشية فى المانيا وايطاليا واسبانيا واليابان ، وبدأ المسرح العالمى يهيأ لأكبر حربين فى تاريخ البشرية ، وسباق التسلح يبدو صمام الأمن الوحيد ، والاستعمار الغربى فى أوج طغيانه وجبروته .. كل ذلك كان يعرفه غاندى حق المعرفة ومع ذلك لم يتردد فى إعلان ثورته السلمية واعتماد عدم العنف طريقا وحيدا مقدسا للنضال .

ولكن يخطىء من يظن أن غاندى لم يكن قويا فى عالم الأقوياء ، لقد كان غاندى قويا وثائرا وايجابيا الى أقصى حد ، غير أن قوته كانت مستمدة من الروح لا المادة ، كان كجميع الثوريين يرى ان الواقع يجب أن يتغير ، ولكنه يؤمن بأن التغير يجب أن يبدأ من الداخل ، فالثورة السياسية يجب أن تعتمد على التحول النفسى الداخلى قبل أن تعتمد على المعطيات والظروف الخارجية ، ولم يكن نضاله يهدف الى تحرير الهند سياسيا واقتصاديا فحسب ، وإنما يهدف فى المحل الأول الى ايقاظ روح الهند الأصيلة ، وايقاد جذوة الحق والكرامة فى نفوس الهنود البسطاء . ومن هنا كانت ثورة غاندى ثورة روح أساسا ، وكان هو بمثابة الروح العظيمة لبلاده أو « المها ـ اتما » وهو اللقب الذى أطلقه عليه بحق ـ رغم استياء غاندى ورفضه ـ شاعر الهند الكبير رابندرانات طاغور .

وقد فهم البعض خطأ أن « الساتيا جراها » ـ وهى حركة غاندى النضالية ـ تعنى المقاومة السلبية ، والحقيقة انها كانت نضالا ايجابيا فى سبيل الحق ، والفرق بين المقاومة السلبية بمعناها الحرفى والمقاومة السلمية المرتكزة على الساتيا جراها ان الأولى تفسح المجال للالتجاء الى السلاح فى الفرصة المناسبة أما الثانية فتستبعد العنف كائم حتى فى أحسن الظروف الملائمة لاستخدامه ، الساتيا جراها معناها « قوة الحق » وكان غاندى يقول ان من الخطأ اعتبارها قوة وجدت ليستخدمها الضعفاء مادامو غير قادرين على مجابهة العنف بالعنف . فالضعفاء حقا لا يستطيعون استخدام هذه القوة وانما يستخدمها الأقوياء بالروح الذين يدركون ان فى الانسان شيئا أسمى من الطبيعة الوحشية الكامنة فيه .



المهاتما غاندي

هذا هو جوهر الفلسفة النضالية لدى غاندى ، أن تعلو الروح على المادة ، أن ينتصر الداخل على الخارج ، أن تحسم المعركة فى ساحة الحق ـ كما فعل كريشنا وارجونا فى كتاب غاندى المفضل البهاجافاد جيتا ـ وليس المقصود بالساتيا جراها مواجهة العدو وانما تحويله الى صديق ، أن تكسبه لا أن تضره ، لذا كانت كل تدابير الساتيا جراها علنية ، فهى حركة لا تعرف الوسائل التآمرية أو نشاطات حرب العصابات .

الطفولة والشباب

من يريد أن يفهم غاندى عليه أن يصحبه فى طفولته وشبابه ، اذ يقول مؤرخوه الهنود والغربيون ان كل افكاره الأساسية التى شكلت مواقفه السياسية والروحية فيما بعد قد تكونت لديه فى مراحل حياته المبكرة ، وحتى ثقافته العامة استكملها فى النصف الأول من حياته ولم يضف اليها شيئا مهما فى النصف الآخر .

ولد موهانداس كرامشند غاندى يوم ٢ اكتوبر ١٨٦٩ ، وكان الابن الذكر الثالث لكرامشند غاندى من زوجته الرابعة بوتليباى التى كانت تصغره بثلاثين عاما ، وكان مولده فى مدينة بورباندر على الساحل الغربى لشبه الجزيرة الهندية المطل على بحر العرب مما جعل من هذه المدينة مركزا للنشاط التجارى والثقافى الاسلامى ، ولكن عندما بلغ الطفل السابعة انتقلت الأسرة ١٢٠ ميلا شرقا الى مدينة راجكوت حيث تلقى موهانداس تعليمه الابتدائى والثانوى ، دون ان تقطع الأسرة روابطها القوية مع مسقط رأسها بورباندر .

وكانت أسرة غاندى منذ الأجداد الأول تنمتى الى طبقة التجار (بانيا) غير أن الجد المباشر لغاندى ويدعى أوتامشاند عين لنجابته فى بلاط الأمير رنا خيماجى حاكم بورباندر ثم تلاه ابنه كرامشند فى وظائف الديوان الاميرى وظل يترقى حتى اصبح كبيرا لوزراء الولاية .

ولم يكن الاب كرامشند على قدر كبير من التعليم الاكاديمى ، ولكنه كان وافر التجربة متعدد المعارف والاصدقاء ، يصفه غاندى بانه كان « بارا بأسرته صادقا شجاعا كريما ، ولم يكن يهمه جمع المال ، وعندما مات لم يترك لنا شيئا ذا بال » . ولكن بيته كان ملتقى للمثقفين المحليين ، وكثيرا ما كان الطفل موهانداس ينصت فى شغف الى مناقشات ضيوف ابيه من النساك الجانيين والرهبان الزرادتشيين والشيوخ المسلمين ، أو يستمع الى فصول من «الراميانا» و «المهابهارتا» تتلى بين الحين والآخر فى المنزل وكانت ديانة الأبوين الهندوسية على مذهب «فشنو» أما الأم بالذات فكانت تنتمى داخل هذا المذهب الى طائفة « برانامى » التى تمزج بين العقائد الهندوسية والاسلامية . وفى معابد هذه الطائفة كان القرآن الكريم يحتل مكانا رفيعا الى جانب كتب الفشنا المقدسة ، ومن تعاليم هذه الطائفة الحب والسلام والتسامح بين جميع العقائد والأديان الى جانب الحض على بساطة العيش وتحريم اللحم والخمر والتدخين والصيام فى مواسم معينة ، وقد تشرب غاندى هذه المبادىء فى طفولته ، فنشأ باحثا عن الحقيقة المجردة بغض النظر عن اختلاف المذاهب ، مقاوما لسيطرة الجسد ونزعاته وقد غذته أمه بالذات بهذه المشاعر والتعاليم ، وكانت امرأة تقية متدينة يمكن اعتبارها نصف هندوسية ونصف مسلمة ان صح التعبير ، لا تخلف يوما دون التردد على المعبد الخالى من الأوثان ، وقد ذكرها غاندى وهو فى الثانية والستين قائلا « ان كل ما ترونني أتحلى به جاء من أمى وليس من أبى » .

نشأ غاندى طفلا مطيعا لوالديه محبا لهما وقد تأثر بشدة بشخصية الغلام الاسطورى « شرافان بترييباكتا » الذى تصوره الحكايات الشعبية القديمة مضحيا بلا حدود من أجل والديه الشيخين الضريرين الفانيين ، فكان يحملهما فى خرجين يعلقهما بسيور من الجلد على كتفيه ويقطع بهما مئات الأميال لزيارة الأماكن المقدسة . ومن حب الوالدين تعلم غاندى إطاعة المدرسين ثم توقير الكبار بصفة عامة ، ولما كانت الفضائل تلد الفضائل فان حبه لوالديه علمه فضيلة الصدق ، وراح فى احلام يقظته يتصور نفسه ايضا تجسيدا للامير الاسطورى الصادق هاريشاندرا الذى ضحى بمملكته من أجل البحث عن الحقيقة . وانقذته فضيلة الصدق من كثير من الرذائل والاخطاء ، فقد حدث ان اغراه زميل له باكل اللحم ، وهى معصية لا تغتفر فى عقيدته ، وقصدا معا إلى مكان منعزل على شاطىء النهر

غاندي وجذوره الفكرية

حيث اكلا لحم الماعز ، وقضى غاندى ليلته تلك يعانى الغثيان والاشمئزاز « كنت اشعر كانى اسمع ثغاء العنزة فى بطنى » ولكنه تمكن من التغلب على اشمئزازه وعاود اكل اللحم بعد ذلك مرات حتى كاد ان يستطيبه غير ان شيئا واحدا كان يقض مضجعه ، ذلك انه كان يضطر للبحث عن مبررات كاذبة يبدد بها شكوك امه حين يرفض دعوتها لتناول الطعام مع الأسرة ، واخيرا قرر التوقف عن أكل اللحم حتى لا يضطر الى شيء من هذا الكذب .

وكان التدخين انحرافا خطيرا اخر فى تلك الفترة من مراهقة غاندى ، فبدأ مع صديق اخر يجمعان أعقاب السجائر التى يلقى بها عمه ليدخناها سرا ثم اخذا يسرقان عملات صغيرة من خادم الأسرة كى يبتاعا بها السجائر ، وكانا يدخنان كذلك سيقان بعض النباتات ذات المسام . وفجاة تيقظ ضمير الولدين فقررا الانتحار داخل المعبد بقطع شرايين معصميهما وفى المعبد خانتهما الشجاعة فلم يستطيعا الانتحار ، ولكن غاندى قرر من تلك اللحظة الامتناع عن التدخين ولازمته كراهيته الى اخر حياته .

وفى سن الثالثة عشرة تزوج غاندى من طفلة تصغره سنا جريا على عادة أهل الهند فى زواج الأطفال ، كانت طفلة تدعى كاستربای وهى ابنة أحد أصدقاء الأسرة من بورباندر ، وقد أثر هذا الزواج المبكر فى نفسيته وجعله يثور فيما بعد على عادة زواج الأطفال ويحاربها بشدة ، بيد أن زواجه المبكر هذا لم يكن فيما يبدو خاليا من اى نفع ، إذ حاول غاندى جريا على ما يشاهده من عادات الرجال الكبار أن يفرض سيطرته على زوجته ويحرمها من اللعب وزيارة أهلها ، وقاومت الزوجة الطفلة سلطةزوجها فى هدوء وتصميم حتى اجبرته على احترام ارادتها . قال غاندى فيما بعد « لقد تعلمت أول درس فى عدم العنف من زوجتى الطفلة ، كنت أريد أن ارغمها على ارادتى وكانت مقاومتها الهادئة المصممة تجعلنى اخجل من حمقى وغبائى ، وفى النهاية أصبحت زوجتى هى استاذتى الأولى فى فن المقاومة السلبية » .

تسبب الزواج فى ضياع عام دراسى كامل على غاندى ، ثم عاد الى مواصلة دراسته فى فتور ، والواقع انه لم يكن بالتلميذ النابه أو النجيب ، اذ لم يبد تفوقا فى اية مادة علمية او نشاط مدرسى وكان خجله الفطرى يمنعه من أن يشق طريقه بمنكبيه بين اقرانه ، ولكنه كان يخفى تحت خموله الخارجى رغبة متأججة فى تحسين الذات ، لقد بدأت معاركه الداخلية فى سبيل الحق والعدل والايمان ، وبينما كان زملاؤه يتنافسون للحصول على الجوائز والدرجات كان هو يشغل ذهنه بعشرات الاحاجى الفلسفية التى يخلقها لنفسه ويملأ بها تفكيره .

فى بلاد الانجليز

أتم غاندى دراسته الثانوية فى عام ١٨٧٨ وأغلق فى وجهه باب التعليم الجامعى فى بلاده بسبب ضعفه المزرى فى اللغة الانجليزية ، وهنا اقترح أحد أصدقاء الأسرة أن يسافر غاندى الى انجلترا ليتعلم اللغة ويدرس القانون كى يعود ليشغل منصبا رفيعا فى بلاط الأمراء المحليين شأن أبيه وجده من قبل .

واقتنع غاندى بالفكرة واخذ يستعد للسفر ولم يكن هذا القرار سهلا بحال بل قامت دونه عقبات كئود استطاع الشاب أن يتخطاها بصلابة فقد قرر كبار رجال الطائفة الهندوسية التى ينتمى اليها ان السفر الى انجلترا مخالف للدين . وامام اصراره العنيد عقدوا له محاكمة واصدروا أمرا بحرمانه تماما كما كانت تفعل الكنيسة الكاثوليكية مع من يشقون عليها عصا الطاعة فى القرون الوسطى . كذلك كانت أمه تعارض سفره بشدة خوفا من شرور مجتمع الغرب الاباحى ، ولم تمتثل فى النهاية إلا بعد أن قطع على نفسه يمينا مغلظة أمام أحد الرهبان الجانيين بأن لا يقرب الشراب والنساء واللحم ، أما العقبة المالية فقد تطوع اخوه الأكبر بحلها اذ تعهد فى كرم وشهامة ان يغطى نفقات سفره وإقامته ، وبقيت عقبة اللغة وهذه تكفلت اقامته فى انجلترا بحلها .

ومكث غاندى فى لندن ثلاث سنوات استطاع خلالها أن يبر بقسمه لوالدته ، وقد ساعده على ذلك اكتشافه لجمعيات النباتيين فى انجلترا وانضمامه اليها ، واصبح غاندى عضوا نشطا فى هذه الجمعيات وعليها قصر كل فكره ونشاطه .

وكانت قد سحرته الحياة الغربية فى أول الأمر ، فاقام فور وصوله فى فندق فيكتوريا الضخم . واشترى حلة بيضاء كلفته عشرة جنيهات كاملة ، وقبعة مرتفعة ، وساعة جيب ذات سلسلة ذهبية ، وبدا ياخذ دروسا فى الرقص واللغة الفرنسية وعزف الكمان . ولكن هذه المرحلة لم تدم طويلا ، فما أن بدأ يشعر بنقوده تتلاشى حتى تيقظ حسن ادراكه ، فباع الة الكمان واستغنى عن مدرسيه ، وارتدى ثيابا رخيصة ، واقام فى غرفة متواضعة وقتر على نفسه فى الانفاق ، وكان على استعداد لأن يمشى على قدميه عدة أميال ليوفر بنسا واحدا حتى استطاع تدريجيا أن يعيش بجنيهين فقط فى الشهر ، وبذلك أصبح لا يرهق اخاه بطلب النقود .

كانت رياح التغير الادبية والاجتماعية والسياسية تعصف بانجلترا بشدة فى ثمانينات وتسعينات القرن الماضى ، ولكن غاندى لم يكن يبدى أى اهتمام بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية من حوله ، ولم يعرف اثناء اقامته التى استغرقت ثلاث سنوات شيئا عن ماركس او داروين او هكسلى ، وكذلك لم يبد أى تفوق ملحوظ فى دراسته الاكاديمية ، او بكلمة اخرى لم يكن فيه ما ينبيء بمستقبل باهر أو استثنائى ، كان ما يهمه ويشغله هو شئونه الشخصية والاخلاقية ، كيف يمكنه أن يبر بوعده لأمه ويوفر النقود لاخيه .

ومع ذلك كانت أيام الدراسة فى انجلترا من اكبر المكونات الفكرية والثقافية فى شخصية غاندى ، فقد اتصل بالثيوصوفيين وقرأ كتب «نبيتهم» مدام بلافاتسكى ، ولم تترك هذه الكتب تأثيرا كبيرا فى نفسه ولكن انصارها قادوه الى اكتشاف ثروات التراث الهندى العظيمة التى لم تكن تعنى بالنسبة له شيئا اثناء اقامته فى وطنه ، فراح يعب من كتب « الحقيقة » الهندية المترجمة الى اللغة الانجليزية ، أو على حد تعبير توماس ميرتون « اكتشف الشرق خلال الغرب » لقد ذهب غاندى الى انجلترا ليعرف سر قوة الانجليز فاذا به يستجلى سر حكمة الآسيويين ، فقرأ البها جافاد جيتا والمها بهارتا فى ترجمة سير ادوين ارنولد ، وقرأ لنفس المؤلف قصيدته الطويلة المسماة « نور اسيا » ومنها عرف لاول مرة شيئا عن حياة بوذا وتعاليمه ، ثم بدأ يدرس الكتاب المقدس فلم يعجب بالعهد القديم الذى راه مليئا بالحشو الممل بينما ترك فيه العهد الجديد تاثيرا عميقا ولاسيما موعظة الجبل « الحق اقول لكم لاتقاوموا الشر » .. وفى نفس المرحلة ايضا قرأ ما كتبه كارليل عن النبى محمد وأعجب اعجابا بالغا بحياة نبى الاسلام وتقشفه وخلقه ، وراح ذهنه يهضم فى هدوء هذه العقائد جميعا ويمزج فى نسيج واحد بين المسيحية والبوذية والهندوسية والاسلام .

وفى عام ١٨٩١ أتم غاندى دراسته القانونية وسجل اسمه فى نقابة المحامين بلندن ، وأبحر فورا عائدا الى بلاده ، كان

حينئذ شاباً فى الثانية والعشرين ، خجولا حيياً غير واثق بنفسه ، ولكن تعتمل فى أعماقه نزعات قوية من الطهارة والاصالة ، ولم يكن بوسع أى مراقب محايد فى ذلك الوقت أن يتنبأ لهذا الشاب الذى يحمل اجازة الحقوق بمستقبل باهر فى بلاده وخاصة فى مجال المحاماة .

يا ولدى .. فلتعرف الحياة

عاد غاندى إلى الهند ليجد أن كل عالمه الخاص قد تغير ، فقد ماتت أمه ، وتضاءل نفوذ أسرته فى أعقاب وفاة أبيه من قبل ، ولم يجد لنفسه مكاناً فى بلاط أمراء راجكوت وبوبباندر ، وكانت المدن الصغيرة فى الولايات ملاى بالمحامين ومساعديهم الذين يعرفون عن القانون الهندى والشريعة الاسلامية أكثر مما يعرف والذين هم أيضاً على استعداد لتقاضى أبخس الأجور نظير خدماتهم القضائية . وقرر غاندى بناء على نصيحة بعض معارفه أن يمارس المحاماة فى بومباى ، ولكنه منى هنـــاك بفشل ذريع فعندما وقف لأول مرة يترافع أمام المحكمة أصابه « خوف المسرح » فلم ينطق بكلمة واحدة ، فانسحب « راهب المعبد » من القضية مهزوما مهانا ، وغادر بومباى على الفور عائدا الى راجكوت يحاول يائسا أن يكسب عيشه بكتابة العرائض والمذكرات القانونية للمتخاصمين أمام المحاكم المحلية .

ولكن إعجابه الشديد بالحياة الغربية الحديثة ظل يلازمه ، ومن دخله المحدود راح يقتنى تلك الأدوات المنزلية « الانجليزية » كالملاعق والشوك والسكاكين ، وظل شديد الاعجاب بالانجليز أنفسهم الذين عايشهم فى انسانية وبساطة اثناء وجوده فى انجلترا : اتجاهاتهم الليبرالية ، ومؤسســـاتهم الديموقراطية ، وثقافتهم المتنوعـــة ، واسلوبهم فى احترام الغير ، فلم تكن قد تيحت له الفرصة حتى ذلك الحين كى يعرف حقيقة المستعمر الانجليزى فى الهند .

ولم تلبث أن جاءت هذه الفرصة .. فقد حدث أن وجهت الى شقيقه الأكبر وصاحب الفضل عليه اتهامات سياسية معينة ووجد غاندى أن من واجبه أن يسعى لمقابلة المقيم الانجليزى العام فى راجكوت ليشرح قضية أخيه ، وكان غاندى يعرف هذا الرجل – ويدعى شارلس أوليفانت – اثناء اقامته فى انجلترا ، فقد التقى به عدة مرات فى بيوت بعض الأصدقاء وكانت بينهما أحاديث ودية طويلة ، ولكنه استقبل بخشونة فى مكتب المقيم العام ، وأفهم أن عليه أن يقدم شكواه بالطرق الرسمية المعتادة ، وعندما حاول أن يناقش طرد بالقوة من المكتب ، فكتب غاندى للموظف الانجليزى الكبير محتجاً على المساس بكرامته فى مكتبه ، ولكن صديقه الجنتلمان القديم رفض الاحتجاج قائلا انه ليس من حق الهندى أن تكون لها كرامة يغضب لها .

وحدث فى هذه الأثناء أن وصل إلى راجكوت المحامى البارسى الشهير سير فيروز شاه مهتا فى زيادة قصيرة ، فشكا له غاندى لله النفسى وطلب مشورته ، فرد سير فيروز شاه فى تلطف قائلا ان المحامى الشاب فيما يبدو لا يعرف الانجليز على حقيقتهم وعليه اذا أراد أن يأكل خبزه فى بلاده أن يحتفظ بما يتلقاه من اهانات فى جيبه ، وقد ذكر غاندى هذه الواقعة بعد ذلك فى مذكراته وأضاف قائلا : « وقال لى عليك يابنى أن تعرف الحياة وكانت لنصيحته تلك وقع السم فى حلقى ، ولكنى قبلتها فى هدوء .. وقد غيرت هذه الصدمة مجرى حياتى » .

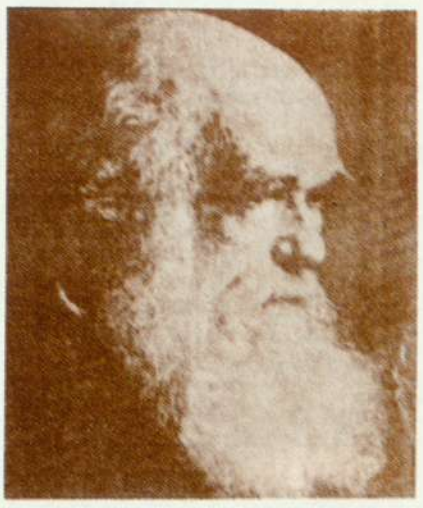
لقد علمته حادثة المقيم أوليفانت كيف يمكن أن تفسد العلاقات الانسانية عندما يحكم شعب شعباً اخر ، او تسيطر طبقة على طبقة أخرى ، ان اعظم ما فى الانسان عندئذ سوف يهان : كبرياؤه النفسى وكرامته الانسانية . وقد جاءت ثورة غاندى أساساً من أجل الكرامة الانسانية ، وهذا هو المفتاح الحقيقى لشخصيته .

جحيم التفرقة العنصرية

أصبحت الحياة فى الهند مستحيلة فى نظر المحامى الشاب ، اذ أدرك الى جانب فشله فى المحاماة ان عليه ان يتعامل خلال محاكم يشرف عليها أوليفانت وامثاله ، أى أن يستمر فى تحمل اهانات لا تحتمل ، وفكر أن يبحث عن مكان اخر يعيش فيه فقد ضاق به الوطن على اتساعه ، وحانت له الفرصة على نحو غير متوقع عندما عرض عليه بعض التجار المسلمين فى بوربائدر أن يسافر الى جنوب افريقيا ليساعدهم فى قضية منظورة هناك ، فقبل غاندى على الفور وابحر من بومباى فى شهر مايو ١٨٩٣ دون أن تكون لديه فكرة واضحة عن مهمته فى ديربان ودون أن يدرى بالطبع انه اتخذ بذلك أهم قرار فى حياته .

وفى جنوب افريقيا تلقى غاندى أول دروسه فى التفرقة العنصرية عندما دخل قاعة المحكمة فى ديربان بأن يخلع تلك العمامة التى لا تليق بهيبة المحكمة ، ولكن غاندى رفض بأدب وانسحب خارج القاعة ، ثم كتب إلى إحدى الصحف المحلية يفسر موقفه ، وجذب المقال انتباه الأوربيين والهنود على السواء ، فرد بعض البيض على هذا التطاول فى قحة وغضب ، فى حين نظر الهنود فى دهشة واشفاق الى هذا القادم الجديد الذى لا يعرف شيئاً عن حقيقة أوضاع مواطنيه فى جنوب افريقيا .

كان الهنود فى جنوب افريقيا – كغيرهم من السود والملونين – يخضعون لتفرقة عنصرية مقيتة يزيد من وقعها انهم كانوا أقلية متخلفة جاهلة ، أقلية يستهان بها كما وكيفاً ، فعددهم فى أواخر القرن الماضى لم يكن يتجاوز ٧٥ الفاً يعيشون بين مليونى افريقى اسود وثلاثة ارباع مليون مستوطن أوربى ، أى أن نسبتهم لم تكن تتجاوز ٣٪ من السكان ، وقد قدم معظم هؤلاء الهنود من ولاية تاميل الهندية للعمل فى مزارع الموز التى يملكها الأوربيون ، وكان على العامل الهندى أن يستمر فى هذه السخرة خمس سنوات قبل أن يسمح له بالاستقرار فى البلاد كفرد « حر » وعندئذ كان يستطيع أن يبعث فى إحضار زوجته وأولاده ، وهكذا نشأت مستوطنات الهنود فى جنوب أفريقيا ، وجاء فى أعقاب هؤلاء المستوطنين الفقراء طبقة هندية أخرى من التجار المســـلمين و «الكتبة» البارســيين ، ولكن هؤلاء كانـوا يحتقرون مواطنيهم التاميليين الجهلاء فينكرون قوميتهم الهندية ويسمـون أنفسهم عرباً أو فرساً على التوالى ، وعندما ظهر غاندى فى هذا الوسط بعمامته الهندية البيضاء كان كمن يدمغ نفسه بالانتماء الى هذه الطبقة المهانة تلك التى يطلق على الفرد منها لقب « سامى » وهو تحوير تحقيرى لكلمة «سوامى» التى معناها « السيد » باللهجة التاميلية . وهكذا كان غاندى فى نظر المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا مجرد « سامى حقير » اذ لم يكن فى استطاعتهم ان يميزوا بين عامل هندى فى مزارع الموز والقصب ومحام هندى يحمل درجة علمية من انجلترا .



داروين

غاندي وجذوره الفكرية

وهكذا راح غاندى يتعرض لسلسلة من المواقف والحوادث وصلت الى قمتها فى رحلته الشهيرة من ديربان الى بريتوريا ، اذ كان عليه أن يسافر الى بريتوريا لتمثيل مصالح موكله دادا عبد الله ، واشترى غاندى تذكرة تخوله الجلوس فى مقصورة الدرجة الأولى بالقطار ، وانطلق القطار من الساحل مصعداً فى الجبال حتى وصل فى المساء الى بيتر ماريتز بورج عاصمة الناتال ، وهناك صعد راكب أبيض الى المقصورة ، وعندما ابصر غاندى خرج وعاد بمفتش القطار الذى أمره بمغادرة المقصورة الى عربة البضائع ، ولما رفض أن يستجيب محتجاً بانه يحمل تذكرة الدرجة الأولى طرده المفتش بالقوة من القطار . وأمضى غاندى ليلته يرتجف من البرد والغيظ فى قاعة الانتظار بالمحطة ، وفى الصباح سافر بدون صعوبة الى شارلس تاون ، ثم ركب عربة تجرها الخيول قاصداً جوهانسبرج ولكن حارس العربة رفض أن يسمح له بالجلوس فى الداخل وأمره أن يجلس الى جانب السائق ، واستجاب المحامى الهندى صاغراً كى يتحاشى المتاعب ، وفى الطريق جاء حارس العربة وأراد أن يجلس الى جانب السائق فامر غاندى بان يخلى مكانه ويجلس على حصيرة عند اقدامهما ، ولما احتج غاندى مذكراً الحارس بانه هو نفسه الذى أجلسه فى هذا المكان حاول الحارس أن يلقيه خارج العربة المسرعة ، ولكن غاندى تشبث بأسوارها بقوة فضربه الحارس ضرباً قاسياً حتى تدخل الركاب وخلصوه من قبضته ، وفى آخر مراحل الرحلة التعسة عندما أخذ القطار من جوهانسبرج الى بريتوريا كادت نفس المأساة تتكرر إذ أصر حارس القطار على عدم السماح له بالجلوس فى مقصورة الدرجة الأولى وحاول ارغامه على الخروج بالقوة لولا أن تدخل أحد الركاب الانجليز هذه المرة وأبقاه الى جانبه فى المقصورة ، ولكن حتى هذه الدماثة الانجليزية اكدت للمحامى المهان ان الهنود فى جنوب افريقيا ليست لهم من الحقوق أو الحريات الا ما قد يسمح به البيض ، بل انهم كانوا أسوأ حظاً من الزنوج انفسهم اذ كان هؤلاء على الأقل فى مامن من الطرد والترحيل الى خارج البلاد .

وسرعان ما تبين للمحامى القادم من الوطن ان الهنود فى جنوب افريقيا يفتقدون كل الحقوق ، فهم مكروهون كمنافسين ، محتقرون كملونين ، ليس لهم حق التصويت ، ويقيمون فى معازل لا يسمح لهم بتركها ، ويخضعون لضرائب باهظة وظالمة .

وفى بريتوريا دعا غاندى الى اجتماع عام للهنود ، ولأول مرة يتخلص من خجله الذى لازمه طيلة حياته ويستغل ثقافته ومهنته فى ابراز زعامته لمواطنيه وهو ابن الرابعة والعشرين ، فدعا الهنود الى تغيير عاداتهم كى يحترمهم الأوربيون ولا يعودون الى اتهامهم بالقذارة والكسل والاهمال ، ودعاهم الى تعلم اللغة الانجليزية حتى يمكنهم الدفاع عن حقوقهم . وهكذا ربط غاندى منذ البداية بين فكرة تحسين الذات والحصول على الحقوق من الآخرين . كما قاض فى نفس الوقت ادارة السكك الحديدية وحصل على تعويض لحرمانه من السفر بالدرجة الأولى فى قطاراتها .

وفى ابريل ١٨٩٤ انهى غاندى مهمته القضائية التى جاء من أجلها الى جنوب افريقيا بالتوفيق بين الشركتين الهنديتين المتنازعتين ولكنه بدلا من أن يعود الى الهند قرر البقاء فى البلاد لمواصلة الدفاع عن حقوق الهنود .

لقد حصل المحامى على قضية حياته الكبرى .

الساتيا جراها

كانت السنوات الثلاث التى قضاها غاندى فى انجلترا هامة من حيث تكوينه الفكرى ولكنها ليست بالحاسمة ، ففى انجلترا وجد غاندى معالم الطريق التى قادته نحو فلسفته فى عدم العنف وهى بالتحديد « الجيتـــا » الهندوسية و « موعظة الجبل » المسيحية ، ولكنه فى جنوب افريقيا لم يلبث ان تعرف على كتابات المؤلفين الغربيين الذين دعموا لديه هذه الأفكار وأمدوه بالاساس العملى لحركته .

وكان أبرز هؤلاء الكتاب تولستوى الذى قرأ له غاندى كتابه « مملكة الله فى داخلنا » عام ١٨٩٣ ، واذا كان تولستوى قد بشر بفلسفة عدم العنف دون أن يمارسها هو أو مواطنوه فان غاندى هو الذى حول كلماته الى عمل وافعال . ومرة أخرى اذا كان تولستوى هو الذى أرسد غاندى الى « الساتيا جراها » فان جون رشكن هو الذى علمه فضيلة العمل اليدوى التى بدونها لا يمكن لفلسفة عدم العنف أن تحرز أى نجاح لأن الذى لا يعتمد فى حياته على عمل يديه يكون محتاجاً لغيره وبالتالى لا يستطيع أن يقاومه أو يتخلص من تبعيته . كما قرأ غاندى فى نفس الفترة هنرى ديفيد ثوريو صاحب « العصيان المدنى » وتأثر بصدقه واخلاصه وحبه للطبيعة لقد أثر فيه هؤلاء الكتاب الغربيون الثلاثة تأثيراً عميقاً يضاف اليهم فيلسوف هندى رابع ينتمى الى مذهب « فشنو » كان يعمل جواهرياً فى جوجارات ويدعى رايشاندباى وكان أقرب الجميع الى قلب غاندى بحيث يمكن اعتباره المعلم الهندى الوحيد أو « الجورو » الذى تتلمذ على أفكاره المحامى الشاب .

والواقع ان غاندى لم يكن قارئاً من طراز ممتاز ، ولعل فى هذا ما يفسر كيف أن بعض الأعمال القليلة الأهمية لتولستوى ورسكن وثوريو قد أثرت فيه هذا التأثير الكبير . والواقع أيضاً ان كل الكتب التى أثرت فى تكوين غاندى العقلى قد قرأها فى النصف الأول من حياته واشتق منها قلة من الأفكار العامة التى أمضى بقية حياته فى تطويرها وبلورتها ووضعها على محك التجربة .

بدأ غاندى كفاحه السياسى الجماهيرى فى جنوب افريقيا بتكوين المؤتمر الهندى بالناتال على غرار المؤتمر الوطنى الهندى الذى كونه الآن اوكتافيوس هيوم فى الهند عام ١٨٨٥ ، وعن طريق هذا التنظيم الذى يمثل المستوطنين الهنود فى جنوب افريقيا راح يبعث بالعرائض الى المجلس التشريعى فى الناتال والى مكتب المقيم البريطانى مطالباً بتحسين أحوال الهنود وفاضحاً المظالم التى يتعرضون لها . ولكنه احرز فى كفاحه نجاحاً جزئياً كان يكتفى به عادة . فمثلا استطاع ان يحتفظ للهنود بحق التصويت ـ وكان الاتجاه لالغائه ـ على أن لا تضاف اسماء جديدة الى قوائم الناخبين الهنود ، واستطاع تخفيض ضريبة الرأس المقترحة من ٢٥ جنيها الى ثلاثة جنيهات فقط ، وهكذا ـ جرياً على عادته فى قبول انصاف الحلول ـ استطاع تضييق نطاق التفرقة ضد الهنود دون أن يلغيها .

واصل غاندى نضاله فى جنوب افريقيا حتى ١٩١٤ لم يغادرها الا فترات قليلة الى الخارج سواء الى الهند أو انجلترا ، وخلال هذه السنوات العشرين كان يشحذ أسلحة النضال التى سوف يستخدمها بعد ذلك فى الوطن الكبير : الهند ، وتنقسم هذه الفترة الى مرحلتين الأولى واصل فيها غاندى نضاله عن طريق تقديم العرائض واتباع الطرق القانونية والثانية وتبدأ فى عام ١٩٠٤ تحول فيها غاندى الى تنظيم حملات « الساتيا جراها » بهدف تحدى السلطات وخرق القوانين التعسفية . ومما له دلالة خاصة ان كفاحه فى المرحلتين لم يكن يتعدى مصالح مواطنيه الهنود دون أن يشمل الفئات المضهدة الأخرى ، فمثلا عندما قامت ثورة الزولو عام ١٩٠٦ اكتفى غاندى بالتعبير اللفظى عن تعاطفه .

كما ظل يعتبر نفسه مواطنا فى الامبراطورية البريطانية على استعداد تام لاداء واجباته نحوها ، وعندما نشبت حرب البوير أنشأ غاندى قوة اسعاف هندية قوامها ١١٠٠ رجل لمساعدة الانجليز واسعافهم ، وعندما قامت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ شارك فى انشاء كتيبة هندية محاربة فى صفوف الانجليز ، وكان يرد على منتقديه من الوطنيين الهنود قائلا مادمت أطالب بحقوقى كمواطن فى الامبراطورية البريطانية فعلى أن أؤدى واجبى نحوها . ولم يفطن إلا متأخرا فى اواخر الحرب الكبرى الى ضرورة انفصال الهند عن الامبراطورية على أساس انه من المستحيل تحقيق العدالة للشعوب المستعمرة طالما ظلت تحت نير الاحتلال .

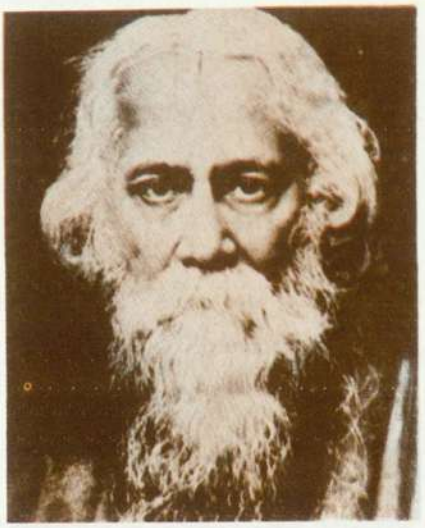
خلال المرحلة الأولى من كفاحه القانونى افتتح غاندى فى جوهانسبرج مكتبا قانونيا للدفاع عن حقوق الهنود أمام المحاكم ، ولكنه فى المرحلة الثانية أغلق المكتب وانشأ صحيفة « الرأى العام » التى كانت الأولى فى سلسلة الصحف التى انشاها بعد ذلك . كما انشأ خارج جوهانسبرج مستوطنة زراعية اسماها « مزرعة فونيكس » عاش فيها كرب أسرة مع اتباعه من الهنود والاوربيين النباتيين وكان هذا التحول الى الحياة الجماعية بداية لسلسلة من التغيرات فى حياته استجابة لدواع روحية ودينية . ولم يلبث فى عام ١٩٠٦ ان قرر الامتناع عن مزاولة الجنس والبحث عن المال متخذا طريق « البراهما شاريا » أو التقشف الكامل . وبدأ يعلم اتباعه فضيلة التحكم فى النفس التى كان يعتبرها ضرورة لا غنى عنها لأسلوب الكفاح السلمى الذى يدعو اليه مواطنيه ، لأنهم اذا فقدوا هذه الفضيلة وانقلبوا بأية حركة سلمية الى العنف ضاع كل شىء .

ولم تلبث أن ظهرت عمليا بالفعل الحاجة الى هذه الفضيلة ..

ففى عام ١٩٠٦ فكرت سلطات الترنسفال فى اصدار قانون يحتم على جميع الهنود تسجيل اسمائهم مع أخذ بصماتهم لاصدار هويات شخصية لهم ، ومثل هذا التشريع المقترح كان يعطى البوليس سلطة دخول منازل الهنود دون اذن او ابلاغ مسبق للتأكد مما اذا كان ساكنوها قد حصلوا على بطاقات الهوية ، وقد ثارت خواطر الهنود ضد هذا الاجراء واعتبروه ماسا بكرامتهم الانسانية وكان المسلمون منهم اكثر ثورة بسبب ان القانون كان ينطبق ايضا على النساء مما اعتبروه انتهاكا لمبدأ الحجاب الاسلامى .

وفى ١١ سبتمبر ١٩٠٦ دعا غاندى الى اجتماع فى المسرح الامبراطورى بجوهانسبرج اعلن فيه رفض الهنود لهذا القانون ولكنه حذر اتباعه من مقاومة السلطات بالقوة لما فى ذلك من سجن وخراب اقتصادى ، ومما له دلالة أن هذا الاجتماع اختتم بالهتاف للملك ادوارد وانشاد النشيد الوطنى البريطانى اذ كان غاندى لا يزال يعتبر أن ويستمنستر هى قلعة العدالة . ثم واصل غاندى السعى لدى مكتب المقيم البريطانى حتى حصل على وعد من الحكومة البريطانية بعدم اصدار القانون . ولكن لم يكن ذلك الا انتصارا مؤقتا ، ففى العام التالى حصلت الترنسفال على الحكم الذاتى وانتخبت ادارة يسيطر عليها البوير برئاسة الجنرالين بوتا وسمطس وأصدرت هذه الادارة القانون محل الجدال فى أول يوليو ١٩٠٧ .

وهنا قام غاندى بأول حركة للمقاومة السلمية عمليا ، واختار لها « الساتيا جراها » ومعناه « قوة الحق » لأنه كره تعبير « المقاومة السلبية » التى كان يراها سلاح الضعيف كما كره تعبير « العصيان المدنى » الذى كان يشتم



طاغور

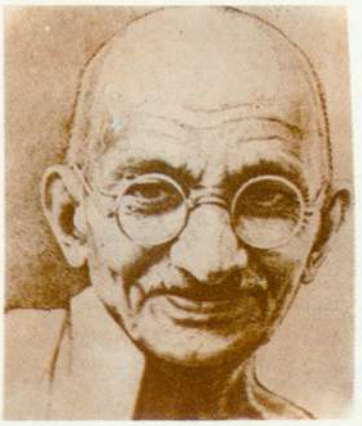
فيه رائحة العداء والتحدى . لقد كانت المقاومة التى يريدها غاندى هى مقاومة أناس لا يخافون من اتباع طريق العنف ولكنهم يختارون عمدا طريق عدم العنف والمقاومة بقوة الحق لا بقوة البدن ، أو بمعنى آخر « المقاومة بلا عداء » بهدف كسب الخصوم من الداخل لا اشعال غضبهم .

بدأت الحملة فى صيف ١٩٠٧ بتنظيم مظاهرات مقاطعة أمام مكاتب التسجيل مع تعليمات مشددة من غاندى بعدم مقاومة عنف رجال الشرطة او التعرض لأى هندى يريد أن يدخل المكتب ليسجل اسمه وبصماته ، والواقع ان نسبة ضئيلة جدا من الهنود لا تتجاوز واحدا من عشرين هى التى امتثلت للقانون مما اثار حنق الحكومة فاصدرت سلسلة من التحذيرات ثم بدأت تلقى القبض على المتظاهرين السلميين وتصنع منهم الابطال والشهداء ، وجاء الدور على غاندى فى يناير ١٩٠٨ حيث قبض عليه وأودع السجن لقضاء عقوبة مدتها شهران ، ولكن شيئا غريبا حدث فجأة ، فبعد ايام من ايداعه السجن اقتيد من زنزانته الى حيث قابل الجنرال سمطس شخصيا ، وأجريا محادثات سرية ، وخرج غاندى من الاجتماع يدعو مواطنيه الى انهاء الحملة وتسجيل أنفسهم ، فقد فهم غاندى من سمطس انه اذا قبل الهنود أن يسجلوا أنفسهم اختياريا فان القانون سوف يلغى ، وكان هذا سببا فى أول محاولة لاغتيال غاندى قام بها مجموعة من الوطنيين المتطرفين الذين لم يصدقوا وعود الجنرال وظنوا بزعيمهم الخيانة وقد صحت مخاوفهم بالفعل اذ ظل القانون قائما وانكر الجنرال سمطس انه اصدر مثل هذه الوعود !

ولما تبين غاندى انه خدع عاد الى المقاومة باشكال جديدة من التحدى السلمى ، إذ أرسل الهنود للمتاجرة فى الشوارع دون ترخيص من السلطات وذلك بهدف ان يقبض عليهم وتمتلىء بهم السجون مما يشكل ضغطا وارباكا للسلطات ، وفى اغسطس ١٩٠٨ حين أصبح واضحا تماما ان الجنرال سمطس لن ينفذ وعده قام حوالى ٣٠٠٠ من الهنود على رأسهم غاندى باحراق بطاقات التسجيل الخاصة بهم فى ميدان جامع جوهانسبرج الكبير ، والقى القبض على غاندى بدعوى انه لا يحمل بطاقة تسجيل ، ثم تكررت بعد ذلك مرات اعتقاله وسجنه .

واستمرت لعبة « القط والفار » بين السلطات والهنود زهاء سنتين ، ثم جاءت الضربة القاضية من جانب الحكومة حين

غاندي
وجذوره الفكرية



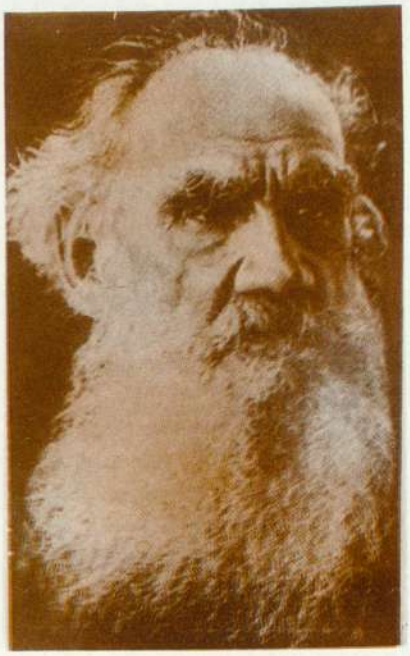
اصدرت المحكمة العليا فى جنوب افريقيا حكما باعتبار عقود الزواج بين المسلمين والبارسيين والهندوس غير صحيحة ولا يعتد بها ، وانه يتعين اعادة عقدها امام السلطات إذا أريد أن تكون لها حجة قانونية ، فرد غاندى بالتحول من المقاومة السلبية الى العصيان الايجابى ، فانذر الحكومة بانه سيدعو عمال المناجم الهنود الى الاضراب عن العمل ما لم تلغ ضريبة الرأس ، وعندما رفضت حكومة سمطس الاستجابة للانذار جند غاندى النساء الهنديات للقيام بمسيرات جماعية الى مناجم الفحم فى الناتال لدعوة العمال الى الاضراب ، وردت الحكومة باعتقال مئات النساء اللاتى تحركن فى موجات متعاقبة ، فلجأ غاندى الى عمال المناجم يناشدهم الاشتراك معه فى مسيرة الى الترنسفال للمطالبة بالافراج عن النساء المعتقلات ، واستجاب له الفان من العمال بدأوا معه مسيرة وجهتها « مزرعة تولستوى » التى انشاها غاندى فى عام ١٩١٠ ومرة أخرى تدخلت السلطات بوحشية فاعتقلت المتظاهرين جميعاً وشحنتهم فى القطارات الى سجون الناتال وعلى رأسهم زعيمهم غاندى وبعض الأوربيين الذين انضموا له . وأثار الحادث بقية عمال المناجم وعمال المزارع فانفجروا فى اضرابات شاملة ، وهنا جن جنون الحكومة فلجأت الى العنف الدموى بلا حدود ، وهاجمت العمال المضربين بالرصاص والسياط .

ايقظت طلقات الرصاص الرأى العالمى فانهالت الاستنكارات والاحتجاجات بشدة على حكومة جنوب أفريقيا من كل انحاء العالم ، كما احتج المقيم البريطانى على حكومة سمطس وأمرها بالتراجع ، وخرج غاندى من السجن مدعماً بهذا النصر الأدبى فدعا الى عقد اجتماع شعبى لتأبين قتلى العمال الذين ارتفعوا الى مصاف الشهداء . وفى هذا الاجتماع تخلى غاندى عن ردائه الأوربى الذى لازمه منذ رحلته الأولى الى انجلترا ، وظهر لأول مرة ـ والى آخر حياته الا قيما ندر ـ حليقا حافى القدمين ملتفا بالمئزر الهندى .

ودعا غاندى فى اجتماع تأبين الشهداء الى مسيرة شعبية كبرى يشارك فيها عشرات الألوف من الهنود وانصارهم ..

ولكن المسيرة لم تتم ، وحلت محلها ضربة أخرى قاضية فى كفاح غاندى السلمى ، اذ حدث فى ذلك الوقت ان أضرب عمال السكك الحديدية البيض ، فأعلن غاندى على الفور الغاء مسيرته المقترحة على أساس ان « الساتيا جراها » لا يجب أن تنتهز فرصة سوء حظ الخصم ، وبهذه الروح الرياضية

تولستوى



الفريدة فى الكفاح السياسى كسب غاندى مزيداً من تأييد الرأى العام المحلى والعالمى ، وحوصرت حكومة سمطس واضطرت الى الدخول فى مفاوضات مع غاندى أدت الى صدور « قانون الخلاص الهندى » فى صيف ١٩١٤ . وفى هذا القانون اعترفت الحكومة بصحة عقود الزواج بين الهنود ، وأسقطت ضريبة الرأس ، وخففت تدابير الهجرة وأعمال السخرة .

وبهذا النصر ضرب غاندى مثلا عملياً على قدرة حركة المقاومة السلمية ذات الأهداف المحددة الواضحة والتكتيكات المرنة على أن تحرج خصماً يفوقها فى العدد والامكانيات والقوة المادية ، حقا كان هذا نصرا مؤقتا ومشكوكا فيه اذ لم تلبث سلطات جنوب افريقيا أن سلبت بالشمال ما منحته باليمين ولم يبرز بين هنود جنوب افريقيا بعد ذلك من يستطيع مواصلة كفاح غاندى ومتابعته الدءوبة للموقف ، ولكن ما حدث كان نصرا عظيماً فى حينه . وشعر غاندى بانه اتم عمله وحقق رسالته ، فغادر جنوب افريقيا فى يوليو ١٩١٤ عائدا عبر انجلترا الى الهند تسبقه شهرته الواسعة كزعيم منتصر .

وعلى أرض الوطن بدأ غاندى متسلحاً بخبرته العلمية وفكره الناضج كفاحه الأعظم من أجل تحرير الهند .. ولكن تلك قصـــــة أخرى ..

محمد العزب موسى

«المقال التالي والأخير : غاندي وتحرير الهند

بيـــاض وذهـــب وتـعاويـــذ

شعر: محمد المهدي المجذوب
الخـرطـــوم

بيضاءُ تحب نسيمَ النيل يشكلها تمثالا من جسدٍ ضامرْ
الشعرُ الأسودُ يمرحُ فوق جبينٍ شـــاعرْ
وعذارى الزنج لعبْن على مرآةِ غديرْ
وتأوَّهت الأسرارُ تذيعُ شكاةَ الشوق الساحِرْ
السعَفُ الأخضرُ يلثمُ خفْقَ البلح الناضرْ
عسل توقدُه الشمسُ يذوِّبها بدرٌ نوبىٌّ عاصرْ
ونذوق سرورَ الخلق وسرَّ اللهِ القـــادرْ
ويوزِّدُ همسَ حبيبى همسُ هوايْ

وذراعٌ دَارَ عليه سُوارْ
صبحٌ مازجه يتألَّقُ من شيبونَ أصيلْ
والمصحفُ والتعويذةُ والمسحورُ الساحرْ
وهوايَ غَريرْ
وحقيبتها عشٌّ يتفتح تحت أصابِعِها ويَسقِسِق حَلىٌّ عاطرْ
وتجوسُ يَدِي فيها وتعودُ بحرقة حبِّى الزاهرْ
وتزر حقيبتُها شفتين يضمهما الكِتْمانْ
ورآنا بحرُ النيل نحبّ ولا نختارْ

الشمس تغيبُ ستارٌ يكشف منا ما كنا نخفيهْ
جمرٌ يتوهَّجُ فى أنفاسِ الليلْ ،
خشينا منـــه وبادرنا نطفيهْ
وأعود أجر ظلالَ الليلِ واسمعُ نَقْر عَصَـــاىْ
الورقُ اليابسُ حول خطايَ حفيفُ سرابْ



وجهان في الزحام

فصل من كتاب يصدر قريباً بعنوان « حوار فى الحزن البارد » ..

بقلم : عبد الله جفري

الوجه الأول

● ● تبدل وجهه الحقيقى ...

تلك الابتسامة الصافية المقبلة على الحياة والأحياء .. تنغمر كل يوم فى مزيد من الارهاق ، واللهاث والضنا !

ذلك الوجه المعبر عن قيمة العمر فى عمق الوشائج بين الناس ، وفى صدق الشعور لهم ومنهم .. يبدو الآن وجهاً مكفهراً .. أملس النظرة .. باهت الصدى . ردود الفعل فى الصدى غريبة عن الأفعال !!

كان يبدو كمن يتجرع شراباً مراً ، ولكنه مضطر الى تجرعة لئلا يقتله العطش .

كان يشعر ان حصيلة تجربته مع من حوله من الناس تقنعه بالانسحاب وحده بعيداً .. لعله بذلك يقدر على استرجاع وجهه الحقيقى ، وينجح فى استعادة التعبير الى وجهه .. حتى اذا مات يوماً ما .. وجد الناس وجهاً حقيقياً أفلت من التنكر والتلون !!

ولكن .. حتى الموت لا يعرف موعده ، تماماً مثلما الصدق الذى أصبحنا لا نعرف موعد ظهوره على وجوه بعض الناس !

فاما ان « تعايش » وجوه الناس المتقلبة سحناتها أناء الليل واطراف النهار .. واما ان تعتزل الحركة فى وسطهم .

وهو يصمت فى هذه المعاناة . ويتردد ان يحاور احداً ، فلا شيء أصبح يعطيه للاخرين الا هذه النظرة الملساء التى تزحلق كل المرئيات ، وتدفن كل المحسوسات فى أعماق نفسه .

وانقضى وقت طويل .. كان لايفتأ وهو يصرمه ان يلتزم البكم المتكلم فى صمته ، ويقابل الكثير من القذائف الموجهة الى ابتسامته القديمة ووجهه المضطرب بالصبر والتبرير ان استطاع ..

كان يحاول فى كل مرة ان يستخلص من معايشته وتأمله كل الأعذار لهذا السياج البشرى المتلون الصاخب . السارق والمسروق .. يقرح نفسه .. يحملها ، وينوء داخله بذلك الضنى المعذب !

ذات مرة .. حرك وجهه المستغرق فى تأمل البحر امامه وجادت نفسه :

ـ يبدو لي انك تحمل الحياة أكثر من ظروف كل عصر من عصورها ، وتطلب من الناس فيها أكثر من طبائعهم وأنانية رغائبهم ومصالحهم ، واذا صعدت ذلك فى نفسك فلا شك انك ستموت مبكراً ولا احد يدرى بك ؟!

ولم يزل وجهه يغذ المسير على صفحة البحر .. وجاء صوته واهنا يقول .. يرد على نفسه :

ـ هل تعرف .. إننى أستغرب لهؤلاء الذين يفكرون فى الانتحار أو يفعلونه ، فلاداعى لذلك أبداً .. أو ليست الحياة بشكل هذا العصر الذى نعيشه هى الانتحار ؟! .. ولكنه انتحار بطىء لا يستطيع كل واحد ان يحتمل سلحفائيته !

ـ ولكن ... لابد أن تعرف أيضاً أن الذين فكروا فى الانتحار ليسوا هم أكثر الناس .. إنهم قلة يئست من الأمل ، وفقدت الثقة فى قدرتها هى على تغيير ظروف الحياة ، وحتى الذين فعلوا الانتحار ماذا جنوا .. ماذا حققوا بتعبيرهم العنيف هذا عن رفض بعض ظروف الحياة ؟! .. لا شيء ، فالمثل الشعبى يقول : (كلام الناس ثلاثة أيام) . وبعد ذلك ينسى الناس ، أو انهم قد انشغلوا فى رغائبهم وطموحهم ومشاكلهم !

ـ (اعرف ذلك .. ولكن فعلهم يحقق الصدمة المفاجئة والعنيفة فى نفوس الناس الذين لابد ان يتساءلوا : لماذا اقدم فلان على ذلك ، واذا تراكمت الصدمات فعلت التغيير فى نفوس الناس . ولو جاء هذا الفعل متأخراً ، وفى عصر آخر) .



– دعنى أناقش معك فعلا واحداً من أساليب التغيير فى نفوس الناس .. مثلا : الفتاة التى احرقت نفسها فى الساحة العامة امام الناس احتجاجاً على شىء ترفضه .. كانت شابة جميلة ناضجة مرغوبة من كثير .. هل بامكانها عن طريق احراق نفسها ان تحقق ما تريده لغيرها ؟! .. اجزم لك ان الكثير قد مط بوزه شبرين استهجانا بفعلتها ، وقال : لم تفقد الا نفسها لماذا ؟ ... لأنه لا احد يقدر ان يغير الآن كل الذى يسرق الناس من صدقهم ، ومن عواطفهم ، ومن عقولهم أيضاً .. فالسارق لهذه الجواهر فى النفس الانسانية هو أكثر بشاعة وقوة وقدرة .. ان السارق هو العنف ، والماديات ، والنظرة الى الحياة على انها قيمة مال وليست قيمة معنى وروح !!

– (نستطيع ان نعثر على وجه الحياة الحقيقى رغم كل ما وصفت .. ففى المقابل لهذه الصورة .. تجد هناك شعوباً تكافح المرض والجوع والأوبئة .. وتجد شعوباً تتصدى لقوة المستعمر والطامع . وتجد شعوباً تحترم الحياة فتأخذ من ثروات أرضها لتطور حياتها . واحسب ان خطط التنمية – نظام اقتصادى حديث تنفذه اذن بعض الدول – يحرص على التطور والحياة فلا أحد يرضى ان يموت فى وقت مبكر ، والا فقد كان من الممكن ان يذوب الشعب الفلسطينى فى فترة ما من فترات التاريخ .. عندما عرف ان سارق أرضه « الصهيونية » تدعمه القوى الكبرى فى العالم ، وتمده باحدث واخطر الأسلحة ، وان «الصهيونية» قد نجحت تماماً فى تمزيق الشعب الفلسطينى إربا . وقذف تلك المزق فى كل انحاء العالم ، فكيف يجتمع الفلسطينيون من جديد ، وكيف يقومون من موتهم احياء اشداء ، وكيف عرف العالم كله اليوم ان فلسطين الحقيقية سرقها اليهود . وطمسوا معالمها ، واحـرقوا فيها المسجد الأقصى ، ويغوا ؟! .. ولو ان الشعب الفلسطينى عمد الى اسلوب تلك الفتاة التى احرقت نفسها .. فأحرق نفسه هو الآخر لاستراحت اسرائيل ونعمت بالأمن المسروق لأنه لا أحد يطالبها بعد ذلك ، ولذلك فهى تحاول الآن ان تنسف الكيان الجديد للفلسطينيين وتحرقه بأساليب متعددة .. ابرزها العدوان ، والحروب ، وملاحقة الفدائيين : فوق أرض لبنان ، والأردن وسوريا ، وحاولت ان تكسب ايضاً جبهة مهمة من جبهات النضال والمقاومة ضدها فتوقع معاهدة سلام لتضمن حياد هذه الجبهة) .

– لكننا لم نزل فى مواجهة كثير من غيبيات مصير الانسان ، وذلك الكثير لاشك انه يحمل النذر ، ومازال انسان هذا العصر فى انسياق وراء ماديات الحياة ، ومشاكله الذاتية ينسى وجدانه ، ويتناسى روحه وأعماقه .. يسدر فى متاهات يفرح بعطائها المؤقت ولا ينظر الى المستقبل ، ان الكثير من الناس اليوم لا يبوح ولكنه يصرخ ، أو يبكى ، أو يقهقه حتى ينقطع نفسه ، فمن يفكـــر فى « البوح » .. من يحترمه ، ومن يفكر فى الراحة النفسية قبل التفكير فى رغائبه واحتياجاته المادية .. من هو الذى يصدق الآن مع نفسه ليقدر ان يصدق مع الناس ؟!

– (لا تسخط على كل شىء .. فالسخط عقاب المتوترين ، والتوتر لم يكن يوماً دلالة على التفكير ، أو مخاضاً لفكرة . لا تدع عصرك يعقدك ، ولكن عليك ان تحاول فك عقد عصرك بالاقبال على الحياة بتفاؤل ، والخير لا يمكن ان ينتهى ابداً .. حتى لو وجدته فى صدر ناسك متعبد على رأس جبل فهذا خير مازال موجوداً ، ويستطيع ان يبلغ الناس .

ان مشكلتك انك اعتقدت ان « الثقة » يستأهلها كل الناس ، وعليك قبل كل شىء ان تزرع الثقة فى نفسك .

وبدمعة تنحدر على وجنتيه ساخنة :

– دعنى ابكى قليلا ، فهذا بوح يعز الآن على كثير من الناس ممن جفت فى ماقيه الدموع !

– هل فكرت الآن لماذا انت تبكى ، وهل تبكى على اناس لا يحسون بك ، أم تبكى من أجل أناس تحس بهم ؟!

– ان من نبكى لأجلهم .. هم قيمة لا تهون فى خلجاتنا وافئدتنا ، والدموع لا تسح من عيوننا بدوافع تفاهاتنا ، ومن أجل سقط الأيام .. ان الدموع أغلى ما فى الانسان ، وعندما جفت فى ماقى البعض قلت لك ان هذا نذير يفقدنا لاصالة الانسان وجوهره !

– احياناً .. تجد الناس يظلمون بدافع الانصاف .. مثلما البعض يظلم بدافع الحب لنفسه .

– ودمعى امام من أحب ؟!

– ليس شرطاً ان تكون دموعنا امام من نحب ، ولكن من الضرورى ان تكون دموعنا من أجل من نحب .. انها تنصفك فى اعماقهم الدفينة ، وستجلو نظرتك للناس أكثر ، فلا ترى الا الصفاء .. مهما كانت المسافة بعيدة

– وهذا العالم من حولى .. انه يصيبنى بالتوتر ، وبالخوف ، وبفقدان الثقة فى الحب !

– مرة قال – توم بين – : ان العالم قريتى وكان يعانى الكثير من الحرب الأهلية ، ومن اغنياء الحرب ، ومن جهل الذين لم يبلغ نور العلم الى عقولهم وافئدتهم ، ثم اصبحت قريته كبيرة : كرة أرضية ، وحل السلام ، ثم اندلعت حروب كثيرة ، وعاد السلام ثانية ، وظهرت امراض وأوبئة ، واكتشفت مضادات لعلاج تلك الأمراض ولافساد تلك الأوبئة ، وظهرت امراض أخطر يحاول العلماء والاطباء القضاء عليها .. وهكذا الحياة بكل ما فيها من متناقضات أما الذى لم يتغير لأنه الأصيل والأصل لعمار هذا الكون ، فارفع رأسك اليه .. ترى السماء الرحبة الصافية ..

وجهان في الزحام

الوجه الثاني

ترى زخات المطر تغسل الأرض ، وتسقى التربة وتغذى الزرع . ترى الشمس فى دورانها المعهود .. ترى القمر فى جماله وبهائه ، وعندما ترفع رأسك الى السماء وترى كل ذلك .. فتاكد ان هذه هى الحياة الحقيقية .. لانك بذلك ترى الايمان وتحسه !

* * *

● ● لم تبلغ به الحيرة مثل ذلك العنف الذى مار فى داخله ، بل كانت اضخم حيرة مرهقة تفوق ما عاناه « أرثر ميللر » فوق صفيح ساخن عندما كان يقدم على تجربة جديدة ، وكل تجربة فى بدايتها تبدو غامضة ، أو ان الانسان لا يحاول الالتفاف حولها لئلا يفقد مفاجاتها .. مهما كانت تلك المفاجاة !

كانت أمامه تجربة جديدة ، وكانت تتنازعه نوازع مختلفة تشده من كل جوانبه

ان التجارب لا تضيع فى قفلتها .. لا تجعل أصحابها يقولون : ليتنا لم نفعل ، فكل تجربة لابد انها تعطى انفتاحا جديداً على معرفة وجه من وجوه الحياة ، ومن وجوه الادراك ، ومن وجوه الناس ، وتخضع زمن الشخص منا للمقياس الذى تضعه مجموعة التجارب تلك !!

كان يصغى الى كل الحيرة فيه ، لكنه يود تمزيقها ليرتاح .. حتى لو كانت راحة البلهاء أو المجانين .

ولكنه كان يقول : ان هذه تجربة قاسية قاتمة ، ويتمنى ان يزيحها قبل استفحال اسبابها وتفاصيلها ، فهو ـ فى معرفة الناس له ـ قد كان انساناً « وجدانياً » .. لا يقحم نفسه فى أمور الناس ، ولا يتطلع الى محاكاتهم فى أمر من أمور ركضهم السريع اللاهث .. انه شىء قانع رغم ان النفس تامره احياناً ان يندس فى زحام الناس ويفعل ما يراد منهم !

وهو ليس مسالماً الى درجة متناهية ، فهذه الصفة لا تنطبق عليه تماماً .. بقدر ما هو ينجذب الى طبيعة الانسان الذى يقول لك فى كل فكرة وعمل وموضوع :

ـ خلينا بعيد ... بعيد اسلم !

لكن انفه مشكلة .. ان له أنفاً يتورم كل يوم .. يكاد لا يرى غير أنفه !

واحساسه بالتجربة القادمة دفعه ان يحاول القضاء على الحيرة التى عنكبت فى داخله ، فاذا تخلص من الحيرة ـ يقول هو ـ تمكنت ان افكر ، واذا فكرت لابد ان اصل الى حلول ونتائج !

ولكن ... ما هى حيرته ؟!

ثم .. ما هى تجربته ؟!

واين وصلت به النتائج ؟!

اما حيرته .. فقد لا تختلف كثيراً عن كل ما يعانيه الآخرون فى حياتهم العادية ، والتى لابد ان تربط وثاقها جيداً بالمستقبل . فلديه مشاكل تغرق فى نفسه حتى تتحول الى حيرة ، ويفكر فيها الى درجة الصداع .

يحتار كثيراً : كيف يستطيع ان يوفر مبلغاً كبيراً من مرتب ضئيل وتافه .. لتاكل امه ، وهو ، واخته التى تصغره بعامين ، ويحيا فى المتوسط كما أغلب الناس ؟!

يحتار كثيراً : كيف يجمع من مرتبه الضئيل ذاك مبلغاً يرضى به الرجل الذى سيختار ابنته زوجة له ، وهو جاد فى فكرة الزواج لأنه يرتاح كثيراً كلما مرت شهور واكتشف أنه مازال هو ذلك الشاب المستقيم ومن الضرورى ان يدعم تلك الاستقامة بزوجة تغنيه عن لحظة السقوط فى المحظور فمن اين له المهر ، وتكاليف الشبكة ، والزفاف وتاثيث البيت ؟!

يحتار كثيراً : كيف يسلك الطريق الذى سلكه من قبله من اصبحت لديه أرض ، وفيلا ، وديكور فى الفيلا ، ثم توفير وتحصيل وانماء حتى يصبح صاحب ثروة ؟!

اما تجربته القادمة .. فيسأل نفسه : هل استطيع ؟!

لقد كان له سعي يوماً ما .. عندما استطاع فى موسم الحج قبل عامين ان ياخذ اجازة من عمله الحكومى ، ويعمل سائقاً لأحد اتوبيسات نقل الحجاج ، ويعمل ايضاً ما يمكنه منه الوقت فى خدمة الحجاج ، ووجد بعد الحج انه جمع مالا لا بأس به .. وبذلك المال الذى وفره من سهر الليل ، والركض تحت الشمس وفى الصحراء استطاع ان يشترى له قطعة أرض صغيرة .. وراح يجرى الى صندوق التنمية ليحقق ما كان جزءاً من حيرته ، وهو فى هذا السعى لبناء الفيلا حاول ان يقترض من الآخرين ليبنى حلمه ، وتراكمت عليه الديون .

فى البيت .. أمه تملأ اذنيه بصوتها :

ـ يا ولدى .. لقد آن لك ان تتزوج !

ـ يقول لها : ولكن .. ليس قبل ان تتزوج اختى !

ـ قالت اخته : هل انا عبء عليك ؟!

ـ قال : لا تقولى ذلك .. مستقبلك مع زوج يحبك ويرعاك .. ثم اننى لا احب رؤية البنات فى سن عانس !

ـ قالت امه : لا عليك .. اذا جاء نصيبها فلن يستاذننا !

(ترتعش قدماه .. يدق قلبه .. يتصلب جفنا عينيه) !

ـ حقاً يا ولدى .. ما أجمل ان تكون بجانبك زوجة وفية مؤنسة مريحة !

حقاً يا ولدى .. الفلوس تجيب الفلوس ، وديونك ستسددها وستنعم بحياة حلوة !

وانتهى بناء الفيلا .. فجاء الى امه يقول :

ـ احتفلوا الليلة .. اطبخى لنا خروفاً يا أمى فلقد انتهت الفيلا !

ـ قالت أمه : الف مبروك .. فمتى سنسكنها يا ولدى ؟!

ـ قال نسكنها ؟! ... انني عرضتها للايجار ، ويمكن للبيع اذا جاءتنى فيها بضعة ملايين !

ـ قالت امه : وهل نبقى فى هذا الجحر يا ولدى .. وما قيمة ما فعلت ؟!

ـ قال : هل جننتم .. لابد أن أسدد ما تبقى من ديونى !

ـ قالت اخته : ولكنك تسلمت بقية المبلغ من صندوق التنمية ؟!

ـ قال : سددت به بعض ديون البناء ، ويبقى الآن أن اكون ثروة ، فاذا اجرتها بمبلغ كبير شريت بذلك المبلغ قطعة أرض ، واذا بعتها شريت فيلا اكبر ، أو عمارة !

ـ قالت الأم : يا ولدى .. انك ستتزوج ، والبيت لا يكفى لك ولزوجتك ، ولى ولأختك !

ـ قال ساخراً : أتزوج ؟! .. لا .. هذا شىء مبكر الآن !

ـ قالت اخته : واين تلك الفرحة التى رأيتها فى عينيك قبل شهور ، واين احلامك فى الاستقرار ، ودقات قلبك التى قلت تصفها كأنها دقات « بيج بن » ؟!!

ـ قال : لا تكثرى من الكلام من فضلك .. اذهبى الآن وجهزى لي ملابسى فى حقيبة ، وسأنزل ..

عبد الله جفري ـ جدة

ذكريات

بقلم : جورج خوري

من اطرف الذكريات المدرسية أربع نودار حدثت ونحن فى الصفوف الثانوية فى فلسطين

● ذهب الذين أحبهم

كنا مرة فى صف مختلط ، حضر استاذ الخط العربي وطلب من الجميع إعداد أوراق للخط ، وكان من عادته ان يكتب بيتا من الشعر على اللوح الأسود لينسخه الطلاب بخط جميل ، حسب طلبه ، عشر مرات .

اتفقت الفتيات وقتها على الاضراب ، فما كان من الأستاذ إلا أن أخرجهن من الصف وتوجه غاضبا الى اللوح ليكتب بيت الشعر المطلوب نسخه ، ومن بين مئات الالوف من الأبيات الشعرية التى يزخر بها أدبنا العربى لم يخطر بباله الا البيت الجاهلى المعروف :

ذهب الـــذين أحبهـــم
وبقيت مثل الســـيف فردا

فما كان من أحد الطلاب الخبثاء الا أن قال: « ولكنك ، يا اســـتاذ ، انت الذى اخرجتهن »

● هذا النشاط غير المتوقع !

كانت معلمة اللغة الانكليزية بريطانية الجنسية ولم تكن تعرف حرفا واحدا من العربية ، وكانت الأشعار الانكليزية التى تطلب من الطلاب حفظها ليست سهلة بطبيعة الحال لجميع الطلاب .. ظلت المعلمة تتذمر من كسل الطلاب وعدم اهتمامهم ، حتى خطر لاحدهم أن يكتب الشعر المطلوب باللفظ العربى على اللوح قبل دخولها ، وهكذا كان الطلاب يقرأونه بالعربية ويلقونه بلغة شيلي وبايروك وشيكسبير ، سرت المعلمة كثيرا لهذا النشاط غير المتوقع والذكاء الفائق الى ان لفت احد الطلاب نظرها الى أن الكتابة العربية على اللوح ليست لدرس اللغة العربية بل من الوسائل المساعدة لحفظ الاشعار الانكليزية ، وبعدها أصبح اهتمام طلابها أكثر تركيزا على اشعار المتنبى وابى تمام من اشعار بنى قومها المستعمرين !

سريع الغضب .. فى رقة شديدة

الطلاب يتصرفون كاطفال فى كل زمان ، وبالطبع فان الهواية الأولى لمعظمهم ، ورغم إحصاءات اليونيسكو وغيرها التى تقول عكس ذلك ، هى إغاظة المعلم .. ولاشك انهم ينجحون فى هذا المجال أكثر من نجاحهم فى أى من النشاطات الأخرى ، سواء كانت منهجية أو غير منهجية .

كان أحد معلمينا لبنانيا متمكنا من موضوعه ، ولكنه سريع الغضب ، وسرعة غضب الأستاذ ، كما يعلم الجميع ، من الصفات المحببة للطلاب ، اذ تساعدهم على ممارسة هوايتهم المفضلة ، المذكورة أعلاه .

كان الأستاذ المذكور كثير الحياء والأدب ولكنه عندما يستشيط غيظا من العفاريت الذين يحتلون معظم مقاعد الصف متنكرين كطلاب يقول بلهجته اللبنانية المحببة :

لا تؤاخذوني ، يحرقبيكم (أى لعن الله اباءكم) .

بالطبع كان الطلاب يتقبلون تلك اللعنة بصدور رحبه ، لانها مسبوقة بعبارة اعتذار رقيقة !



● مطلوب معاقبة المدير

كانت المدرسة تضم طلابا داخليين الى جانب طلابها الخارجيين ، وكانت محاطة ببساتين تحتوي على مختلف أنواع أشجار الفاكهة اللذيذة . مما يشجع الطلاب ، رغم ولعهم بالعلم ، ان يتسللوا زرافات ووحدانا الى تلك البساتين ليقطفوا ما لذ وطاب من ثمارها الشهية .

وبالطبع كان ذلك مخالفا لنصوص إتفاقيات حسن الجوار وعدم الاعتداء على أملاك الغير ، ولكن اتفاقيات كهذه ليست إلا حبرا على ورق كما يعلم كل من يقرأ الصحف ويستمع للراديو.

كانت ساعة التسلل المفضلة هى فســـحة تناول الغذاء عندما يتوجه جميع المعلمين والطلبة الداخليين لتناول طعامهم فى عمارة تبعد عن بناية المدرسة حوالى المائتى متر .

صمم الشيخ الوقور صاحب أكثر البساتين تعرضا للهجوم ان يلقى القبض على أولئك المعتدين لتقديم شكوى رسمية ضدهم إلى إدارة المدرسة مدعومة بالمستندات الرسمية ، طالبا تطبيق العقوبات المعروفة فى هـــذا الشأن .

ما كادوا يجتازون الحدود قليلا ويبدأون بممارسة عمليات جني الثمار المحرمة حتى انطلق الشيخ من مكمنه محاولا اللحاق بهم والقبض على احدهم على الأقل ، ولكن دون جدوى اذ ان دروس الرياضة البدنية ساعدتهم على ، اتقان رياضة الركض .

تقدم منه أحد الطلاب المحايدين مطيبا خاطره وقائلا انه سيكتب له اسماء جميع أولئك الجناة لينالوا عقابهم العادل عند عودة المدير ، سر الشيخ بذلك وامسك بالقائمة منتظرا عودة المدير بفارغ الصبر .

عندما عاد المدير ، أسرع صاحب البستان نحوه مطالبا بانزال كافة العقوبات بحق المعتدين وناوله قائمة بأسمائهم ، فما كان من المدير الا ان انفجر ضاحكا عندما قرأها فقد كان اسمه يتصدر قائمة تضم بقية اعضـــاء الهيئة التدريسية .

التاريخ هذا الفضولي المزعج !

بقلم : الدكتور . عبد السلام العجيلي

كنا نتحدث عن المناهج المدرسية واختلافها بين بلد واخر ، فقلت لصاحبى :

فى فرنسا ،وفى نهاية عام دراسى فائت ، نال فتى عمره ثلاثة عشر عاماً وبضعة شهور شهادة البكالوريا بتفوق . لم يتابع هذا الفتى ، بل هذا الطفل ، دروسه فى مدرسة عادية بل تلقاها فى البيت ، على يدى أمه . وتقول هذه الأم ان طفلها لا يتميز عن غيره من لداته الأطفال بمواهب عقلية خارقة وان ذكاءه لا يتجاوز الحد المألوف . ولكن أم هذا الفتى ، وهى تعمل مدرسة للفلسفة ، اتبعت فى تدريس ابنها اسلوباً خاصاً . فقد حذفت من برنامج دراسته كل فضول العلم وزيادات الدروس التى لا تدخل فى صميم حاجته الى المعرفة . وبهذا ، وبدون جهد خارق أو دراسة فوق العادة ، استطاعت ان تضمن لابنها نجاحاً متفوقاً فى البكالوريا فى هذا السن المبكر. وما الذى الغته هذه الأم ، مدرسة الفلسفة ، من برنامج دروس ابنها ؟ لقد لفت نظري قولها بأنها الغت ، أول ما الغت ، دروس التاريخ . فان ذلك الصبى لم يتلق درساً واحداً فى هذا العلم ولم يحل ذلك دون نجاحه الباهر !

حدثنى صاحبى بكل هذا فهتف قائلا : ـ ما اجمل هذا ! اذن من الممكن ان نلغى التاريخ من دروسنا ، ومن معارفنا ، ومن ثقافتنا العامة ، دون ان يقف ذلك عثرة فى طريق النجاح . بل انه بالعكس ، كما يتبين مما رويته لى ، يبدو ان هذا الالغاء يخفف العبء عن مداركنا ، فندرك به النجاح بسرعة ... قبل أربعة أعوام أو خمسة ، من الموعد الذى الفنا فيه ان نصل الى غايتنا ، اذا كانت غايتنا هى البكالوريا مثلا !

وسكت صاحبى قليلا ثم اضاف : ـ تلك فكرة رائعة . فماذا لو ناقشناها ، وبحثنا عن ميزان الخسارة والكسب فى تعلم التاريخ أو تجاهله ؟؟

ماذا نكسب ؟

قلت انا : ـ لاشك فى ان أول مكاسبنا من الغاء التاريخ من تعليمنا ومن ثقافتنا هى المكاسب المكانية . تصور مثلا عدد الرفوف التى تخلو فى كل مكتبة من المكاتب العامة وفى مخازن بيع الكتب اذا القينا فى المحرقة ، او فى البحر ، كل ما كتبه المؤرخون وكل سير القادة والأبطال ، وكل كتب المذكرات ، وكل مجلدات الأرشيف ..

قال صاحبى : ـ والقصص والروايات اليست فى حقيقتها تاريخاً لعوالم وهمية وانها تحتل مئات الألوف من الرفوف بغير حق ؟

فاضفت انا : ـ والمؤرخون ، اولئك الذين مزقوا طبلات اذاننا بقولهم المتكرر « التاريخ يعيد نفسه ! » . انه قول غير صادق . فالتاريخ يمضي الى غير عودة ، وهو لا يعيد نفسه ابداً ، اذن فالى المحرقة بهم ، وليتركوا اماكنهم الى اناس اكثر فتوة وأكثر ضرورة للمجتمع ..

قال صاحبى : ـ اتدرى اننا لو فعلنا كل هذا ، اعنى لو اننا القينا فى المحرقة أو الى البحر بكتب التاريخ ، وبالروايات والقصص بأنواعها ، وبالمؤرخين واساتذة التاريخ ، فان ذلك يجعلنا أكثر انسجاماً فى ثقافتنا مع سير الفكر الانسانى فى تاريخه العصرى ؟ ان فكر اليوم فكر يتطلع الى المستقبل ليبنى ، وليس لديه وقت يدير رأسه فيه الى الوراء ليتأمل ويذكر ويجتر . فاكتشاف العوالم المجهولة ، والسفر الى الكواكب السيارة والنجوم النائية ، وقهر الجراثيم ومعرفة اسرار الأمراض المستعصية ، كل تلك أمور تجرى فى المستقبل . أما الماضى الذى يدرسه التاريخ فما هو الا صخرة معلقة فى رقاب الباحثين أو المكتشفين أو المغامرين .

لذا فان اسقاط التاريخ من حساب علومنا العصرية هو اسقاط ثقل عن كاهل العلماء وتحقيق انسجام بين اعمالهم



وافكارهم ..

وهكذا مضينا ، انا وصاحبى ، نعدد المكاسب التى تجنى من اسقاط التاريخ من ثقافة الناس ومن حياتهم . واتفقنا على ان اخلاق المجتمع جديرة بأن تربح من هذا الاسقاط ، وضربنا لذلك مثلا ظاهرة التغلب فى الآراء والتذبذب بين الأحزاب والهتاف للزعماء فى يوم ثم رجم هؤلاء الزعماء انفسهم بالحجارة فى اليوم التالى . فان هذه الظاهرة أصبحت خصلة بشرية مألوفة لكثرة اتصاف الناس بها مسوقين بالروح النفعية وبدافع المصلحة الشخصية . وكان يمكن لهذه الخصلة ان تكون امرا طبيعيا لا انتقاد عليه لولا ان التاريخ ، الذى يسجل المفارقات والتناقضات فى سلوك الأفراد والجماعات ، ينعت باللااخلاقية ظواهر التقلب والتذبذب . انه يخلق النقمة فى نفوس الذين لا يستطيعون ، لسبب أو لآخر ، ان يتقلبوا أو يتذبذبوا . كما انه ينغص المتذبذبين فى التنعم بالطيبات ، التى يجنونها ثمرة لخصالهم هذه ، بما يثيره منهم من عوامل تبكيت الضمير ومما يرسب فى نفوسهم من العقد الاخلاقية ، دون ان يستطيع ان يغير سلوكهم أو اجتثاث النفعية من نفوسهم . فلنلغ التاريخ نلغ معه تلك النقمة وهذه التنغيصات والعقد ! وليتذبذب الناس حينئذ أحرارا كما يشاؤون ، يعتنقون رأيا اليوم ويسفهونه غدا ، يعبدون موسولينى بالأمس ثم يشنقونه من قدميه اليوم ، يرفعون لستالين اضخم التماثيل ثم يحطمونها ليرفعوا مكانها تماثيل الحرية التى خنقها الطاغية ، يبصقون اليوم على من كانوا يغنون بامجاده الأمس ! .. ليفعلوا ما يشاؤون ، فليس ثمة تاريخ يسجل أو يثير النقاش والتساؤل ..

وفى الانسانية

واضفت انا قائلا :نستطيع أن نسمى كذلك مكاسب انسانية نستطيع أن نحصل عليها بنفس الطريقة ، اذا لم نعلم أولادنا التاريخ . تأمل فى الحروب التى ابتلى بها البشر منذ خلقوا فى مجتمعات ، هل لها سبب غير التاريخ ؟ ان الله قد خلق الأرض متشابهة الارجاء فى كل أصقاع الدنيا . ولكن التاريخ جاء فقسمها الى أوطان ، واعطى لبعض الشعوب حقوقا فيها ووصم شعوبا اخرى بانها معتدية ومغتصبة ، فنشبت لذلك الحروب وما تزال تنشب . لولا التاريخ اذن لا ستقر المعتدى عليه ما اغتصب منه . الست معى فى ذلك ؟

قال صاحبى : نعم ، لولا التاريخ لانتفت الحروب . اعنى لنسي المظلومون حقهم .. لنسوا ارضهم المغتصبة ونسوا معها شرفهم ومثلهم العليا ، ولقرت عيونهم بأنهم يعيشون فى أمن ودعة !

وسكت صاحبى سكوت المفكر . فقلت له ضحكا :

ـ اراهن على انك اخذت تتراجع عن تقديرك لقيمة المكاسب التى تحصل عليها البشرية فيما اذا اسقطت التاريخ من مناهج دراسة اجيالها المقبلة ..

قال : ربما كنت على حق . ان اسقاط التاريخ من ثقافة البشر يريحهم ، ولكن راحة الموت . الآن فطنت الى السبب الذى من أجله تحاول بعض الفئات ان تطمس تاريخ شعبها ، أو تتنكر له ، أو تنتقص من جهود اسلافها . ولماذا تزور التاريخ او تدير رؤوس الجماعات عن ماضيها بحجة ان الماضى لا قيمة له . ان التخلص من التاريخ يعنى التخلص من المسؤولية ، من اعبائها ومشاقها . كما يعنى تخلص المرء من مقارنته باسلافه . ومن حقه ان يفعل مثل ما فعلوا ، او خيرا مما فعلوا . فياله من فضولى مزعج هذا التاريخ ! .. ولكنى مع ذلك لن اكون من صف صاحبتك مدرسة الفلسفة . انى افضل لابنى ان يتعلم التاريخ ولو تاخر خمسة أعوام لينال البكالوريا . صحيح ان الحيوانات التى لا تعرف التاريخ تعيش فى دعة وراحة بال ، ولكنى لا اريد لابنى عيشا مثل عيشها .. انى أريد لابنى ان يكون إنسانا .

شخصيات معاصرة من تاريخنا القديم:

"النَّشْو"

يسعى في الناس بالشرّ ولا ينجو من أذاه أحد!

بقلم جمال الغيطاني

يفصلنا عن شرف الدين عبد الوهاب النشو سبعة قرون هجرية ، مات الرجل منذ زمن بعيد ، ولكنه لازال يسعى بيننا هذا ما تقوله سيرته وأفعاله ، وما تقوله سيرة وأفعال الكثيرين ممن يعيشون حولنا الآن .

والنشو لم يكن بطلا من أبطال التاريخ ، إنما كان رجلا عادياً ، بدأ حياته بخدمة الأمراء فى زمن السلطان الناصر ابن محمد بن قلاوون . كان مستخدماً عند ابن هلال الدولة شاد الدواوين ، وكان يتردد عليه كثيراً ويبالغ فى خدمته ، واستخدمه ابن هلال الدولة فى الأشغال ، وأثناء ذلك تزوج الأمير آنوك ابن السلطان من ابنة الأمير بكتمر الساقى ، وبدأ السلطان يفكر فى شخص يعينه لخدمة ابنه ، ولابد أنه فكر فى النشو ، كان النشو قد وقف بين يديه أكثر من مرة ، وتحدث اليه ، وعندما كان يتكلم الى السلطان كان يركز كل حواسه ، ومواهبه ، حرصاً على أن يترك أثراً ما فى نفس السلطان . فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة هجرية ، التحق النشو بخدمة الأمير آنوك ، وكان هذا أول صعوده ..



أصبح النشو قريباً من السلطان بحكم موقعه الجديد ، وصار يتردد كثيراً على القلعة ، ويخلو الى السلطان ، ويحادثه فى أمور الدولة ، ويبدى الحرص البالغ على أموال السلطان ، ومصالحه . وسير العمل فى الدواوين ، وفى أثناء ابدائه الحرص ، كان يرمى عبارات هنا وهناك فى حديثه فى البداية كان يلفظها بحذر ، ثم لاحظ أن أذنى السلطان مصغيتان اليه ، فزاد من الدس والوقيعة ، وكان مظهره يساعده . إنه طويل القامة ، مليح الوجه ، حلو التقاطيع ، بريء السمات ، أثر كلامه فى نفس السلطان حتى بات مقتنعاً ان النشو بحرصه عليه يمكنه أن يحصل له مالا كثيراً ، فأصدر مرسوماً بأن يتولى النشو نظارة الخاص ، أى يكون مسئولا عن أموال السلطان وممتلكاته . وهذه وظيفة هامة جداً ، ولكن النشو لم يهدأ ، ولم يتوقف ، أخذ يتحدث الى السلطان عن أولاد موظف كبير اسمه التاج اسحق ، راح يحدثه عن الأموال التى جمعوها بالباطل ، وكرههم له ، وكان أحد هذين الولدين قد تولى وظيفته فى نفس اليوم الذى عين فيه النشو ناظراً للخاص ، وهو شرف الدين موسى ، لم يمض إلا عشرين يوماً فقط ، وعمل كلام النشو عمله فى السلطان ، فأصدر مرسوماً بعزل شرف الدين موسى من نظر الجيش ، وأمر بالقبض عليه ، وعلى شقيقته ، ومصادرة ثروتهما ، وكان أسلوب السلطان الناصر قلاوون غريباً فى ضرب موظفيه



لقد استدعى ابن هلال الدولة ، وأسر اليه أن يمضى ليحاصر بيوت أولاد التاج اسحق بمجرد دخول الأمراء البلاط ، وبالفعل دخل الأمراء وكبار موظفى الدولة ـ وبينهم شرف الدين موسى ـ الى السلطان ، عندئذ التفت السلطان الى القضاة وأخذ فى الثناء على شرف الدين ، وقال فى آخر كلامه :

« أنا رأيت هذا وعملته كاتبى » .

فى هذه اللحظة بالذات كان الجنود يحيطون ببيته ، وبيت شقيقه ، وعندما خرج من البلاط ، واتجه الى مقر وظيفته ، كانت العيون تحيطه بالرهبة ، ألم يثن عليه السلطان علناً ، ولكنه ما إن جلس بديوان الجيش حتى بلغه أن الحوطة قد وقعت على بيته ، وان رسل الديوان على باب الجيش ، وبلغ الخبر أيضاً الى أخيه علم الدين . وفى العصر صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة (كشوف جرد المحتويات) وهى تشتمل على أشياء كثيرة جداً ، منها على سبيل المثال ، أربعمائة سروال لزوجة علم الدين . أمر السلطان بتسليم الأخوين الى ابن هلال الدولة للتحقيق معهما ، والتوصل الى الثروات المخفية ، وأحضرت آلات التعذيب ، من أسواط ، ومعاصير وسئل موسى عن صندوق ذكر أنه أخذه من تركة أبيه ، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة الف دينار ، وكان النشو قد أفضى الى السلطان بوجود هذا الصندوق . فأنكر موسى ذلك ، وأقسم الأيمان المغلظة ، فرق له ابن هلال الدولة ولم يعذبه ، وهنا استنكر النشو ذلك ، وأخذ على ابن هلال الدولة هذه الرقة ، مع أن الرجل هو أول من استخدمه ، وهو ولي نعمته ، واضطر ابن هلال الدولة الى التضييق على موسى ، لينتزع منه كل ما لديه . إن النشو الآن لا يقيم وزناً لابن هلال الدولة ، إنه يتحدث الى السلطان رأساً ، والكلام يخرج من فمه الى أذني السلطان رأساً ، كما أنه لم يكن يدع فرصة إلا ويظهر فيها إخلاصه وولاءه عند عودة السلطان من الحج ، تولى النشو الاشراف على مظاهر الاحتفال ، خرج الناس للقاء الناصر ، وغلقت الدكاكين والأسواق ، وجمع النشو من الأمراء الأبسطة ، والمنسوجات الحريرية الثمينة المشغولة بالذهب ، وبسطها فوق الأرض أمام القلعة ، وحتى مقعد السلطان . وتمضى الأيام ، ونفوذ النشو يقوى ، ويتزايد ، يقول المقريزى فى كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك :

«وفى هذا الشهر كثرت مصادرات النشو للناس ، فأقام من شهد على التاج اسحق أنه تسلم من المكين الترجمان صندوقاً فيه ذهب وزمرد وجوهر مثمن ، فرسم لابن الحسنى بعقوبة موسى بن التاج اسحق حتى يحضر الصندوق ، وطلب النشو ولاة الأعمال والزمهم بحمل المال ، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبع مواشى ابن التاج اسحق ، فقدم قنغلى والي البهنسا ، وقشتمر والي الغربية وفخر الدين إياس

النشو.. يسعى في الناس بالشر ولا ينجو من أذاه أحد!

متولي المنوفية ، وعدة من المباشرين فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال ..

كان النشو اذا اضطهد شخصاً فانه يتتبعه حتى يدمره تماماً ، ويتتبع اى انسان يمت اليه .. هكذا فعل مع موسى بن التاج اسحق .

● يستعين بالأشخاص ذوى السمعة السيئة والأشرار

بدأ النشو يعتمد على أقاربه ، وأرسل أخاه واسمه المخلص الى الصعيد فى مهمة ، عاد منها ليقدم اليه تقريراً عن ثروات مباشرى الوجه القبلى ، وطلع النشو الى السلطان ، راح يغريه بهم جميعاً ، ويتحدث عن إتلافهم مال السلطان ، وهنا صدر مرسوم بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى ، واعتقالهم ، وطلب النشو تجار القاهرة ومصر ، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمتها ، كان يبيع بضائع السلطان بأسعار مرتفعة جداً ، وهكذا يحصل له على أموال طائلة ، فى الوقت الذى بدأ هو بتكوين ثروته ولكن فى حذر شديد . وكان السلطان الناصر يصدر أحياناً بعض المراسيم التى تتسم بالخير ، وهكذا أصدر مرسوماً بمسامحة الأمراء فى الأموال المدينين بها للديوان . ولكن النشو لم ينفذ هذا المرسوم ، والزم مباشرى الأمراء بتسديد هذه الأموال . وركب الى السلطان ، وأوضح له قيمة الأموال التى يمكن أن تضيع نتيجة لهذه المسامحة ، وان مال السلطان يضيع ويتبدد ، وان الدواوين تسرق بحجة مسامحة الأمراء .وتأثر السلطان بما سمعه ، ومكن النشو من عمل ما يختاره . وألا يسامح أحداً بشىء مما عليه للديوان . وشق ذلك على بعض الأمراء ، فراجع الأمير قوصون السلطان ، ولكنه لم يجبه الى شىء . عندئذ كف الأمراء عن السؤال . وعظم النشو فى أعين الناس .

واستعان النشو بالأشخاص ذوى السمعة السيئة . استدعى الشمس بن الأزرق وكان ظلوماً غشوماً ، فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار ، وفرض عليهم قماشاً بثلاثة أمثال قيمته . يقول المقريزى :

«وعمت مضرة النشو الناس جميعاً ، وانتهى اليه عدة من الأشرار ، ونموا على الكافة من أهل الوجه القبلى والوجه البحرى ، ودلوه على من عنده شىء من الجوارى المولدات لشغف السلطان بهن ، فحملت اليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن . وسعوا عنده بارباب الأموال أيضاً . فدهى الناس منه بلاء عظيم» ..

وبين الحين والآخر ، كان كبار رجال الدولة يفضون بشكواهم الى السلطان ، ولكنه كان ينهرهم ، ويبدى الثقة بالنشو ، وأذن له فى عمل ما يختاره ، وان يتصرف فى أمور الدولة كما يشاء وألا يبالى بأحد ، ووعده بتقوية يده ، وتمكينه ، ومنع من يعارضه . بل ان السلطان استدعى اخوة النشو وأقاربه ، وعينهم عند كبار الأمراء ، فجعل المخلص أخ النشو مباشراً عند الأمير سيف الدين الناق ، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى ، واستخدم صهره ولي الدولة عند الأمير ارغون شاه ، وخلع عليهم .

انبسطت يد النشو ، واشتدت وطأته ، واستدار ليضرب أول شخص أحسن اليه ، وكان بداية صعوده ، التفت الى ابن هلال الدولة نفسه .

● ابن هلال الدولة يلزم بيته بتدبير من النشو

أخذ النشو فى التدبير على ابن هلال الدولة . رتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة . وأنه أهمل فى المحافظة على أمور السلطان ، وأنه بسببه ضاع مال كثير . وانتدب لتحقيق ذلك ثلاثة ، أمين الدولة بن قرموط المستوفى ، والشمس بن الأزرق ناظر الجهات ، وشخص ثالث اسمه لؤلؤ الحلبى . وحدد يوم للمواجهة . بالطبع رتب النشو كل كبيرة وصغيرة . انعقد المجلس فى القلعة . وفى البداية برز قرموط ، وواجه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور ، وبرطل (رشا) بالأموال ، ولم يستمع السلطان الى الباقين . بل أمر ابن هلال الدولة أن يلزم بيته ، وعين شخصاً آخر بدلاً منه فى وظيفته . وأمر بدر الدين لؤلؤ الحلبى باستخلاص الأموال . قبض على ابن هلال الدولة ، وصودرت أمواله . وهكذا أجهز النشو على ولي نعمته . والذى كان وجوده يذكره بأيام الزمن القديم عندما كان موظفاً صغيراً فى خدمته .

ثم اختار النشو شخصاً قاسياً ، غتياناً ، هو ايدكين الأزكش لولاية القاهرة ، وبدأ نشاطه بمهاجمة البيوت ، ومصادرة الأموال ، وصار يتنكر فى الليل ويمشى فى أزقة القاهرة ، فاذا سمع صوت غناء أو شم رائحة خمر هاجم المكان وأخذ من أهله أموالا طائلة طبقاً لأحوالهم . وكان النشو يوجهه ، وينفذ أغراضه من خلاله . ولما

تزايد أمر أيدكين ، طلع الأمير قوصون وشكاه الى السلطان . وهنا تغير السلطان على قوصون وقال له :

«أنتم كلما وليت أحدا ينفعنى أردتم اخراجه ، ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت» .

وفى الحال أصدر مرسوما بأن يتولى أيدكين ولاية مصر ، الى جانب القاهرة ، ولم يجمع الولايتين أحد قبله . وعظم أمر أيدكين . فى أحد الأيام خرج من القاهرة الى قرية النخيلة بالوجه البحرى ، وكانت متنزها للناس . هاجمها وقت الغروب فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا ، عرى البلدة كلها عن بكرة أبيها ، وجمع أموالا كثيرة .

غير أن أيدكين لم يستمر طويلا فى منصبه ، ففى أول سنة خمس وثلاثين وسبعمائة هجرية عزل ، ونفى الى الشام ، وكان السبب سعاية عدد من كبار الأمراء ضده عند السلطان .

وفى نفس السنة لاحظ النشو أن مستوفى الدولة أمين الدين قرموط يكثر من الاجتماع بالسلطان . فخاف عاقبة ذلك ، مع أنه هو الذى قدمه الى السلطان ، وبدأ يتكلم فى حقه . وقال انه جمع كثيرا من مال السلطان لنفسه . فقبض عليه ، وعلى جماعة معه . وعوقب قرموط وضرب بالمقارع سعيا لاستخلاص أربعين ألف دينار منه . ولكنه صمد للضرب . عندئذ قيل انه جلد ، وانه لن يعترف إلا اذا ضرب ابنه أمامه . وجاءوا بولده وبدأوا بضربه فلما اشتد البلاء بقرموط ضرب نفسه بسكين فى حلقومه محاولا الانتحار ، ولكنهم انتزعوها منه ، واستمر تعذيبه ، وتعذيب ابنه .

فى هذه الفترة قدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الاربعاء الحادى عشر من رجب (٧٣٥ هـ) ، وسعى عند السلطان ليفرج عن ابن هلال الدولة ، وساعده الأمير قوصون . وبالفعل استجاب السلطان لهما ، وأفرج عن الرجل ، وكان النشو مسافرا الى الاسكندرية . وعند عودته فوجىء بالخبر ، وشق عليه الافراج عن ابن هلال الدولة ، وطلع الى السلطان ، وراح يتحدث عن ابن هلال الدولة وخطورته ، ومال السلطان اليه ، فأمر الوالى باحضاره الى القلعة ، وخرج الوالى الى ابن هلال الدولة ، سبه ولعنه ، وأبلغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحد شنقه . فنزل وأقام بالقرافة منقطعا عن جميع الناس . واستمرت سعاية النشو فى الناس . اتهم والى دمياط بأنه خرب أساسا قديما فى البحر بين البرجين ، كانت عليه طلسمات تمنع ماء البحر المالح عن ماء النيل ، حتى تلفت الطلسمات وغلب البحر على النيل ، فتلفت بساتين ، وان الوالى نال من ثمن هذه الحجارة أموالا طائلة . واعتقل والى دمياط ، وعذب ، واستخرج منه وجمع أموالا كثيرة .

وقبض النشو على امرأة موسى بن التاج اسحق ، عاقبها وهى حامل عقوبة شديدة على احضار المال حتى طرحت ما فى بطنها ولدا ذكرا .

كان النشو يستخدم شرار الخلق ، وكانت له نساء عجائز يتجسسن فى البيوت الكبيرة ، وحدث أن احدى هؤلاء النسوة أبلغته عن أولاد «ابن الجيعان» وأنه يسعى فى نظر الجيش ، والآخر يسعى ليتولى نظر الخاص ، عندئذ طلب النشو كاتب الاصطبل منهم ، وطلب منه أن يكتب حساب الاصطبل . فامتنع ، ورد عليه بكلام خشن عندئذ سعى النشو عليه عند السلطان حتى قال له السلطان :

«لم لا تعمل حساب الاصطبل ، وتعطيه الناظر ؟»

يقصد النشو ، فقال :

«يا خوند : بدل أن تطلب حساب الصبى والمقاود ، اطلب حساب الذهب الذى يدخل الى خزائنك» .

وأغلظ فى حق النشو ، وعندما قابله ، قال له :

«ونعمة مولانا السلطان أظهر فى جهتك مائتى الف دينار» .

وهنا قامت قيامة النشو ، وانفض المجلس على ذلك ، فمازال النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم الى لؤلؤ . فعاقبهم حتى هلكوا ، وصودرت ثرواتهم . ولم يكتف النشو بذلك ، بل قبض على أقاربهم ، وصادر أموال عدد من أصحابهم .

● مملوك السلطان

فى هذه السنة ٧٣٥ هـ ، كثر شغف السلطان بمملوكه الطنبغا الماردينى شغفا زائدا ، الى درجة أنه قرر أن ينشىء له مسجدا يحمل اسمه . واختار موقعه خارج باب زويلة ، وكان لابد من ازالة عدد من البيوت بعد شرائها ، طلب السلطان النشو وكلفه بتحقيق ذلك ، عندئذ استدعى النشو أصحاب البيوت ، وابتاعها منهم بنصف قيمتها . وتم بناء المسجد والذى لازال قائما حتى الآن .

وفى نفس هذه السنة جرت محاولة للتخلص من النشو عن طريق الوقيعة ، إذ كتبت رقعة الى السلطان تذكر ظلم النشو ، وتسلط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم ، وعشق صهره لغلام تركى . استدعى السلطان النشو ، وبعد أن قرئت عليه القصة قال : أنا أعرف من كتبها ، وحلف على براءة أقاربه من هذا الشاب . وبكى ثم انصرف .

وحاول عدد من الأمراء أن ينبهوا السلطان الى ثروة النشو الطائلة ، لكنه لم يستجب اليهم ، ولم يصدقهم . كان النشو يحرص دائما على أن يبدو أمام السلطان فى مظهر الفقير المعدم حتى تزداد ثقة السلطان فيه ، ولكى يؤمن السلطان بفقره كان يقترض من كبار موظفى الدولة المتصلين بالسلطان . مبالغ صغيرة من المال بين الحين



النشو..
يسعى في الناس بالشر ولاينجو من أذاه أحد!

والآخر ليوهمهم انه لا يملك شيئا . أرسل ذات يوم الى رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم بحجة أن ضيفا نزل عنده وليس لديه ما يكرمه به ولكي تجوز حيلته على السلطان انتهز فرصة وجود كبير الأطباء عنده ذات يوم . وشكا فقره للسلطان . وقد أمن رئيس الأطباء على هذه الدعوى بحكم ما وقع بينه وبين النشو من قبل وأمعن النشو في تصرفاته التي لحقت الخاصة والعامة على السواء ، فتدخل في تجارة السلع الضرورية للحياة من لحم وفول واقمشة وكان يشترى منها باسم السلطان كميات كبيرة بأسعار رخيصة ثم يبيعها للناس بأثمان عالية .

وهنا لندع المقريزي يحدثنا من خلال كتابه السلوك عن وقائع النشو ..

● رسالة تتضمن الوقيعة في النشو وأقاربه

في يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول (٧٣٦) عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية ، واستقر عوضه سيف الدين كاجار الماردينى ، ثم أخرج بغا على أمرة عشر بصفد . في ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر . وسببه أن بعض تجار قيسارية جهاركس طرح عليه النشو ثيابا بضعفي قيمتها كما هي عادته ، فرفع قصته للسلطان على يد بغا ، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله ، فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر وقال له : كم تشكو الناس منك ! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه باغلى الأثمان . فقال «يا خوند ! هذا ما يشتكى من أمر القماش لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين الف دينار ، وقد هرب مني وأنا أتطلبه . وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر وهي من جوارى الشهيد الملك الأشرف خليل ، ماتت عنده وخلفت نحو مائة الف دينار وما بين جواهر وغيرها ، فأخذ الجميع ولم يظهر على السلطان شيء» .

ثم التفت النشو الى التاجر وقال له :

«بحياة رأس السلطان ! ما كنت متزوجا بفلانة ؟» .

يعني الجارية المذكورة ، فقال «نعم» ، فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال . فأخذه ابن صابر وشهره بالقاهرة وعاقبه بالقيسارية مرارا حتى أخذ منه مبلغ خمسين الف درهم ، ثم تحول النشو على بغا ، وراح يقول عنه انه مرتش ، وكان السلطان يكره الرشوة ، فأثر فيه كلام النشو ، فأخرجه ، وسعى النشو أيضا بطقتمر الخازن حتى غير السلطان عليه .

.. وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشر رجب قبض على ابن هلال الدولة ، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسني ، وأخرجا الى الاسكندرية بسعاية النشو .

.. واشتدت وطأة النشو على الناس ، وابتكر مظلمة لم يسبق اليها وهي انه الزم أهل الصاغة ودار الضرب ألا يبتاع منهم أحد ذهبا ، بل يحمل الذهب جميعه الى دار الضرب ، ليصك بسكة السلطان . فجمع من ذلك مالا كثيرا للديوان . ثم تتبع النشو الذهب المضروب في دار الضرب ، فأخذ ما كان منه للتجار والعامة ، وعوضهم عنه بضائع ، وحمل ذلك كله للسلطان . وانحصر ذهب مصر بأجمعه في دار الضرب ، فلم يجسر أحد على بيع شيء منه في الصاغة ولا في غيرها . ثم ان السلطان استدعى منه بعشرة الاف دينار ، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره فنزل النشو والزم أمين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام ، وطلب منه عشرة الاف دينار قرضا في ذمته ، فدله على مبلغ أربعمائة الف درهم لأيتام الدوادارى تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال ، فأخذها منه وعوضه عنها بضائع ، ثم بعث النشو الى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الاخنائي المالكي في تمكينه من مال أولاد (الأمير) أرغون النائب ، وهو ستة آلاف دينار ، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال «السلطان ما يحل له أخذ مال الأيتام» . فرد عليه «السلطان إنما يطلب المال الذي سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها ، فان الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة» . وقام في فورة الى السلطان ، ومازال به حتى بعث الى القاضي يلزمه بحمل المال الذي سرقه أخوه من الخزانة ، ويقول له «انت إيش كنت من مملوكي ؟» ، فلم يجد قاضي القضاة بدا من تمكين النشو من أخذ المال .

.. في ذي القعدة من نفس السنة ، سقط طائر حمام بالميدان ، وعلى جناحه ورقة تضمنت الوقيعة في النشو وأقاربه ، والقدح في السلطان بانه أخرب دولته ، فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا ، وطلب النشو وأوقفه على الورقة ، وتنمر عليه لكثرة ما يشكى منه ، فقال : «يا خوند ! الناس معذورون ! وحق رأسك لقد جاءني خبر هذه الورقة ليلة كتبت ، وهذه فعلة العلم ابي شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت ، كتبها في بيت الصفي كاتب الأمير قوصون ، وقد اجتمع هو وأقاربه» ، وأخذ النشو يعرف السلطان بما كان من أمر سعيد الدولة في أيام بيبرس الجاشنكير وأغراه به حتى طلبه ، وسلمه الى الوالي علاء الدين علي بن حسن المرواني ، فعاقبه عقوبة مؤلمة ، وطلب السلطان الأمير قوصون وعنفه على فعل الصفي كاتبه ، فطلبه قوصون وهدده ، فحلف بكل يمين على براءته مما رمى به . فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة ، وقبض عليهم بسبب ابن شاكر ، ونوع العذاب عليهم بيد الوالي ، وخرب دورهم بالمحراث ، وقبض النشو على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة . ثم أفرج عنه بعناية الأمير أقبغا عبد الواحد ، وعذب ابن الأزرق ناظر الجهات .

● أرباب الدواليب يتضررون من سطوة النشو

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

.. وفيها أجدبت زراعة الفول ، فالزم النشو سماسرة الغلال الا يباع الفول الا للسلطان فقط ، فتضرر أرباب الدواليب (المقصود بالدواليب جميع الآلات المستخدمة في الزراعة والصناعة ، وهذه الآلات كانت تدور بالأبقار ، والأبقار تعتمد على أكل الفول) .

وفيها صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب بالوجه القبلي ، وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتي الف درهم والفي اردب غلة ، فرافع بن زعلزع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو ، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعلزع لكثرة ماله ، وأوقع الحوطة على موجوده . وكتب الى والي البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة ، فلف والي البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها في القطران وأشعل فيها النيران ، ثم عراه ولوحه على النار ، حتى أخذ منه ما قيمته الف الف وخمسمائة الف درهم ، ووجد له أربعمائة فرجية بفرو ، ومائة وعشرين جارية ، وستين عبدا ، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمائة الف درهم ، واحتج النشو بمصادرته بانه وجد كنزا .

.. وفيها ارتفع سعر اللحم لقلة جلب الاغنام حتى بيع الرطل بدرهم وربع ، وسبب ذلك ان النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها ، فكتب الى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام ، ثم ان النشو استجد للسواقي التي بالقلعة أبقارا ، وأحضر أبقارها التي ضعفت وعجزت مع الأبقار التي ضعفت بالدواليب ، وطرحها على التجار والباعة بقياس القاهرة ومصر وأسواقها حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصمه منها شيء على قدر حاله ، فبلغ كل رطل منها درهمين وثلثا ، ورميت تلك الأبقار على الطواحين والحمامات كل رأس بمائة درهم ولا تكاد تبلغ عشرين درهما فبلى الناس من ذلك بمشقة وخسارة كبيرة .

.. واتفق ان النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج اسحق حتى رسم بعقوبته الى ان يموت ،

فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيبا (الشيب سير السوط أى الكرباج) . حتى سقط كالميت ، ثم ضرب من الغد اشد من ذلك ، وحمل على انه قد مات ، فسر النشو بذلك سرورا زائدا ، وذهب ليرى موسى وهو ميت فوجد به حركة ، وفى اثناء ذلك طلب السلطان الأمير لؤلؤ فاخبره بأن موسى قد بدأ يئن ، وبعد ساعة يموت ، فرسم الا يضرب بعد ذلك ، فشق هذا على النشو .

.. وفيها قل فرو السنجاب من الاسواق ، وذلك لقلة جلبه ، فامر النشو باخذ ما على التجار من الفرجيات ذات الفرو ، فهوجمت حوانيت التجار والبيوت حتى أخذ ما على الفرجيات من السنجاب ، فبلغ النشو دعاء التجار عليه فسعى عند السلطان عليهم ، ونسب اليهم أخذ الربا ، وقال ان عندهم كميات كبيرة من الأخشاب والحديد واستاذنه فى بيعها عليهم ، فاذن له السلطان فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا من ارباب الأموال ، ووزع عليهم من الف دينار كل واحد الى ثلاثة آلاف دينار ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفا من الاصناف ، فبلغت الجملة خمسين الف دينار ، وضرب من تخلف منهم بالمقارع . ويبدو ان احد هؤلاء التجار كان على معرفة بالست حدقة زوجة السلطان وأم ابنه انوك ، فذهب اليها وشكا النشو ، وقال ان الخشب الذى فرضه عليه قيمته الحقيقية ألفا درهم . وطلب منه النشو الف دينار ثمنا له ، عندئذ تحدثت السيدة حدقة الى السلطان فى ظلم النشو للناس فطلب السلطان النشو ، وانكر عليه ذلك ، وتجهم له . فانصرف النشو وهو فى حالة شديدة من الغيظ ، وبدأ يدبر انتقاما من ذلك التاجر . استدعى رجلا واتفق معه على الانتقام من التاجر ذهب الرجل الى التاجر وساله فى قرض مبلغ من المال ، فاخذ التاجر يشكو مما به من الزامه بالفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو ، فقال له الرجل « ارنى الخشب فانى محتاج اليه » . فلما راه أعجبه واشتراه منه بفائدة الف درهم فى الشهر ، امتلأ التاجر فرحا ، وأشهد عليه بذلك ، ومضى الرجل ليأتى بثمن الخشب . عاد الى النشو واخبره بما تم ودفع اليه بنسخة المبايعة ، فقام من فوره الى السلطان واعلمه انه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة الف درهم فطلب السلطان التاجر وساله عما رماه عليه النشو . فاعتر البائس وأخذ يقول « ظلمنى واعطانى خشبا بالفى دينار يساوى الف درهم » فقال له السلطان « واين الخشب ؟ » قال « بعته بالدين » . فقال النشو « قل الصحيح فان هذه معاقدتك بيعه » . فلم يجد بدا من الاعتراف ، فحنق عليه السلطان وقال « ويلك ، تقيم الغاثة « تستغيث » وانت تبيع بضاعتى بفائدة ؟ » ثم أمر النشو بضربه وأخذ الالف دينار منه مع مثلها . وعظم النشو عند السلطان ، ثم عبر السلطان الى نسائه وسبهن وعرفهن ما جرى . وقال : « مسكين النشو ! ما وجدت له احدا يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى » .

وفى نفس السنة شكا المماليك من تاخر كسوتهم ، فطلب السلطان النشو والزمه بحمل كسوتهم من الغد ، ومعها مبلغ عشرين الف دينار فنزل النشو والزم الطيبى ناظر المواريث بتحصيل خمسة الآف دينار ، وبعث المقدمين الى الاسواق ففتحوا حوانيت التجار واخذوا كسوة المماليك وحوائجهم واخفافهم ونعالهم وغير ذلك ، واخذوا مركبا فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها ، واحيط بتركة نجم الدين محمد الاسعودى ، وقد مات وترك زوجة وابنة ابن ، واخذت كلها . واخذت وديعة من تركته لأولاد ايتام تحت حجره ، مبلغها نحو خمسين الف درهم ، وانفقت فى يومها على المماليك والخدام ، وفتحت قيسارية جهاركس ، وأخذ منها مقاطع الشرب « قماش رفيع من الكتان » برسم الكسوة . فارتجت المدينة باهلها ، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا ، فصارت مفتحة ، والاعوان تنهب لانفسها ما ارادت ، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر الا باك او صائح او نائح ، فكانا يومين شنيعين ، وعول ارباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها ، فعرف النشو السلطان ذلك فنودى « من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق » ففتحوها ..

نعم ..

لم يبق فى مصر الا باك او صائح او نائح .

هكذا فى بساطة وقوة يلخص المقريزى ما وصل اليه حال الناس تحت سطوة النشو ، وتمضى السنوات حافلة بظلمه ، يمضى النشو الى الاقاليم فيصادر الأموال ، واذا أفرج عن انسان يشق هذا عليه ، ولا يهدأ له بال حتى يعيده مرة أخرى الى السجن ، وفى هذا الخضم تجرى



محاولة لاغتيال النشو ، إذ حدث فى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان أن اعترضه فارس ، ضربه ، فاخطأ سيفه رأس النشو ، جرح كتفه فقط ، فغضب السلطان غضبا شديدا ، ولم يحضر السماط ، وارسل الاطباء لمعالجة النشو ، وأغلظ على الأمراء بالكلام ، وما زال يشتد ويحتد حتى عاد القصاد بسلامة النشو فسكن ما به .

وتجىء سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، ولا يكف النشو ، ولا يهدأ ، يسعى فى الناس بالشر ، ولا ينجو من اذاه أمير أو طحان . وعندما يبلغه أن الوعاظ يدعون عليه من فوق منابرالجوامع ، يسعى عند السلطان حتى يمنع الوعاظ باجمعهم من الوعظ . وتستمر الأحوال على ما هى عليه فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، يأخذ النشو مال الاقباط مع انه كان فى الأصل قبطيا ثم أسلم ، ويستولى على حلى النساء ، يقول المقريزى :

« وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من اهل مصر والقاهرة والوجه البحرى والقبلى ، حتى خرج فى ذلك عن الحد »

ولكن لكل أول آخر ، ولكل بداية نهاية ..

● النهاية

سنة أربعين وسبعمائة .

فى يوم الاثنين ثانى صفر قبض على النشو ، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله ، وعلى اخيه المخلص ، ورفيقه مجد الدين ، وعلى صهره ولى الدولة .

كيف ؟

لنصغ الى المقريزى محدثنا عن هذا الزمن البعيد .

« .. وسبب ذلك انه لما أسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع وذهب أكثر اموال التجار لطرح الاصناف عليهم باغلى الاثمان ، وطلب السلطان منه يتزايد ، خاف النشو العجز فرجع عن ظلم العامة ، الى التعرض الى الخاصة ورتب مع اصحابه ذلك .

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع اخوته وصهره ومن يثق فيه للنظر فيما يحدثه من مظالم فيدله كل منهم على داهية ، ثم يفترقون وقد ابرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده ، فكان مما اقترحه ان رتب أوراقا تشتمل على فصول يتحصل فيها الف الف دينار عينا . وقراها على السلطان ، ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحى من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاوون فى اقطاعات الأمراء والاجناد وجملتها مائة الف وستون الف اردب ، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى ومنها الرزق الاحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك وهى مائة الف فدان (وثلاثون الف فدان) .

النشـــــو..
يسـعى في النـاس بالشـر ولا ينـجو من أذاه أحـد!

ويمضى المقريزى فى سرد تفاصيل ما خططه النشو مع اقاربه للاضرار بكبار الأمراء وكان ماتفتق عنه ذهنه ، هو الزام متولى كل اقليم باستخراج التقاوى من أرضه وحملها الى خزائن السلطان ، ثم تباع من جديد الى الناس بمعرفة الخاصة السلطانية . انزعج الأمراء من هذا القرار ، وقال احدهم للسلطان . « يا خوند والله ان النشو بضرك اكثر مما ينفعك

ويبدو أن السلطان امعن الفكر ، وأحس أن النشو مكروه لدى الجميع ، ولم يكن اتخاذه القرار سهلا ، فكتب الى الأمير تنكز نائب الشام يستشيره فى الأمر ، ويخبره ان النشو اصبح مكروها من الجميع ، ولكنه يخدم السلطان وينفعه ، واجاب الامير تنكز مؤيدا سوء سيرة النشو ، وختم خطابه قائلا « ورأى السلطان فيه أعلى » .

وكثرت الأوراق التى كانت تلقى الى السلطان وتحوى ذما للنشو ، ومما قيل فى بعضها :

ايا ملكا اصبح فى نشـــوة
من نشـــوة الظـــالم فى نشيه
انشيته فلتنشئن ضغائنـــا
سترى غباوتها بصحبة غيـــه
حكمته فحكمت أمرا فاســدا
وتوحشت كل القـــلوب لفحشه
سترى بوارقها اذا ما اظلمت
وتحكمت أيـدى الزمان ببطشـــه
ولتندمن نـدامـــة كسعيه
يوما اذا ذبح الخروف بكبشـــه

وقرأ السلطان فى ورقة أخرى :

امعنت فى الظلم واكثرتـــه
وزدت يا نشو على العـــالم
ترى من الظالم فيكم لنـــا
فلعنة الله على الظـــالم

وحدث ان مرض الامير يلبغا ، وكان السلطان يثق فيه ، فاقام عنده حتى يطمئن عليه ، وخلال حديثهما قال يلبغا «يا خوند ! قد عظم احسانك لي ووجب على نصحك ، والمصلحة تقضى بالقبض على النشو ، فالامراء جميعا يكرهونه ، ويكرهونك لحبك إياه ، وما من مملوك من مماليك الا يترقب غفلة منك ليقضى عليك انتقاما منك لأنك تركت هذا الشخص يعبث بمصالح الناس »

وبكى يلبغا ، وبكى الناصر ، وقام من عنده مبلبل الخاطر ، ليصدر أمرا بالقبض على النشو يقول المقريزى .

« وطلب السلطان المقدم ابن صابر ، واسر اليه ان يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة ، ولا يدعو أحدا من حواشى النشو واقاربه واخوته ان ينزلوا ، وان يقبضوا عليهم كلهم ، وامر السلطان الامير بشتاك والامير برسبغا الحاجب ان يمضيا الى النشو ، ويقبضا عليه وعلى اقاربه فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة وطلب النشو من داخلها ، فظن النشو انه جاء ليعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود اقبغا عبد الواحد ، فساعة ما وقع بصره عليه امر مماليكه باخذه الى بيته من القلعة ، وبعث الى الامير ملكتمر الحجازى فاخذ اخاه رزق الله واخذ اخاه المخلص وسائر اقاربه . فطار الخبر الى القاهرة ومصر ، فخرج الناس كانهم جراد منتشر » .

خرج الناس كالجراد المنتشر !!

لحظة مدببة فى مسار الزمن ، عندما ينتهى الكابوس العام ، فيسرى الأثر الى كل انسان ، البعيد ، الوافى ، الكبير ، الصغير ، لحظة الخلاص ، عندما يندفع الانسان الى خارج بيته ، يظن انه بمفرده ، واذا بالجميع فى الشارع ، هكذا خرج الناس كالجراد المنتشر عندما سمعوا بخبر القبض على النشو وزمرته ، وفى القلعة جلس السلطان ولازال فى نفسه شك ، انه يقول للامراء .

« وكم تقولون النشو نهب أموال الناس ! الساعة ننظر المال الذى عنده » .

فى القاهرة يعم الفرح ، أغلقت الأسواق ، واتجه الجميع الى ميدان الرميلة تحت القلعة ، كما يتجهون الى ميدان التحرير فى العصر الحديث ، او ميدان العتبة ، او إلى منشية البكرى (ليلة التاسع من يونيو ١٩٦٧ ، وليلة وفاة عبد الناصر) ، جاء الليل والناس لم تنصرف بل أوقدوا الشموع ، يرفعون على رؤوسهم المصاحف ، وينشرون الاعلام ، وهم يضجون ويصيحون استبشارا وفرحا بقبض النشو ، والامراء يشيرون اليهم ان يكثروا مما هم فيه . وقضوا الليل كله على ذلك ، وفيه زاد النيل بعد توقفه ، فقال علاء الدين الشاعر :

فى يوم الأثنين ثانى الشهر من صفر
نادى البشير الى ان اســمع الفلكا
يا اهـــل مصر نجـــا موسى ونيلكم
طغـــا وفرعـــون وهو النشو قد هلكا

صباح الثلاثاء ، نودى فى القاهرة :

« بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو » .

صباح الثلاثاء ايضا انتحر شقيق النشو ، واخرجوه فى تابوت امراة حتى دفن فى مقابر الأقباط خوفا عليه من العامة ، وتمت الحوطة على اموال النشو ، النشو الذى كان يتظاهر بالفقر والحاجة ، والذى كان السلطان يظن حتى آخر لحظة انه لا يمتلك شيئا ، فماذا وجدوا عند النشو ، فى بستان بجزيرة الفيل وجدوا أمه وامراته واخته وولديه ، ومعهم ستون جارية ، ومائتا جنبه (كيس من جلد البعير) عصير عنب ثم حمل الامراء ثروة النشو الى السلطان ووضعوها بين يديه ، وضعوا خمسة عشر الف دينار ذهب ، والفين وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين الفى درهم الى الف درهم ، وسبعين فصا بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة الاف درهم الى الفين ، وقطعتين زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف وستين حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك اربعمائة مثقال ، ومائة وسبعين خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمنة ، وكف مريم مرصع بجوهر ، وصليب ذهب مرصع ، وعدة قطع زركش سوى حواصل لم تفتح ، فخجل السلطان لما رأى ذلك ، واستمر الأمراء ينزلون كل يوم لاخراج حواصل النشو ، فوجد له من الاوانى الصينى والبلور والتحف السنية الشىء الكثير ، ثم وجدت عنده مائتى برميل مملوئين بالملوحة «سمك مملح» ، وثمانين بالجبن ، واحمالا كثيرة من بضائع الشام ولحما كثيرا من لحم الخنزير ، واربعة الاف جرة خمر ، سوى مانهب ، ووجد له اربعمائة بدلة قماش جدد ، وثمانون بدلة مستعملة ، وزراكش ومفرجات (عباءات) ، وستون قفطانا نسائيا ، ومناديل زركش عدة كثيرة ، ووجد له عدة صناديق بها قماش سكندرى كان قد صنع لحساب ملكة المغرب ولكنه اختلسه وكثير من قماش الامراء الذين ماتوا او قبض عليهم ، ووجد له مملوك تركى كان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا ، ثم وجدوا لاخوة النشو ذخائر نفيسة ، منها لصهره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش ، وستة وثلاثون مرملة (ظرف كان يوضع فيه الرمل الذى يستخدمه الكتاب لتجفيف الكتابة) مكللة بالجواهر الرائعة ، واحدى عشرة عنبرية مكللة بلؤلؤ كبار ، وعشرون طراز زركش ، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد ، وكوافي زركش ، وقدر الجميع باربعة وعشرون الف دينار .

وفى نهاية هذه السنة ٧٤٠ هجرية ، مات النشو ، واندثر أمره مات النشو عام ٧٤٠ هجرية بالتحديد يوم الأربعاء ثانى ربيع الاخر .

ولكن بعد انقضاء سبعة قرون على اختفائه ، هل يمكن القول انه اختفى من حياتنا ؟ » .

جمال الغيطانى



الأمة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

- في مَطلع القرن الخامِس عشر الهجري كان صُدور مَجلة "الأمّة". وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم، وذلك بأقلام كبار الكتاب.
- مِن رسالة المجلة :

○ جَعل المسلمين أكثر إحساسًا بمتغيرات الحياة والعمل على اختصار فترة التخلف، وترشيد الطاقات الإسلامية.

○ مواكبة التطور على هدي مِن تعاليم الإسلام وقيادة البشرية إلى الخير.

رئيس التحرير

يوسف عبد الرحمن المرطفر

- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة.
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة.
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب، في غرة كل شهر عربي

تصدر من قطر وتوزع في العالم

١٠٠ صفحة بالألوان

درويش مصطفى الفار

شجون ودروس .. من سيناء

إثر جلاء قوات الاعتداء الثلاثى (١٩٥٦) عن سيناء ، قرر المجلس الأعلى للبحث العلمى بالقاهرة ، بأمر من (جمال عبد الناصر) تكوين (لجنة) ترسم خطة لتعمير سيناء ، كى لا تقع فريسة للاحتلال مرة أخرى .. ودعانى رئيس اللجنة ، الدكتور رياض حجازى ، رحمه الله ، لحضور جلسة الافتتاح ، بحكم أننى من ابناء سيناء .. فسمعت العجب العجاب التالى :

قال الخبير التعميرى الأول ، ان أهل سيناء قوم يحترفون صناعة تهريب المخدرات (!!) فلن يصلحوا للقيام بمهام التعمير ، فرد عليه خبير ثان وقال : إننا سنعمر سيناء بقوم نرحلهم من الوادى لأنهم أهل علم بشئون الزراعة ، فبادره خبير ثالث ، ذو شعر أشد بياضاً ، وفى فمه غليون معقوف ، وقال إن أهل الوادى سوف يذهبون الى سيناء ويتعلمون تهريب المخدرات ، فلا أمل فى قيامهم بأى تعمير .. عند ذلك رفعت يدى مستأذناً فى الكلام وقلت ، مادام الأمر هكذا ، والدولة تصر على تعمير سيناء ، حتى لا تقع فريسة للاحتلال تارة أخرى ، فأرجو النظر ايها السادة في موضوع (استئجار) بعض (الخواجات) للقيام بعمليات التعمير ، وتأكدوا أيها السادة ، ان سيناء ، ستحتل مرة أخرى ، مادمنا نفكر بهذا الأسلوب العقيم .. وهنا طلب إلى (بغلظة) ان أغادر مكان الاجتماع (فورا) ، ففعلت ، بعد مشادة ..

وبعد اسبوعين ، أمرت مع زميلى المرحوم احمد الأدندانى ، وحافظ عابدين بدوى ، بدراسة منطقة (عيون موسى) ، فرفعنا لسطحها خريطة جيولوجية طبوغرافية من مقياس واحد الى عشرة الآف ، وحددنا عليها المكان الصالح لحفر بئر عميقة بحثاً عن الفحم .. ووجدت من المفيد أن أضع أيضاً على تلك الخريطة ، مجموعة عيون الماء (الخمس والأربعين) التى يظن بعض المؤرخين (دون برهان علمى) أنها هى المقصودة فى قصة خروج موسى عليه السلام من مصر .. وارسلت عينات الماء للتحليل الكيمائى مشفوعة بمذكرة للمساحة الجيولوجية برجاء دراسة إمكانية الاستفادة من تلك المياه الغزيرة الضائعة لاقامة عمران بأية صورة ، وانطلقت فى مهمة لدراسة أعالى وادى العريش فيما بين التيه والعجمة فى أغسطس سنة ١٩٥٧ إلى أغسطس سنة ١٩٥٨ .. ثم كلفت بدراسة رواسب الرمال السوداء بين بور فؤاد ورفح فى شمالى سيناء ، وفى ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتقلت للعمل فى منطقة جبل المغارة بين الاسماعيلية والعريش ، وهنالك فى سنة ١٩٦١ جاءتنى الأنباء المتواترة على السنة الثقات تقول إن جهاز (تعمير الصحارى) قد كلف أحد (المقاولين) الكبار لانشاء شبكة من القنوات والخزانات (بالأسمنت المسلح) وقبض المقاول أجره ، ثم ، بمحض الصدفة ، خطر على بال (المسئولين) أن (يحللوا) التربة ، فاذا بالتحليل يقول بأن أرض عيون موسى (لا تصلح) للزراعة التقليدية !!! وظلت القنوات الأسمنتية شاهد إثبات على جريمة (لا مبالاة) مجهولة النسب ، حتى حطمتها المجنزرات سنة ١٩٦٧ .. وقبيل اكتشاف دلائل وجود الفحم ،بمعاونة أصدقائى من البدو (سويلم أبو نيفة ، وحميد زيدان الوط) فى الطبقات الجوراسية بجبل المغارة بشمال سيناء فى ابريل سنة ١٩٥٩ ، ورد الى خطاب (سرى جدا) من الوزارة التى يتبعها العمل الجيولوجى ، يطلب منى تقريرا (مفصلا) عن تواجد خام الفيروز ، فى جبل (مغارة) لأن شركة ما قد تقدمت الى الحكومة بطلب امتياز لاستغلال ذلك الخام !!! فما زدت على أن علقت على ذلك الخطاب بكلمات مفادها ، أن جبل (المغارة) الذى أعمل فيه هو غير جبل (مغارة) الواقع بفيروزه ونحاسه فى جنوب سيناء ، وأنه أقرب للقاهرة منه الى ، راجياً النظر (بفهم) فى أرقام خطوط الطول والعرض ، التى كانت على الخريطة المرفقة بذلك الخطاب ..

● تلك مجرد عيّنات من علامات الطريق التي أدّت تباعًا إلى هزائم السنوات : ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧

● أيّها العرب إن بعد عودة سيناء ما بعدها .. فأجمعوا أمركم بوعى وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم

واعترانى تساؤل ، كيف يمكن الاحتفاظ بسيناء ، بمثل تلك العقليات التى شاء قدرنا ان تكون (قيادية) ؟؟؟

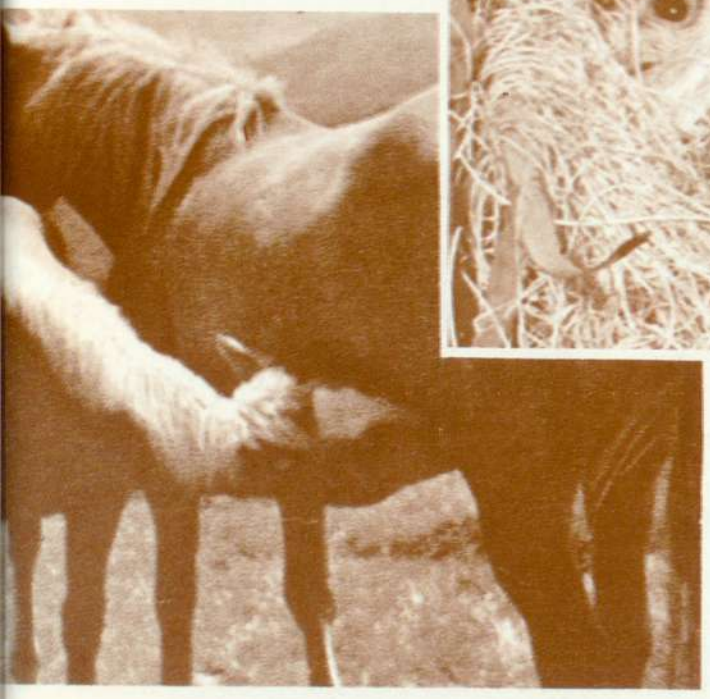
وحدثت الكارثة ، سنة ١٩٦٧ ، ووقعت سيناء كلها ، مع فلسطين كلها والجولان كلها ، بفضل العقلية العربية (الواحدة) .. واستدعيت بعد خروجى من سجن غزة فى مايو سنة ١٩٦٨ لحضور الاجتماع الموسع لمجلس بلدى مدينة العريش ، حيث ابتدرنى (ضابط الاتصال) اليمنى الأصل ، يسألنى عن سبب فشل (جهاز تعمير الصحارى) فى اكتشاف الماء الذى اكتشفته شركة (ماكوروت) خلال الكثبان الرملية جنوب مدينة العريش ؟؟ فلما وجمت ومن معى من المقهورين ، قال الرجل ، أنا سأشرح لك لماذا فشلتم فى اكتشاف هذا الماء الذى نجحنا (نحن) فى اكتشافه ، رغم أنكم عملتم فى نفس البقعة بالذات .. لقد صدر الأمر لأحد (مهندسي) تعمير الصحارى عندكم (بمأمورية) لمدة شهرين ، فوصل الرجل بخيله ورجله وآلاته وأجهزته الى المنطقة وأمر (العمال) بالبحث عن الماء ، وطفق هو يتحسس السبل ويستطلع المكان التى يستطيع من خلالها (تهريب) قائمة مطالب السيدة (زوجته) من مدينة غزة وما أدراك ما سوق غزة .. وما كاد يستوفى تلك القائمة من مصنوعات (ماكس فاكتور) وأنواع الجوارب والملبوسات (النايلون) وأجهزة (الترانزستور) حتى يأتيه البريد بخطاب مسجل من (أخت) السيدة زوجته ، يحوى قائمة حافلة بطلباتها وطلبات جاراتها وصويحباتها وسوق (الشواربى) .. وهكذا تنقضى أيام المأمورية فى إعداد (القوائم) ولا يظهر الماء ، بل ينتفى وجوده ، طبقاً لتقرير (فنى) من ذلك السيد المهندس ، الذى لا يوجد مثيل له ، قطعاً ، فى شركة (ماكوروت) .. وعند هذا الحد طأطأ كل الحاضرين من بنى يعرب بن قحطان والعدنانيين وانا منهم ، رؤوسهم الكريمة خجلا ...

تلك مجرد (عينات) من علامات الطريق ، التى أدت تباعاً الى هزائم سنة ١٩٤٨ ، سنة ١٩٤٩ ، سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ .. ولايخطرن ببال أحد ان تلك العينات ، (وقف) على قطر عربى واحد بعينه .. لا .. إنها علامات مبثوثة شائعة تتشكل بصورة أو بأخرى فى كل الأقطار العربية بين المحيط والخليج .. ولعل أقل وصف لتلك العلامات أنها (اللامبالاة) العربية المميزة لنا دون بقية خلق الله فى هذه الحقبة من التاريخ .. وكل ما يغمر المسرح العربى (كله) على سعته فى هذه الأيام العجاف ، نتيجة حتمية ، بعدل القضاء وحكمته ، لاتصافنا بتلك الصفة .. وطالما ظلت (ريمة ، بعاداتها القديمة) من اللامبالاة وعدم الجدية ، واتخاذ مختلف المشاجب لتعليق الأدران والأخطاء ، فلا تغيير ، حتى ثمالة الكأس.

قد تعود سيناء فى ابريل (نيسان) القادم ، وقد أكون من اسعد خلق الله بعودتها آنياً .. ولكن أؤكد بمنتهى الوعى والادراك أن سيناء ، سوف تقع مرة أخرى ولمدة قد تطول تاريخياً ، اذا ارتضينا (التغافل) عما هو مكتوب على باب (الكنيسيت) لشعار دولة اليهود الكبرى ، واذا لم نعمل جادين على إقامة (دولة فلسطين) الواحدة بعربها وغير العرب فيها ، على قدم المساواة ودون أى تمييز عنصرى ، عملا سداه الانتباه والتجرد ولحمته الصدق والاخلاص ومواجهة العدو والصديق بايمان بالحق ورغبة صادقة فى الاستشهاد فى سبيل ان تكون كلمة الله هى العليا ، وتجريد للفكر والقضية من كل ملابسات الدجل والتعمية والاتجار بالتاريخ والانفلات الصادق من ربقة الغرب والشرق على سواء .. ايها العرب ، إن بعد عودة سيناء ما بعدها ، فأجمعوا أمركم بوعى وإيمان بالله وعلم بحقائق العالم ، وإلا فان لعنة التاريخ سوف تواكبنا (جميعاً) إلى يوم الدين ..

درويش مصطفى الفار







الأمومة عند الحيوان

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

الأمومة قبس من رحمة الله وعنايته بعباده ، أودعه فى قلوب الأمهات ، فأصبح فى قلب كل واحدة منهن شعلة من العطف والرحمة لا تخمد نارها ، وينبوعاً متدفقاً من البر والحنان لا ينضب معينه .

ولولا هذه الشعلة ، وهذا الينبوع ، لما تعاقبت الأجيال ، ولما رأينا هذا الكون الشاسع قد امتلأ بالانسان ونسله .

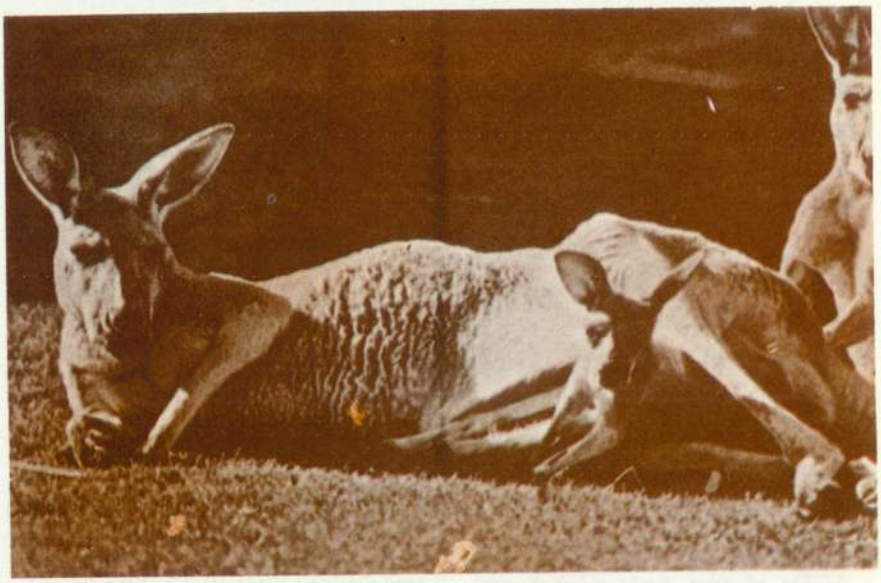
ولم تكن شعلة العطف والرحمة والحنان تضيء قلوب أمهاتنا نحن معشر بنى الانسان فحسب ، بل أودعها الله أيضاً فى قلوب اناث الحيوانات ، حتى بتنا نرى بينها ضروباً من الأمومة الراقية لا تقل روعة عما نراه عند بنى الانسان .

ولا يبدأ حنان الأم عند الحيوان بمجرد رؤية وليدها أو فقسها لأول مرة ... بل يبدأ قبل ذلك وهو جنين فى أحشائها .. وقد يبدأ هذا الحنان بابتداء وضع البيض . فالحيوانات التى تضع بيضاً كالاسماك والطيور ، تدفعها أمومتها ورغبتها فى المحافظة على نسلها الى وضع بيضها فى مكان أمين ، بعيد عن الأعداء الطبيعية ، إنها تضع هذا البيض تحت صخر أو فى داخل شق وبعض الطيور يبنى لهذا البيض عشاً محكم الصنع . ولا تكتفى الأم بذلك .. بل تسعى جاهدة إلى وضعه فى البيئة المناسبة له .

وبعض إناث الحيوانات تخشى على بيضها من عوامل الفناء ، فلا تضعه فى الأرض أو العش ، بل تحمله بنفسها . فسمك البلطى يحمل بيضه بين طيات خياشيمه .

ولكى يضمن الآباء لصغارهم الغذاء اللازم ، نرى الزنابير تجمع اليرقات وتخدرها بحقنها ببعض إفرازاتها .. ثم تضع فى كل واحدة منها بيضة ، حتى إذا ما فقس البيض وجد نسله غذاء كافياً





فى جسم الفريسة التى اقتناها له أبوه .

وهناك أنواع من الجعارين ، تخزن الغذاء فى شكل كور ، تضع بيضة واحدة فى كل منها .

ونرى بعض الحشرات تجمع الغذاء اللازم لصغارها ، وتجهزه فى عش محكم الصنع ، حتى إذا ما خرجت اليرقات وجدت ما تتغذى به ، كما هو الحال فى نحل العسل ، الذى يخزن الرحيق وحبوب اللقاح فى عيونه وخلاياه ، لتكون غذاء لصغاره بعد فقسها .

وإذا راقبنا البقرة الحامل ، لكى نقف على مدى عنايتها بجنينها النامى بين أحشائها عند دخولها حظيرتها وسط قطيع كبير ، وجدناها تسير ببطء ، وتعمل ألف حساب لهذا الجنين ، بينما نجد الابقار العادية ، التى لا يرقد بين أحشائها جنين ، تندفع إلى باب الحظيرة من غير مبالاة أو اهتمام .

وإذا ما ولدت البقرة وليدها ، نراها تلعقه لتنظفه مما علق بجسمه . هذا اللعق غريزة طبيعية عندها تأتيها دون تفكير .

وتدريب الأم لصغارها على الطيران والسباحة والعوم واقتناص الفريسة ، ضرب من ضروب الأمومة ، ومظهر من مظاهرها المتباينة . فالفراريج الرومية البرية التى تعيش فى بعض الغابات ، تظل شهراً كاملا بعد فقسها وخروجها من البيض عاجزة عن الطيران ، فتضطر أمهاتها إلى البقاء بجوارها ، لا عمل لها سوى قيادة صغارها داخل الغابة أو خارجها ، حرصاً على سلامتها ، حتى يشتد جسمها .

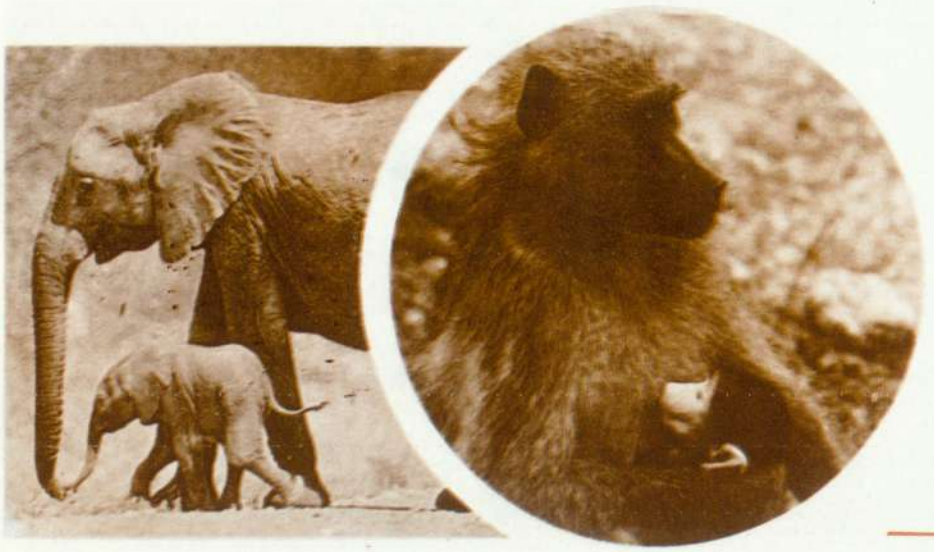
والبطريق طائر هادىء يعيش فى نيوزيلنده واستراليا وجزر المحيط المتجمد الجنوبى ... وهو هادىء الطباع يعيش معيشة اجتماعية راقية ، ومن أبرز خصائصه حنوه على صغاره . وأمه أكثر الأمهات حنوا ورعاية لصغارها ، تضمهم إلى صدرها كما كانت تضمنا أمهاتنا ونحن صغار أو كبار .

وإذا ماتت الأم تكفل الأب بتربية صغاره ، وإذا مات الأبوان تهافتت طيور البطريق الأخرى على تبنى هذه الطيور اليتيمة .

وتضع عادة أنثى هذا الطائر بيضتين فى وكر من الحصى وتحتضنهما بالتناوب مع زوجها . ومتى فقس البيض وخرجت الصغار ، يذهب الوالدان إلى البحر بحثاً عن غذاء هذه الصغار ، فيصيدان له السمك بكميات وفيرة ، وكثيراً ما يكلفهما ذلك عناء ومشقة وجهداً .

وقد تداس الصغار عند غياب أبويها بالأقدام فى الزحام ... أو تخطفهما الطيور الجارحة . ولدفع مثل هذه الاضرار تلجأ طيور البطريق إلى طريقة اجتماعية عجيبه ، فتجمع الصغار فى مكان واحد ، ويتعهد فريق من الطيور الكبيرة بحراستها والدفاع عنها ، كما يتعهد فريق آخر بجمع الغذاء وأعداده . وقد يكون الفريق الأول ليس له صغار على الاطلاق ، وقد يقوم الثاني بتغذية صغار لاتربطه بهم رابطة دم أو صلة . وفي ذلك لون جميل من ألوان التعاون والترابط الاجتماعى .

الأمومة عند الحيوان



والطيـران والعـــوم والسباحـــة واقتناص الفريسة غرايز أسسها موروثة، ولكن لا سبيل إلى اظهارها إلا بارشاد الأمهات وتدريبهن ولهذا نجد البجع تزج بفراخها قهراً إلى الماء لأول مرة لتتعلم العوم .

ولهذا نجد النسر يدفع فرخه وهو في العش إلى تمريـن عضـلات أجنحتـه فاذا ما أجبر هذا الفرخ على التمرين الجدي خارج العش ، كان ذلك تحـــت اشراف أبويه ، فتجدهمـا يشجعانه على الطيران بطيئاً بالقرب منهما ، حتى لا يتسرب إليه اليأس . وتارة يحركان أجنحتها ليقلدهما هذا النسر الصغير .

وإذا وجدا أن صغيرهما على وشك الفشل ، مال أحدهما بجسمه تحت جسم هذا الصغير ، ودعمه وقاية له من شر السقوط .

والأسود أيضاً تروض أشبالها وتدربها ولهذا نجد رعاة الأغنام فى الجهات القريبة من مرابض الأسود ، لا يهدأ لهم بال مادام هناك أشبال تحت التمرين على مقربة منهم ، إذ أن أول دروس الشبل هى اقتناص الحمل من مراعاه القريب . حتى القطط فانها تعود أولادها على مداعبة وقنص الجرذان ، وكذلك حال ابن عرس فهو يحضر الفرائس الصغيرة الحية إلى العش ليتدرب عليها الصغار .

حتى العقارب التى نخشاها ونتقى لذاها تعرف الأمومة وتدركها إلى حد يثير الدهشة والحيرة ، فهى متى ولدت صغارها تبقى دون غذاء أسبوعاً كاملا ، وتحمل صغارها على ظهرها وتسير بها ، وإذا سقطت واحدة منها تناولتها باحـدى يديها ووضعتها فوق ظهرها ، حتى إذا كبرت الصغار نوعاً وضعتها الأم على الأرض ، وراقبتها من بعد لتحميها من الأعداء ، فاذا ما اشتد ساعدها تركتها وشأنها ، تسعى لشأنها وتدافع عن نفسها .

والـدب مـن الحيوانـــات المعروفة بالحنان الزائد ... وتروى عن ذلك قصص عديدة كلها تنطق بتعلقه بأبنائه وحنوه عليهم . ومن أروع هذه القصص ما نقله بحارة السفينة كاركاس التى تجمد حولها الماء فى الأصقاع الشمالية ، وتعطلت مدة من الزمن عن السير .

فذات يوم خرج هؤلاء البحارة من سفينتهم ، وراحوا يوقدون النار للتدفئة بقطع كبيرة من دهن الحوت ... وفجأة اقبلت نحوهم دبة وجروان صغيران ، وقد بدت عليهم علامات الجوع وطبيعى أن يفر البحارة أمام هذه الدبة إلى سفينتهم التى كانت على مقربة منهم .

واقتربت الدبة الأم من النار ، ومدت مخالبها فى النار الموقدة معرضة نفسها للضرر والأذى ، وأخرجت قطعة من دهن الحوت وأعطتها لوليديها الجائعين .

وفجأة وهى تطعم الصغيرين ، أطلق بحارة هذه السفينة بنادقهم فأصابوها مع ولديها ... فهرولت نحوهما تضمهما وتلحس جروحهما . دون أن تفكر فى نفسها وما أصابها من رصاص قاتل . حاولت أن تقيم كلا منهما على قدميه . ولما عجزت عن ذلك همت بالمسير لتغريهما بالوقوف ومتابعة السير خلفها ، ولكن كان ذلك من غير جدوى ، فعادت إليهما فوجدتهما جثتين هامدتين فأدركت أن هؤلاء البحارة هم المسئولون عن قتل ولديها ،فكشرت عن أنيابها وصاحت فى صوت قوى كالرعد .. وجرت خلفهم والدماء تندفق من جراحها ، لتنتقم من قتلة ولديها .. ولكن كان رصاص البحارة اكثر أذى وأشد فتكا ، فوقعت على الأرض ، تشكو إلى الخالق ظلم الانسان للحيوان .

وحنان الفيلة وأمومتها لا تقف عند حد رعاية صغارها والدفاع عنها ، بل تعمل على تأديبها إذا اقتضى الأمر . ولقد ذكر أحد الرحالة قصة شاهدها بنفسه ، تصور هذه الناحية من الأمومة .

كانت الأم تجر جذعاً كبيراً من الخشب ، إلى جوارها صغيرها يسير بجانبها جنباً إلى جنب ، وكان جذع الشجرة مشدوداً بخطافين معلقين بسلسلتين مربوطتين فى طوق حول عنق هذه الأم . ولما بلغت الأم منحدراً من الأرض ، راحت تستجمع كل قواها لتصعد هذا المنحدر . وفجأة حرك الصغير أحد الخطافين ، فانكفأت هذه الأم على وجهها ، ففر الفيل الصغير مذعوراً إلى الغابة المجاورة ، وانطلقت الأم وراءه حتى لحقت به ، وراحت تضربه بخرطومها مرة بعد مرة . وأخيراً عاد وهو يمشى وراءها ممسكاً ذيلها بخرطومه ، وكأنه بذلك يقدم لها فروض الخضوع والطاعة .

نزار قبّاني قمّة شعريّة

بقلم : علي حسن تقي



حليف الندى يدعو الندى فيجيبه سريعاً ويدعوه الندى فيجيب

لو استبدلنا كلمة الندى بكلمة الشعر لانطبق هذا البيت على الشاعر نزار قباني . فنزار هو حليف الشعر يدعو الشعر فيجيبه سريعاً ويدعوه الشعر فيجيب . وذلك لعمري هو الشعر الحقيقي وذلك هو الشاعر الأصيل .

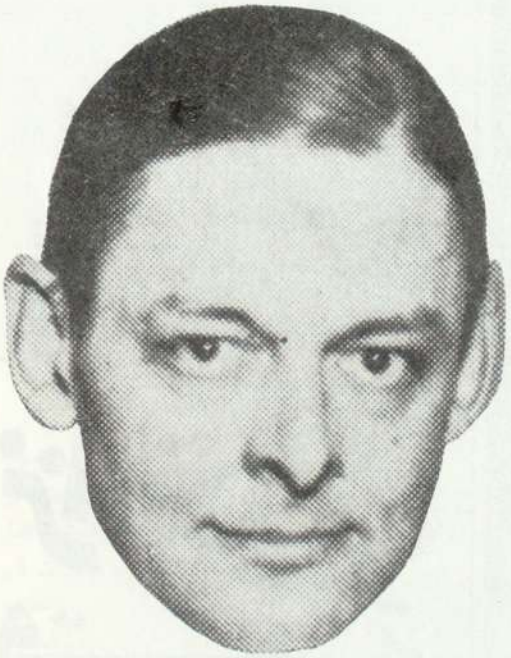
عندما قرأت نزارا لأول مرة أحببته من أول قراءة وذلك هو معيار الشعر الجميل الشعر اما ان تحبه لأول وهلة أو ان تكرهه من أول نظرة . الشعر الذى يحتاج إلى دراسة وتفكير وتقليب وتمحيص ليس شعراً الشعر الحقيقى هو الهام قبل كل شيء وانفعال ، والانفعال يأتى بسيطاً ومباشراً لا يحتاج الى اكراه واغصاب ولا يعتمد على الموضوع لكى يصبح شعراً جيداً . فكما قلنا فى مكان آخر فان الموضوع قد يكون من اتفه الأشياء ولكن الشاعر الحقيقى يطرقه فيضفى عليه جمالا ونبلا .

لقد طرق نزار قبانى مواضيع شتى وكل موضوع يطرقه يخلده ويجمله . ولكن موضوعاً واحداً خلده نزار قبانى أكثر من غيره وخلد نزار قبانى أكثر من غيره ، ألا وهو موضوع المرأة . لقد قيل عن نزار انه شاعر المرأة وهل أجمل من هذا النعت ؟ وهل أخلد من هذا الموضوع والمرأة قد عالجها نزار من مختلف الجوانب وبارق الشعر . ولا داعى للدخول فى التفاصيل فدواوين نزار متوفرة وهى تروي ذلك ولكن ما نريد ان نقوله هنا بهذا الخصوص هو ان علاقة نزاز بالمرأة هى علاقة خالدة وابدية . علاقة ود ومحبة . علاقة تفاهم وتجاذب . وهى علاقة بسيطة ومباشرة كشعره ليس بها تعقيد أو عقد . لذلك جاءت امرأة نزار انساناً جميلا راقياً وجاء نزار عاشقاً رقيقاً . ان نزار قباني ظاهرة غير عادية فى شعرنا المعاصر ولولا اسلوبه وموضوعه المجدد لحسبناه من شعراء العصر العبـــاسي فى قمته . ولوضعناه الى جانب ابي نواس وابن الرومي والمتنبي . هؤلاء الشعراء المميزون الذين رفعوا مكانة الشعر العربى وجعلوا منه شعراً عالمياً خالداً . وهكذا نزار فهو شاعر عالمى بمعنى الكلمة . فليس من المبالغة فى شيء اذا ما قارناه بالشاعر الفرنسى الحديث لوي أراجون . بل ان نزار واراجون هما من جنس واحد من الشعراء . فأراجون قد جاء فى عصر كثر فيه أنصاف الشعراء فى فرنسا وكثر فيه التعقيد والزيف بعد ان وصل الشعر الفرنسى إلى قمته فى القرن التاسع عشر أما نزار فانه يأتى فى زمن يخرج فيه العرب من عصر الانحطاط فيكثر فيه التخـبط والتقليد .

هناك وجه شبه آخر بين اراجون ونزار . فكلاهما الى جانب حبهما للمرأة بكل ما فى ذلك من رقة وعذوبة وعطر قد طرقا موضوعاً يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك ألا وهو السياسة . فأراجون كان ولا يزال شاعراً ملتزماً أما نزار فقد التزم القضية العربية . وكلا الشاعرين أجادا فى طرق هذا الموضوع إجادتهما فى طرق المواضيع الأخرى . وكلاهما لم يفقد رقته الشعرية المباشرة عند علاج موضوع كالسياسة التى يعتقد البعض أنها معقدة .

لقد ظهر نزار قبانى فى فترة كانت فيه الأمة العربية فى أمس الحاجة الى شاعر أصيل ومميز . ولكن يجب ان لاننسى الشعراء الاقل شاناً الذين سبقوا نزارا أو عاصروه فكل ادلى بدلوه بعد عهود الانحطاط الطويلة . وكل ما نأمله هو ان يكون نزار منطلقاً نحو قمم جديدة تعيد الى الشعر العربى مكانته التى يستحقها فى التراث العالمى .

دعـــوة جـــريئـــة لنـــاقـــد عـــربي كـــبـــير



الفتنة بالشاعر إليوت خطر على الأدب العربي

الجـــزء الثـــانـي

بقلم : الدكتور عبد الله الطيب

صورة اليوت

وجدت فى كتاب برنارد برغونزى عن ت.س.اليوت فى طبعته البريطانية الثانية سنة ١٩٧٢ م ص ١٤٣ (راجع الكتاب واسمه بالانجليزية : T. S. Eliot By Bernard Bergonzi

اشطاراً هجاه بها احد نقاده ونصها كما يلى :

How unpleasant to meet Mr. Eliot !
With his features of clerical cut,
And his brow so grim
and his mouth so prim
and his conversation, so nicely
Reatricted to What Precisely
And If and Perhaps and But.

وترجمتها على وجه التقريب :

ما اسمج لقاء المستر إليوت
بسمت تقاطيعه الاكليروسى .
وبحاجبه جد الكالح .
وبفمه جد المتنطس
وبمحادثته الحريصة على أن
تتقيد بأمثال ماذا تقول على وجه التحديد
وأمثال إذا كان ويجوز ولكن .

ومع ما فى هذه الأشطار من سخرية ومرارة فان الصورة التى تطالع القارىء منها غير بعيدة الصفة والملامح جداً مما يطالع قارىء شعر اليوت من اثناء أسطاره وتعليقاته قبل ان يطلع عليها . وفى الذى قدمنا ما عسى ان يشهد بصحة ما نقوله فى هذا الصدد .

الأرض التى أقفرت

قال الشاعر الجاهلى احد أصحاب المعلقات ، لبيد بن ربيعة العامرى :

عفـــت الديـــار محلهـــا ومقامهـــا
بمنـــى تابـــد غولها ورجامهـــا

وضعنا خطاً تحت (عفت الديار) إذ لفتتنا قوة الشبه بين هذا التعبير وبين عنوان إليوت لمنظومته The Waste Land

أى الأرض التى جعلت عافية فاقوت واقفرت وعفت وعفتها السنون :

... وغير الأيام والليلي ...

كما قال ذو الرمة .

فى قاموس الدكتور صمويل جونسون أن معنى Waste الصفة المشتقة من الفعل أولا يدل على تعفية المكان وجعله قفراً وثانياً يدل على الخلو مثل خلو الصحراء والبرية التى لا ديار فيها . وكلا المعنيين متضمن فى عنوان اليوت The Waste Land أى الأرض التى اقفرت أوالارض المقفرة أو قل عفت الديار .

ولاليوت بعد هذا العنوان عنوان ثان لفصله الأول هو :

The Burial of the Dead

أى : دفن الموتى .

هذا أيضاً لفت نظرى على بعد فى ذلك . شعراء العرب تبدأ فى باب الأطلال بذكر تعفية الديار ثم ذكر أن الرياح دفنتها بما أهالته عليها من غبار ثم جاءت رياح أخرى فازالت هذا

نشرت الدوحة فى الشهر الماضى القسم الأول من البحث الذى كتبه الناقد الكبير الدكتور عبد الله الطيب ، وتقدم الدوحة فى هذا الشهر الجزء الثانى من البحث ، ونحن نعتذر للقراء الأعزاء ونعتذر للناقد الكبير عن اضطرارنا لتجزئة البحث بسبب طوله ، مما لايحتمله عدد واحد ، وقد أثار الناقد الدكتور عبد الله الطيب فى الجزء الأول من بحثه قضية تأثير الشاعر الانجليزى الأمريكى الأصل « ت . س . اليوت » فى الشعر العربى المعاصر ، ودعا الناقد الكبير شعراء العرب إلى التخلص من أثر اليوت ، لأن فى هذا الأثر ضرراً عليهم وعلى مستقبل الشعر العربى ، وفى هذا الجزء الجديد من البحث يواصل الناقد الكبير شرح دعوته وتدعيمها بالحجج والأسانيد ، والدوحة تدعو الرأى العام الأدبى فى الوطن العربى إلى متابعة هذا البحث الهام ومناقشته ، وسوف تفتح الدوحة باب المناقشة بعد نشر الجزء الثالث والأخير من البحث فى العدد القادم .

« رئيس التحرير »

الغبار فبدت معالم الدار ظاهرة فيعرفها الشاعر بعد تامل ، قال امرؤ القيس :

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال

وقال ذو الرمة وبائيته مما ترجمه الأفرنج ونشروه وحققوه :

من دمنة كشفت عنها الصبا سفعاً
كما تنشر بعد الطية الكتب

وقال لبيد بعد قوله : (عفت الديار) الذى معناه كمعنى عنوان اليوت

The Waste Land :

فمدافع الريان عرى رسمها
خلقاً كما ضمن الوحى سلامها

أى كانت مدفونة فعرتها الرياح وعرتها السيول فاظهرتها ، وذلك قوله : ـ

وجلا السيول عن الطلول كانها
زبر تجد متونها اقلامها

وبعد تعفية الديار ودفن الرياح لها ثم كشفها لها من بعد وتعريتها لرسومها حتى بدت كالنقش القديم على حجارة آثار الأمم الماضية ، بعد هذا يقول لبيد : ـ

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها
فعلا فروع الأيهقان واطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على اطلائها
عوذا تاجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كانها
زبر تجد متونها اقلامها

وموضع استشهادنا هو البيت الأول الدال على أن مدافع الريان التى دفنتها الرياح ، وهذا المعنى متضمن معروف ، قد عريت فبدت ملساً عليها الآثار كالنقوش ، إما عرتها رياح معاكسة للتى دفنتها وإما عرتها السيول .

ورب قائل إن المعانى مشتركة والعواطف الانسانية التى تلابس المعانى متقاربة ، وخواطر البشر كثيراً ما تتفق ، ولذلك قديماً ما قيل ، قد يقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر ، ويرد على مثل هذا القائل بأن الصياغة والأشكال البيانية والرنات المعبرة المؤثرة هى التى يتفوق بها الشعراء والكتاب والخطباء ويتميزون عن غيرهم ، وهى التى يقع فيها التقليد والأخذ والتوليد والنظر والاغارة والاختلاس . ولقد فطن الى ذلك نقاد العرب القدماء وخصصوا له الأبواب فى تصانيفهم . ومما تعمقوا فى الفطنة اليه والتنبيه عليه أن الأخذ يكون فى نوع الصياغة كما يكون فى المعانى . من ذلك مثلا ما ذكروه عن ابى عبادة البحترى انه سال النوبختى عن بيت أبى نواس : ـ

ولم أدر من هم غير ما شهدت به
بشرقى سباط الديار البسابس

وهو آخر أبياته السينية الجميلة التى أولها :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا
بها اثر منهم جديد ودارس

أتدرى من اين أخذ أبو نواس قوله ؟ قال النوبختى فقلت لا . قال من قول أبى خراش :

ولم أدر من القى عليه رداءه
ولكنه قد سل عن ماجد محض

قلت له : والمعنى مختلف ؟ قال : اما ترى حذو الكلام واحداً ؟ وأبو خراش من شعراء هذيل

● التشابه والتوافق وتوارد الخواطر في المعاني جائز .. أما الصياغات وأشكال الأداء فأمرها مختلف

والبيت من قطعة يذكر فيها ابو خراش مقتل اخيه عروة ونجاة ابنه خراش ويمدح رجلا القى على خراش رداءه ليجيره حتى نجا ولم يعرف هذا الرجل فهذا مراده من قوله : «ولم ادر من القى عليه رداءه» وفطن البحترى الى ان ابا نواس حذا كلامه على نهج كلام ابى خراش مع اختلاف المعنى والموضوع . وقد كان البحترى ناقداً ثاقب النظر (راجع الذخيرة لابن بسام ، دار الكتب مصر ١٩٣٩ م القسم الأول المجلد الأول ص ٥٩ ـ ٦٠) .

ومن امثلة حذو الكلام على الكلام مع شدة مراعاة الصياغة على تقارب المعانى قول المعرى يصف نار القرى :

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى
ترمى بكل شرارة كطراف

والطراف ضرب من بيوت البادية .

حذا المعرى كلامه على الآية : «إنها ترمى بشرر كالقصر» وقد نبه الى هذا الزمخشرى فى تفسير هذه الآية فى الكشاف .

ومن امثلة الحذو بمراعاة الصياغة مع تباعد المعانى قول المتنبى : ـ

فيا شوق ما ابقى ويا لي من النوى
ويا دمع ما اجرى ويا قلب ما أصبى

وهو فى نسيب قصيدته (فدينك من ربع وان زدتنا كربا) حذاه على منهج ليلى الأخيلية فى رثائها توبة بن الحمير حيث قالت :

فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ويا توب للمستنبح المتنور

اهتم ابو الطيب كما ترى بمحاكاة الايقاع . (راجع التماسة عزاء بين الشعراء ص ١٢٢) .

وإنما استطردنا هذا الاستطراد للتنبيه على ان الاخذ لا يقع فى المعانى وحدها وان التشابه والتوافق وتوارد الخواطر فى المعانى جائز ، اما الصياغات واشكال الأداء فامرها مختلف ، ومتى وجدنا تشابها فيها وجب علينا ان نرجح اخذ المتاخر فى الزمان عن المتقدم وان نجزم بذلك متى ما وجدنا ما يدل على الصلات والوسائط التى يكون بها الأخذ . ورب حدس كترجيح وترجيح كجزم . والله تعالى اعلم .

ونحن إذ ذكرنا لبيداً والأبيات الأوليات من معلقته نريد التنبيه على حذو إليوت على شكل القصيدة العربية بوجه عام وعلى اول معلقة لبيد بوجه خاص وكذلك حذا على نماذج من معلقة امرىء القيس ـ على انه لا ينبغى ان ننسى غموض إليوت والتواءات اسلوبه ولا شيئيته ذات السطح المتعمق .

سياق معانى لبيد هكذا : ـ

(١) تعفية الديار The Waste Land
(٢) اندفان الرسوم ثم تعريتها حتى وضحت معالمها The Burial of the Dead
(٣) هطول امطار الربيع وما نشا عنها من زيادة التعفية .

April is the cruellest month

جعلنا فى مقابلة سياق لبيد بعض عناوين إليوت وابتداءاته سياق تاليف إليوت ينتهى بعد عنواينه ، Tre Waste Land
(الأرض المقفرة ، الأرض التى عفت ، عفت الديار)

(اى دفن الموتى وقد تقدم كلامنا عنه) ، بذكره الربيع وامطاره كالذى صنعه لبيد فى قوله :

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

قال اليوت بعد العنوانين اللذين يشبهان طريقة بدء قدمائنا بعفاء الديار واندفانها (انظر منظومته من السطر ١ ـ الى ـ ٨ ص ٢٧) : ـ

April is the cruellest month
breeding
Lilacs out of the dead land,
mixing
Memory and desire, stirring
Dull roots with spring rain.
Winter kept us warm, covering
Earth in forgetful snow, feeding
A little life with dried tubers.
Summer suprised us .....

نلفت النظر اول شىء الى لزوم إليوت فى خمسة من أسطاره هذه نظاماً ذا شبه بالقافية العربية وهو الصيغة الصرفية (انق) ing .
وقد جاء بسجعة تامة فى (بريدنق ـ breeding
القاف مقاربة للكاف كنطقها فى دارجتنا ودارجة كثير من البلاد العربية) و feeding (فيدنق) وكالتامة فى Stirring (ستيرنق) وفى covering (كفرنق) وترجمة كلام إليوت الذى مر كما يلى على وجه التقريب :

ابريل اقسى الشهور ، منبتا
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوة ، مثيرا
الجذور الفاترة بمطر الربيع .
كان الشتاء قد حفظنا فى دفء، مغطيا
الأرض فى الجليد الناسى ، مطعما
حياة قليلة بانابيش جافة .
فاجانا الصيف .....

قول إليوت : ابريل اقسى الشهور الخ بعد تعفية الأرض The Waste Land وبعد دفن الموتى The Burial of the Dead يشبه قول لبيد:

رزقت مرابيع النجوم وصابها
ودق الرواعد جودها فرهامها

الجود بفتح الجيم وسكون الواو المطر الغزير والرهام بكسر الراء وهاء مفتوحة بعدها الف ثم ميم جمع رهمة بكسر الراء وسكون الهاء ، وميم مفتوحة بعدها علامة التانيث التاء المتحركة وهى الأمطار الخفاف اللطيفة .

ترجمة هذا البيت كما ترجمه المستشرق الانجليزى السير وليم جونز :

The rainy constellations of spring have made their hills green and luxuriant: the drops from thunder clouds have drenched them with profuse as well as gentle showers.

مجمل معنى كلام لبيد ان امطار نجوم الربيع هطلت على هذا المكان المقفر فزادته توحيشاً لتعفيتها كل اثر ولخلوه من الاحبة ولحلول النعام والبقر الوحشية وما اشبه فيه بعد عهدهم. هذه قساوة لا تخفى .

مع هذا علينا ان نتذكر ان السير وليم جونز جاء في ترجمته بكلمة.. showers ومعناها رش المطر وهموله فى قوله :



أبو نواس



المتنبى



أبو العلاء المعرى



برتراند راسل

..... profuse, as well as gentle Showers ...

ليدل بذلك على معنى المطر الغزيز (الجود) والأمطار الخفاف اللطاف (الرهام) او كما قال لبيد : « ودق الرواعد جودها فرهامها » .

- قول وليم جونز هنا « ... Showers ينبغى ان يوقف عنده لأن هذه الكلمة كثيراً ما ترتبط فى الذهن بالقول الانجليزى المعروف الجاري مجرى المثل :

March winds, April showers, Bring fourth May flowers.

اى رياح مارس وامطار ابريل .

تخرج بهن ازهار مايو .

(لايخفى ان مارس هو اذار وابريل نيسان ومايو ايار فمن شاء ان يضع ذلك مكان ما وضعناه فله ان يفعل) .

وابريل بحبوبة اشهر الربيع فذكره يدل عليه . واستشهدنا بترجمة وليم جونز لنشير إلى أنه لوصح ان إليوت اطلع عليها فانه يكون بنى قوله « ابريل اقسى الشهور » على كلمة Showers الواردة فيها . وقد سبق التنبيه منا على ان قوله : « ابريل اقسى الشهور » بعد عنوانيه الدالين على العفاء والاندفان شبيه فى سياقه بسياق لبيد :

(١) عفت الديار محلها فمقامها ...
(٢) ... جلا السيول عن الطلول ..
(٣) رزقت مرابيع النجوم ...

ولا يقف الأمر عند هذا كما سيجيء من بعد ان شاء الله .

هنا نتساءل : هل اطلع إليوت حقاً على ترجمة السير وليم جونز للمعلقات ؟

أعمال مستشرق قدير

كان السير وليم جونز Sir William Jones من قدماء الاستشراق وجهابذته تعلم فى هارو واكسفورد (التى قصدها إليوت وتعلم بها) واتقن اللغات الكلاسيكية (اى اليونانية القديمة واللاتينية) مع الفرنسية ولغات اوربية معاصرة اخرى ودرس العربية والفارسية وكتب ملخصا فى نحوها وبعد درسه القضاء واشتغاله بالقانون عين قاضياً بالمحكمة العليا بفورت وليم (كلكتا) بالهند وتعمق فى درس السنسكريتية (لغة الهند القديمة) وكتب رسالة عن الشعر الشرقي باللغة الفرنسية Traité sur la Poésie Orientale طبعت اول مرة بلندن سنة ١٧٧١م م واعيد طبعها واعاد كتابتها بلغته الانجليزية ايضا اشاد فيها بمكان الشعر العربي ونبه على موضع معلقة لبيد وامرىء القيس ، واستشهد في ما استشهد بقول ابي تمام :

إن القوافي والمساعي لم تزل
مثل النظام اذا انصـــاب فريداً
هى جوهر نثر فان الفنـــه
بالنظم صـار قلائداً وعقوداً

مترجماً للبيتين من دون ذكر نصهما العربي . وله مختارات من اشعار العرب والفرس وامم للشرق من ضمنها لامية المعري :

أعن وخد القلاص كشفت حالا
ومن عنـــد الظـلام طلبت مالا

اوردها نموذجاً لشعر المدح الذى استشهد على اهميته ببيتي ابي تمام المتقدمين . وكان ابو تمام من اوائل من عرفه المستشرقون وطبعت حماسته فى المانيا سنة ١٧٤٨ وترجمت باللاتينية وقد تاثر جوتة الشاعر الالماني فى ترجمته للامية المنسوبة إلى تابط شراً :

إن بالشعب الذى دون ســلع
لقتيـــلا دمـــه ما يطـــل

بترجمة فريتاغ اللاتينية فى ما زعمه للمستشرق الانجليزى السير شارلس ليال . (انظر ترجمته لها وتعليقه ص ٥٠ من مختاراته للترجمـــة من الشـــعر العربي القـــديم

Translations of Ancient Arabian Poetry تاليف شارلس جيمس ليال

Charles James Lyall

للوظف ببنغال طبع لندن ١٨٨٥ م) .

وترجمة السير شارلس ليال هذه ذكر هو نفسه انه صنعها متاثراً بترجمة المانية للحماسة .

ترجمة المعلقات السبع

وقد ترجم السير وليم جونز المعلقات السبع ترجمة حسنة ناصعة الاسلوب وجعل لكل معلقة مقدمة موجزة وافية تحدث فيها عن الوزن وما يقابله من اوزان الانجليزية وعن طريقة اسلوب الشاعر ومعانيه وتشبيهاته ومجازه وعناصر الوحدة في نظمه واردف ذلك بكتابة بالحرف اللاتيني بحسب النطق لكل مبالغة منه فى التقريب . وقد تاثر به واقتدى ليال فى كتابه للشار إليه آنفا ونيكلسون فى ترجماته التى ضمنها تاريخه للادب العربى . ولم يترجم ليال من المعلقات غير اخر لامية امرىء القيس وغير ميمية زهير وكانه اكتفى فى هذا المجال بعمل السير وليم جونز لجودته . وترجمة السير وليم جونز للمعلقات فى ٤٦ صفحة نشرت وطبعت بلندن سنة ١٧٧٢ م وسنة ١٧٨٣ م ومرات بعد ذلك وتوجد من ذلك نسخ فى مكتبة المتحف البريطانى رايتها ومن قبل اعتمدت على نسخة صورت لى منها وفى كمبردج نسخة من مجموعة مؤلفات السير وليم جونز صورت لى منها نسخة من رسالته عن الشعر الشرقي المشار اليها آنفا ولا ريب فى وجود نسخ من مؤلفاته باكسفورد وسوى ذلك من الخزانات الجياد وترجمة السير وليم جونز المستشرق فى الجزء الثالث عشر من للوسوعة البريطانية ومكان اسمه فى الفهارس عامر بما له من تصانيف ومن اهم تاليفه ترجمته للسكونتالة وهى من مسرحيات اللغة الهندية القديمة وترجح الموسوعة البريطانية (ج ١٣ ص ٢٤٤ طبعة ١٩٤٧ م) ان مؤلفها كالداســـة Kalidasa من ادباء الهند القديمة عاش فى المائة الميلادية الثالثة . وللسير وليم جونز كتاب فى الموازنة بين تشريع الملكية الخاصة عند للسلمين وعند الهندوس وغير ذلك مما هو ادخل فى حدود فلسفة القانون وعلوم الاجتماع .

صـلة إليوت بالاستشراق

إذا تذكرت ايها القارىء الكريم ان إليوت كان على جوينب من الاستشراق إذ قد درس لغة الهند القديمة سنتين بهارفارد وفلسفة الهند مدى سنة وهو يعد للدكتوراه ، ثم عدل عن ذلك لما وجد فيه من العسر وقد قال إن دراسته هذه ، معترفاً بما

اصاب فيها من مشقة ، تركته فى حيرة مستنيرة enlighted myctification (راجع كتاب برغونزى ص ٢٣) ومع ذلك كان يزعم انه كان يتذوق الشعر السنسكريتى وقد ترك فى نفسه اثراً عظيماً . إذا تذكرت هذا واضفت إليه صحبته لازراباوند وتاثره به وكان هذا ذا ولع صادق فيه او كاذب بلغة الصين وآدابها . وإذا اضفت ايضاً أن إليوت اتصل بجماعة التصويريين (Imagists) ـ وكانوا يدعون إلى محاكاة اشعار الشرق واساليب أغانى العهد القديم العبرانية ، وزدت على هذا أن إليوت نفسه قد ذكر انه كان قرأ فى صباه رباعيات الخيام المترجمة واعجب بها . (احسب أن إليوت نكر ان ذلك كان منه فى زمان الصبا انفة منه أن ينسب إلى الرومانتيكية وهو صاحب كلاسيكية فى زعمه وواقعية جادة ، ونذكر على سبيل الاستطراد فى هذا الصدد مقال برتراند رسل Bertrand Russel فى كتابه History of Western Philosophy تاريخ الفلسفة الغربية طبعة ١٩٧٤ ص ٦٥٤ حيث قال عن الرومانتكيين الالمان انهم كانوا شباباً وفى اوج شبابهم كان أجود تعبيرهم عن الروح الرومانتيكى ، اما الذين لم يسعدهم الحظ منهم بالموت فى الشباب كما قال فقد طاحت فرديتهم إذ طغت عليها فغطتها الكثلكة بما تتطلبه من خضوع وتسليم . فهل كان تراجع إليوت من مذهب اسرته وآبائه البيوريتاني ـ والبيوريتانية طرف من المذهب البروتستانتى ـ إلى محافظة الكثلكة الانجليزية من دافع رومانتكى ياترى ؟) ـ هذا وإذا تذكرت مع ما تقدم أن إليوت أديب مثقف ناقد قارىء وذو دعوى فى ذلك طويلة عريضة ، الا ترجح معى حينئذ الا يكون قد خفي عنه مكان السير وليم جونز المستشرق فى معرفته باللغات الشرقية والصينية والسنسكريتية وآدابها وفلسفة الهند القديمة مما زعم انه اثر فيه وإن يك قد وجد فيه عسراً وانصرف عن مواصلة درسه متحيراً مستنيراً كما زعم ، ولعل السكونتالة مع ترجمة فيلم جونز كانت من مقرر الدرس . وقد كانت رسالته الفرنسية واختها الانجليزية عن الشعر الشرقى معروفتين عند المستشرقين وقد ذكرنا انه نبه على المعلقات وعلى إمرىء القيس ولبيد وقد دافع عن شعر العرب وقطع بان الافرنج الأوائل إنما اخذوا القوافى عن عرب الأندلس .

اضف الى هذا أن اليوت كان معجباً بالبريطانيين وإمبراطوريتهم معتزاً بذلك ، وقد ترك بلاده التى كانت تعد من بلاد الرمز إلى الحرية لثورتها على الاستعمار فى سنة ١٧٨١م ولاعلانها حقوق الانسان ، وتجنس بالجنسية البريطانية وببريطانية اقام والى كنيستها الانجلوكثلوكية انتهى .

● من هو الذي فطن إلى أن إليوت أخذ من الأدب العربي القديم ؟!

الشيء بالشيء يذكر

ونذكر من باب الاستطراد أن اليوت كان شديد الاعجاب بالشاعر المعاصر لزمان شكسبير جون دون John Donne

وكان غامض العبارة كثير الاشارة متلوى عقد الاسلوب واسع الاطلاع عالماً بالكوميدية الآلهية لدانتى فى نصها الأصيل من أسرة متطرفة فى الكثلكة نشا كاثوليكيا ثم تحول الى كنيسة انجلترا الانجلوكثوليكية واخلص فى خدمة الملك واتهمه بعض نقاده بانه كان فى نفسه منطوياً على شعور بالخيانة لعقيدته وتراث اسرته فذلك جر عليه كثيراً مما اخذ به من عقد الأسلوب . وحمد النقاد لجون دون انه قارب برنة نغمه الشعرى رنات نبرات الكلام الذى يدور فى حديث الناس . هذا الشيء بالشيء يذكر ، فتامل .

ونعود الى ما كنا فيه فنقول لابد ان يكون اليوت قد اطلع على مؤلفات السير وليم جونز فى شعراء فارس والصين والهند وضروب تصانيفه فى هذا الباب الشرقى الفضى الذى كان فيه من اعمدة استاذيه شارلس لامان وجيمز وود (Charles Lammans and James Wood)

استاذى السنسكريتيه والفلسفة الهندية بهارفارد بلا ريب . وهل تظن أيها القارىء الكريم انه إذا دعا واجب الدرس إليوت الطالب المعد للدكتوراه أن يتحير ويستنير بشعر السنسكريتيه ـ وهو أمر اقر بمعرفته وادعى تذوقه وسكونتالة جزء منه ومعرفة ترجمتها متممة لتذوقه ـ هل تظن انه اذا اطلع على ذلك وعلى ما ترجم من أدب الفرس وكان اليه مائلا ولوليم جونز فيه من العمل ما قد قدمنا ذكره مع اختياراته من شعراء الشرق ومن بينهم حافظ الشيرازى ... هل تظن انه اذا فعل ذلك سيتجاهل كتاب وليم جونز الخفيف اللطيف الوافى الذى ترجم فيه المعلقات ؟ هذا مع العلم بان السير وليم جونز قد نبه فى رسالتيه الفرنسية والانجليزية عن مكان شعر المعلقات الرفيع ؟

المستشرقون قبيلة فكرية

إن مكتبات الاقسام الشرقية فى جامعات اوروبا كثيراً ماتكون فى موضع واحد ، وكثيراً ماتقع بين طلبة لغات الشرق الذين يختلفون اليها ضروب من التعارف وتبادل الآراء ، ويكونون اشبه بقبيلة فكرية واحدة ، فيشتاق من يقرأ الهندية مثلا ان يقرأ لمستشرق مشهور كتب في آداب الفارسية او التركية أو العربية مثلا او كتب فى باب من ابواب الأدب المحض ذى الطابع الشرقى القوى كالسير شارلس دواتى Sir Charles Doughty فى كتابة Arabia Desert (اى الصحراء العربية) ورديارد كبلنخ Rudyard Kipling فى قصته (كم) Kim وغيرها واشعارها وكان اليوت به معجباً وقد عاصره ولعله لقيه وكان يقال له شاعر الامبراطورية الكبير ووصفه إليوت بانه كان من كتاب التراتيل الدينية العظام فيما ذكره روبسون (ص ١٧) a great human writer

. وكان للمدرسة الهندية البريطانية فى للكتبة الشرقية مكان مرموق وقد قدمنا ذكر السير وليم جونز وكان فيها بمنزلة المؤسس وممن كان ينتمى اليها من كبار المستشرقين السير شارلس ليال صاحب ترجمة المختارات التى مر ذكرها ومن بينها شيء من المعلقات (زهير وامرىء القيس) وصاحب ترجمة المفضليات والشرح والتعليق الوافى (اكسفورد ١٩١٨) وراجع للمزيد فى هذا الصدد تاريخ كمبردج الصغير للأدب الانجليزى الذى مر ذكره فى الفصل الذى جعله للأدب الهندى الانجليزى من ص ٧٣٤ إلى ص ٧٤٤ . وقد نشر مكانتني على زمان اليوت شعر ذى الرمة ولعله لقيه وقد ترجمت بائية ذى الرمة من قبل . وقد ترجمت المعلقات بالفرنسية وبانت سعاد وترجم بالالمانية شعر عربى كثير وكان اليوت بالفرنسية والالمانية وغيرها عالماً وقد درس بالمانيا كما درس بباريس .

إذا صح ما قدمناه من تعارف أسرة من يعرفون للغات الشرقية وتقارب أسباب قبيلتهم فكيف يكون الامر إذ كان احد هؤلاء أديباً شاعراً طموحاً موسوعياً ذا مقدرة ودهاء مثل إليوت واصاب ضالة نادرة فى موسوعى نادر مثل وليم جونز الذى لما وصل الى الهند كان مستشرقاً ناضجاً وزاد فيها نضجاً وفتح الطريق لمن بعده ؟

على أن الاستشراق فى زمان إليوت فى هذا القرن الميلادى العشرين إلى قريب من اوساطه قد صارت تغلب عليه سمة التخصص مكان للموسوعية فاذا اخذ اليوت مثلا من الأدب العربى وهو غير معروف بانه درس لغة العرب وآدابها ولكن معروف بان درسه إنما كان للغة الهند

القديمة ، فمن سيفطن الى انه اخذ من الادب العربى القديم ثم يتهمه بناء على ذلك بالسرقة من أدب العرب ؟

بعيد جداً أن يتنبه احد الى السير وليم جونز صاحب ترجمة السكونتالة او الشاكونتالة Shakuntala

(تاريخ كمبردج ٧٣٥) والمختارات من اشعار فارس والهند والصين هو ايضاً قد كان طريقاً سرياً خفياً سلكه إليوت الى النظر أو الأخذ او الاختلاس او السرقة من أسلوب المعلقات وشكل صياغتها ومعانيها وكتمان ذلك وإخفائه كل الاخفاء وحذفه كل الحذف ، كما قد حذف كلمة (العربية Arabian) واشارته الى وليم وردزورث وكلمة (جزيرة العرب Arabia) واشارته الى والتردي لامير . نعود بعد هذه الفذلكة الى ما كنا فيه من تتبع أسطار منظومة إليوت .

ليلاك أو ليلك

أول ما ذكره إليوت من شواهد قساوة ابريل انباته زهرة ليلى وهى التى يقال لها في الانجليزية (ليلاك lilac) ونقل برغونزى (ص ٥) أن الليلاك كان كثيراً فى سياجات هارفارد النباتية كانه يشرح بذلك وروده في شعره . وذكر إليوت هذه الزهرة الشرقية الاسلامية المعدن فى سياقه الذى يقرنها فيه بالذكرى والجنس عجب : (راجع قوله :

....., breeding
Lilacs out of the dead land.
mixing
Memory and desire, ...

والترجمة : منبتا
زهرة ليلى من الأرض الميتة ، مازجا
الذكرى بالشهوه)

إذ قد كان اشبه باساليب لغته وحضارته لو قد نكر الورد وكان من ضروب نواوير اوروبا وبريطانية وامريكا ــ أم ليت شعرى هل فر من رومانتكية الورد وما بمجراه ؟

فى معجم اكسفورد فى تخريج كلمة (ليلاك Lilac) أن أصلها من (ليلك) العربية ولا وجود لهذا اللفظ (ليلاك او ليلك) فى العربية إسماً لهذه الزهرة ، وأصل هذا التخريج من المستشرق ر . دوزى R. Dozy (راجع المجلد الثانى ص ٥٦٢ من معجمه طبعة باريس ولندن ١٩٧٢ ــ واسم المعجم يدل على انه تكملة وملحق للمعاجم العربية : Supplement aux Dictionaires Arabes)

ظن دوزي أن النيلج بكسر النون هو الليلاك lilac مع انه كان يعلم ان النيلج هو النيلة الزرقاء . وذكر الفيروزابادي (النيل) بلا تاء فى


دانتى


حافظ الشيرازى

اخرها فى مادة (وسم) فى تفسير لفظ الوسمة بفتح الواو وكسر السين او سكونها وبعدها ميم مفتوحة فهاء التانيث قال الفيروزابادى : « ورق النيل او نبات يخضب بورقه» واحسب ان الشك جاء الفيروزابادي من ان لفظ العظلم الوارد فى شعر عنترة يستخرج منه صبغ اسود او النيلة وقيل هو صبغ احمر وبيت عنترة هو قوله فى معلقته :

عهدي به مد النهـار كانما
صبغ البنان ورأسه بالعظلم

وذكر الفيروزابادي (النيلج) بكسر النون فى مادة (نلته) وذكر طريقة استخراج (النيلج) بمعنى (النيلة) من العظلم . جاء هنا بالنيلة مقرونة بالتاء المتحركة علامة التانيث وفى شرحه لكلمة (الوسمة) ذكر النيل مثل اسم نهر النيل بلا تاء التانيث . وكلمة (النيلج) بكسر النون غير عربية الاصل ولكن معربة مثل فالوذج ولوزينج وهلم جرا ومعنى النيلج كما تقدم النبات الذى تستخرج منه النيلة الزرقاء .

واضطرب شراح بيت عنترة واكتفى السير وليم جونز برسم لفظ العظلم نفسه بالحرف اللاتيني من دون ترجمة له ، هكذا (Idhlim) والراجح عندى أن عنترة اراد الزرقة لا الحمرة يكني بذلك عن الموت وذهاب حمرة دم الحياة . وقد نقل عن الأزهرى انه اختضب بالعظلم يسود به شعره فهذا يقوى ما ذكره الفيروزابادي وعليه تفسير التبريزي فى شرحه أن العظلم هو الوسمة ولم يزد على ذلك .عنى عنترة ان عهده به ، وقد قتله ، وقد صار لون رأسه كله ، والوجه من الرأس ،ولون اصابعه ازرق هامداً بعد ان كان كل ذلك مشرقاً ناضراً بالحياة . ولا يخلو عنترة فى قوله هذا من بعض التعريض الساخر المر ، كان يقال مثلا : « صار المسكين اسود مثلى انا العبد بعد أن كان حراً ابيض » : قال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . والله تعالى اعلم .

ليس (النيلج) بكسر النون هو الليلاك lilac

الليلاك شيء غير النيلج . الليلك lilac هو زهرة ليلى الفارسية وقد يقال له فى عربية اليوم زهر البنفسج وليس كله بنفسجياً ولكن منه ذو اللون البنفسجى وذو اللون الأبيض . وفى معجم اكسفورد ومعجم وبستر أن الشبه المتوهم بين اللون الأزرق واللون البنفسجي هو مما جعل اسم « ليلاك lilac » يطلق على الزهرة المسماة باسمه اشتقاقاً من كلمة (النيلج الدالة على اللون الأزرق وهذا اصله من دوزي وهو بعيد وليس بشيء . وفى معجم لاروس الفرنسي أن اصل « الليلاك » من بلاد الشرق الأوسط وانه يزرع من اجل نواويره البيض والبنفسجيات وذكر لاروس انه من اسرة Oléacées (اولياسيه) التى منها الياسمين والزيتون .

ويظهر أن هذه الكلمة الفرنسية Oléacées (اولياسيه) نفسها قد حرفت من الفارسية (جل ياس) تنطقها كالجيم المصرية بين الكاف والقاف وتكتب بالكاف المعقودة (كل ياس) .

و (جل ياس) أصلها من (جل ليلى) او (كل ليلى) أى وردة ليلى أو زهرة ليلى ثم شبهوها بالياسمين فقالوا (جل ياس) او كل ياس) . ونبئت أن (جل) بالجيم التى كالكاف معناها بالفارسية الورد وهى أصل الجل بفتح الجيم وضمها الواردة في شعر الأعشى :

وشاهدنا الجل والياسمو
ن والمسـمعات بقصابهـا

قال الفيروزبادى : (وبالضم ويفتح الياسمين والورد ابيضه واحمره واصفره) ومن (جل ياس) اخذت كلمة Oléacées الفرنسية ومنها اخذت الكلمة الدالة على هذا الزهر فى الفرنسية الآن وهى : ليلا بكسر اللام بعدها ياء فلام الف (lilas) ــ راجع لاروس الكبير طبعة ١٩٧٥ م المجلد ٤ ص ٣٠٥٣ والمجلدة ص ٣٧٦٠ . وراجع ايضاً للمعجم الفارسي المتوسط لمحمد معين طبعة طهران ١٩٧٥ ص 5243 في المجلد الرابع وقد اطلعت عليه واستعنت بمن يعرف الفارسية ومنه افدت ما تقدم وذكر كلمة (ليلك) وهى ذات مدلول مختلف فى المجلد ٣ فى ص ٣٦٧٠ . وقد نكر لين Lane فى معجمه العربى الانجليزى أن الجل من أصل فارسي واصاب (طبعة بيروت للصورة ١٩٨٠ م ٢ ص ٤٣٧) والعجب لبادجر Badger فى معجمه العربى الانجليزى تصوير بيروت ١٩٨٠ م ص ٥٧٦) إذ ترجم : (ليلاك lilac) بـ(لعلى)وهىلفظلاوجود لـــه .

الجزء الثالث والأخير
في العدد القادم

بدأ الاهتمام بتعليم الفتاة وتربيتها منذ أن قام رفاعة الطهطاوى بتاليف كتابه « المرشد الأمين للبنات والبنين » ، ثم تطورت قضية المرأة العربية منذ ألف قاسم أمين كتابيه : « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة »
وقد اختلف المفكرون من قضية تحرير المرأة ، فقالوا عنها ما قالوا ، وذهبوا فيها مذاهب ، وكان الممانعون فى تحريرها وتعليمها أكثر بكثير من المؤيدين لها . وقد دخل الشعراء ميدان المعركة مؤيدين ومعارضين فالهبوا ضرامها ..

شعراؤنا وقضية تحرير المرأة

بقلم : صبري أحمد نصره

ساند الشعراء فكرة تعليم المرأة وتربيتها حتى تتمكن من تادية رسالتها على الوجه الأكمل لأن المرأة هى الأم التى تغرس النبتة الأولى من التربية فى نفوس النشء ، وتضع الحجر الأساسي فى بناء أخلاقه ، وإذا كان نور المعرفة لم يشع على عقلية الأم ، فكيف يتيسر لها أن تمثل دورها على صورة نافعة ، ومن أين تغترف هذه الثقافة التى تحتم عليها رسالتها بان تبثها فى الطفل .

يقول الشاعر العراقي معروف الرصافي :

هل يعلم الشرقي أن حياته
تعلو إذا ربى البنات وهذبا ؟
وقضى لها بالحق دون تحكم
فيها وعلمها العلوم وأدبا ؟

ويقول شاعر العراق الكبير جميل الزهاوي :

إنما المرأة والمرء
سواء فى الجداره
علموا المرأة فالمرأة
عنوان الحضاره

ويقول حافظ ابراهيم :

من لي بتربية النساء فانها
فى الشرق علة ذلك الأخفاق ؟
الأم مدرسة إذا أعددتها
اعددت شعباً طيب الأعراق ؟

ويقول خليل مطران :

هذب بنات الشعب إن شئت أن
تبلغه اقصى المنى من أمم
إن لم تكن أم فلا أمة
وإنما بالأمهات الأمم

إن أغلب الشعراء قد أيدوا تعليم الفتاة من أجل أن تكون أماً صالحة فقط ، ودون أن تشارك فى الأعباء الاجتماعية ، والحياة السياسية
يقول العقاد :

« والواجب أن نعني أولا بتعليمها ما تنشأ به امراة قادرة على النهوض بنصف أعباء الهيئة الاجتماعية » .

الحجاب والسفور

وقف الشعراء إزاء الحجاب والسفور فريقين : فريق يؤيد الحجاب ، وفريق يؤيد السفور ، فاما الفريق الأول فهو يرى أن سفور المرأة مخالف للدين والتقاليد ، واعتبروا هذا نذيراً من نذر الشر . وأما الفريق الثاني فهو يتحمس لهذا السفور ويعده دعامة قوية من دعامات التقدم .

يؤيد شوقى السفور قائلا :

قل للرجال طغى الأسير
طير الحجال متى يطير ؟
أوهى جناحيه الحديد
وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره
وأطال حيرته السفور

ثم يقول شوقي إن حرية المرأة كحرية الرجل على حد سواء :

حرية خلق الاناث
لها كما خلق الذكور

وكان الشاعر العراقى جميل الزهاوى من أجهر الشعراء صوتاً بالدعوة الى تحرير المرأة . فقد قال فى ذلك :

مزقي يا ابنة العراق الحجابا
واسفرى فالحياة تبغى إنقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث
فقد كان حارساً كذابا

ومن المعارضين للسفور : الشاعر محمد بن عبد المطلب ، فهو القائل :

حافظ ابراهيم



هدى شعراوى



معروف الرصافي



خليل مطران



عباس العقاد



ما هذه الحبرات تهفو
في الخمائل والحقول ؟
نكر العفاف ذيولها
ومن الخنا قصر الذيول
أودى شفيف نقابها
بكرامة الأم البتول
وانجاب جيب قميصها
عن وصمة الشيخ البجيل
وعلا رنين حجولها
أسفاً على الذيل الطويل
فاذا مشت هتك النقاب
محاسن الوجه الجميل

أما حافظ ابراهيم فكان ذا موقف معتدل في الحجاب والسفور ، فهو القائل :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن في الأسواق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الأحداق
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
في الحجب والتضييق والارقاق
ليست نساؤكم حلىً وجواهرا
خوف الضياع تصان في الأحقاق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا
فالشر في التقييد والاطلاق

لم تكن حرية المرأة في مجموعها إيجابية ، بل كانت لها سلبيات ، وهذه السلبيات لم تكن من صنع دعاة حرية المرأة ، بل ممن أخطأن فهم هذه الحرية ...

الايجابيات

● أصبحت الحركة النسوية قوة وطنية يعتد بها وعاملا قوياً من عوامل النهضة الوطنية ، فقد خرجت أول مظاهرة نسوية في مصر عام ١٩١٩م للاشتراك في الثورة القائمة آنذاك . وعن هذه المظاهرة يقول حافظ ابراهيم :

خرج الغواني يحتجبن
ورحت أرقب جمعهنه
فاذا بهن اتخذن من
سواد الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب
يسطعن في وسط الدجنه

● أسست السيدة هدى شعراوي زعيمة الحركة النسائية في الشرق العربي جمعية الاتحاد النسائي ، وأصبح هذا الاتحاد يمثل في المؤتمرات النسائية التي تعقد في أوربا ، كما أنشأت هدى شعراوي مجلة نسائية بالعربية والفرنسية لتعريف الشرق والغرب بنساء العرب .

وفي صيف عام ١٩٣٣م احتفل نادي الاتحاد النسائي بتخرج أول فوج من فتيات جامعة القاهرة ، وكن خمس فتيات ، ودعي الشاعر خليل مطران ، فالقى قصيدة قال فيها :

أنصفت يا (نور الهدى) ولحكمة
أذكيت شعلة عزمك المتوقد
نعم المثال مثالك الأعلى لمن
بك في الرياسة والكياسة يقتدى

ومن الآثار السلبية

● إسراف بعض النساء في السفور ، مما جعلهن عرضة للسخط والنقد اللاذع .
يقول علي الجندي :

قلت ياحسناء هذا الـ
حسن بالستر قمين
بات نهباً مستباحا
لعيون الناظرين
كان قبل اليوم في حصن
من الصون حصين

● استرجال بعض السيدات مثل إدمانهن التدخين . يقول على الجندي في قصيدة له تحت عنوان (الحسان المدخنات) :

قل للغواني عن نصيح
ضاق ذرعا بالغواني
: تلك الشفاه الحائمات
على سلافتها الأماني
النافحات إذا انفرجن
بعطر أزهار الجنان
الرامزات الى المحبة
والبراءة والحنان
في ورقه الورد النضير
وفي احمرار الأرجوان
تغني مراشفها ربيب
الكأس عن « بنت الدنان »
هانت ، وهان بها « لمى »
ما كان أهلا للهوان
عبث «الدخان» بحسنها
والحسن أولى بالصيان

● ● ●

وهكذا الشاعر منذ القدم نجده وثيق الصلة بالحياة ، ومسايراً للوعي القومي ، حافزاً له ، معبراً عنه . مؤثراً فيه ومتأثراً به .

● قصـــــــــة ●

اشتياق

بقلم : فـــؤاد قنـديـل

عندما تنادى حفيدها الصغير :

ـ يا شمير .. يا ولد يا شمير .

يغرق اخوته فى بحر هادر من الضحك .. يتبعثرون فى كل اتجاه ، أجمل ما فى الدنيا أن يسمعوا جدتهم تنادى أخاهم الصغير . بفمها القطنى الفارغ ككيس نقود قديم شدوا خيطه .

العجوز وحدها فى الدار .. تبتسم فى أسى .. تتكىء على سنيها السبعين .. تتأمل خيمة الصمت تنسدل على الجدران .. تشمل الكون كله .

الكآبة وغياب الأنفاس تنسج خيوط البرد .. تنهال أكوام الثلج على كل ركن .. فى جو الوحدة والشيخوخة تنبت أعشاب الغربة والوحشة .. لا يرغب فيك أحد .. تلقى على قارعة طريق .. من يسأل عنك .. هذا زمن الفرد المتعجل يستهدف نفسه .

لم يبق من أهلها غير ابنتها وزوج ابنتها القاضى وأولادهما .. يسكنون الدور الثامن بعمارة فى نهاية نفس الشارع العملاق .. بينهما نصف ميل .

وحدها تعيش .. بلا أنيس إلا قطة ضامرة مثلها تماماً .. الوحدة والشيخوخة شيبا صباها .

منذ هذا الصباح وقلبها يأكلها عليهم لهفاً .. لكنها لن تترك بيتها الذى ضـــم زوجها حلماً جميلا ملوناً ، مازال يشع حتى الآن دفئاً تؤججه الذكريات .. أنفاسه فيه .. شريك الأيام الصعبة .. لا تنسينا الأيام رفيق الغربة .. زميل الدرب المجهول .

زوج ابنتها قاض مجرب .. يقول .. صدقت كلماته :

ـ حتى لو ضحكت فى الوجه الأيام .. وتبسم للانسان وجه الزمان العابس وتغطينا بالمال والجاه .. لا يمكن أن ننسى زميلا فى ثلاثة .. الجيش والسجن والغربة .. والغربة ما أقساها لو كانت داخل وطنك .

أحفادى .. أنفاس جدكم فى بيتى .. لا أتركه .

صورته مرسومة على كل جدار .. هذه نظراته ترقبنى .. ترشدنى .. تسألنى .. يده تسندنى حين أهم بنقل الخطوات .. أسمع صوته وأرد عليه .. هل يملك لسانى الا يرد عليه ومن قبله قلبى .. لم يغيبه التراب ، فالتراب لا يخفى الأحباب .. لم يخفه القبر .. ولم تبعده السنون الخمسة .

ألح عليها زوج ابنتها القاضى كى تسكن معهم :

ـ رائحة المرحوم .

ـ وكيف نطمئن عليك ؟

ـ تعالوا .

ـ القضايا بالليل والنهار .

ـ أدرسها عندى .

ـ مرتبط بالمراجع والكتب .. وكلها فى منزلى .

ـ دع ابنتى تزورنى والأولاد .

ـ مرتبطة بى .

ـ تمنع ابنتى عنى إذن .. تحرمنى منها .

ـ لا أقصد .. لكنها لازمة لتحضير ملفاتى ومذكراتـي وترتيـب المكتـب ومطالـب الأولاد .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أرى أنك تقبلين يا أمى لنفسك الارتباط بزوجك الميت . ولا تقبلين لابنتك الارتباط بزوجها الحى .. والحى كما تعلمين ..

ـ أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

على نفسها تحاملت العجوز ونهضت .. ألح زوج ابنتها عليها بالبقاء .. قدم الأسف وأبدى الاعتذار واللاقصد .. تركتها ابنتها تخرج . تعرف أن اصرار أمها أقوى من الحديد . وعنادها بلا حدود .. واذا مسها تيار الغضب فلن تفلت من قبضته .

بعد يومين زارها القاضى والأولاد .. ومعهم كل ما يلزم لاقامة يوم جمعة كاملة فى شمس دارها .. التى لا تعرف دارهم .

مر أسبوع .. أسبوعان ولا خبر .. لعل المانع خيراً .. اليوم هو الجمعة منذ الصباح وقلبها يأكلها عليهم .. لو كان فى نيتهم الحضور .. لحضروا منذ الصباح .. الوقت الآن بعد العصر .

لا تستطيع الجدة العجوز مقاومة الرغبة الجياشة فى رؤيتهم .. لحظتها تحس بالانتعاش ، تحس بدم الصبا يجرى فى عروقها المتهرئة .

هل تذهب لتأخذ أحفادها فى أحضانها ؟ .. لا .. هل تترك المرحوم ؟ .. لا .. ما العمل ؟ .. يا لها من حيرة ؟ .. الأفضل أن تذهب .. الألم ينخر فى ركبتيها كالنمل .. يمتص رحيق العافية .. أين العافية ؟ يالله حسن الختام .

تنهدت .. نهضت .. يداها فوق ركبتيها .. هربت الحياة من عظامها .. كل شىء غارق فى بهمة السكون إلا زحف المداس .

مرت على حاجياتها فى البيت .. طبق مكشوف تغطيه .. بالذات الملح لأنه يحوى الأبراص ، لكن اللبن ستتركه مكشوفاً .. لتلعقه القطة .. ستبيت غالباً عند ابنتها .. قلبها يأكلها عليهم منذ الصباح .. تلفتت الى الجدران الذاهلة فى غباء .. عن اذنكم يا أهل البيت سأعود فى الصباح .

أقفلت الشقة فى أناة .. استدار جسدها المقوس فى حركة آلية واهنة .. نزلت السلم واحدة واحدة .. طفل صغير .. يعود الانسان كما كان .. تاتا .. يدها

على السور ، درجة أخرى وتقف .. هبطت الأدوار الثلاثة حتى الباب الخارجى .. الباب يبدو من الداخل ثغرة كبيرة فى كهف يفضى الى نور الشارع .. تقطعت أنفاسها .

الشارع عملاق مهيب . الحركة فيه كيوم النشور .. سيارات تتسابق كأنها تهرب من النار .. الناس يتدافعون بلا وعى .. ينطلقون كالآلات بلا بصيرة .. عربة بلا قائد .. أبواق تتعالى تصم الآذان .. التراب والدخان .. الشخص يقابل أخاه لا يعرفه .. عيناه فى عينه .. ولا يعرفه .

خطواتها وجلة . وقبل أن تنقلها . تنظر الى اليمين ثم تنظر الى اليسار .. الشارع فى المدينة الكبيرة غول يأكل الأطفال والعجائز .

ترتعد عند كل بوق . رمح يشق الجسد الهش . يهتز هزة الموت . تستعيذ بالله .. وصلت عند كشك فى منتصف الطريق تقريباً .. استدارت تنظر الى بيتها كأنها ستفارقه .. كأنهم سيخطفونه إذا واصلت طريقها .. بدا زوجها يلوح لها .. حسبت المسافة الباقية على العمارة الحمراء العالية .. هانت .

هذا الشارع كان أيام شبابها خالياً من المارة أو يكاد .. والحركة فيه ضئيلة .. سيارتان أو ثلاثة .. تسير فيه معصوب العينين .. فلا تخاف ، تمشى ذاهلا عن أحوالك ولا يهمك .. تحمل أكياساً وصناديق تحجب عنك الرؤية .. لاباس تمشى وأمامك أولادك يجرون كقطيع الغنم .. لا خوف عليهم .. أما الآن فأنت لا تأمن على نفسك وأنت فى قمة شبابك وفى منتهى القوة والنشاط .

بلغت العجوز باب العمارة .. أبلغها البواب أن الكهرباء مقطوعة .. يا نهار أبيض ! وكيف ستصعد الى الثامن ؟ .. جلست على مضض تنتظر .. كلها آذان صاغية لعودة الكهرباء .. الأولاد يقفزون فى قلبها .. ستصعد السلم ولا تنتظر .. يا أم العواجز .. درجة سلم وتقف .. درجة وتقف .. درجة أخرى وتقف ..

يدها على الجدار .. شهيق الأنفاس وزفيرها أخذ يعلو بصدرها ويهبط فى عجلة كذراع قطار قديم ..

العرق ينبت على جبهتها وتحت أنفها كحبات من السكر .. الله يسامحك يا هيئة الكهرباء .. الله يسامحكم يا أولادى .. تضطروننى للمجيء وصعود هذه السلالم ..

فى كل دور ترتاح .. ترقع الأنفاس المقطوعة .

بلغت شقتهم .. ضربت الجرس وجلست منهارة على الأرض تنتظر .. لم تسمع له صوتاً ولم يفتحوا .. دقته بالمداس .. لا مجيب .. يا خبر أبيض .. دقته .. دقته .. الشقة مهجورة .. سترجع هذا كله .. انتظرت وانتظرت ثم هبطت الدرجات من جديد .

سألت البواب . فأكد لها أنهم فوق .. انهم فى الشقة المقابلة يحتفلون بعيد ميلاد ابن جارهم الطبيب .

اغرورقت عيناها بالدمع .. عيد ميلاد الصغير .. وأنا أعانى من الوحشة .. تمسك الوحدة بخناقى ليل نهار .

استدارت لتغادر المنزل .. قفزت فى صدر البواب مشاعر الانسان .. رجاها أن تبقى حتى يدعوهم اليها .. جلست على أريكته تلتقط الباقى من أنفاسها .. صعد البواب الطيب ثمانية أدوار .. أبلغ القاضى بحضور أم زوجته .

هبطوا جميعاً اليها فى عجلة ولهفة .. وجدوها تتجه خارج العمارة .

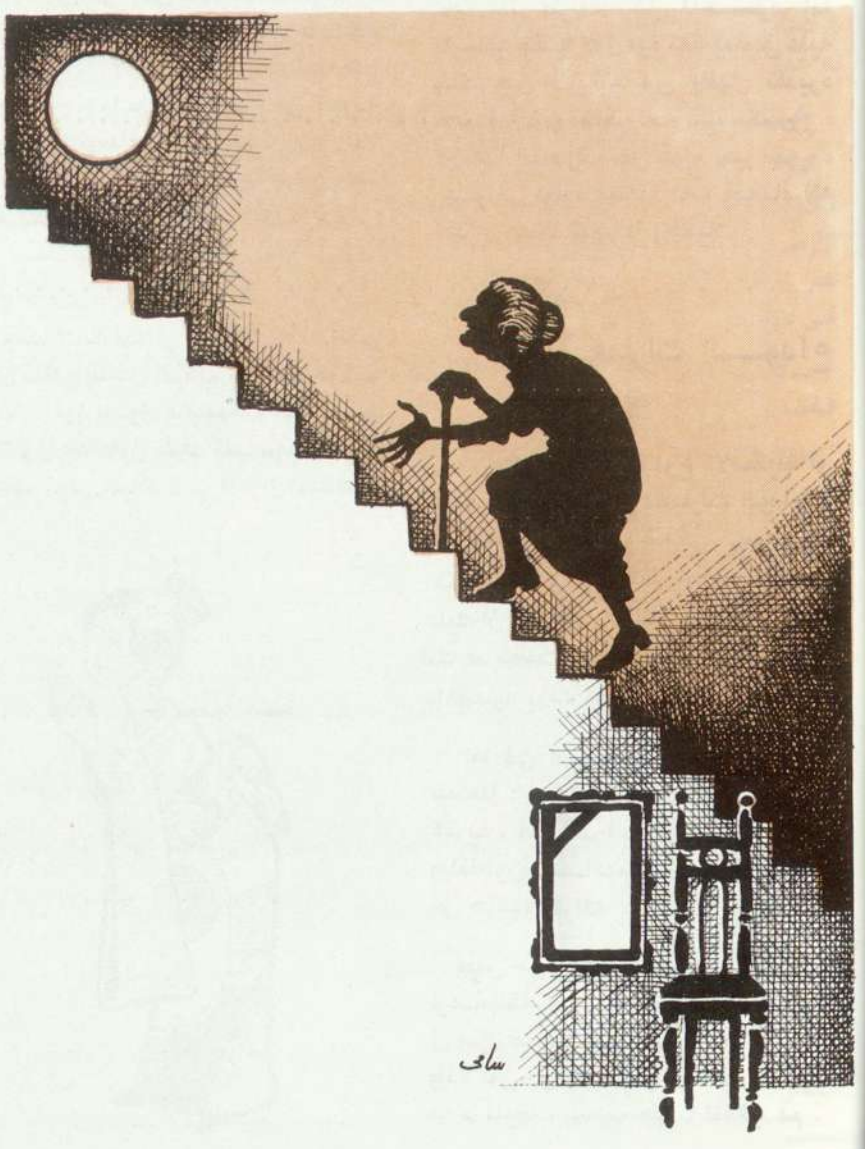
ـ أمنا .. أمنا .. حمداً لله على سلامتك .

نظرت اليهم بعيون عاتبة .. قالت :

ـ الحى أبقى من الميت .. أليس كذلك ؟

تهدل جسدها وانهار .. حملوها الى شقتهم .. ودموعهم تتساقط على وجهها فتطفىء نارها .

فؤاد قنديل



طلعت حسن جاد الله

قـــــراءات

آداب التحية

ان آداب التحية وقواعد السلوك تختلف في بعض البلاد عنها فى البلاد الأخرى .

لنذكر مثلا الصينيين ، فانهم عندما يرغبون فى تبادل التحية يشدون على الأيدى .. ولكن على أيديهم هم بدلا من الشد على يد الصديق .. وهم فى ذلك يقولون ان طريقتهم هذه اكثر ملاءمة للصحة وأكثر رزانة من طريقتنا نحن ، ذلك لأنها تتجنب ملامسة أيدى الغير التى قد لا تكون نظيفة بدرجة كافية ، أو يتصادف أن تكون حاملة للجراثيم ، أو قد تكون غزيرة العرق ، أو شديدة العنف ..

من عادة الغربيين أن يرفعوا قبعاتهم عند التحية . وترجع هذه العادة إلى عهد فرسان العصور الوسطى . فقد كان اولئك الفرسان عندما ينتقلون يرتدون حلة من المعدن تغطى كل أجزاء الجسم ، إذ كان العصر يفتقر إلى الثقة .. وعندما يتقابل فارسان كانت ثمة مشكلة فى أن يتعرف أحدهما على الآخر ، وقد تدرع كل منهما بحلة معدنية تغطيه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .. وكثيراً ما كان يحدث أن يتصايح الفارسان بصوت مرح فيقول أحدهما : « سلام عليك يا برتراند !! »

ويجيبه الآخر من خلف قناعه المعدنى بصوت يغلب عليه الضيق والتوجس .. ولذلك فقد اتفق الفرسان على أنه فى حالة تلاقيهم يرفع كل منهم غطاء رأسه الحديدى .. وحتى من كان منهم شديد الريبة ، كان عليه أن يرفع الجزء المتحرك الذى يغطى الوجه .

ومرت قرون واختفت الخوذات والدروع ، ولكن الرجال الذين لبسوا القبعة حافظوا على عادة كشف الرأس . أما العسكريون فيكتفون بلمس حافة « الكاب » الأمامية ، ولعل طبيعتهم المحاربة تجعلهم يحترسون من تعرية الرأس ! وبالمثل فان عادة مد اليد للمصافحة لها جذور واضحة : فان اليد الممدودة وهى مفتوحة ، كانت تعنى أن صاحبها ليس مسلحاً ، وأن نواياه ودية .

ومما لاشك فيه أن طريقة التحية التى لدى سكان ساحل الذهب « الاسم القديم لغانا » لها أصول مشابهة ، فهم عندما يتلاقون يسقطون طرف قميصهم لتعرية الكتف . وفى البلاد التى لا تزال تستخدم السهام والحراب ، فان مثل هذا الأسلوب فى التحية ، يدل حقيقة على الثقة المتبادلة بين الشخصين المتلاقيين !



وفى إحدى القبائل الأفريقية ، ثمة عادة أكثر طرافة ، فان المحارب إذا ما شاهد صبياً لأول مرة فانه يبصق عليه وتلك هى طريقته فى إظهار تقديره للصبى الذى يشعر عند ذلك بالسرور ، لأن هذا التصرف ممن هو « أكبر منه » ، يعتبر فى نظره مفخرة له ، ومعناه أنه أصبح صبياً شجاعاً وجميلا .

عبارات الوداع

ولا يقل عما ذكرنا تنوع الأساليب أو التقاليد فيما يختص بعبارات الوداع . فاذا كنت فى بلاد التبت وكان لديك ضيف على وشك الانصراف ، وجب عليك أن تخرج له لسانك ... لتبين له أنك قد نعمت كثيراً بتذوق أفعاله ، والمقصود بذلك لطف حديثه .

أما فى غينيا الجديدة ، فهم أكثر تبسطاً : فعندما يشرع زائر فى مغادرة القرية ، فان أهلها يأخذون فى النواح ، ويلطخون أجسامهم بالطين ، تعبيراً له عن حزنهم لفراقه .

ليس من المحتمل كثيراً أن تتاح لنا فرصة للقاء أحد سكان ساحل الذهب ، أو أن ننزل ضيوفاً على أسرة من بلاد التبت ولذا فلن نواجه خطر ارتكاب حماقات نندم عليها ، بسبب جهلنا لتقاليدهم .

فنون من التأويل

من بين صفحات تراثنا العربى سطور تمتلىء بالتعبير البليغ ، والصورة البيانية المشرقة ، تحتاج فى تذوقها واستيعابها إلى امعان نظر ، وفهم ثاقب لحقيقة الكلمة العربية ، بايحاءاتها الفنية .

يروون عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه لقى حذيفة بن اليمان فقال له عمر :

كيف أصبحت يا حذيفة ؟

قال : أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فغضب عمر غضباً شديداً ، ودخل عليه على بن أبى طالب وهو غاضب ، فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين ... على وجهك أثر الغضب .

فقال عمر : على حذيفة بن اليمان ، قلت له : كيف أصبحت .. فقال :

أصبحت أحب الفتنة ، واكره الحق ، وأصلى بغير وضوء ، ولي فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فقال له علي : صدق يا عمر ، انه يحب الفتنة يعنى المال والبنين لأن الله تعالى يقول « انما أموالكم وأولادكم فتنة » .. ويكره الحق يعنى : الموت : ويصلى بغير وضوء .. يعنى انه يصلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير وضوء فى كل وقت ، وله فى الأرض ما ليس لله فى السماء يعنى له زوجه وولد وليس لله زوجه ولا ولد .

فقال عمر : أصبت والله يا أبا الحسن .. لقد ازلت ما فى قلبى على حذيفة بن اليمان ..

رسائل غير عادية

إلى الأم ...

بقلم : معروف رفيق

سيدتى .. أكتب إليك بمشاعر متميزة .. لأنها خليط من الأحترام والتكبير ، والاشفاق والحذر والحيطة . فانت أم ، إذن وأنت ممن كانت الجنة تحت أقدامهن .. وأنت ممن عناهن الشاعر حين قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً ، طيب الاعراق

من هنا احترامى العظيم ، لك ، ولكل أم هى والمدرسة سواء ، هى والنبع سواء .. الحنان جزء منها ، والعطف قبس من قباسها .. وقلبها فسيح فسيح .. يتسع لكل شقاوة قام بها ولد ، منذ كان لأول أم ولد ...

ولكنى ياسيدتى .. ألاحظ انك تزيدين من تدليل ولدك .. الى درجة أصبح معها لايطيق البعد عنك .. بينما الدنيا لا تدوم على حال ، لأن دوام الحال من المحال فهل تظنين بعد هذا ، بدوام الدلال .؟؟

إن التعريف الواقعى للمدرسة ، الحديثة ، يقول ان المدرسة مصنع يعد الأجيال للحياة ،، وأضع خطين تحت كلمة يعد .. ذلك أن الاعداد هو من لتخاذ العدة لكل طارىء .. والحياة يا سيدتى مجموعة للطوارىء لا تنتهى .. وأنت المدرسة الأولى للناشئين .. أنت دار الحضانة بادىء ذى بدء ، وعليك يتوقف نجاح الصغير من فشله . لأنه فى الحقيقة ، تلك الصفحة البيضاء الناصعة .. عليها تكتبين ما تريدين له .. فاما كتابة بيضاء .. واما كتابة سوداء .. فما أعظم واجبك وأجله ..

أما الدلال ياسيدتى .. فانه أقرب إلى الضلال .. والطفل المدلل يبقى طفلا ولو وقف على شاربيه الصقر فيما بعد .. ألم تسمعى قول القائل :

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوده ذووه

ناشدتك الله ياسيدتى .. أن تأخذى ولدك بأصول التربية .. شدة فى غير عنف ، ولين فى غير ضعف .

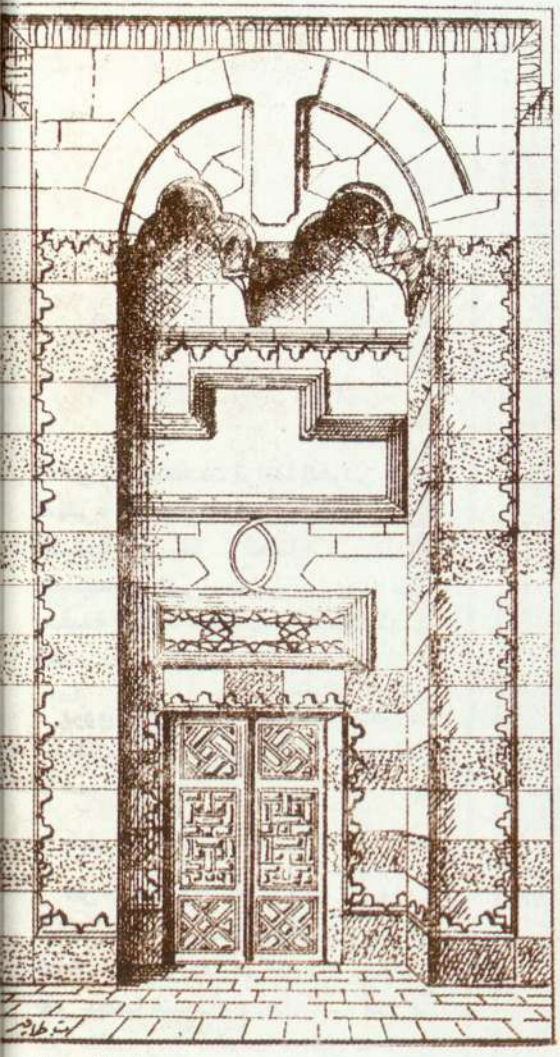
تعويد على مواجهة الحياة أولا بأول ، وتعويد على صعود درجات السلم واحدة واحدة .. لا نريدها طفرة تقود إلى الاحباط ، ولا نريدها قفزة تكسر القدم ، ولكننا نريدها على منهاج واضح ، تتكامل فيها التربية بين بناء الأجسام والأحلام .. وتنسجم فيها العقول والأرواح ، لا يطغى جسم على حلم ، ولا نفس على جسد .. وانما هو اعتدال وعدل بين كفتى الميزان .. عين تنظر إلى السماء ، ويد تحفر الأرض فى بحث دؤوب عن الخير ، وغداً ، عندما يشب ولدك على هذا النهج الحميد ، لا على نهج الدلال والتفريط .. سنقول له بكل فخر واعتزاز .. لله درك .. وحسبك هذا دعاء .. واسلمى للأجيال ..

وجيه الشربجي

أضواء على



محمد كرد علي ـ أول رئيس للمجمع



باب المجمع الرئيسي

تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق

٦٣ عاما في خدمة اللغة العربية والتراث القومي

- طه حسين ، والعقاد ، والزيات من مراسلي المجمع
- العجلاني ، وسبح ، والفحام ، وفيصل .. من أعضاء المجمع

يجتاز مجمع اللغة العربية بدمشق عامه الثالث والستين ، وهو ماض قدماً فى اداء رسالته العلمية والقومية فى خدمة لغة الضاد ونشر آدابها وجلاء تراثها وتطوير قدرتها على مواكبة العصر الحديث ، وتوفير المصطلحات العلمية والفنية للاستخدام الاعلامى والتعليمى لصالح الأجيال العربية الصاعدة .

لقد أصبحت حياة المجمع وتجربته الطويلة جزءاً من تاريخ النهضة العربية الحديثة ، ويعبر عن اليقظة العربية لأهمية التراث القومى وضرورة بعثه من خلال ثوب لغوى متين وأصيل ، والعمل على استكشاف كنوز اللغة العربية التى اختفت تحت غبار قرون من العجمة والجهل والجمود ، تمهيداً لاعادة استخدامها فى احتياجات الثقافة والعلوم والفنون .

ولهذا يحق للقارىء أن يتعرف على تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق بصورة خاصة لأنه أصبح واحداً من معالم النهضة العلمية العربية فى الوطن العربى ولأنه أول مجمع علمى

عربى انشىء فى عصرنا ، ولهذا السبب اطلق عليه (ابو المجامع) اعترافاً بأسبقيته من الناحية التاريخية وقد اعطته هذه الميزة قصب السبق فى استقطاب العلماء والمفكرين العرب وحث جهودهم حينما كان المجمع العلمى العربى الوحيد ، ورغم ان سوريا موطنه ومسقط رأسه لم تكن آنذاك من البلدان الناشئة فى المجال العلمى نتيجة لظروفها السياسية الصعبة فى ظل الاحتلال الأجنبى .

ومما يجدر ذكره أيضا ان أحداث المجمع ، تم بعد فترة وجيزة من زوال الحكم العثمانى ، وكان من أول الخطوات الجيدة على طريق بعث العروبة واحياء الطابع ، والمضمون العربى للثقافة ، بعد قرون عديدة من السيطرة غير العربية التى كانت دائبة فى مسخ اللغة العربية وتشويهها ، ودفن تراثها تحت ركام الجهل والامية والاستبداد .

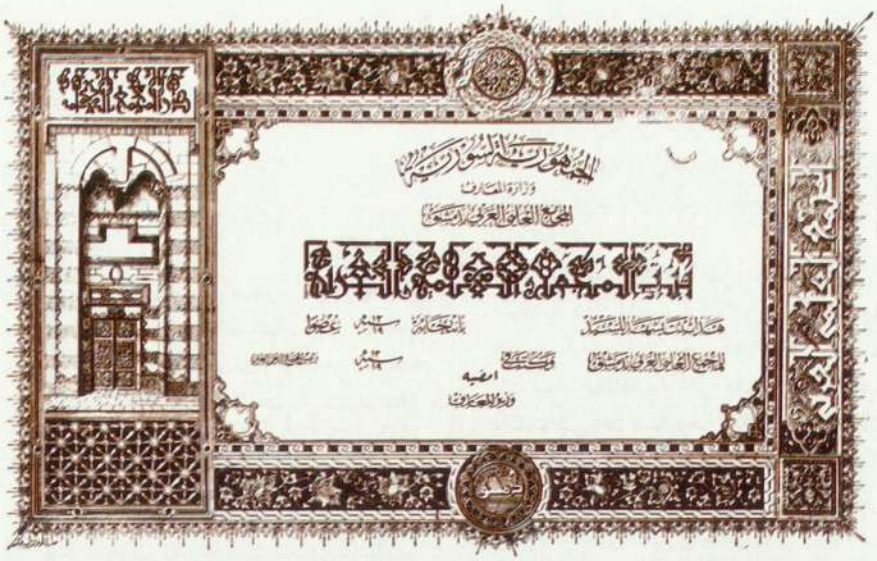
وكان قيام هذا المجمع حدثاً علمياً اثار اهتماماً واسعاً فى الوطن العربى بدليل انه استقطب مجموعة من ابرز المفكرين والادباء والمثقفين العرب وانضم اليه كأعضاء مراسلين الراحلون عباس محمود العقاد ، الدكتور طه حسين ، الدكتور أحمد زكي ، الشاعر أمين نخلة ، محمد الطاهر ،فيليب حتي ـ بن عاشور .

وفى طليعة اعضائه العاملين الأوائل السادة الاعلام محمد كرد علي ، خليل مردم بك ، الدكتور حسني سبح ، مصطفى الشهابي ، الدكتور منير العجلاني ، امجد الطرابلسي .

وفى عداد الأعضاء العاملين الحاليين الدكتور شاكر الفحام ، الأستاذ راتب النفاخ ، الدكتور شكرى فيصل .

وقد شكل المجمع بموجب الوثيقة المؤرخة فى الثامن من شهر حزيران عام ١٩١٩ والصادرة عن حاكم سوريا العسكرى الفريق علي رضا الركابي ، وعهد برئاسته الى العالم المؤرخ الأستاذ محمد كرد علي ، وبين اعضائه الأوائل الشيخ طاهر الجزائرى الشيخ أمين سويد ، سعيد الكرمي .

وعقد المجمع أولى جلساته فى مقره بمبنى المدرسة العادلية فى باب البريد بدمشق ، وهى المدرسة التى انشأها السلطان نور الدين بن زنكي الملقب بالشهيد فى عام ٥٨٦ للهجرة ودفن فيها الملك العادل



شهادة بانتخاب العضو فى المجمع



شعار المجمع

شقيق السلطان صلاح الدين الايوبي ولا زال ضريحه قائماً فى هذا المبنى الأثرى الهام حتى اليوم .

وفى أولى جلساته اختار المجمع أعضاء شرف من اعلام دمشق منهم المرحومان الدكتور عبد الرحمن شعبندر والاستاذ فارس الخورى .

لماذا تأسس المجمع ..؟

ويحدد قرار احداث المجمع أهدافه بما يلى :

- خدمة اللغة العربية والنظر فى أوضاعها العصرية ، ونشر آدابها واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية ، وتاليف ما تحتاج اليه من الكتب .
- جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة وتأسيس دار كتب عامة .
- جمع الآثار القديمة .
- اصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها افكاره وأعماله .

وقد جعل المجمع من نفسه رقيباً على الجامعات ودوائر الدولة والصحف والمدارس والثقافة الشعبية ، حيث كان يتقصى الخطأ ويطالب بتجنبه عن طريق وضع الكلمة العربية الفصحى مكان الكلمة الدخيلة المستعملة ، وقام المجمع بتهيئة المصطلحات الادارية عن طريق الترجمة والوضع والتعريب ، وترجم بعض القوانين ، وعرب اسماء الرتب والالقاب ، وعمد الى تدقيق وتصحيح لغة الكتب المدرسية ، ونظم سلسلة من المحاضرات اللغوية على طلاب المدارس ودور المعلمين ، وحمل الدولة والمجتمع على تبديل الكثير من المصطلحات التركية والأجنبية مثل (البوليس ـ الشرطة) ـ نوبتجي ـ آذن أو بواب) (نومرو ـ رقم) ـ (رابور ـ تقرير طبي) ـ (بول ـ طوابع) وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

ولم ينفرد المجمع بالعمل فى وضع المصطلحات الحديثة بل كان دائباً على الاتصال بالعلماء الاختصاصيين فى الوطن العربى للتعاون معهم فى هذا المجال والاستفادة من خبراتهم ، وتسنى له أيضاً اجتذاب نخبة من العلماء الشرقيين والغربيين منهم الأساتذة جبرايلي (ايطاليا) وغوفر (اسبانيا) وبدرسن (دانيمرك) دريدرنغ (السويد) اربدى (بريطانيا) على اصغر حكمت (ايران) كولان (فرنسا) ابو الحسن علي الحسني الندوى (الهند) .

وعلى الصعيد الشعبي نشط المجمع

تاريخ مجمع اللغة العربية بدمشق

لمكافحة العجمة ، واللحن ، وعمل على نشر المصطلحات العربية بين الناس لتحل محل المصطلحات الأجنبية المستخدمة ، والقيت المحاضرات لخدمة هذا الهدف ، كما كانت مجلة المجمع همزة الوصل بينه وبين آلاف القراء ، تنشر أعماله وتعبر عن انتاجه وآرائه .

وقد سميت المجلة منذ صدورها باسم المجمع (مجلة المجمع العلمي العربي) ولما أصبح اسم المجمع (مجمع اللغة العربية بدمشق) سميت (مجلة مجمع اللغة العربية) وكانت تصدر في سنتها الأولى عدداً واحداً في ٣٢ صفحة كل شهر ، ثم أصبحت المجلة تصدر أربعة أجزاء في السنة الواحدة ، اضافة الى الأعداد الخاصة التي تتصل بمناسبات علمية ، ويطبع المجمع مجلدات من اعداد المجلة التي نفدت .

وغني عن البيان أن كتاب المجلة كانوا من أبرز علماء وأدباء الوطن العربي ، بالاضافة الى أعضاء المجمع أنفسهم ، وهم الذين تفرغوا للبحث الأدبي والدراسات اللغوية والتاريخية ، وكانت مرآة رصينة لرسالة المجمع في ساحة العمل اللغوي .

وليس من شك في أن تجربة مجمع دمشق كانت حافزاً قوياً لقيام الأقطار العربية باحداث مثل هذه المؤسسة ، فقد تأسس مجمع القاهرة في عام ١٩٣٢ بعد ثلاثة عشر عاماً من قيام مجمع دمشق ، وتأسس المجمع العراقي في عام ١٩٤٧ ، ثم تأسس منذ سنوات قليلة مجمع اللغة العربية في القطر الأردني .

دار الكتب الظاهرية

وحقق مجمع دمشق أيضاً أهدافه فيما يتعلق بتأسيس دار كتب عامة ، فقد استفاد من وجود المبنى الاثري الرائع للمدرسة الظاهرية ، التي تقوم قبالة المدرسة العادلية ، التي كانت مقراً للمجمع فاتخذ منها داراً للكتب أصبحت فيما بعد ذات شهرة كبيرة نظراً لأهمية ثروتها من المخطوطات وأمهات الكتب والوثائق ، ولا تزال دار الكتب الظاهرية تؤدي رسالتها في اتاحة مجال مطالعة أهم المؤلفات ، أمام كل متعطش للثقافة .

وقد أنشأ الملك الظاهر بيبرس عام ٦٢٠ للهجرة هذه المدرسة لتكون مدرسة للعلم وتربة تضم رفاته . وفي عام ١٩٢٧ تحولت المدرسة الظاهرية الى مدرسة ابتدائية وظلت في عهدة دائرة الاوقاف ثم الحقت بالمجمع .

وكان فريق من علماء دمشق لاحظوا تفرق المخطوطات والكتب في المساجد وتعرضها للضياع ، فقاموا بحملة لجمع ما تبقى منها وما هو هام جداً وثمين واودعت في خزانة داخل قبة المدرسة الظاهرية ، وكانت نواة دار الكتب الحالية .

مطبوعات المجمع

أما نشاطات المجمع في مجال اصدار الكتب العربية التي تصنف في عداد تراثنا الثمين ، فهي جديرة بالتنويه ، وقد طبع وحقق المجمع منذ قيامه وحتى يومنا الحاضر ما يزيد على (٢٥٠) كتاباً ورسالة من التراث ، منها : رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ـ ديوان علي بن الجهم ـ عثرات اللسان للاستاذ عبد القادر المغربي ـ كنوز الأجداد للاستاذ محمد كرد علي ـ تاريخ علم الفلك في العراق ـ الثقافة الاسلامية في الهند ـ تراجم الاعيان من أبناء الزمان ـ كتاب الاضداد لأبي الطيب اللغوي ـ اخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية ـ سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية ـ معجم المصطلحات الاثرية باللغتين العربية والافرنسية ـ المعاصرون ـ ديوان الفرزدق ـ تاريخ حكماء الاسلام ـ تاريخ الخلفاء .

وشرع المجمع منذ سنوات عديدة بتحقيق تاريخ ابن عساكر وهو مؤلف تاريخي ضخم عن تاريخ دمشق يتالف من ثمانين مجلداً ضخماً ، وقد تم تحقيق واصدار عدة اجزاء من هذا التاريخ الكبير ، وتستمر الجهود لاصدار المزيد من اجزائه .

وفي مجال الحفاظ على التراث قام المجمع منذ تشكيله بخطوة هامة فقد انشأ أول متحف للآثار العربية في دمشق ، وخصص جانباً من مبنى المدرسة العادلية للحفاظ عليها ، وقد ضمت هذه الآثار مجموعة هامة من التحف والمنحوتات والنقوش الأثرية التي اصبحت فيما بعد نواة لمتحف دمشق الوطني .

رؤساء المجمع

لقد تعاقب على رئاسة المجمع علماء اعلام لهم باع طويل في البحث والتاليف والتقصي أولهم الأستاذ محمد كرد علي الذي اعتبر المؤسس الفعلي للمجمع ، واعقبه الأستاذ الشاعر خليل مردم بك ، فالأمير مصطفى الشهابي وبعد وفاته اسندت رئاسة المجمع الى السيد الدكتور حسني سبح الأستاذ في الطب والعالم اللغوي ولا يزال الرئيس الحالي للمجمع يقود خطاه بعزم وفعالية ، ونائبه الأديب الكبير الدكتور شاكر الفحام وزير التعليم العالي السابق .

بناء المجمع الجديد

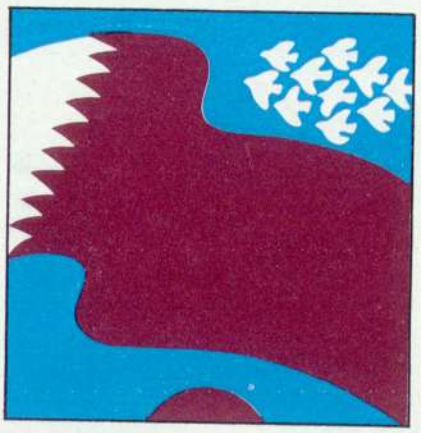
ومما يجدر ذكره ان الدولة كرمت المجمع فاقامت له مقراً حديثاً فخماً في شارع المالكي بدمشق . بحيث يتسع لجميع النشاطات التي يمارسها المجمع ، اذ يتضمن مكتباً خاصاً لكل عضو من اعضائه ، ومقراً للمكتبة ومستودعاً للكتب وقاعة ذات تصميم شرقي للمحاضرات ، اضافة الى مكاتب العمل الاداري .

وهكذا كان قيام المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩١٩ بداية لأحداث سلسلة من المؤسسات الثقافية الحديثة التي تطورت فيما بعد وأصبحت من أهم مراكز النشاط الثقافي في سوريا والعالم العربي ، وفي الوقت نفسه كان حافزاً لاحداث عدد من المجامع العربية وقد أصبحت هذه المجامع مسؤولة عن حماية اللغة العربية وتطويرها وملاءمتها مع مقتضيات العصر الحديث كما انشىء لها اتحاد ينسق جهودها في اتجاه العمل العربي الموحد .

وجيه الشربجي ـ دمشق

جزء خاص
بمناسبة ذكرى ٢٢ فبراير العاشرة





شعب وقائد

كانت قطر قبل ظهور البترول جزءاً من أرض الخليج العربى الذى كان أهله يعانون ويكافحون فى أصعب الظروف وأكثرها مشقة وقسوة ، من أجل المحافظة على حياتهم اليومية ، ومن أجل المحافظة على تراثهم وعقيدتهم ، وقد سجل الانسان العربى القطرى فى فترة « المعاناة » هذه ، قدرة أصيلة على الصمود فى وجه الظروف الصعبة القاسية ، فلم يكن أمام الانسان فى قطر إلا أن يكافح ضد الطبيعة المتمثلة فى البحر والصحراء ، وكان عليه أن يكافح ضد الغزاة والطامعين ، هؤلاء الذين أرادوا أن يجعلوا من قطر مجرد « محطة » يعبرون منها إلى مصالحهم الكبرى فى الهند ، وبقية القارة الآسيوية ، وقد أراد هؤلاء الغزاة والطامعون أن « يمحوا » الشخصية العربية لشعب قطر ، ولكن هذا الشعب الصغير فى عدد أفراده ، الكبير فى طموحه وآماله ورسوخ جذوره ، لم يجعل أحلام الطامعين ممكنة ، وظلت قطر عربية مسلمة ، راسخة الشخصية فى أصولها الحضارية السليمة .

وبعد هذه المرحلة من المعاناة ، كشفت الصحراء عن سرها الدفين ، وتدفق البترول ومعه تدفقت الثروة . ومع هذا « التحول » فى عطاء الطبيعة ، ازداد طمع الطامعين فى قطر وأرضها وشعبها وثروتها التى تفجرت من باطن الصحراء .

وفى هذه المرحلة الحاسمة من « التحولات » التاريخية ، يظهر دور القائد التاريخى ، حيث يستطيع مثل هذا القائد أن يمضى بالسفينة فى اتجاه صحيح .

وقد أتيح لقطر هذا القائد التاريخى وهو أميرها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

فمنذ أن خرج سمو الشيخ خليفة إلى الحياة العملية ، ليشارك فى المسئولية العامة بجهده ، إلى أن أصبح فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ ، متحملا للمسئولية الأولى فى قيادة قطر وتوجيهها ، وهو يعمل باخلاص القائد الوالد ، وأمانة المسئول الذى يفهم دوره ويقدره حق التقدير ، من أجل أن تتحول الثروة فى قطر إلى نهضة كاملة تشمل كل جوانب الحياة ، وينال منها كل فرد فى الأسرة القطرية نصيبه العادل وفرصته الكاملة فى الحياة الكريمة والتقدم والرخاء

وخلال السنوات العشر الماضية ، وفى ظل قيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، تحققت فى قطر انجازات كبرى كانت تحتاج إلى عشرات السنين ، ولكن الجهد المخلص الواعى الأمين لقائد البلاد جعل من هذه الانجازات الكبيرة أمراً ممكن التحقيق فى هذا الوقت القصير الذى لم يتجاوز عشر سنوات .

ولقد أتيح لى - بصورة مباشرة - أن أراقب نهضة قطر عن قرب منذ أوائل السبعينات ، ثم أتيح لى أن أعيش فى قلب الصورة منذ أواخر سنة ١٩٧٨ إلى اليوم .

وليس من السهل على أى صاحب قلم حر أمام قرائه أن « يمتدح » بغير برهان قوى يرتضيه الضمير الحى المسئول . ومن قلب هذا الضمير وحده وبوحى منه ، وبغير هدف آخر غير احترام الحقيقة وتسجيلها ، أقول : إن ما يجرى فى قطر فى عصر أميرها وقائدها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، هو نموذج حى لما ينبغى أن يجرى على كل أرض عربية كريمة تريد أن تنهض وترتقى بنفسها وشعبها ، وتريد أن يكون لها دور فى الأسرة العربية والأسرة العالمية على السواء .

إن نظرة أمينة إلى الواقع القطرى الراهن تكشف عن خطوط للحركة واعية وأصيلة ومخلصة ومثمرة باذن الله خير الثمار .

ففى المجال العربى تلتزم قطر بمسئوليتها الكاملة ، وتقف دائماً فى المقدمة من حيث أداء التزاماتها المختلفة المطلوبة منها ، كل ذلك دون بطء أو تأخير ، وباحساس عميق بالواجب العربى العام ، الذى ينبع من إيمان بانه لا سعادة لقطر إلا ضمن أسرة عربية سعيدة ، ومن هنا فكل الهموم العربية لها فى قطر انعكاسها حيث تسارع الدولة وقائدها إلى الوقوف فى مقدمة الصفوف العربية فى أى مشكلة أو محنة أو أزمة ، وما موقف قطر وقائدها من قضية فلسطين إلا نموذج مضىء ، يكشف عن بقية المواقف القطرية فى الساحة العربية ، وليس سراً أن قطر وقائدها يقفان فى المقدمة من عملية مساندة شعب فلسطين باقصى الامكانيات والجهود .

وإذا كانت الساحة العربية مليئة بالخلافات والخصومات ، فاننا نجد قائد قطر فى سياسته العربية ، عميق الحرص على أن يكون بقوته وقوة شعب قطر عاملا أصيلا من عوامل « التجميع » و « التوفيق » والتوحيد ، مع الارتفاع الدائم المتعفف عن كل الخصومات العنيفة الحادة الدائرة على الساحة العربية . وبذلك اعطت قطر ، وأعطى قائدها ، مثالا كريماً للعمل العربى الذى يبنى ولا يهدم ، ويعطى قبل أن يأخذ ويترفع ويتعفف دائماً فى كل المواقف والظروف الصعبة .

وإذا انتقلنا من الساحة العربية إلى الساحة القطرية وجدنا الكثير ، فقد كرر القائد مراراً حرصه على بناء الانسان فى قطر ، وتحويل الثروة فى البلاد إلى مؤسسات تخدم هذا الانسان ، بجيله الحالى وأجياله القادمة ، ومن هنا قامت « الجامعة » التى تبناها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وتابع قيامها ونهوضها بكل الجهد والاخلاص والحرص على أن تكون



منارة تضيء العقل والمستقبل بالنسبة لأبناء قطر ، ثم كان مستشفى « حمد » الذى تم افتتاحه فى شهر فبراير ١٩٨٢ ، وهو أحد اكبر المستشفيات فى الوطن العربى كله ، بل ويعتبر هذا المستشفى إحدى المؤسسات الصحية البارزة ، التى تم بناؤها على أحدث الأساليب وتم تجهيزها بأرقى وسائل الطب الحديث ، مما جعل هذا المستشفى انجازاً حضارياً من الدرجة الأولى وهو انجاز تم التخطيط له وإعداده على هذا المستوى العالمى من أجل الخير والسعادة والصحة والسلامة لكل إنسان على أرض قطر ، حيث العلاج مجانى ، والرعاية الصحية عامة .

وإذا التفتنا بعد ذلك إلى حركة التصنيع وجدنا اندفاعاً فى هذا الاتجاه ، لا يمكن وصفه إلا بأنه لون من الاحساس الحضارى والاحساس بمسئولية المستقبل ، وبضرورة تحويل الثروة البترولية ، إلى مؤسسات لها القدرة على الانتاج الدائم المستمر ، مما يمثل ضماناً وحماية حقيقية للأجيال القادمة فى هذه البلاد ، وبذلك لا يصبح البترول مجرد "ثروة عارضة".. تنتهى بانتهاء عصرها . بل يتحول إلى ثروة ثابتة تبقى ما بقى الانسان على هذه الأرض .

وما أكثر ما نجده من مظاهر أصيلة للنهضة فى قطر ، وكلها تولد وتنمو وتزدهر فى ظل اهتمام كامل ورعاية حقيقية وجهد صادق يبذله قائد البلاد للوصول بقطر إلى حاضر مطمئن ومستقبل أمن سعيد .

فكل فرص التعليم والتنوير متاحة ومفتوحة على مصراعيها لأبناء قطر ، ابتداء من أول مراحل التعليم إلى أعلى هذه المراحل ، فى جامعة قطر ، أو فى الجامعات العربية العريقة ، أو فى جامعات العالم حيث لا توجد جامعة من هذه الجامعات إلا وفيها شباب قطرى يتعلمون أرقى العلوم وأكثرها اتصالا بمشاكل الغد ، ثم يعودون بعد ذلك إلى قطر ، لتنفتح أمامهم فرص العمل المنتج والمسكن الآمن ، والمناخ المناسب لكى يؤدوا دورهم فى بناء وطنهم على خير وجه ودون عائق يعوقهم أو يقف فى وجههم أو يضع أمامهم السدود والقيود .

وتأتى على رأس قائمة الانجازات تلك النهضة الثقافية والاعلامية التى يتبناها أمير البلاد ، ويساندها ويحرص عليها كل الحرص وقد حققت قطر فى هذا المجال وخلال السنوات العشر الماضية خطوات واسعة كبيرة ، فى الاذاعة والتليفزيون والمسرح والصحافة والطباعة والنشر .. والمتاحف ،والآثاروحفظ المسكوكات القديمة ، وأصبحت هذه الخطوات جميعاً عنواناً لنهضة ثقافية وإعلامية واسعة ، تشمل بنتائجها قطر ، وتتجاوزها إلى الأرض العربية بأقطارها المختلفة ، ونحن فى مجلة الدوحة ، التى كان انشاؤها والاهتمام بها ثمرة من ثمرات النهضة الثقافية والاعلامية فى قطر ، نحس بهذا النبض الصادق الذى يسعى إلى خدمة القارىء العربى والكاتب العربى ، والثقافة العربيةكلها ، ويضع فى سبيل ذلك كل الامكانيات .

وهناك نقطة أخرى مضيئة ، كتبت عنها من قبل ، ولن أمل الحديث عنها وتكرارهـا ، نظراً لقيمتها ومغزاها وأهميتها الكبرى ، فوق أرض قطر وفى ظل قيادة أميرها ، تلتقى مجموعة من أعظم الخبرات العربية ، تلك الخبرات العالية التى فتحت لها قطر صدرها وأتاحت لها الفرصة الواسعة للعمل والانتاج والمساهمة الفعالة فى بناء النهضة القطرية،التى هى جزء من حركة النهوض والتقدم فى الوطن العربى ، وهذه الخبرات العربية التى تعمل على أرض قطر وتساهم بجد واخلاص فى بناء الحاضر والمستقبل ، ما كانت لتفكر فى الارتباط بقطر والاستمرار فيها ، لولا ما وجدته فى هذه البلاد وقائدها من التشجيع الصافى الكريم ، حيث يعامل العربى على أرض قطر معاملة مواطن من أهلها لا معاملة غريب أو مواطن من الدرجة الثانية ، وذلك إحساس صادق وعميق بالانتماء العربى الأصيل ، وبأنتبادل الخبرة كان على مر التاريخ والأجيال أسلوباً حياً واعياً من أساليب التحرر والنهوض فى الوطن العربى .

تلك بعض ملامح الصورة الكريمة المشرقة ، التى تقوم على العزيمة والعمل الدائب والجهد المتصل لكى تتحول كل قرية فى قطر إلى مدينة ولكى ينتقل الانسان العربى على هذه الأرض الطيبة إلى العصر الحديث فى أسرع وقت دون أن يفقد جذوره فى عقيدته وتاريخه وانتمائه ، لقد كانت السنوات العشر الماضية فيما تحقق فيها من انتاج وانجاز قفزة حضارية كبرى ما كان بالامكان على الاطلاق أن تتحقق فى هذا الزمن القصير لولا ما وقف وراءها من الجهد والارادة والاخلاص والحرص الكامل على تحويل الثروة إلى نهضة حقيقية باقية ...

كل ذلك حققته قطر فى ظل قيادة أميرها الوالد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولى عهده الشاب العربى المخلص الواعى الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ... وبذلك تحققت المعادلة الصعبة :

من العناء إلى الثروة ومن الثروة إلى النهضـــة .

رئيس التحرير

من كلمات قائد المسيرة

● « ان قضايانا ومصالحنا الاسلامية ليست أشتاتاً متفرقة بل هى كليات مترابطة لا يمكن معالجتها الا بالعمل المشترك الذى لا يمكن ان ينبت نباته الحسن ، الا اذا ارتكز على اساس متين من تعاوننا الوثيق ، ابتغاء تقدير امكاناتنا الحقيقية أصح تقـــدير » .

● « طبيعى ، وقد جاء قرارنا انتهاج سبيل الاستقلال ، نتيجة للظروف السابق ايضاحها ، أن لا نجد أنفسنا بحاجة الى تاكيد أن مثل هذه الظروف التى نرجو زوال اسبابها ، لا يمكن ان تؤثر على ايماننا الوطيد فى أن اتحادنا فى هذه المنطقة ضرورة مصيرية تحتمها مصلحتنا العليا المشتركة ، وتقتضيها كل تلك الروابط العميقة الجذور التى تربط بعضنا بالبعض الآخر ، والتى قل أن توجد بلاد فى العالم تجمع بينها روابط تضاهيها قوة وشدة واصالة » .

● « دولة قطـــر دولة عربية مسلمة ، وشعبها جزء من الأمة العربية » .

● « لقد اقتضانا الواجب الوطنى المقدس ، ان نقف منذ اللحظة الأولى لاندلاع معركة الشرف ـ شأننا فى ذلك شأن جميع اشقائنا العرب ـ موقف التضامن الكلي المطلق مع الشقيقتين مصر وسوريا اللتين هبتا هبتهما الجسورة » .

● « اما عن الانسان القطرى ، وهو فى أن واحد ، وسيلة كل تقدم ننشده وغاية كل رجاء نبتغيه ، فاننا نبذل اقصى الجهد ونسلك خير السبل لينهل شبابنا ، بقدر الامكان ، من العلم اكثره وأنفعه لبلدنا ، ومن الخبرة أغزرها وأكبرها فائدة فى ظروفنا ، كيما يستطيع ان يحتل كل منهم موقعه من المسؤولية العامة عن جداره ، ويدعم ـ بفكره الواعى وتجربته المستنيره فى ميدان تخصصه ـ الجهود الكبرى المثابرة التى نبذلها فى سبيل رفعة الوطن وقوته ومنعته »

● « اننا إذ نعمل على بناء دولتنا بناء قوياً ، انما نفعل ذلك اداء لواجبين مقدسين متكاملين : اما الواجب الأول فهو واجبنا نحو وطننا العربى القطرى الذى يقتضينا ان نحقق لشعبنا غاية ما يمكن من أسباب الرخاء والارتقاء ، واما الواجب الثانى ، فهو واجبنا نحو وطننا العربى الكبير الذى يقتضينا ان نساهم بأكثر ما نستطيع من قدرة وفعالية فى الذود عن حياضه ، ومساندة قضاياه والمشاركة فى دعم اسباب تقدمه وازدهاره » .

● « من المسلمات أن للنصر طريقاً واحداً ، هو طريق الحق الذى تدعمه القوة ، وحقنا ناصع أبلج ، ولنا من الامكانيات الهائلة المتكاملة ، اذا اتحدت كلمتنا وتضافرت جهودنا ، ما يؤمن لنا القوة الكفيلة باستخلاص هذا الحق كاملا غير منقوص باذنه تعالى » .

● « بين المبادىء الرئيسية التى تؤمن بها دولتنا الفتية ، أن الوطن مسؤوليتنا جميعاً وحقنا جميعاً » .

« واننا لنقف بكل ما تتيحه امكاناتنا من قدرة الى جانب الاشقاء العرب لحمل نصيبنا من مسؤولية استعادة اراضينا العربية المحتلة وفى مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربى الفلسطيني وفى مقدمتها حقه فى وطنه ، وفى تقرير مصيره فوق أرض الوطن » .

● « .. ولقد كان التطلع الى حق التمتع بالمساواة والحرية والعدالة عنصراً رئيسياً من عناصر حياة الانسان والشعوب فى كل زمان ومكان ، ومن ثم كان الحرمان من هذا الحق أهم الدوافع لقيام الحركات الوطنية التحررية التى عرفها العالم عبر التاريخ » .

● « ليست حرب رمضان المجيدة ببعيدة ، فلقد بهرنا فيها العالم بترابطنا الشامل ، وكان تكاتفنا على كل صعيد وفى كل مجال خلال معاركها الضروس ، سمتنا البارزة وعلامتنا المميزة » .

● « ان دولنا اعضاء اوبيك دول نامية لا تعرف الطمع بطبيعة مبادئها وأوضاعها ، وهى لا تكن إلا مشاعر المودة للجميع ، وتدعو مخلصة للتعاون الدولى لتحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية التى تنشدها الأسرة الانسانية » .

خليفة بن حمد آل ثاني
أمير دولـــة قطـــر



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر

شبابنا وبناء الدولة العصرية

من أجل صنع حضارة الغد المشرق ، حرصت دولة قطر فى انطلاقتها طوال العشر سنوات الماضية على بناء الشباب واعداده ليتولى مسئولياته فى مختلف مجالات الحياة ، اعتماداً على ما اكتسبه من دراسة وخبرة ووعى وقيم رفيعة نابعة من الايمان بتعاليم ومبادىء ديننا الحنيف ..

وقد وفرت الدولة لشبابها كل ما يؤمن لهم أحسن حياة وأفضل غد ، حتى يكرسوا كل وقتهم لاكتساب المعارف العلمية والقدرات الفنية التى تجعلهم قادرين على المشاركة بدورهم فى مسيرة البناء والتعمير وتحقيق التطور المنشود ..

ومن أجل رعاية الوجدان الوطنى والقومى للشباب ، وتوحيد طاقاته ، وترسيخ إيمانه بالمثل العليا النبيلة ، وتثبيت اعتداده بعقيدته ، والنهوض بمستواه الاقتصادى والفكرى .. كان لابد من انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، حتى يؤدى دوره الهام فى إرساء قاعدة التخطيط الضرورية التى تتابع الشباب وترعاه فى مختلف مراحل النمو ..

وعن أهمية تنمية قدرات الشباب واضاءة طريق المستقبل أمام جيل الغد ، قال سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى لرعاية الشباب :

« إن المرحلة التى نعيشها هى مرحلة بناء صرح الدولة العصرية وتأمين الهناء والارتقاء للشعب الطموح .. وأنه ليس من سبيل لادراك هذا الهدف إلا برعاية الشباب رعاية توفر له أفضل تكوين روحى وعقلى وبدنى ، باعتباره محط الآمال فى تقدم الوطن واستقراره ومركز الأمانى فى اضطراد الرخاء والازدهار » ..

ورغم حداثة انشاء المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، فقد حقق خطوات هامة نحو تحقيق أهدافه ، من بينها اصدار لائحته الداخلية لتنظيم الأنشطة الخاصة برعاية الشباب التى تقوم بها الأجهزة الحكومية والأهلية ودعمها وتوجيهها والتنسيق بينها حتى تعطى لنا باستمرار المواطن الصالح بدنياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ، وحتى ترشد جيل الغد إلى كل ما يرفع مستواه المادى والمعنوى وكل ما يصونه ويحميه ويدعم روحه الوطنية والقومية ويقوى عقيدته الدينية ..

وإلى جوار اهتمام المجلس الأعلى لرعاية الشباب بمجالات البحوث والدراسات العلمية بالتعاون مع الهيئات المختلفة فى الدولة ، أعدت لائحة موحدة للأندية الرياضية والثقافية والاجتماعية لتحقيق الأهداف التربوية للشباب ..

وقد رأينا فى السنوات الماضية ـ فى ظل اهتمام الدولة بالشباب ـ حركة واسعة لنشر الوعى الرياضى بانشاء النوادى الرياضية والثقافية الجديدة فى كل انحاء البلاد .. كما رأينا تنظيماً شاملا لرعاية الأنشطة الخاصة بالشباب كان من بينها تكوين الاتحادات الرياضية ، واللجنة الأوليمبية ، ومد الخدمات المكتبية إلى كل المدن حتى تتوفر أمام الأجيال الجديدة فرصة الثقافة والاطلاع على علوم العصر وتراثنا الخالد ..

وكانت مدينة خليفة الرياضية التى تضم استاداً يتسع لحوالى أربعين ألف متفرج ، هى أبرز دليل على اهتمام الدولة بالرياضية ورعايتها للشباب ..

وفوق هذا الصرح الرياضى ، أقيمت فى العام الماضى الدورة الادارية الثالثة التى اشترك فيها خبراء فى التنظيم الادارى للأندية الرياضية والثقافية ..

ورأينا فى العام الماضى أول معرض يقام لكتاب الرياضة والشباب ..

وكل ذلك وغيره ، إلى جوار تقديم المكافآت المالية للفرق الفائزة بالمراكز الأولى فى الدورى بمختلف درجاته ومسابقات الكأس ، حتى نرتفع بمستوى لعبة كرة القدم التى حققت بها دولة قطر نصراً عالمياً بحصول المنتخب القطرى للشباب على المركز الثاني فى تصفيات كأس العالم للشباب التى أقيمت فى استراليا ..

وهكذا نرى مدى حرص دولة قطر فى انطلاقتها الحضارية على بناء الشباب واعداده الاعداد اللائق الذى يتيح أمامه كل فرص العلم والعمل والتقدم .



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني

ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة



عشر سنوات من النهضة التعليمية

الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



بقلم

الشيخ محمد بن حمد آل ثاني

وزير التربية والتعليم

أرجو أن أؤكد ـ بادىء ذى بدء ـ على أهمية التربية فى حياة الأمم ، فالتربية كانت ـ منذ كان الانسان ـ ولا زالت ، الوسيلة المثلى لاجراء حركة تغيير جذرى ، وتحول حضارى ـ مبنى على أسس سليمة ، ومعطيات موضوعية قويمة ـ فى أى مجتمع من المجتمعات البشرية ، ذلك لأن حركة التغيير نحو الأفضل ، لابد وأن تتم طبقاً لجهد مدروس منظم يتمتع بالعمق والاستمرارية ، حتى تؤتى ثمارها فى المستقبل ، الذى هو رهن بما نقدمه للحاضر من جهود مخلصة مثمرة بناءة .

ولاشك فى أن أقدر الناس على القيام بهذه الجهود هم الشباب من ذوى الهمم العالية الذين حباهم الله الوعى والاخلاص ، والايمان والحماس ، والعلم والمعرفة ، فصقل الايمان ضمائرهم ، وشحذ الاخلاص مواهبهم ، وسدد العلم خطاهم ، وحفز الوعى عزائمهم فسمت أهدافهم ، وتطلعت الى المجد نفوسهم . ومثل هذا الشباب لن يتأتى لأى شعب من الشعوب بالمنى والأمانى ، وانما بناء على تربية شمولية متكاملة ، رصينة السياسة والأهداف ، حكيمة الاستراتيجية والتخطيط ، تتمتع بعمق المحتوى ، وسلامة الوسائل ، ويتميز القائمون عليها بالايمان والاخلاص من ناحية ، وبالعلم والوعى من ناحية ثانية .

من هنا تستقطب التربية اهتمام كل مواطن واع ، وكل عالم عامل ، وكل مصلح غيور ، وتوليها الأمم كل اهتمامها ، وجل جهودها وتفكيرها ، لأنه بتقدمها وتجددها وتطورها تزداد فاعليتها ، ويزداد عطاؤها ومردودها ، ويعمق تأثيرها على الأجيال الذين ستغدو بأيديهم مقاليد الأمور فى المستقبل ، وهم انما يصدرون عن مبادىء وقيم ومفاهيم تلقوها فى تربيتهم الأساسية فى المدرسة ، لذلك .. بقدر ما تكون صوره التربية مشرقة ، بقدر ما تشرق صورة المستقبل .

وانطلاقاً من هذا المفهوم الواضح لأهمية التربية فى حياة الأمم والشعوب كان اهتمام دولة قطر بالتربية والتعليم منذ الأيام الأولى لنهضتها الحديثة . ومن هنا كانت أول وزارة أنشئت فى البلاد على الاطلاق هى وزارة المعارف ، ولا يزال الاهتمام بالتربية والتعليم يزداد رسوخاً على مدى الأعوام ، ويأخذ أبعاداً وأعماقاً جديدة مع الأيام .

الأصالة والتجديد

كثيراً ما تواجه المجتمعات النامية



احتفالات يوم العلم

ما يسمى بالاختيار الصعب بين الأصالة والتجديد وفى كثير من الأحيان تفقد بلدان أصالتها وانتماءها الى تراثها فى غمار البحث عن التجديد . ولكنا فى قطر تفادينا ذلك والحمد لله ، فمنذ البداية حرصنا كل الحرص على ألا يؤدى التزايد المعرفى ، والتفجير العلمى ، والتسارع الحضارى فى العصر الذى نعيش فيه الى التأثير على أصالتنا ، والأخلال بالتوازن المستهدف بين الأصالة والتجديد .

اننا أمة لها عقيدتها السامية التى تستمد عظمتها من عظمة مشرعها - سبحانه وتعالى وتستقى مفاهيمها من سنة وسيرة مبلغها صلى الله عليه وسلم وهذه العقيدة تتمتع بكامل الحيوية ، وتنتظم أخلاقاً وقيماً ومثلا لا تفنى ، وتستوعب نظماً وتعاليم ومفاهيم لا تبلى ، وقد انتجت حضارة نبيلة قدمت للانسانية السعادة الحقيقية التى لم تعرفها فى تاريخها الطويل ، وان تاريخ أمتنا العلمى يحتل أنصع الصفحات فى سفر البشرية . لذلك فاننا حريصون على التمسك الكامل بهذا التراث النبيل بكل ما فيه من قيم ومثل وعمق وأصالة .

المعاصرة الواعية

ونحن لا ننسى اطلاقاً أننا نعيش فى عصر يتميز بسرعة الانجاز العلمى ، حتى أصبح يعرف بعصر الذرة وغزو الفضاء ، وقد تمكن الانسان فيه من استثمار خيرات الأرض ، وتسخير قوى الطبيعة ، وانطلق الى أجواز الفضاء يبحث عن المزيد . وكل يوم يحمل جديداً الى الحضارة الانسانية ، ويثرى التقدم العلمى والتكنولوجى .

ونحن لا نعيش بمعزل عن هذا العالم وانما نحن منه ، نتأثر به ، ونؤثر فيه ، ونتفاعل معه .

لذلك كان لابد من أن نأخذ الطوفان العلمى بعين الاعتبار ونحن نخطط لتطورنا التربوى . وبهذا جاءت مناهجنا متمتعة بدرجة عالية من المرونة ، مكنتها من القدرة على المحافظة على تراثها ، والافادة من معطيات العصر فى مجالات العلم البحت والتطبيقى والمعارف الانسانية ، وبذلك امكن هضم النظريات والأفكار الخصبة التى تجود بها الحضارة المعاصرة ، وتطويعها لمفاهيمنا ونظرتنا الاسلامية للكون والانسان والحياة ، بحيث يتواءم العلم والايمان ، ويحتفظ ناشئتنا بشخصياتهم المستقلة المتميزة كأفراد فى مجتمع خليجى عربى اسلامي .

الاختيار الصعب والمستقبل المشرق



تكريم قدامى رجال التربية والتعليم فى يوم العلم

البعد الكمى للتطور

كان لابد وأن يتطور التعليم تطـــوراً ملحوظاً من حيث الكم والنوع ، وتوضح المقارنة التالية مدى التطـــور الكمى فى التعليم ونسب التزايد التى حظيت بها الحقول الكمية المختلفة خلال السنوات العشر الماضية :

	العام الدراسى ١٩٧٣/٧٢	العام الدراسى ١٩٨٢/٨١	نسبة التزايد
أعداد الطلاب	٢٣٣٩٢	٤٢٧٢٠	٨٢ر٦٪
أعداد المدارس	٩٣	١٤٩	٦٠ر٢٪
أعداد المعلمين	١٣٧٤	٣٦٩٦	١٦٩ر-٪
أعداد طلاب البعثات	٥٨١	٣٩٢٥	٥٧٥ر٦٪
أعداد الخريجين	١٠٩	١٦٣٠	١٣٩٥ر٤٪
أعداد المعلمين القطريين	٣٨٩	١٢٩٢	٢٣٢ر١٪
محو الأمية وتعليم الكبار	٣٢٨٢	٨٦١٥	١٦٢ر٥٪

ولا تعطى الأرقام الجامدة مدلولات كبيرة ، وان ما نستطيع أن نؤكده أن نسب التزايد سواء فى الحقول المختلفة قلما يحظى بها مجتمع ما ، هذا وقد بلغت نسبة الطالبات الى الطلاب فى مدارسنا فى العام الدراسى الحالى ١٩٨٢/٨١ م . ٤٨ر٦٪ وهى من أعلى النسب العالميـــة لتعليم الفتاة . كما أن التزايد المتلاحق فى أعداد الخريجين القطريين مكننا من تقطير الوظائف الادارية الرئيسية فى التربية والتعليم فى قطاعى تعليم البنين والبنات ، سواء أكان ذلك على مستوى الادارة التربوية (الوزارة) أو على مستوى الادارات الميدانيـــة فى المدارس ، ليتولى أبناء البلاد قيادة المسيرة التربوية ، لكونها متعددة أبعاد التأثير على مستقبل أبنائهم ومجتمعهم

البعد النوعى للتطور

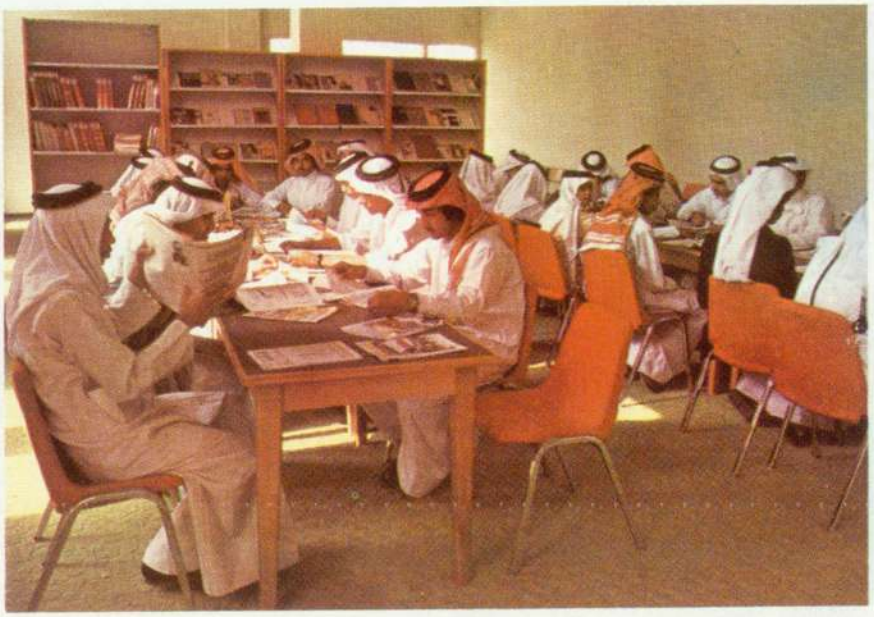
ولم يقتصر التطور التربوى فى دولتنا الفتية على الكم فقط ، فمحدودية الكتلة السكانية فى بلدنا تجعل من الأهمية بمكان الاهتمام بالكم من ناحية للحفاظ على كل عنصر من عناصرنا المثقفة ، وفى نفس الوقت رفع نوعية الخريجين ، بحيث يتمكنون من تولى زمام الخطط التنموية الطموحة التى تحياها البلاد بكفاءة وقدرة وفعالية ، بحيث يؤدى النوع الى تعويض قصور أو نقص الكم

ولا يمكن استقصاء ما تم فى هذا المضمار لذلك نكتفى بالاشارة الى أهم المنجزات خلال السنوات العشر الماضية ـ مجرد اشارة فقط ، ومن ذلك :

ـ وضع سياسة تربوية لدولة قطر ، ووضع استراتيجية لتطوير التربية فى البلاد .

ـ تطوير شامل للمنـــاهج والكتب المدرسية القطرية وبخاصة فى مناهج الرياضيات المعاصرة والعلوم المتكاملة ، والمواد الاجتماعية ، واللغة الانجليزية ، مع انجاز مجلدات فى الفاظ الطفل القطرى بغية تضامها الى مثيلاتها فى البلاد العربية بقصد وضع قاموس الطفل العربى .

ـ تطوير التقنيـــات التربويـــة ، والاتجاه الى التصـــنيع المحلى لمعظم الوسائل التعليمية ، مع انجـــاز تنميط الأسماء الجغرافية فى قطر ، وبدء العمل بمشروعى التليفزيون التربوى والاذاعة المدرسية .





لقطتان : الأولى لمكتبة مدرسية تنمى في النشء حب الثقافة والاطلاع .. الثانية لطلبة فصل مدرسى يتدربون على تنمية مواهبهم الفنية

ـ تطوير اعداد المعلم وتدريبه : اذ اخذ اعداد المعلم لجميع المراحل يتم عبر الجامعة ، وانشىء لهذا الغرض نظام بكالوريوس التربية للمرحلة الابتدائية ، وشمل الاعداد تاهيل جميع العاملين فى المدارس تربوياً فى برنامج متكامل لحصولهم على الدبلوم العام فى التربية ينتهى ١٩٨٥ م . والدبلوم الخاص فى التربية ينتهى ١٩٩٠ م . بالاضافة الى انشاء قسم لتدريب المعلمين فى أثناء الخدمة وامداده بكل الكفايات والفعاليات التربوية .

ـ تطوير المبنى المدرسى : حيث جرى تعديل جذرى فى المبنى المدرسى من حيث التصميم والتسهيلات التربوية وفعالية المبنى ومرونته ، وملاءمة المبنى للمرحلة المعد لها ، وتكامل البيئة المدرسية .

ـ تطوير النظم المختلفة : كما جرى تطوير معظم النظم التربوية ، من حيث نظم قبول الطلاب ، ونظم تدفق المعلومات التربوية ، ونظام الادارة التربوية ، ونظم تقويم الطلاب ، ونظم التقويم العامة .

ـ تطوير نظام الحوافز : ذلك بزيادة الحوافز المادية لتنمية اتجاه معين ، كالاتجاه العلمى ، والاتجاه الدينى ، والاتجاه للتعليم الصناعى والتخصصى وكذلك الحوافز المعنوية بتقدير المتفوقين فى كل مجال .

ـ رعاية المعوقين : حيث افتتح معهدا الأمل للبنين والبنات ، لرعاية المعوقين جسدياً والمعوقين فكرياً ، وتقديم التعليم الملائم لكل منهم .

جامعة قطر

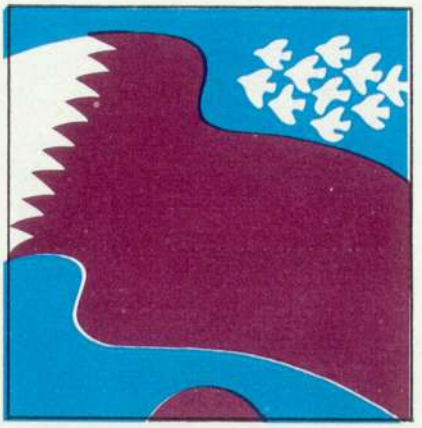
ولعل من أبرز نتاج السنوات العشر الماضية انشاء جامعة قطر التى بدأت بانشاء كليتى التربية للمعلمين والمعلمات ١٩٧٣ م . ثم اتسعت لتشمل خمس كليات هى : كلية التربية ، وكلية العلوم الانسانية ، وكلية الشريعة ، وكلية العلوم ، وكلية الهندسة .

فالجامعة صرح علمى وتربوى يدعم الاستقلال الفكرى والثقافى والعلمى للوطن ، وله دوره الفعال فى تطوير العملية التربوية والتعليمية بما يتاح للجامعة من كفايات علمية ، ولذلك يجرى تطوير العملية التربوية بتلاحم جهود كل من الاختصاصيين فى وزارة التربية والتعليم ، وأساتذة جامعة قطر ، حيث يفيد الميدان من الفكر النظرى ، وتكتسب النظرية واقعيتها ابان التطبيق .

هذا غيض من فيض ما حظى به التعليم من تطور خلال السنوات العشر الماضية ، ولا يمكن استقصاء حيثيات هذا التطور فى هذه العجالة ، ولكننى أؤكد أن اعداد أجيال الغد يتم بكفاية وقدرة ووعى ، وباعداد شمولى متكامل ، يحفظ للناشىء عقيدته وأخلاقه وقيمه ، كما يضعه على طريق البناء فى مجتمع نام متطور ، وعالم سريع التغير والتحول .

والله تعالى أسأل .. ان يوفق بهذه الجهود أبناءنا ـ الذين هم أثمن مقدراتنا ـ لبناء مستقبلهم على أسس قويمة ليحققوا لوطنهم رجاءه ولشعبهم آماله ، ولأمتهم ما تصبو اليه . انه تعالى من وراء القصد ويهدى السبيل .

محمد بن حمد آل ثاني



سياسة قطر الخارجية:

حرّية ورخاء للأمّة العربية صفاء ومحبّة بين شعوب العالم



بقلم

الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني

وزير الدولة للشئون الخارجية

بعد أن حصلت دولتنا الفتية على استقلالها فى الثالث من شهر سبتمبر عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين ، وأثر تقلد سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، لمقاليد الحكم فى الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ، بدأت تجربتنا السياسية فى التبلور والنضوج والرسوخ وكان محتماً على قيادتنا الواعية أن تمضى بمسيرة بناء وطننا قدماً الى الأمام ، من خلال الوفاء بكافة الالتزامات الوطنية والعربية والدولية . وعلى هدى من توجيهات سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى بدأ نشاطنا السياسى يتنافس ويتطور . على مختلف الأصعدة وفى شتى المجالات .

وداخلياً ، صدر فى ١٩٧٢/٤/٢٣ أمر أميرى بتعيين أعضاء مجلس الشورى فى دولة قطر . وكان عدد أعضائه عشرين ثم أصبحوا بعد صدور قرار فى ١٩٧٥/١٢/٩ ثلاثين عضوا ، فتعززت بذلك مسيرة الديمقراطية فى بلدنا الأمين الذى يؤمن ايماناً عميقاً بأن المواطن والوطن هما أثمن ما نحرص عليه . ومن هذا المنطلق بدأت عملية تنمية شاملة لمقدراتنا ولشبكة علاقاتنا الدبلوماسية على المستوى الخليجى والعربى والاسلامى والدولى .

مع الأشقاء فى الخليج العربى

ومنذ فجر استقلالنا ، سعت دولة قطر الى التكامل والتعاون مع دول الخليج . وقد أكد سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى هذا النهج السياسى وأوضح أبعاده ، فى خطابه السامى أمام مجلس الشورى فى دور انعقاده العادى العاشر حين قال :

«وفيما يتصل بعلاقاتنا العربية الاقليمية ، تنطلق سياستنا من طبيعة روابط الأخوة الحميمة التى تجمعنا فى صعيد واحد بدول الخليج العربية . تلك الروابط التى تنفرد بظاهرة الجوار ، وتعززها حاجتنا الخاصة المشتركة الى التنسيق بين مستوياتنا التى تتميز بالتشابه فى كل المجالات . ولا ريب أن هذا التنسيق هو أسلم السبل المؤدية الى تعاوننا الايجابى الشامل الضرورى لبناء قوتنا الذاتية الجماعية الكاملة التى ننشدها من أجل توفير المزيد من عوامل أمننا واستقرارنا ورفاهنا . وهو فى ذات الوقت أقوم سبيل لقطع الطريق على كل تدخل أجنبى فى شؤوننا ، واحباط كل محاولة لاضعاف موقفنا الثابت على اصرارنا على عدم الانحياز لأى من القوى



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر على رأس وفد بلاده فى مؤتمر القمة العربية فى عمان

العظمى ...» .

وتمشياً مع هذه الرؤية السديدة ، والنهج السياسى الحكيم ، بادرت دولة قطر خلال العشر سنوات الماضية الى المساهمة الايجابية فى كل نشاط خليجى ، من خلال الحرص على المشاركة فى كافة المؤتمرات والندوات والاجتماعات التى تقوم بها دول المنطقة .

وقد شهد العام المنصرم ، حضورنا الفعال سواء من خلال اجتماعات وزراء خارجية مجلس التعاون فى كل من الرياض ومسقط وأبو ظبى ، أو من خلال مشاركتنا فى قمتى مجلس التعاون الخليجى اللتين كانت أولهما فى أبو ظبى والثانية فى الرياض .

يداً بيد مع أمتنا العربية

أما توجهنا السياسى فى اطار علاقاتنا العربية ، فان دولة قطر تؤمن تماماً بأن «أمتنا العربية يربطها بعضها ببعض اشتراك المصالح والأهداف والمخاطر والآلام والآمال واتحاد اللغة والعقيدة والفكر والنضال ، والايمان العميق بحتمية العمل العربى المتكامل» .

كما تؤمن دولة قطر ، بأنه «ليس ثمة مأساة أفدح من تمزق أمتنا على النحو المهلك الذى تعانيه ، رغم اجتماع سائر العوامل لجعلها كياناً واحداً متماسك الأجزاء» .

ومن هذا المنطلق بذلت دولة قطر أقصى الجهد فى مجال دعم الشعب الفلسطينى فى نضاله العادل ضد الاحتلال الصهيونى ، كى يتمكن هذا الشعب الأبي المقاتل من استرداد كافة حقوقه المشروعة ، وأولها حقه فى العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطنى .

كما أيدت دولة قطر كافة الجهود العربية الرامية الى الحفاظ على وحدة لبنان وصون عروبته واستقلاله .

وشاطرت الأمة العربية فى السلم والحرب كافة الأعباء والواجبات . وشاركت فى كل مؤتمر عربى عقد فى ظل جامعة الدول العربية ، سواء على مستوى وزراء الخارجية أو على مستوى القمة التى كان آخر مؤتمراتها القمة الثانية عشرة التى عقدت بمدينة فاس فى ١٩٨١/١١/٢٥ .

ولزيادة توثيق عرى روابط الأخوة مع الأشقاء العرب ، ولدعم التضامن العربى قام صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولي العهد ووزير الدفاع فى ١٩٨١/٩/٩ بجولة شملت كلا من الأردن والمغرب وتونس .

ونظراً لازدياد فاعلية الدور السياسى لدولة قطر ، على المستوى العربى ، فقد غدت الدوحة ذات وزن سياسى مرموق ، الأمر الذى تجسد فى قيام جلالة الملك حسين بزيارتين متتاليتين لدولتنا الفتية الأولى فى مايو والثانية فى شهر أكتوبر كى يبحث مع أخيه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى مختلف جوانب الأوضاع العربية الراهنة والسبل الكفيلة بتجاوز الأزمة العربية .

كما رحبت دولة قطر بالسيد / ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال زيارتين متتاليتين الأولى فى مايو والثانية فى نوفمبر .

وفى نهاية شهر سبتمبر من العام الماضى كان صاحب السمو أمير البلاد المفدى على رأس مستقبلى شقيقه ، فخامة الرئيس / حافظ الأسد . وقبل ذلك استقبل سموه الأخ الرئيس علي ناصر محمد الذى زار الدوحة فى منتصف شهر نوفمبر من العام الماضى .

دعم للعالم الاسلامى

شهدت العشر سنوات الماضية ، تكثيفاً متواصلا للقاء مع قادة الدول

حرية ورخاء للأمة العربية
صفاء ومحبة بين شعوب العالم



سمو أمير البلاد المفدى أثناء حضوره مؤتمر القمة الاسلامى الثالث بالطائف

الاسلامية فدولة قطر «تؤمن ايماناً عميقاً بما يقرره القرآن الكريم من أن أمتنا الاسلامية أمة واحدة» هذا ما أكده صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، كما أكد : «ان واجبنا يقتضينا أن نوحد صفنا الاسلامى ، وأن نعتصم بحبل الله لنناضل فى سبيله . أقوياء باتحادنا أشداء بتكاتفنا . وللأسف فان عالمنا الاسلامى يعيش مأساة محزنة من الانهيار، مردها الفشل فى تنسيق امكاناته الذاتية الهائلة» .

ومن منطلق الحرص على مصالح الأمة الاسلامية ، شاركت دولة قطر فى كافة المؤتمرات الاسلامية ، والتى كان آخرها مؤتمر القمة الاسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف ومكة فى الخامس والعشرين من يناير من العام الماضى .

وقد استقبلت الدوحة ، أميراً وحكومة وشعباً فى العام الماضى ، سيادة الرئيس الباكستانى الجنرال ضياء الحق والرئيس السنغالى عبده ضيوف . كرمزين لبلدين تربطنا معهما روابط اسلامية وثيقة .

تضامن مع التحرر الافريقى

ودولة قطر ، فى مجال علاقاتها مع افريقيا ، فانها تحرص أشد الحرص على تعزيز التضامن العربى الافريقى وتساند شعوب افريقيا المضطهدة ، سواء فى ناميبيا أو فى ارتريا ..كما أن دولة قطر تقدم كافة المساعدات الممكنة للدول الافريقية الصديقة .

وقد استقبلت دولة قطر عدداً من رؤساء الدول الافريقية ومبعوثيها خلال السنوات العشر الماضية .

مع الأسرة الدولية

إن نهجنا السياسى يرتكز على «أن السلام والأمن الدوليين اللذين تنشدهما البشرية ، لامكان ارساء أسس تعاون وثيق فى جو من الصفاء والمحبة بين شعوب العالم كافة ، سيظلان محل التهديد والاحتلال حتى تؤتي جهود الانسانية ثمارها فى تحقيق أمانيها فى تصفية الاستعمار بكل أشكاله ، نهائياً وبصورة شاملة فى كل مكان . كما أنهما يتطلبان تهيئة الفرص العادلة لتمكين جميع الأمم من أن تنعم بكامل استقلالها القومى وحرية ارادتها الوطنية .ويحتمان اشتراكها كلها على قدم المساواة فى اقامة نظام اقتصادى واجتماعى جديد منصف على أنقاض النظام الحالى المجحف» .

ومن هذا المنطلق ، التقى صاحب السمو أمير البلاد المفدى خلال العشر سنوات الماضية بعدد من رؤساء دول العالم .

وقد تم بحث مختلف القضايا العربية والدولية ،معهم والسبل الكفيلة بحلها حلا عادلا.

علاقات دبلوماسية متينة

رافق نمو دور ووزن دولة قطر ، سياسياً ، سواء على المستوى الاقليمى ، أو العربى أو الدولى نمو فى عدد البعثات الدبلوماسية القطرية فى الخارج وازدياد فى عدد البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى دولة قطر .

ويمكن ادراك حجم شبكة العلاقات الدبلوماسية التى بنتها دولة قطر من خلال معرفة عدد البعثات المعتمدة لدى دولة قطر ، والتى وصل عددها الى ٥٥ بعثة .. وهذا بخلاف خمسة مكاتب ومنظمات دولية هى :

١ ـ مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .
٢ ـ برنامج الأمم المتحدة الانمائى .
٣ ـ منظمة اليونسكو .
٤ ـ المدراء المسئولون عن مشاريع الأمم المتحدة .
٥ ـ منظمة الخليج للاستشارات الصناعية .

قطر والعالم

وخلال العشر سنوات الماضية ،توزعت البعثات الدبلوماسية القطرية ـ سواء على مستوى السفارة أو القنصلية ـ على قارات العالم ، لتعزيز علاقات دولة قطر عربياً ودولياً . فأصبح لها ١٨ سفيراً فى أنحاء العالم وسبعة من القائمين بالأعمال وثلاثة قناصل عامون لدولة قطر فى الخارج ..

ومنذ فجر الاستقلال عملت دولة قطر على أن تتبوأ مكانها اللائق بين الأمم ، من خلال المشاركة الفعالة فى كل المنظمات والوكالات والمؤتمرات الدولية . حرصاً منها على مسيرة البناء والنماء العالمية لصالح المواطن القطرى ، ولصالح الأسرة الدولية .واليوم أصبحت الدولة عضواً فى العديد من الاتحادات والبنوك والمؤسسات والمنظمات الدولية والهيئات والوكالات والمراكز الثقافية فى العالم ..وهذا بخلاف



سمو أمير البلاد المفدى اثناء مشاركته لأخوانه اصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون الخليجى فى اجتماعاتهم التاريخية

السفراء فى الخارج

سفراء دولة قطر فى الخارج هم :

سعادة السفير	المركز	الدول المحال اليها
السفير / شريدة الكعبي	لندن ـ المملكة المتحدة	السويد ـ النرويج ـ الدنمارك ـ هولندا ـ ايرلندا
السفير / احمد حمد العطية	الكويت ـ دولة الكويت	
السفير / احمد الخال	بون ـ المانيا الاتحادية	فنلندا
السفير / عبد الرحمن العطية	جدة ـ المملكة العربية السعودية	الجمهورية العربية اليمنية
السفير / عبد الله يوسف الجيدة	الرباط ـ المملكة المغربية	السنغال ـ الجابون
السفير / علي حسين مفتاح	بغداد ـ العراق	
السفير / حمد عبد العزيز الكواري	باريس ـ جمهورية فرنسا	ايطاليا ـ اسبانيا
السفير / احمد غانم الرميحي	الخرطوم ـ جمهورية السودان	اثيوبيا ـ اوغندا
السفير / عبد القادر بريك	واشنطن ـ الولايات المتحدة الامريكية	فنزويلا
السفير / علي عبد الرحمن مفتاح	مسقط ـ سلطنة عمان	
السفير / احمد علي الانصاري	اسلام اباد ـ الجمهورية الباكستانية	ماليزيا ـ اندونيسيا
السفير / محمد علي الانصاري	طوكيو ـ الامبراطورية اليابانية	
السفير / محمد سعد الفهيد	دمشق ـ الجمهورية العربية السورية	
السفير / راشد محمد الخاطر	تونس ـ الجمهورية التونسية	
السفير / الدكتور حسن علي نعمة	نيودلهي ـ جمهورية الهند	سريلانكا
السفير / محمد سالم الكواري	جنيف ـ سويسرا	
السفير / الشيخ حمد بن محمد بن جبر ال ثاني	عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية	
السفير / جاسم يوسف جمال	نيويورك ـ الأمم المتحدة	كندا ـ الارجنتين ـ البرازيل.
القائم بالأعمال / يوسف عبيدان	بيروت ـ الجمهورية اللبنانية	تركيا
القائم بالأعمال / ناصر المناعي	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية	
القائم بالأعمال / سعد الكبيسي	الجزائر ـ الجمهورية الجزائرية	
القائم بالأعمال / ابراهيم احمد نعمة	ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة	
القائم بالأعمال / عبد الحميد الكبيسي	مقديشو ـ جمهورية الصومال الديمقراطية	
القائم بالأعمال / ابراهيم المقيصيد	نواكشوط ـ جمهورية موريتانيا الاسلامية	
القائم بالأعمال / عبد الله المطوع	طرابلس ـ الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية	

القناصل العامون لدولة قطر فى الخارج :

١ ـ السيد / سلطان محمد الكواري ـ بومباى
٢ ـ السيد / عبد الله مبارك الكعبى ـ شيراز
٣ ـ القائم بالأعمال / يعقوب المعضادى ـ دبى

مشاركتها فى ٢٧ منظمة عربية على مستوى جامعة الدول العربية ..

أما على مستوى منطقة الخليج فهى اليوم عضو فى : ـ

١) مجلس التعاون الخليجى .
٢) مجلس طيران الخليج .
٣) مكتب الخليج للتربية .
٤) مكتب الخليج للابحاث التربوية .
٥) بنك الخليج الدولى .
٦) لجنة الخليج الدائمة للترددات اللاسلكية .
٧) مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج .
٨) مجلس الخليج الأعلى للتعليم العالى.
٩) اتفاقية انشاء المركز الاقليمى للتوثيق الاعلامى .

دائماً ... الى الأمام

إن طموحاتنا الوطنية ، العضوية الارتباط بطموحات الأمة العربية الرامية الى تحقيق الرخاء والتحرر من قبضة الضغوط الدولية واستكمال سيادتنا تغدو استراتيجية بالنسبة لنا .

وستمضى دولة قطر ، على هدى من توجيهات حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى دائماً وأبداً الى الأمام .

أحمد بن سيف آل ثانى



أرقـــام تصنـــع الرخـــاء:

النمـوّ الاقتصـادي والقـدرة الذاتيّـة

من واقع استمرار الأهداف التى تشهدها البلاد جاءت الموازنة العامة للدولة هذا العام لتعكس صورة التطور والنمو فى اقتصاد البلاد ، ولتعبر عن سياسة الدولة المالية لتحقيق الرخاء والنمو الاقتصادى والاجتماعى .

وفى هذه المناسبة ركز بيان معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول ، على الملامح الرئيسية للموازنة العامة ، وأوضح كافة الجهود التى بذلت من أجل أن تأتى التقديرات فى هذا العام متفقة مع البرامج الانمائية فى البلاد والاستراتيجية المعلنة من قبل والتى يتم استكمالها من خلال خطـــة طموحة وواقعية وقادرة على تحقيق التنفيذ بالقدر المطلوب وفى الوقت المحدد

سعادة الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول



خلال فترة الميزانية ..

وتعكس الأرقام الواردة بالموازنة الجديدة خطة الدولة فى استمرار دعم قدراتها الذاتية فى مجالات الانتاج والخدمات حيث تبرز بصفة خاصة أهمية الاعتمادات المدرجة لتنفيذ المشروعات الرئيسية والتى بلغت فى مجموعها ٧ر٧٨٠ مليون ريال قطرى .

ويضاف الى ما تقدم ما تم تخصيصه لتمويل احتياجات الصناعات الوطنية والقروض العقارية والمساهمات فى المؤسسات المحلية والأجنبية والتى بلغت فى مجموعها ٥٨٣ مليون ريال وبذلك يصل مجموع مخصصات موازنة المشروعات الرئيسية للدولة ٨ر٣٦٣ مليون ريال قطرى .. وهكذا فان حجم الاعتمادات المخصصة للمشروعات بموازنة الدولة لهذا العام يدل على الرغبة الأكيدة المتطلعة دائماً لتوجيه الموارد والامكانيات المتاحة نحو أفضل استثمار اقتصادى واجتماعى ..

فقد رصدت الدولة مبلغ ٣٠٧ مليون ريال لتنفيذ عدد من المشاريع الصناعية والزراعية وذلك باستكمال البنية الأساسية لمواقع الصناعات ومنشآتها والخدمات التى تقوم عليها وانشاء مصنعين للسماد العضوى ولزيادة انتاجية صناعة مواد البناء علاوة على الاهتمام بالصناعات الخفيفة وعلى الأخص ما يتعلق منها باحتياجات المواطنين الأساسية كما توالى الحكومة دعمها لهذا النشاط فى مجال الدراسات لاعداد خطط تنفيذ صناعات جديدة بالاضافة الى الأبحاث والتجارب الزراعية فى مجال التربية والمياه والثروة الحيوانية واستصلاح الأراضى وانشاء المزارع النموذجية للانتاج الزراعى علاوة على عمليات التشجير وانشاء الحدائق .

كما يتضمن النشاط الصناعى المشروعات التى تشرف عليها ادارة شئون البترول لتطوير حقول الآبار والدراسات المتعلقة بذلك وتلك الخاصة بالمؤسسة القطرية العامة للبترول التى تستهدف تنمية مصادر الدولة من الزيت الخام والغاز الطبيعى .

وبلغت الاعتمادات المخصصة للاسكان والمبانى العامة ١٣٠٦ مليون ريال بما يستهدف توفير سبل الحياة الكريمة لجميع المواطنين بالاضافة الى زيادة المناطق العمرانية فى المدن والقرى والمناطق السكنية المختلفة واستمرار خطة الدولة فى تحديث مبانى الوزارات والادارات الحكومية كما يتضمن هذا النشاط المبانى الجديدة فى الخليج العربى وامسيعيد ومناطق أخرى مختلفة علاوة على استكمال برنامج بناء ٢٠٠٠ مسكن شعبى جديد فى مناطق متفرقة من البلاد بالاضافة الى الخدمات العامة لمناطق اسكان جديدة وبناء مخازن للمواد الغذائية وبناء العديد من المساجد فى الدوحة والمدن والقرى المختلفة كما يتضمن هذا النشاط مبلغ ٣٠٠ مليون ريال لصندوق القروض العقارية وقروض الاسكان بالاضافة الى ما يقدم من دعم للقطاع الخاص فى هذا المجال بما يدل على أخذ الدولة بزمام المبادرة فى معالجة اى اختناقات قد تحدث فى مجال الاسكان نتيجة التطور والنمو الاقتصادى المتزايد فى البلاد .

ورصدت الدولة لمشروعات خدمات المجتمع مبلغ ٥٨٧ مليون ريال لتنفيذ العديد من المشروعات الثقافية والاعلامية والرياضية والترويحية

وايماناً من الدولة بأهمية دور العلم فى التقدم والرقى وبأن رفعة الأمم والشعوب رهن بتعليم ابنائها فقد أولت هذا النشاط جل اهتمامها ورصدت للمشروعات الخاصة به مبلغ ٧٧٧ مليون ريال

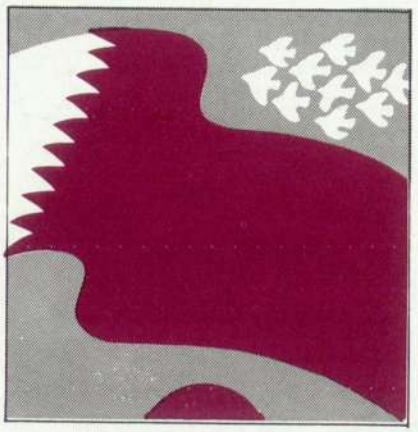
وتشهد الرعاية الصحية التى توفرها الدولة طفرة من منطلق تعميمها وتطويرها باستكمال بناء وتجهيز مستشفى حمد العام والتوسع فى بناء المراكز الصحية الجديدة .. لتؤدى خدماتها لكافة المواطنين فى انحاء البلاد بالاضافة الى انشاء مستشفى جديد للنساء بتكلفة اجمالية ٣٠٠ مليون ريال علاوة على التعديلات والاضافات والتحسينات بكل من مستشفى النساء الحالى ومستشفى الرميلة والعيادات الطبية المختلفة ولقد ادرج مبلغ ٢٣٠ مليون ريال لهذه الأعمال .

ولأن الطاقة الكهربائية والمياه العذبة هى عصب الحياة وأساس التطور الاقتصادى والاجتماعى لذا فان الدولة توليهما أكبر الاهتمام سواء من ناحية زيادة الانتاج أو توسيع نطاق التوزيع لتوفير احتياجات المواطنين وخدمة أغراض الصناعة والزراعة فقد خصص لهذه الأنشطة مبلغ ٢٣٤١ مليون ريال

ونظراً لأن قطاع النقل والمواصلات والطرق يعتبر احد ركائز النشاط الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد فان مخصصاتها التى بلغت ١٠٥٩ مليون ريال بموازنة هذا العام تدل على اهتمام الدولة بكل فروع هذا القطاع من نقل برى وبحرى وجوى وخدمات الهاتف والبرق والاتصالات عبر الأقمار الصناعية والخدمات البريدية وشبكات الطرق الحديثة داخل المدن وخارجها وانشاء الجسور العلوية لمعالجة اختناقات المرور بالميادين الرئيسية

وهناك نشاطات أخرى تشمل المشروعات الخاصة بالأمن والدفاع والدراسات والأبحاث الفنية كما يندرج تحتها مبلغ ١٠٠٠ مليون ريال خصص لاستملاكات الأراضى .

ومما تقدم يتبين ان الموازنة الجديدة باهتماماتها بالنشاطات المختلفة والمتنوعة ارتكزت على اسس ومبادىء نبعت من واقع المسئوليات الكبيرة الملقاة على عاتق الدولة فى النهضة الشاملة للبلاد والتطوير الاجتماعى لأفراد المجتمع القطرى ومن منطلق تحقيق القوة الذاتية للدولة مادياً ومعنوياً فى ظل القيادة الرشيدة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين .



خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠؟



بقلم: الدكتور حجر أحمد حجر
وكيل وزارة الصحة

في خلال السنوات القادمة سيكون هناك حصر وتقييم كامل للنظام الصحي في دولة قطر .. ومن خلال الجهود الاحصائية ستوضع خطة صحية شاملة في البلاد حتى عام ٢٠٠٠ ميلادية ، وذلك أسوة بأحدث النظم المطبقة في دول العالم

تقتضي التنمية الاقتصادية والاجتماعية اجراء تحسينات تدريجية في الظروف المعيشية وفي نوعية الحياة التي يتمتع بها المجتمع ويعيشها افراده . وتلك عملية مستمرة في جميع المجتمعات ، وقليل منها يمكن ان يدعي انه قد استكمل حظه من التنمية .

ولما كانت الرعاية الصحية هي المدخل الى بلوغ الجميع مستوى مقبولا من الصحة فهي تساعد الناس على الاسهام في تنمية انفسهم اجتماعياً واقتصادياً . ولا يمكن ان يقوم الفرد بدوره الكامل في المجتمع ، الا عندما يكون في مستوى مقبول من الصحة ، وبذلك تكون التنمية الصحية اساسية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وهناك ترابط وثيق بين وسائل بلوغها جميعاً . ويستتبع ذلك ان تكون الرعاية الصحية جزءاً لا يتجزأ من التنمية الشاملة للمجتمع .

لقد خطت دولة قطر ـ ومنذ تولي صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم ـ خطوات عملاقة في مضمار التقدم والرقي واستوجب ان ينعكس ذلك على المستوى الصحي للمواطن وكان لزاماً الاسراع بالعجلة الصحية لمواكبة هذه الخطة التنموية الطموحة عن طريق بلوغ ارفع مستوى صحي ممكن .

ان الأفكار والمبادئ التي تهدف اليها فلسفة الصحة في دولة قطر ترتكز على المفهوم المتكامل للصحة وبمعنى ان الصحة ليس غياب المرض فقط وانما هي حالة متكاملة جسمياً وعقليا واجتماعياً . لذا لزم تأسيس البناء الصحي على ركائز أربعة هي الوقائية والعلاجية والتأهيلية والادارية .

طبيب العائلة

لقد سارت وزارة الصحة العامة وتسير الآن في خطين متوازيين أولهما تطوير وتحسين الخدمات الصحية الموجودة وثانيهما خلق تلك التي تفي بالاحتياجات الصحية للفرد . ومن أجل ذلك نفذت الوزارة خطة طموحة لا مجال لذكرها كاملة الا أننا نستطيع ان نوجزها في عدة أمور :

الرعاية الصحية الأولية

وأهم القواعد الثابتة والمساندة لباقي الخدمات الصحية ومترابطة معها هي

خدمات الرعاية الصحية الأولية الشاملة التى تقدم للجميع على مستوى رفيع من الكفاءة الفنية والكلينيكية حريصة على تغطية كافة سكان دولة قطر اينما يقطنون وبسهولة الوصول الى امكنة خدماتها بالاضافة الى وضع نظام فعال يربط هذه الخدمات فى تفاعل تام مع خدمات الاخصائيين والمستشارين الطبيين فى المستشفيات هذا بالاضافة الى ارتباطها بالخدمات الصحية والاجتماعية الأخرى فى الدولة . ومرت هذه فى مرحلتين هما :

- تعزيز المراكز الصحية الموجودة مثل المراكز الصحية بمدينة الشمال والخور وام سعيد والوكرة .
- انشاء ثمانى مراكز صحية جديدة فى مناطق بني عمران والشحانية والنعيجة والجميلية والغويرية ومدينة خليفة والريان وأم غويلينة والسد والمنتزه وأم صلال والعسيري والغرافة .

وتقدم هذه المراكز خدماتها ضمن اطار طبيب العائلة ومعتمدة على نظام التسجيل الصحى الهادف الى ايجاد نظام صحى موحد يسجل عليه كل مواطن ومقيم ويمنح بموجبه بطاقة صحية تحمل رقماً صحياً موحداً يستعمل فى جميع الخدمات الصحية بالوزارة وبعد تسجيل المواطنين والمقيمين يوزعون على مراكز صحية قريبة من منطقة سكنهم بحيث يحدد كل مواطن أو مقيم مركز صحى واحد يراجعه عند الحاجة ويوضع به السجل الطبى والصحى الخاص به وبحالته الصحية ومن الجدير بالذكر اننا قد بدأنا العمل بهذا النظام فى منتصف عام ١٩٨١ م .

أهداف مستشفى حمد

وقد كان من ضمن الأهداف التى اقيم من أجلها مستشفى حمد :

أولا : تقديم ارقى الخدمات الصحية من الناحية النوعية والكمية بحيث تشمل :

أ - قليلا من الرعاية الأولية الخاصة بالحالات الاضطرارية .

ثانياً : تقديم ارقى الخدمات الطبية الثانوية التخصصية .

ثالثا : تقديم أعلى مستويات الخدمة الطبية الفرعية فى الاختصاصات الفرعية فى جميع حقول الطب سواء كان ذلك فى الأمراض الداخلية أو الجراحية أو الاطفال أو النسائية والتوليد بالاضافة الى الفروع المتخصصة الأخرى .

رابعاً : ان تتولى مؤسسة حمد موضوع التعليم والتدريب الطبى المستمر لكافة الأطباء فى دولة قطر سواء كانوا ممن يعملون بشكل مباشر بمستشفى حمد أو مؤسسة الرعاية الصحية الأولية وغيرها ؛



لقطتان لمستشفى حمد العام الجديد



قام المسئولون فى مستشفى حمد بالعمل الدؤوب على تنسيق الجهود مع الدول العربية الأخرى ومؤسساتها الرسمية وغير الرسمية لخلق برنامج تدريب اختصاصى فشاركت المؤسسة بالهيئة العربية العليا للتخصصات الطبية ومجالسها الأولى الاربعة ، اخص بالذكر :

- الأمراض الداخلية .
- الجراحة العامة .
- الأطفال .
- النسائية والتوليد .

واضعين هذه الأهداف نصب العين . وقد عمل المسئولون فى هذه المؤسسة منذ البداية على استقطاب العدد الكافى من الاخصائيين ذوى الكفاءات العالية من العالم العربى أو ممن استهوتهم ظروف الحياة فى الدول الامريكية والأوروبية ووجدوا فى مستشفى حمد مؤسسة يستحق الرجوع اليها . لذا قام المسئولون بالاتصال مع هؤلاء بشكل فردى أو عن طريق اعلانات فى الصحف الطبية المتخصصة المتعددة وقاموا بمقابلة الكثيرين منهم واضعين الامكانيات المالية للبحث العلمى كمشجع اساسى للعودة الى هذا البلد العربى .

وذلك تحضيراً لوضع برنامج علمى متخصص لتدريب العاملين من الأطباء العامين بعد انهاء فترة تدريبهم الأولية لكى يكونوا مختصين . حيث ان فرص التخصص فى البلاد الغربية وامريكا أصبحت شبه مقفولة امامهم . بالاضافة الى ان كثيراً من الجهد والمال يذهب سدى باقامة هؤلاء الأطباء خارج وطنهم العربى . بالاضافة كذلك الى ان كثيراً منهم تستهويهم الحياة الغربية فيقرروا البقاء فى هذه البلاد دون العودة الى بلدهم . قام المسئولون ايضاً بالتعاون مع بعض المؤسسات الطبية فى البلاد العربية لوضع الخطوط الأولية لاقامة تعاون اكاديمى بين هذه المؤسسات

خطة لصحة المواطن حتى عام ٢٠٠٠؟

الجامعية ومؤسسة حمد الطبية مما سيكون له الفائدة الكبرى على كلا المؤسستين فى المستقبل .

ورغم ان الافتتاح الرسمي لمستشفى حمد تحت رعاية أمير البلاد المفدى سيكون فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م الا انه تسهيلا للمهمة الطبية فقد بدأ المستشفى بتقديم بعض الخدمات الطبية لأهل قطر منذ ١٩٨٢/١/١٦ . حيث بدأت بعض العيادات التخصصية باستقبال المرضى واخص بالذكر :

- الغدد الصماء .
- امراض الأعصاب .
- امراض العيون .
- امراض الأنف والأذن والحنجرة .

وقد اتخذ القرار قبل ايام بابتداء العناية المرضية فى داخل المستشفى بداية من أول فبراير ١٩٨٢ م حيث قد تشمل قسماً مبسطاً من الأمراض الداخلية والسكرى والغدد الصماء وبعض مرضى القلب . كما ستبدأ فى ١٥ فبراير استقطاب بعض الأطفال المرضى مما يتناسب مع سياسة المستشفى العامة بتقديم الخدمات الطبية المتخصصة تدريجياً كلما استكمل قسم من الأقسام .

أما افتتاح المستشفى فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ م فستكون البداية الرسمية للعمل الدؤوب الذى نتوقع ان يتم فى أول يوليه ١٩٨٢ م حيث سيكمل استقطاب كافة الاخصائيين . اما القوى العاملة التى استقطبت الى الآن فهى كما يلى :

حقل التخصص	عدد الاخصائيين
امراض القلب	٢
امراض الصدر والرئة	٢
امراض المعدة والامعاء	٢
امراض الدم والسرطان	٢
امراض الكلى	١
امراض الغدد الصماء	٢
امراض الاعصاب	٢
الامراض النفسية	٢
الامراض الجلدية	٢

كذلك استقطب فى فرع الأطفال (٤) من المستشارين ذوى الكفاءة العالية وفى قسم النساء (٣) بالاضافة الى ان قسم الجراحة بدأ باستكمال ما كان ينقصه من الاخصائيين فى امراض العظام والتخدير والمجارى البولية والجراحة التجميلية وسيباشر معظم هؤلاء قبل ١٩٨٢/٧/١ م .

اما النواحى البحثية فقد قام المستشفى منذ مدة بالتنسيق الى لقاء علمى بين المستشارين فى هذا المستشفى ومقابليهم من بعض الاخصائيين فى فرنسا لاقامة اسبوع علمى بحثى فى شهر مايو ١٩٨٢ م . ويعمل المستشفى على قيام اسبوع بحثى محلى فى اواخر هذا العام .

اما التدريب للعاملين فى هذا المستشفى فقد بدأ على مستوى التمريض ومستوى السكرتارية والمترجمين والعاملين فى العيادات الخارجية . وقد بدأت بوادر النجاح تظهر فى المعاملة اليومية للمرضى الذين بدأوا يؤمون العيادات الخارجية فى هذا المستشفى .

خدمات المستشفيات

وتشمل المستشفيات العامة كمستشفى حمد العام (٦٦٠ سرير) ومستشفى الرميلة العام (٤٧٠ سرير) بالاضافة الى المستشفيات التخصصية كمستشفى الولادة وامراض النساء (١٨٩ سرير) ومستشفى الدوحة للامراض المزمنة والدرن (١١٢ سرير) ومستشفى العزل (٢٥ سرير)

اما للافراد ذوى الامراض المستعصية فانهم يحولون اما الى الخارج للعلاج أو يعرضون محلياً على كبار الاخصائيين الاستشاريين العالميين عن طريق برنامج زيارتهم الدورية .

لقد انشىء مستشفى حمد العام لمواجهة العناية الصحية المتخصصة للاهالى وسيخدم المستشفى كمركز تخصصي تحويلى للمرضى من والى شبكة خدمات الرعاية الصحية الأولية ، كما يعمل على اقامة علاقات مع المؤسسات الطبية الخليجية والعربية والعالمية لتبادل الخبرة والمعلومات الثقافية فى الأمور الصحية والطبية والتقنية .

تضم منشآت المرضى فى المستشفى وحدات مخصصة للرعاية الطبية الباطنية والجراحة العامة فى معظم تخصصاتها والعناية الجراحية المركزة والعناية الطبية المركزة ، رعاية امراض القلب المركزه والعناية بالحروق ، العظام ، الأطفال والعناية المركزة للاطفال وخدمات امراض العيون ... الخ ... ووحدة الكلى الصناعية .

ويحتوى المستشفى كذلك على ثمانى غرف للعمليات تدعمها تسهيلات الانعاش الكاملة .

ويمكن لجميع وحدات المستشفى العمل لدعم دائرة الطوارىء والحوادث الكبيرة اذ تتوفر فيه عشرة غرف لفحص ومعالجة ضحايا الحوادث واثنان وعشرون سريراً للمراقبة .

الصحة الوقائية

تقوم الوزارة من خلال مجموعة كبيرة من المراكز المنتشرة فى مختلف المناطق والموانىء الجوية والبرية والبحرية بأعمال مراقبة المسافرين والقادمين بطريق الجو

العناية الطبية



والبحر والبر وتنفيذ القوانين والاتفاقيات الصحية الدولية . بالاضافة الى مراكز مكافحة الأمراض المعدية والتحصين باللقاحات الواقية منها وتسجيل المواليد والوفيات . كما تقوم بالاشتراك مع البلدية وادارة المياه بوزارة الكهرباء والماء ومن خلال المركز الاقليمي لرقابة الأغذية - وهو مختبر علمي على كفاءة علمية عالية - بمراقبة الأغذية ومياه الشرب .

كما انشأت اقساماً مختلفة مثل قسم الصحة المهنية وقسم رعاية الأمومة والطفولة وقسم الصحة الغذائية وقسم الاحصاء الحيوي وتدعيم مختبر الصحة العامة .

القوى العاملة

وقد تم تخريج دفعات من الكوادر القطرية في المجالات الصحية والطبية كالاطباء والممرضات والمفتشين الصحيين . اما بالنسبة للصنفين الاخرين فقد تم تدريبهما محلياً . ويقوم هؤلاء الآن بتحمل مسئوليات قيادية في مجالات اختصاصاتهم

كما تم تنظيم برنامج لتدريب عدد من الاداريين القطريين بالوزارة في ايرلندا ... ولقد عادوا بعدها لاستلام مراكز قيادية في مجالات عملهم المختلفة .

الخبرات الدولية

لقد حرصت الوزارة منذ البداية الاعتماد الكبير على الخبرات الدولية لتحسين خدماتها الصحية وفي سبيل ذلك :

- اصبحت دولة قطر سنة ١٩٧١ عضواً كاملا في منظمة الصحة الدولية واصبحت كذلك عضواً في مجلس وزراء الصحة للدول العربية في الخليج سنة ١٩٧٦ وتشارك بفعالية في اجتماعات اللجان الفنية المتعددة والمنبثقة عن الامانة العامة التابعة للمجلس المذكور . ولقد اثبت هذا المجلس خلال سنواته الست الاخيرة اهمية وسهولة التنسيق في المجالات الصحية بين دول المنطقة لما فيه من تحسين للمستوى الصحي لمواطنيها .. بالاضافة لما تقدم من مشاركة في أعمال مجلس وزراء الصحة العرب التي هي عضو فعال فيه ايضاً .

- أبرمت دولة قطر عدة اتفاقيات صحية مع كل من ايرلندا وفرنسا والدنمارك واستراليا ومصر والسودان وجامعة بيروت الامريكية .

- استضافت الدولة مؤتمرين هما الاجتماع السنوي لاقليم شرق البحر الأبيض المتوسط التابع لمنظمة الصحة العالمية (٢٣ دولة) عام ١٩٧٩ وكذلك المؤتمر السادس لمجلس وزراء الصحة للدول العربية في الخليج عام ١٩٧٨ .

الصحة والمستقبل

أما بالنسبة للمستقبل فان الوزارة ستقوم بتوسيع شبكتها للرعاية الصحية للمواطنين عن طريق انشاء مراكز صحية جديدة في ضواحي الدوحة : النجمة ، المنصورة ، السلطة ، الجديدة وخليج الدوحة الغربي أما خارج الدوحة فسنعمل على افتتاح مركز صحي بقرية الذخيرة بالاضافة الى تقييم الخدمات المتاحة في المراكز التي افتتحت تمهيداً لتطويرها .

أما بالنسبة للمستشفيات فان الوزارة حريصة على تعزيز مستشفى حمد العام وكذلك بدىء في انشاء مستشفى جديد للنساء والولادة يضم (٣٣٠ سريراً) يكون على شكل ملحق لمستشفى حمد العام . وسينتهي العمل به خلال العامين القادمين .

أما بالنسبة لمستشفى الرميلة العام فسيحول الى مستشفى لخدمات طب المسنين والامراض النفسية والعقلية والعناية الطبية المطولة وخدمات التأهيل المتكاملة للكسور والشلل وغير ذلك وتركيب الأطراف الصناعية وغير ذلك من التاهيل مما يكمل الخدمات العلاجية الأخرى . ويقوم الآن فريق استرالي في التخطيط والتنفيذ لذلك . وستقوم الوزارة كذلك بتعزيز خدمات الصحة الوقائية لتأخذ دورها المطلوب في الوقاية من الأمراض .

ومن أجل ارساء النظام الصحي على اسس علمية سليمة قامت الوزارة أخيراً بتوحيد الجهود الاحصائية بالوزارة للخروج بنظم للمعلومات الصحية المتكاملة لتكون الدعامة الاساسية لعملية التخطيط الصحي الشامل لدولة قطر والتي ستشمل في خلال السنة القادمة حصراً وتقييماً كاملا لنظامنا الصحي الوطني لنستطيع من خلاله وضع خطة صحية شاملة لدولة قطر حتى عام ٢٠٠٠ اسوة بدول العالم المتقدمة

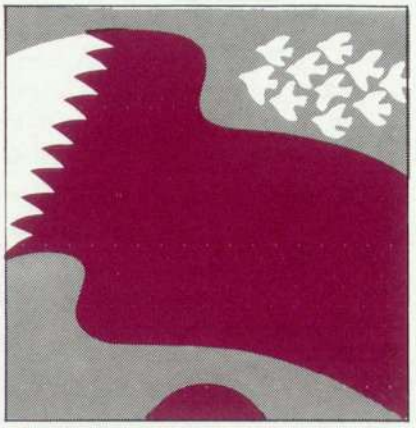
لقد كانت تلك لمحة خاطفة لبعض ما حققته وزارة الصحة العامة في الاحدى عشر سنة الماضية اما بالنسبة للمستقبل فاننا سنسعى جاهدين الى الاستفادة من اخطاء الماضي ونبني على ذلك أساساً منيعاً يكون لبناية الاسلوب العلمي الصحيح .

لاشك ان معايير التقدم البشري عديدة الا اننا نعتبر ان اهمها هو المستوى الصحي الوطني .. وفي سبيل تحقيق ذلك المستوى الصحي الرفيع نحاول دائماً وباقصى ما نستطيع توفير الرعاية الصحية والطبية للمواطن الا ان مسئولية المواطن تجاه صحته هي الضمان الأول لها ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : (ان لبدنك عليك حقا) .

د . حجر أحمد حجر

معهد التدريب الصحي





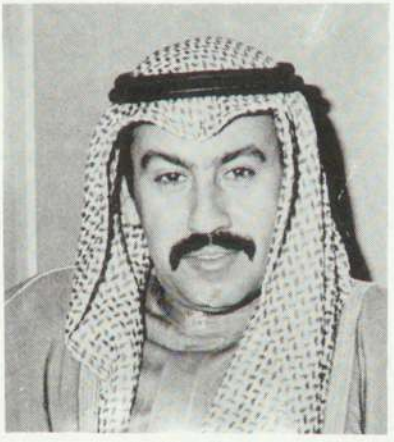
عشر سنوات من التوجه الحضاري في الإعلام القطري

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري
باريس

الوجه الثقافي ، الفنى ، الأدبى ، الفكرى للاعلام القطرى ـ أى بكلمة الوجه الحضارى ـ هو من المنجزات الغالية التى يتوجب تسجيلها فى صفحة هذه النهضة الاعلامية الواعية والمثمرة ، التى رافقت النهضة الشاملة التى شهدتها دولة قطر العربية فى العشر سنوات الماضية بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني قائد هذه الدولة الفتية ومؤسس نهضتها وبانى تاريخها الحديث .

وفى هذه الذكرى التى ترمز لعشر سنوات متواصلة من العمل التأسيسي ، فان من واجب الوفاء علينا ، كرجال قلم وثقافة ودعاة تنوير فكرى ، أن نلتفت الى هذا الجانب الثقافى الحضارى فى سياسة سمو الأمير القائد الذى ركز منذ البدء على قضية بناء الانسان وتنمية قواه الفكرية والاخلاقية والروحية كهدف وكغاية للنهضة وللتنمية ولسياسة الدولة فى كافة الميادين .

فمثل هذا التوجه هو أحوج ما تحتاج إليه الأمة العربية كلها فى زمنها الحاضر الصعب ، وهو ما يبحث عنه ويطالب به رجال الثقافة العربية فى كل مكان لأن تنمية الانسان حضارياً هو ما يقيل الأمم من عثارها ، ويرد عنها المحن وكيد الأعداء ، ويفتح أمامها طريق النهضة والكرامة .



عيسى غانم الكواري
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

دور الإعلام القطري لإبراز الكلمة الهادفة والحقيقة النيّرة

وإذا ما وجد المثقف العربى فى الحاكم العربى مثل هذا التوجه الحضارى المثمر ـ الذى يتجلى بوضوح فى سياسة قائد قطر العربية ـ فان واجب الكلمة يحتم على كل مثقف عربى ـ أيا كان موطنه وموقعه ـ أن يشيد بهذه السياسة المتحضرة الرشيدة وأن يكون عضداً لها خدمة للنهضة العربية الجديدة المأمولة التى هى غاية كل عربى مخلص حاكماً كان أو مواطناً ، مسئولا كان أو مفكراً .

ومع دخول هذه السنوات العشر الحافلة فى تاريخ قطر والخليج والعرب ، بحجمها وأبعادها ، فان مساحة الاشعاع الحضارى للاعلام القطرى تتسع هى الأخرى بمساحة السنوات من الجهد والعمل ، لتتجاوز حدود قطر ، وحدود الخليج وتصل الى مشرق الوطن الكبير ومغربه لترفد أمتها العربية بما فى روح قطر وروح الخليج من أصالة عربية ومحبة عربية سمحة تسعى لتجاوز محن الزمن الصعب الى زمن الخلاص المقبل قريباً باذن الله ، بقيم العمل والصبر والنظرة البعيدة والايمان بقدرة الأمة والتفاؤل بالمستقبل والاصرار على المشاركة فى السراء والضراء ، وسائر مقومات الروح العربية المتأصلة فى أهل هذا





مجموعة من اللقطات تمثل بعض مظاهر الوجه الثقافي فى دولة قطر .. الفرقة القومية القطرية للفنون الشعبية .. والمسرح الجديد .. ثم المحطة الأرضية للاتصالات الفضائية .. واخيرا متحف قطر الوطنى

الركن العربى المكين : خليجاً وجزيرة ، بادية وحاضرة .

●●●

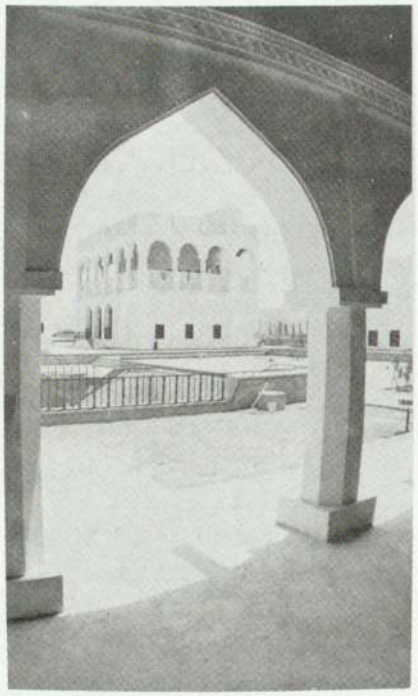
وها هى ذي مجلة « الدوحة » كمنبر من منابر هذا الاشعاع الحضارى ، تؤدى باسم قطر لأمتها العربية فى مطلع كل شهر خدمة الكلمة الهادفة والحقيقة النيرة ، خدمة خالية من كل غرض ، مجردة لوجه الثقافة العربية ، هادفة لكل ما ينهض بالروح العربية ويساعد على التئام الجراح العربية .

هذا بينما تتفوق وتتألق الفرق القطرية من فنية ومسرحية فى مختلف المحافل العربية وتنال قصب السبق بين الأشقاء فى مجالات الاستحقاق مبشرة بقدوم موسم الحصاد لانماء الانسان وبناء الانسان الذى أراده القائد .

وكأساس مكين لهذه الانطلاقة نحو المستقبل ، يعود الاعلام القطرى لانشاء ورعاية مركز التراث الشعبى الخليجى ، متعاوناً مع الاشقاء كافة ، تأكيداً لأصالة النهضة المنشودة وعودة لجذورها الراسخة .

والواقع أن تعداد المآثر الثقافية للاعلام القطرى حديث يطول ويستحق رصداً أطول ولكنها مآثر بينة واضحة يستطيع أن يدرك حقيقتها بتجرد من يقدر جهد العاملين ويعطى كل ذي حق حقه .





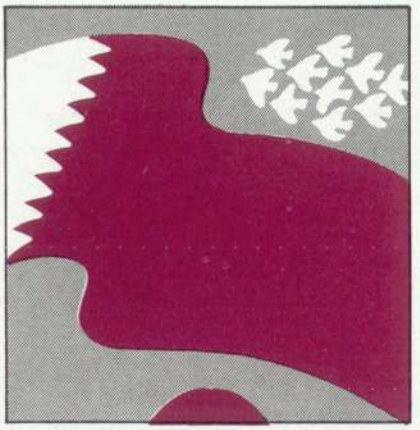
وتحية لرجل العمل الصامت

ثم يبقى فى النهاية من واجب الوفاء لرجال أمتنا المخلصين العاملين بصمت وجهد وتجرد ، أن نسجل ، أمانة للحقيقة ، جهاد رجل صامت ، بعيد عن الأضواء ، رغم قربه منها ، بعيد عن الظهور رغم نشاطه الجم .. رجل أحب عمله حبه لأمته وبلده وقائده ، فأعطى الكثير من جهده ووقته وفكره ، وأصبح - بتواضع - رائد العمل الاعلامى المتحضر الهادىء المستنير ، ليس فى قطر وحدها ، وانما فى منطقة الخليج كلها ، وصار مثالا يعتز به من يريدون النهضة والتقدم لهذه المنطقة ، ويقدمونه وجهاً مشرفاً لهم أمام أمتهم العربية .

هذا الرجل بطبيعة الحال هو سعادة الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطرى ، وأبرز وجوه الاعلام الخليجى والعربى ، الذى كان اختياره من قبل سمو الأمير القائد لهذه المهمة اختياراً من جانب سموه للعمل الدؤوب والتفكير المتفتح المستنير .

هذا الرجل هو الفنان الذى أبرز الملامح المشرقة للوجه الحضارى للاعلام القطرى ليكون علامة أمل مضيء ، فى الزمن الصعب ، لرجال الكلمة الخيرة فى خليج العرب ووطن العرب الكبير .

د . محمد جابر الانصاري - باريس



طموح المرأة القطرية لم يتوقف عند المرحلة الجامعية

بقلم: نعيمة المطاوعة

اذا أردنا أن نتحدث عن مساهمة المرأة القطرية فى بناء مجتمعها ونهضته ، فاننا سنبدأ من الماضى ، حيث كان للمرأة - سواء فى قطر أو الخليج - دور اضطلعت بأعبائه ، وذلك قبل تدفق البترول - على المنطقة - فكانت تساهم في دخل الاسرة ، وخاصة اذا كانت من الأسر المتوسطة أو الكادحة ، وكثيراً ما تضطر للعمل لسد حاجة بيتها وتجنيب أطفالها شر الفاقة أثناء غياب رجل البيت شهوراً طويلة فى الغوص ، بحثاً عن مصدر الرزق الوحيد حينذاك .

وكان عملها ينحصر فى الأعمال المنزلية من طبخ وتنظيف وتربية الأولاد .. وهى تنتظر صابرة .. زوجها .. أملة عودته .. والقلق يكاد يقتلها من شعور يأتيها أحيانا بامكانية عدم عودته ..

ومع ظهور البترول وتدفقه ، حدثت تطورات جذرية فى المجتمع ، وقل الاعتماد على الغوص وصيد اللؤلؤ ، وتغيرت الحياة فى قطر والخليج !

وكان طبيعياً أن ينعكس هذا على المرأة لكونها تشكل عنصراً هاماً فى بناء المجتمع ، فقلت مساهمتها فى دخل الأسرة ، ولم تعد تعمل كالسابق ، وأصبح الرجل هو المسئول ، وذلك لتوفر العمل المربح الذى لا يضطره للتغيب طويلا والذى يدر عليه الربح الكثير ..

وقد ساعد على هذا عودة المرأة القطرية الى خدرها .. ومملكتها .. وأصبحت لا تخرج إلا لحاجة ملحة .

البنت فى المدرسة

وبازدياد موارد البلاد .. ظهرت النهضة .. وبدأت ملامحها تبرز بشكل ملحوظ .. وانعكس التقدم على كل مظاهر الحياة ..

وبالتالى ظهرت الحاجة الى ايجاد شعب متعلم .. يعرف واجباته وحقوقه مما دعا لانشاء المدارس ، حيث كان الاعتماد فى الماضى على مدرس القرآن الكريم «المطوع» ..

واقتصر على انشاء مدارس البنين فى البداية .. ولكن فى منتصف الخمسينات أتيحت للفتاة فرص التعليم وذلك بافتتاح أول مدرسة للبنات عام ١٩٥٥ ، تضم بين صفوفها ٥٠ طالبة ، تقوم بالتدريس لهن معلمة واحدة ، وهكذا بدأت خطوات الفتاة فى طريق التعليم بكل حماس وطموحات . وتحمس الأهل لأهمية التعليم للبنت ، رغم وجود معارضة من البعض ، الذين لم يسهل اقتناعهم بالتطور الجديد ..

ولقد كان للجانب الايجابى فى اتجاه غالبية الأهل لتشجيع التعليم أثره فى تشجيع الدولة على افتتاح العديد من المدارس وتشجيع الأهالى على ارسال فتياتهم اليها . وذلك بتقديم الرواتب الشهرية ، وكل مستلزمات الدراسة ، واعفاء الأهل من أية التزامات تجاه تعليم بناتهم ، مما دعا بقية الأهل أخيراً الى الاقتناع بأهمية التعليم .. وخاصة بعد ملاحظتهم ، أن الفتاة استطاعت أن تساعد أهلها فى بعض الأمور ، خاصة كتابة الرسائل لأقاربهم وصنع بعض الوجبات الجديدة مما تعلمته فى المدرسة .

ولكن نلاحظ فى منتصف الستينات حدثت ردة فعل عنيفة من قبل الأهل فقد أجبر البعض منهم بناتهم على ترك المدرسة والمكوث فى المنزل لحين قدوم الزوج المناسب ، وكثر فى ذلك الوقت زواج الفتيات بحجة أن ما تحصلت عليه الفتاة لهو كاف بالنسبة لها ، ولا حاجة لها أن تصل الى الصفوف العليا ، رغم أن الفتيات لم يصلن إلا الى مرحلة بسيطة فى التعليم الابتدائى !

ولكن هناك الكثير قاوم رد الفعل هذا ، واستمرت الفتاة القطرية تكافح من أجل نيل أعلى مراتب العلم ..

مربية الأجيال

وازدادت مدارس البنات حتى أصبحت الآن أكثر من ٦٨ مدرسة .. ولا تكاد تخلو قرية أو مدينة مهما صغر حجمها من مدرسة للبنات ..



الفتـــاة القطرية أثناء
حفظ وتلاوة القـــرآن

وبانشاء كلية التربية التى كانت نواة للجامعة والتى افتتحت رسمياً عام ١٩٧٧ ، ارتفع مستوى الفتاة القطرية ، التى لم تعد تكتفى بالمرحلة الثانوية ، بل حاولت الحصول على أعلى الشهادات ..

وخير دليل على ذلك .. عدد الخريجات الذى وصل منذ عام ١٩٧٧ ـ حيث تخرجت أول دفعة ـ وحتى عام ١٩٨١ حوالى (٦٧١) طالبة .

وتسلمت مقاليد العمل . فنراها تعمل كمربية أجيال فى المدارس ، وذلك ليقل الاعتماد على الاعارات الخارجية من المدرسات .. ولا نكاد نرى مدرسة الآن تخلو من قيادات قطرية ، تشعر بأهمية التعليم ..

وقد أثبتت الفتاة قدرتها على تحمل المسئولية ، ومراعاة التنظيم ، بالاضافة لذلك فقد أتيح للفتاة فرصة الدراسة فى الخارج للتخصص فى مجالات حيوية مثل الطب والاعلام والحقوق ، فنرى الأعداد الهائلة التى تسافر فى كل عام ، للدراسة سواء بالالتحاق أو الانتساب للجامعات العربية ، وبذلك استطاعت أن تقتحم مجالات لم تكن تجرؤ على الاقتراب منها أو التفكير فيها ، فعملت فى مؤسسات الاعلام ، والمؤسسات العامة والتمريض .. تلك المهنة الانسانية ، حيث نرى الأعداد الكبيرة التى تتخرج كل عام من مدرسة التمريض .. واثبتت الممرضة القطرية جدارتها فى هذا العمل الانسانى التى يشهد بها الكثيرون .. وبالبالطو الأبيض تخطو الفتاة فى قطر الآن خطواتها الأولى ، كطبيبة .. فى ردهات المستشفى والعيادات بعد حصولها على شهادة الطب التى تعتبر وسام شرف على جبينها ..

تعميق النظرة

وقد أدى هذا كله الى احداث نوع من الوعى لديها ، لأهمية دورها فى المجتمع . وعمقت نظرتها للأمور .. واستطاعت أن تبرز ايجابيتها ، وبعد أن كانت معدومة التأثير فى حياتها الاجتماعية أصبح لها دور فى التأثير فى أسرتها واتخاذ القرارات الحاسمة فى أمور كثيرة ..

وقد أدى عمل الفتاة القطرية أيضاً الى خلق نوع من الاستقلالية لديها . وأيضاً ـ لخلق رد فعل ـ من جانب الرجل عندنا .. فوقف ينادى بأن لا يحق للفتاة أن تعمل فى مجالات يكون الرجل طرفاً فيها .. بحجة أنها تؤدى الى نوع من الاختلاط لا يناسب العادات والتقاليد .. ويحاول البعض من الرجال أن يعيد المرأة الى بيتها رغم التعليم الذى حصلت عليه وانه لا حاجة لها بالعمل .. فهم المكلفون برعايتها والانفاق عليها .

وقد يقول البعض ان هذا القول فيه بعض من الصحة .. ولكن يجب الادراك أن عمل المرأة ليس فقط بهدف المال والمشاركة فى معيشة الحياة ، رغم أن حياتنا الآن تتطلب تلك المشاركة .. ولكن عمل المرأة هو اثبات لوجودها وكيانها وأحقيتها فى بناء مجتمعها ومحاولة تقديم شىء بسيط له .. مقابل ما قدمه من خدمات ، بحيث تجعل لبيتها وحياتها الخاصة وتربية أطفالها الجزء الأكبر من اهتمامها .

ولكن .. رد الفعل هذا .. لم يحد من طموحات المرأة فى قطر ، ولم يثبط من عزيمتها .. وواصلت السير .. فبجانب الفتاة المتعلمة ، حاولت المرأة القطرية الأم ، أن تحصل على جزء من التعليم ولم تخيب الدولة أملها .. بافتتاح مدارس محو الأمية للنساء .. فأقبلت المرأة من أمهات وفتيات انقطعن عن الدراسة فى الستينات على التعليم بنهم .

وعلى الجانب الآخر لم تقتنع الفتاة القطرية بالمرحلة الجامعية ـ ولكن ازداد طموحها للحصول على أعلى الشهادات العليا مثل الماجستير والدكتوراه فى مختلف العلوم .. ومن مختلف الجامعات .

وخير مثال على ذلك الدكتورة جهينة سلطان سيف .. التى تعتبر أول فتاة تحصل على مثل هذه الشهادة . والتى أثبتت جدارتها فى مجال

طموح المرأة القطرية لم يتوقف عند المرحلة الجامعية

تخصصها ، ومشاركتها فى الكثير من المؤتمرات بابحاث كانت جديرة بالاهتمام ، وحصولها أخيراً على شهادة تقديرية من مؤسسة الكويت للتقدم العلمى للأبحاث التى تقدمها .

ولطيفة الحوطى الحاصلة على درجة الدكتوراه فى العلوم .. وغيرهن ممن يحاولن نيل مثل هذه الشهادات .. وهناك الكثيرات الآن ممن يحملن درجة الماجستير .. أو يحاولن الحصول عليها

المرأة والأدب

ولكن نلاحظ أن بعض الخريجات ممن يحملن شهادات فى تخصص معين يرفضن العمل فيه ، ويتجهن إلى أعمال لا تمس هذا التخصص من قريب أو بعيد رغم توفر الامكانية واتاحة الفرصة لهن للعمل فى مجال دراستهن .. وهنا أقول ان الأجدر بمن كافحت سنوات طويلة للدراسة فى علم معين أن تضع نصب عينيها أن تعمل على الاستفادة منه ، وتجند كل طاقتها لتنفيذه ..

وقد يرى البعض أن هذا انعكاس لبعض الصعوبات التى تصادف الفتاة فى بعض الأعمال مما يبعث اليأس فى نفسها ويدعوها لاختيار أعمال تتوفر فيها الفرصة أكثر لتحقيق طموحاتها ..

ولكن باصرار الفتاة القطرية وتصميمها على تحقيق ما تريد تستطيع ان تقنع المسئولين بتوفير كل ما يلزمها وما تحتاج إليه بكل صبر وجهد ..

وفى مجال الحركة الأدبية ساهمت الفتاة القطرية ببعض المساهمات ، فظهرت على السطح اسماء بعض الكاتبات اللاتى جعلن الكتابة على صفحات الجرائد والمجلات أولى محاولاتهن .. أمثال كلثم جبر ، التى نشرت أول مجموعة قصصية لفتاة فى قطر .. وهى « انت وغابة الصمت والتردد » وهى عبارة عن قصص قصيرة .. تتحدث فيها الكاتبة عن افكار واحاسيس الفتاة لدينا وما يلفها من عدات وتقاليد ..

وأيضاً هناك بعض الفتيات اللاتى لازلن يتخذن من المجلات والجرائد مكاناً لنشر انتاجهن .. مثل نورة السعد ، وحصة الجابر ومايسة الخليفى ، ومريم السعد ولولوة المسند ، وغيرهن ، ممن يساهمن فى الكتابة ..

وقد تنشر الفتاة القطرية انتاجها بأسماء مستعارة ، وذلك اما مراعاة لأحاسيس ومشاعر الأهل الذين مازالوا منقادين للعادات والتقاليد التى لم تعترف بعد بحرية الفتاة فى طرح آرائها وافكارها ، واما لخوف الفتاة من الفشل !

وتحجم بعض الفتيات عن الكتابة ، رغم قدرتهن عليها والاجادة فيها ، وقد يرجع بعض هذا الاتجاه إلى الترسبات التى رسخت فى عقول واذهان الفتيات ، من أن الكتابة سواء فى الشعر أو القصص بالنسبة للفتاة « عيب » وفيه ما يخدش حياء البنت ويسيء إلى سمعتها !

الخدمات الانسانية

ونلاحظ أن مساهمة الفتاة فى مجال الكتابة الصحفية .. ليست كبيرة .. فالفتاة اذا ما كتبت فى الجرائد والمجلات تعبر عن مشاكلها الخاصة بشكل شعر أو خواطر أو قصص قصيرة .. ولا تحاول فى كثير من الأوقات مناقشة أى قضية من قضايا المجتمع .

والصحافة النسائية لدينا مازالت فى البداية .. فهناك مجلة واحدة تصدر شهرياً وهى الجوهرة ، تحاول أن تناقش وتطرح حلولا لكثير من المشاكل رغم أنها تعانى من نقص يكاد يكون شديداً فى الاقلام القطرية التى تكتب ، ومن المؤلم حقاً أن نرى أغلب صحفنا ومجلاتنا وخاصة فى صفحاتها التى تخص المرأة لا تساهم فى ابراز ومناقشة أمور المرأة القطرية ونضالها ضد التخلف والمشاكل اليومية التى تعيشها .. وتقتصر صفحات المرأة على نقل كل غريب وأخبار المرأة فى العالم وقضايا غير هامة للمرأة لدينا كالمكياج والأزياء ، ونتصورها كالعلب المحفوظة التى نستوردها .. والأمل معقود الآن فى أن تستطيع الفتاة القطرية المساهمة الاكثر فى الصحافة وابراز كل ما يمت لهذا المجتمع بصلة ، وان لا تنفصل عنه ، وحتى تكون لنا صحافة نستطيع حقاً أن نسميها « قطرية » .

ولا ننسى أيضاً مساهمة طالبات الجامعة .. فى المجال الصحفى .. فقد استطاعت مجموعة من الطالبات والخريجات إصدار مجلة دورية باسم « الجامعية » من مكتب الخريجات بجامعة قطر ، وتعتبر هذه نقطة مضيئة وخطوة مشرفة تبشر بالخير وتثبت أن الفتاة القطرية تستطيع ابراز جدارتها وكفاءتها فى أغلب الأعمال .

ولم تغفل الفتاة القطرية عن المشاركة فى المجال الاجتماعى .. فنرى الكثير من خريجات الجامعة .. اخصائيات يساهمن فى العمل سواء فى المدارس أو المستشفيات، والعمل فى الشئون الاجتماعية كمحققات وباحثات حالة .. ومن وقت قصير ـ افتتح الفرع النسائى التابع لجمعية الهلال الأحمر القطرى واقبلت الفتاة القطرية للمساهمة فيه لتؤدى خدمة انسانية هامة ، حتى لا يقتصر العمل فى هذا المجال على الرجل .

وتناضل الفتاة القطرية منذ فترة ، وتطالب بانشاء جمعية نسائية .. تقوم بنشر الوعى سواء الصحى أو الاجتماعى أو الثقافى بين الطبقة غير المتعلمة من النساء وتقديم المعونات الاجتماعية ومحاولة ابراز طاقات الفتاة القطرية .. ومازالت تنادى بها .. وقد اكدت الكثيرات من الفتيات القدرة على المساهمة فى انشاء مثل هذه الجمعية .. والأمل مازال قائماً .. ينتظر الرد من المسئولين .

وهكذا نرى أن الفتاة القطرية تبذل محاولاتها للحصول على كل ما تريد .. وقد سارت خطوات واسعة وسريعة وبشكل يلفت اليها الأنظار .

والحديث عن هذه الخطوات قد يأخذ منا كتباً ومجلات وصفحات طويلة ـ وينتظر من الفتاة أن توسع من خطواتها ، وتحاول ازالة ترسبات الماضى ، والنظر للمستقبل .. فالدين يدعو المرأة للعلم والعمل فى حدود طبيعتها واحتشامها .. فالمرأة هى أم الحضارة وبانية مجدها على مر العصور .

نعيمة المطاوعة



المؤسّسات السياسية في دولة قطر

عرض وتقديم : عصام شريح

عندما عكفت على قراءة مؤلف الاستاذ يوسف محمد عبيدان « المؤسسات السياسية فى قطر » لم أكن اتصور في البداية أن هذا الكتاب ، وهذا الدبلوماسي القطري الشاب ، سوف يشدني بهذا القدر الكبير ، ويستاثر بشغفي المتواصل ، لمتابعة أبواب الكتاب ، بل وفصوله جميعاً .

فكتاب « المؤسسات السياسية فى دولة قطر » الصادر في بيروت في عام ١٩٧٩م ، هو فى الأساس اطروحة نال عليها مؤلفها اجازة بدرجة ماجستير فى العلوم السياسية بتقدير (ممتاز) ، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

وبالطبع فان كون الكتاب اصلا رسالة جامعية ، قد اضفى عليه طابع الرصانة العلمية الى جانب صفات البحث الموضوعي والدقة والأمانة المطلوبة فى اي عمل اكاديمي مشابه .

لكن اهمية الكتاب تبدو في شكل اكثر جلاء ووضوحاً ، فى المضمون الذى جاء فى شكل بناء منسجم اللبنات ، وان كان المؤلف قد اسهب فى الحديث فى الباب الأول منه عن الاطار التاريخي لقطر ، وكذلك عن العوامل الاجتماعية والاقتصادية كعوامل الدين واللغة والعادات والتقاليد والفنون والثقافة والتعليم « التى اسهمت بشكل او باخر فى تشكيل وبلورة كيان المجتمع والحفاظ على وحدته وتماسكه . »

لكن ـ والحق يقال ـ فانه بالرغم من الاسهاب فى هذا الباب والذى يلاحظ القارىء أن لا صلة مباشرة له بموضوع المؤسسات السياسية فى دولة قطر ـ وهي عنوان الكتاب ـ فانه لا يخلو من فائدة ـ واكاد اقول فائدة جلى » ـ للقارىء العادى والباحث الاكاديمي معاً ، وذلك قياساً مع الندرة (المزعجة) فى توفر كتب من مستوى مؤلف الأستاذ عبيدان عن تاريخ قطر ومناحى الحياة فيها قديماً وحديثاً .

وعلى اية حال فان كتاب (المؤسسات السياسية فى دولة قطر) ، قد فتح الباب على مصراعيه امام الشباب القطري والخليجي الناهض ، بل والعربي ايضاً ، للاسهام بدراسات علمية من وزن هذه الدراسة ، عن قطر ، هذا البلد العربي الناشيء ، والذى لم يمض على استقلاله وتمتعه بالحرية والحكم الوطني اكثر من عقد واحد من الزمن ، خطا خلاله خطوات واسعة الى الامام وعلى كل صعيد ، وخاصة على صعيدي النهضة العمرانية والنهضة الصناعية .

البناء الاجتماعي والاقتصادى

وفى الفصل الأول من الكتاب ركز على البناء الاجتماعي والاقتصادى للمجتمع القطري ، وقد اشتمل على ثلاثة فصول ، تناول في الأول منها الخلفية التاريخية للمجتمع القطري ، اى المراحل الزمنية التى تشكل خلالها هذا المجتمع ولم ينس المؤلف وهو يستعرض هذه المراحل الزمنية ان يشير الى موقع قطر الجغرافي وتضاريسها واهم مدنها ، واتفاقية الحماية التى ابرمت بين قطر وبريطانيا فى عام ١٩١٦ .

اما فى الفصل الثاني من هذا الباب ، فقد تحدث الأستاذ عبيدان ـ وهو بالمناسبة دبلوماسي مرموق في السلك الخارجي لدولة قطر ـ تحدث عن أهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية التى اسهمت فى تشكيل المجتمع القطري وبلورة كيانه .

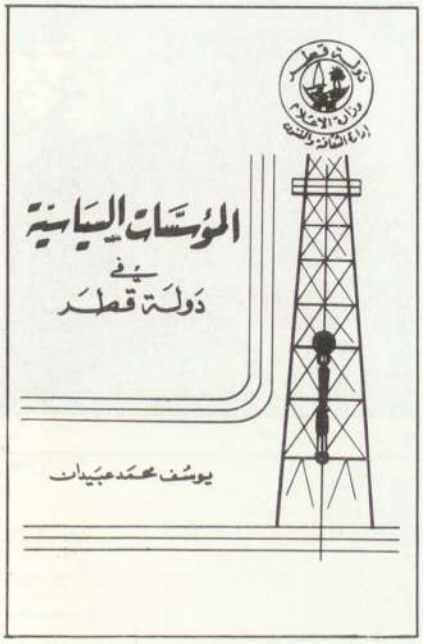
وفى الفصل الثالث تناول بالدرس البناء الاقتصادى للمجتمع القطري بعناصره المختلفة مركزاً فيه بصفة اساسية على النفط ، باعتباره المصدر الرئيسي للدخل القومي ، ولم يغفل هنا الاشارة الى سياسة حكومة قطر الرامية الى تنويع مصادر الدخل القومي عن طريق تشييد المصانع والمؤسسات الاقتصادية ، بهدف التخفيف من الأخطار الناجمة عن الاعتماد على مصدر واحد للدخل .

البناء السياسي القطري

الباب الثاني فى الواقع موضوع الأطروحة ـ الكتاب ـ وقد تناول فيه المؤلف نظام الحكم الحديث فى دولة قطر ، انطلاقاً من (النظام الأساسي المؤقت) الصادر فى عام ١٩٧٠ ، ثم (النظام السياسي المؤقت المعدل) الصادر فى عام ١٩٧٢ . وقد بداه بمقدمة عن التطور التاريخي للنظام السياسي في قطر حتى الاستقلال ١٩٧١، ثم قيام الحركة التصحيحية بقيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى.

قسم الاستاذ عبيدان هذا الباب الى اربعة فصول رئيسية ، عالج في الأول منها الملامح الاساسية للنظام السياسي فى دولة قطر ، من خلال (النظام الأساسي) ، وما ورد فى هذا النظام من مبادىء . وفى الفصل الثاني ، عالج

المؤسسات السياسية في دولة قطر



تشكيل (مجلس الشورى) فى قطر ، واختصاصات هذا المجلس ، و ما طرا عليه من تعديلات بعد التجربة الأولى التى خاضها ، وخاصة لجهة زيادة عدد أعضائه ، كما لجهة تفريع اختصاصاته .

وتطرق المؤلف فى الفصل الثالث من هذا الباب لأوضاع السلطة التنفيذية بالتفصيل ، مبينا مركز الأمير ودوره فى النظام ، باعتباره امير الدولة ورئيس مجلس الوزراء ، موضحا اختصاصات مجلس الوزراء ومبدا المسؤولية الوزارية . ثم اسهب فى الحديث عن التنظيم الادارى المعاصر فى قطر ، ابتداء من مطلع الستينات وحتى الوقت الحاضر ، وختم هذا الباب بفصل رابع تناول فيه السلطة القضائية فى الدولة ، وتطورها وانشاء المحاكم بانواعها المختلفة وذلك تجاوبا مع متطلبات العصر الحديث وتشعب مصالح المواطنين .

السياسة الخارجية

اما الباب الثالث والاخير فى الكتاب ـ الاطروحة ، فقد خصصه المؤلف ـ الباحث ، للحديث عن السياسة الخارجية كميدان لعمل المؤسسات السياسية فى العلاقات الدولية ، وكدراسة تطبيقية لعمل مؤسسات الحكم في الدولة ، واشار الى ان اهمية هذا الباب ، انما تكمن في كون السياسة الخارجية من اهم ركائز اية حكومة وفي اية دولة ، كما اشار ايضا الى نقطة اخرى حول هذا الباب ، وهي ان موضوع الكتاب ، ينصب اساسا على دولة قطر فى ضوء المبادىء الموجهة لسياستها ونظام الحكم فيها « ولا يمكن بالتالي اغفال السياسة الخارجية كاحد العناصر او المبادىء المؤثرة فى المؤسسات السياسية فى الدولة (قطر) » ، هذا الى جانب « أن السياسة الخارجية بدات اهميتها تطغى على ما عداها ، بتزايد اهمية منطقة الخليج وبروز معطيات جديدة فى المنطقة ، كالأمن الخليجي والدعوة لقيام اتحادات على شكل سياسي او اقتصادى ، مما يلزم ان تكون هناك سياسة لكل دولة تجاه هذه المواقف » .

وانطلاقا من هذا المفهوم لاهمية السياسة الخارجية المتعاظمة فى دول الخليج العربية ، قام المؤلف بتقسيم الباب الثالث من الكتاب الى فصلين ، اوضح في الأول منهما الأسس والخطوط الرئيسية للسياسة الخارجية القطرية وركز فى الفصل الثاني على واقع السياسة الخارجية لدولة قطر نحو منطقة الخليج على وجه الخصوص ، ثم نحو العالم العربي ، فالدول الأخرى فى العالم .

ملاحظات عامة :

بعد العرض التاريخي الذى بدا به المؤلف الباب الأول من الكتاب ، والذى بين فيه المراحل الزمنية التى مرت بها قطر ، والروح الاستقلالية التى يتمتع بها شعبها ، حتى فى فترة المعاهدة البريطانية ـ القطرية (١٩١٦ ـ ١٩٧١) ، ركز الاستاذ عبيدان على اهمية العوامل الاجتماعية والاقتصادية فى تشكيل المجتمع القطري المعاصر ، ورأى فى جملة العوامل الاجتماعية هذه ـ وهى عوامل متداخلة ومتشابكة ومتكاملة فى آن ـ اللغة العربية والعقيدة الاسلامية ، ثم وحدة العادات والتقاليد ، والثقافة والتعليم والاخلاق والفنون والاداب ، ثم الموقع الجغرافي وما يشكله من جاذبية للغزاة والطامعين ، إضافة الى المصير المشترك والاشكال السياسية والتجانس القبلى .

بالنسبة للعادات والتقاليد ودورها فى تكوين مجتمع موحد الاتجاه والرؤيا والمصير فى قطر ، اشار المؤلف الى أن هذا العامل يرتبط أصلا بعامل الدين الاسلامي ، الذى يستقى المجتمع القطري عاداته وتقاليده أصلا منه ، وهذا ما ساعد الى ابعد الحدود على تكوين « اسرة واحدة » من الشعب القطري ، قوامها التضامن والمودة والمساواة ، إذ لا حواجز بين الأمير وابناء شعبه ، وبالتالي بين الوزراء والمسئولين والأفراد العاديين ، وكل قطري يستطيع أن يقرع باب الأمير ـ الذى هو رئيس الدولة ـ وان يقدم اليه شكواه ، فيسارع الأمير الى احقاق الحق ، والتجاوب مع الرغبات العامة لأبناء الشعب دون تلكؤ .

وللتدليل على وحدة المجتمع في قطر ، والتى تعبر عنها وحدة العادات والتقاليد بشكل كبير ، اشار الاستاذ يوسف محمد عبيدان الى أن «الناس يخاطب بعضهم بعضا على قدم المساواة ، فلا القاب ولا رتب ولا تكلف فى الحديث ، وانما هم يتفاهمون فى صراحة ووضوح ، مع ذكر الأسماء مجردة ، ومع احترام الكبير والعطف على الصغير »

أما بالنسبة الى العوامل الاقتصادية ، فالمؤلف يحدثنا اولا عن الفترة التى سبقت ظهور النفط ، حيث كان اعتماد الشعب القطرى فى تدبير أمور معاشه وحياته اليومية يقوم ببساطة كلية على موردين اساسيين هما تجارة اللؤلؤ حيث كانت حركة الغوص للظفر باللؤلؤ ناشطة جداً ، ثم صيد السمك الذى يتوافر فى بحر الخليج بكثافة وباشكال متنوعة ملفتة للنظر حقاً . ويشير فى مجال صيد اللؤلؤ واثره فى وحدة الشعب القطري ، فيقول أن عشرات القصص تروى عن إصالة القطريين فى هذا المجال ، بما « ينم عن شدة تماسكهم وتلاحمهم كالأسرة الواحدة ، فعندما كان يصاب أحد التجار بالكساد فى تجارته باللؤلؤ ويتعرض للافلاس نتيجة كوارث طبيعية ، يبادر الجميع لنجدته ومساعدته بالمال ، على قدر ما تجود به نفسه ، مدللين بذلك على مظهر وحدتهم ، وضاربين المثل على تعاونهم المثمر البناء »

أما بالنسبة للعامل الآخر ـ أى صيد الأسماك ـ فان المؤلف يستشهد للدلالة على اهميته فى ترابط أفراد المجتمع القطري بعضهم بالبعض الآخر ، بعبارة لسائح اجنبي قال فيها : « إن الناس (فى قطر) يعتمدون فى معاشهم على البحر ، ويتجولون في مياهه ما يقرب من نصف



مجلس الشورى

السنة ، وذلك في الغوص على اللؤلؤ ، أما في النصف الآخر من السنة ، فانهم يصطادون السمك ، ويمارسون أعمال التجارة ، وهكذا فان بيوتهم الحقيقية هي القوارب التي لا يحصى لها عد ، والتي تملأ المرفأ الهادىء أو تشكل خطاً أسود طويلا على امتداد الشاطىء »

الثروة الطبيعية

يشير الاستاذ عبيدان إلى أن أسس الاقتصاد المتعارف عليها لأية دولة انما تقوم على الصناعة والزراعة والتجارة ، لكن هذه بالطبع أمور نسبية تختلف من دولة لأخرى ، وفي عصرنا الحديث نشأت مكونات جديدة للاقتصاد في بعض الدول كالثروات الطبيعية المخزونة في الأرض ، وأهم هذه المكونات أو الثروات البترول ، الذي أصبح يشكل العامل الأهم ، وأحياناً الأعظم بالنسبة للدخل القومي ، ومن هنا بدأ اقتصاد قطر يعتمد بالتدريج على البترول ، حتى أصبحت عائداته تشكل ٩٥٪ من اجمالي الدخل العام للدولة في السنوات الأخيرة .

ملامح النظام السياسي

بالطبع لن نستطيع من خلال هذا العرض السريع لكتاب « المؤسسات السياسية في قطر » الواقع في ٤٢٨ صفحة ، أن نتناول بالعرض والحديث جميع موضوعاته وصفحاته ، لذلك سنكتفي بالاشارة الى ملامح النظام السياسي والمؤسسات السياسية ، تاركين للقارىء والمهتمين من العرب وغيرهم بامور دولة قطر خاصة والخليج العربي عامة ، العودة الى الكتاب نفسه ، نظراً لأهميته البالغة ضمن اختصاصه وموضوعه .

فقد صدر النظام الأساسي المؤقت للحكم في قطر في نيسان « ابريل » من عام ١٩٧٠ ، حاوياً سبعة وسبعين مادة تتناول نظام الحكم ، وتنظيم السلطات ، وتحديد اختصاصاتها ، اضافة الى تعيين حقوق المواطنين وواجباتهم ، وكان هذا «النظام الأساسي» بمثابة دستور هو الأول من نوعه الذي تعرفه قطر ، والثاني بعد الدستور الكويتي في منطقة الخليج العربي .

وقد عدل هذا النظام في عام ١٩٧٢ ، بما يتلاءم مع أوضاع قطر وظروفها والتطورات التي شهدتها خلال مسيرة سنتين ، وبعد إنهاء المعاهدة البريطانية ـ القطرية ، واعلان استقلال الدولة بسنة واحدة .

ويستشهد المؤلف على المرونة التي يتحلى بها « النظام الأساسي » و « النظام الأساسي المعدل » ، بقول الدكتور حسن كامل مستشار دولة قطر ـ «إن دولة قطر درجت على الأخذ بهذا المبدأ كركيزة ترتكز عليها دعائم الحكم الحديث ، وهي في هذا لا تدعو الى اغلاق النوافذ على العالم ، ولكن أخذة من تجارب الحكم في الدول ما يناسب وضعها وكيانها وواقعها » .

وفي الواقع فان سمة الاتزان والموضوعية هي التي تهيمن على الخطوات الدستورية في قطر .

وهو في نفس الوقت لا ينسى في بنوده الأساسية أن يؤكد الالتحام والارتباط الكامل بالشريعة الاسلامية باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع ، فهناك حرية اقتصادية ، لكن الدولة «تشرف على الاقتصاد الوطني لتوجيهه بما يضمن له السلامة لخير الوطن » ـ كما تقول المادة ٦/ب ـ وهكذا نرى أن الاقتصاد الوطني في غالبيته محصور بيد الدولة ، مما يبعده عن الفوضى الاقتصادية التي يتسم بها الاقتصاد الفردي الحـر .

وبالنسبة لشكل الحكم فان أمير البلاد هو في نفس الوقت رئيس مجلس الوزراء والقائد الأعلى للجيش ، وهذا الشكل من الحكم هو أقرب الى النظام الرئاسي المعمول به في بعض البلدان الغربية ، خاصة وان مجلس الشورى يتمتع بمكانة أساسية في مناقشة مشاريع القوانين وأعمال الحكومة والوزارات وله حق استدعاء الوزراء للاستماع لشروحهم عن مشاريعهم ضمن وزاراتهم ، أو الاستفسار أو الاستيضاح عنها ، ثم لمجلس الشورى أن يتخذ توصيات أو يبدي «رغبات» في أعمال الحكومة وأمور المواطنين والدولة .

ومن خلال استعراض مسيرة مجلس الشورى (أقرب في صيغته الى البرلمان) ، « وباستقراء القوانين أو مشروعات القوانين التي صدرت بعد انشاء مجلس الشورى ، نجدها في معظمها قد أخذ فيها مشورة المجلس » .

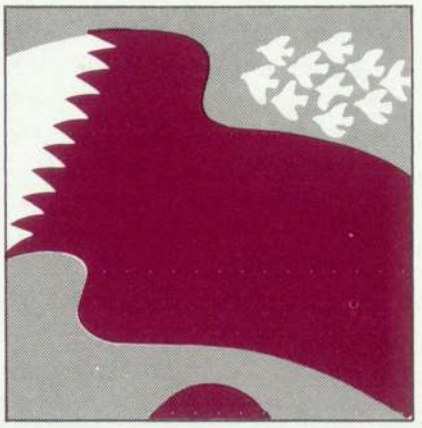
أما بالنسبة لسياسة الدولة الخارجية فالكتاب يتحدث بالوقائع والأرقام أحياناً عن بنود هذه السياسة التي يمكن اختصار خطوطها العامة في تأييد دولة قطر ودعمها المطلق للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد لهذا الشعب ، في النضال ضد الصهيونية ، وبدعم القضايا العربية ، وقضايا العالم الثالث ، ومكافحة العنصرية والاستعمار بكافة اشكالهما ، ثم .. وهذا أمر في منتهى الأهمية .. إن دولة قطر تعتبر نفسها جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، والشعب القطري جزء لا يتجزأ من الأمة العربية ، كما تعتبر أن الوحدة العربية هي الهدف الأسمى لها في نهاية المطاف .

كلمة أخـيرة

إن كتاب « المؤسسات السياسية في دولة قطـر » لمؤلفه الدبلوماسي القطري الفطن الأستاذ يوسف محمد عبيدان ، قد أضاف جديداً الى المكتبة الخليجية بصفة خاصة ، وإلى المكتبة العربية بصفة عامة .

والمؤلف يستاهل التهنئة على بحثه الجديد في السياسة الخليجية والعربية ، وعلى الجهد المضني الذي بذله ، والروح العلمية التي جعلها معياراً لتقويماته وأفكاره .

عصام شريح



الشخصية القطرية أمام التجربة الكبيرة

بقلم: أحمد العناني

هكذا استقبلت الدوحة لاعبيها العائدين من أستراليا بعد الفوز



كبرت لله تعـــالى ، وشـــكرته حين سمعت ذلك الخبر عن قطر وأنا فى مهمة فى أوروبا أكابد مشقة الليل فهو على فى الغربة ليل ثقيل طويل .. ففيـــه أحس كانسان مسلم وطأة الرفض المطلق لحياة الليل كما يحيونه هم .

كان المذيع معلقاً رياضياً يحلل فرص الفوز بكأس العالم بين قطر وانجلترا .

واجتاحتني موجة اعتزاز ، ونهضت لرتدى ملابسي ، فلم يعد ضيق الغرفة يسعني .

الأفكار التى أخرجها النبـــأ من مكامنها فى وجودى الداخلى المجهول أكبر من أن أقعد وهى تتســـارع فى انطلاقها من اعماق نفسي ، فاهتز لهـــا اعتزازاً وإكباراً .

ووجدتنى فى بهو واسع أمام جمهور شد أسماعه حديث المعلق الريـــاضى ، يتساءلون عن قطر ، موقعها وســـكانها وامكاناتها .. ويعجبون من قـــول المذيع إن هذا البلد كان من أصـــغر البلدان المشمولة بالحماية البريطانية منذ عشر سنين فكيف وصل إلى منافسة بريطانيا ذات أعرق ماض فى لعبة الكرة ، وذات الملايين الكاثرة ، والتقاليد الرياضية المجيدة ..

وأشار إلى رجل من موظفى الاستقبال فى الفندق فما أسرع ما تجمع البعض حولى يسائلوننى عن قطر ما هى ؟ وما تكون ؟ وكيف ؟ وماذا حصل حتى وصلت فى برهة وجيزة غير ذات شأن لهـــذا الوضع المتقدم المذهل ؟ وكثرت على الأسئلة فقلت محتجاً إما أن تجلسوا فتستمعوا لما أقول لكم واما أن تدعونى لغايتى التى خرجت لها من حجرتى فأتمشى لوقت فى الشارع وأعود .

وجلسوا يستمعون .. وانطلقت أتحدث فلا أذكر أنى ألقيت درساً ممتعاً ، ولا كتبت مقالا مشوقاً ، ولا أحسنت فى عرض سريع وتلخيص موجز كما فعلت تلك المساء قلت لهم كأحسن ما أذكر ... الحكاية أعمق مما تتصورون فلا يصعد دخان بغير نار ... ولا يصل انسان إلى عسل بغير أن يتصدى لوخز النحـــل .. ومسألة هذا الفوز القطرى ـ لها جذور تمتد فى الأرض إلى ألوف السنين وزهر على السطح الظاهر بدأ ينمو وينتشر منذ عشر سنين ..

تحدثت تلك الليلة عن مكونات الشخصية القطرية .

تحدثت عن وطن وضـــع أهله منـــذ ألوف السنين أمام تحديات لا تنتهى فى البر والبحر ..

وأشرت لشهادة هيرودتس وبلايني من قدامى مؤرخي اليونان والرومان إلى القطريين كأقدر بحارة العالم وأشرت للخطر الماثل فى الصحراء الذى ينشىء نفوساً لا يزيدها عنف الحياة الا صلابة وعنفواناً .

وكيف وقفت بكر بن وائل وعناصر من تغلب وتميم فى الأرض القطرية فى وجه نظم الاسلام والتزاماته .. فلما أمنت به وحسن ايمانها صارت من أفضل المجاهدين فى بث الاسلام ومفاداته ..

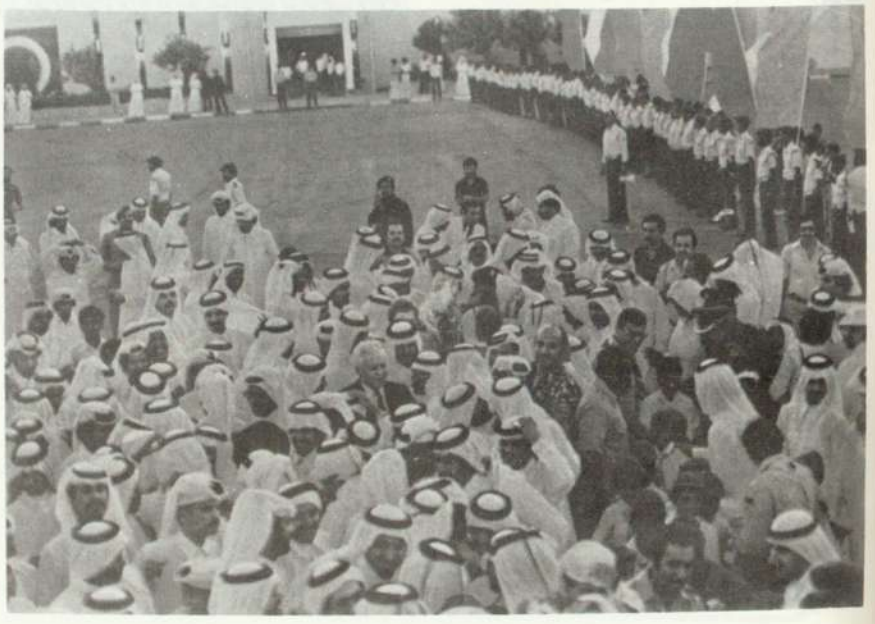
ولما أحست ظلم الأهـــل تحولت إلى أعنف جبهـة لمعارضة الظلم والتحكم فى تاريخ الاسلام .

وترسخت فيها تقاليد النخوة والقوة وروح الفروسية والفتوه ، وكانت آخر بلد فى الخليج وقع عليه عبء الحماية فى معاهدة جائرة ولكنه مع ذلك رفض فى صلب تلك المعاهدة أن يقبل حاكماً أجنبياً أو مستشاراً استعمارياً ..

حتى اذا ظهر البترول كان لا مفر من قبول الأجانب خبراء وفنيين ، وهكذا لم

لقطتان .. الأولى للهدف الأول الذى سجله خالد سلمان على البرازيل .. والأخرى للجماهير تستقبل العائدين بالمطار





الشخصية القطرية أمام التجربة الكبيرة

تبدأ معركة التحدي الكبير بالاختلاط بالغربيين الا بعد عام ١٩٥٠ .

ثم تحدثت عن قائد هذا البلد ورائد نهضته ، ومكونات شخصيته فما كدت انتهى حتى أمطرنى القوم بالأسئلة ولكنى أشهد أن أقلها كان عن الرياضة ، واكثرها عن نهضة العالم الاسلامى .. وهل تنتهى الأمور بصدام عالمى جديد بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية ، ؟

وعن مدى الدلالة المبهجة لذلك الحدث الرياضى الذى شد الأنظار بكل تلك القوة ، وأثار فى الخواطر كل ذلك الاهتمام .

وعادت بى الذاكرة القهقرى عشر سنوات كاملات ، وسرحت مع الخيال من وطن الغابرين من أجدادنا فى هذه الجنات الحسان من أرض الأندلس القديم ، حيث حقق الأجداد لنهضة العلم والفكر العالميين نظير ما أراه من علائم الفن الباهر الباقية آثاره فى المبانى وفى الموسيقى وفى العديد من الملامح المبهجة فى هذه الرياض الخضر الحسان .. أقول سرحت من هنا الى الدوحة .. وساءلت نفسى بسعادة .. أذلك خيال أم حقيقة من كان يتصور أن يصعد من الدوحة فريق من أى نوع الى هذا المستوى العالمى من لا شىء تقريباً فى مجرد عشر سنين ؟!.

حقاً ما يزال الخير فى محمد صلى الله عليه وسلم وفى أمته الى يوم القيامة مهما عدت عوادى الزمن ، وثقلت وطأة النكسات والمحن ...

حقاً إن الأمر لم يكن أمر رياضة وكرة وحسب ، ولكنه أمر أكبر من ذلك جداً كما كنت أؤكد بحماسة لهؤلاء الناس الأجانب قبل حين أن هناك أموراً من أمور التنمية والتقدم يمكن أن تعرض فى مجموعة صور أو فيلم وثائقى ، ويمكن أن تقاس بالحقائق الرقمية ، ولكن أمورا غيرها لا تخضع لمثل ذلك القياس أبداً ...

إن مستوى المواطنة الصالحة ، وطريقة السلوك الاجتماعى فى الشارع وفى المدرسة كما فى الدائرة والعيادة الصحية والمرفق العام مهما كان نوعه لا يمكن أن تخضع لغير حكم المنطق السليم والمشاهدة الذكية .

وعادت بى الذاكرة كما قلت الى اللحظة التى هبطت فيها بمطار الدوحة لأول مرة قبل عشر سنين .. فأين هى الدوحة القديمة من هذه الدوحة الجديدة ؟ وأين هو المستوى الحضارى والثقافى مما هو عليه الآن ، وكيف يمكن أن تقاس مؤسسات ما قبل عشر سنوات بمؤسسات اليوم ؟ ...

لقد كانت امكانات الحضور القطرى فى مؤسسات علمية وثقافية وصناعية إذ ذاك ضرباً من التمنى ... واليوم تجد حضوراً رائعاً وواعداً فى الجامعة وفى المراكز والمشافى الصحية ، وفى المصانع الضخمة ، وفى الموانىء ووسائط الأعلام والاتصال وادارات الدولة والمناشط



فرحة اللاعبين بعد الفوز على البرازيل

الهندسية والفنية .. بل انك لترى الفارق الكبير واضحاً فى التعامل مع المسجد ومع المكتبة العامة والدائرة الحكومية ، والعديد من المؤسسات الخاصة ، بل وحتى مع الشارع العام وفناء البيت وما حوله ...

لم تكن إلا عشر سنوات أفلحت فيها الجهود الصادقة الموضوعية فى تغيير صورة الحياة بعامة . تستطيع الآن أن تحصل على جريدتك الصباحية ، وأن تحصل على مجموعة رائعة حقاً من المجلات الفكرية والأدبية والدينية والمتخصصة فى شئون كالبترول والمتحف والتنمية الصناعية وأنت اليوم تستطيع أن تتحول الى غير قناة واحدة من البث التليفزيونى الملون فتطرد ملالة المساء ، وتشارك فى حركة العالم الدائبة نحو آفاق جديدة من التكوين الذى جعل من الانسان الحديث شيئاً مغايراً فى كل وسائل الحياة ومظاهرها عن انسان القرن التاسع عشر مثلا .. وأنت اليوم تستطيع أن تحصل على العديد من الأغذية المصانة من كل مكروه صحى ، وأن تجد للوافد أى مستوى يريده لمنامه وطعامه وهدايا كاحسن مايكون ذلك فى البلدان المتقدمة .

لم يكن هذا التفوق فى المستوى الرياضى الذى شد الأنظار على مستوى عالمى قفزة فى فراغ ، فكل المجاهيد الخيرة التى بذلتها قيادة البلد المستنيرة الجادة ، وكل ما بذله المواطنون والمساهمون فى نهضة البلد فى سائر الاتجاهات هو طبقات البناء الهرمى تحت القمة التى حققها ذلك النصر الرياضى .

وما كان لهذا التقييم ، مهما يبلغ حظه من الصدق والتفاؤل أن يغيب بعض الحقائق الهامة الأساسية ، فالطريق على رحلة الشرف والحق دائماً طريق طويل محفوف بالمصاعب والتحديات ، ولكن البداية هى دائماً نصف الطريق ، وقد قطعت قطر حتماً ما هو أكثر بكثير من البداية ، فالله نسأل أن يحفظ لهذا الجزء الغالى من الوطن الأكبر كل الوعى والمجد والحماسة التى برهنت عليها قيادته الواعية الموفقة وشعبه الطيب المسماح والله ولي التوفيق .

أحمد العنانى

٢٢ فبراير

شعر: عبد الرحمن المعاودة

أَطَلَّ عَلَيْنَا الْفَجْرُ بَعْدَ انْحِجَابِهِ
وَجَاءَتْ إِلَيْنَا بِالسُّعُودِ الْبَشَائِرُ

وَأَشْرَقَ مَغْنَاهَا بِعَهْدِ خَلِيفَةٍ
وَفَاضَتْ بِآيَاتِ الثَّنَاءِ الْمَشَاعِرُ

وَغَنَّى حَمَامُ الْأَيْكِ فِي الدَّوْحِ وَازْدَهَتْ
رُبُوعٌ عَلَيْهَا بَاهِرُ الْمَجْدِ طَائِرُ

فَأَهْلًا بِعَهْدٍ فِيهِ عِزٌّ وَمَنْعَةٌ
وَخَيْرٌ لِهَذَا الشَّعْبِ بِاللهِ وَافِرُ

أَخَا الْفَضْلِ حَيَّتْكَ الْقَوَافِي يَسُوقُهَا
إِلَيْكَ امْرُؤٌ مَا عَاشَ بِالْوُدِّ شَاعِرُ

أَبَا حَمَدٍ وَالْفَضْلُ أَنْتَ مَنَارُهُ
فَذِكْرُكَ مَحْمُودٌ وَفَضْلُكَ بَاهِرُ

بِكَ الْيُمْنُ مَقْرُونٌ لَكَ اللهُ نَاصِرٌ
وَبِيضُ أَيَادِيكَ الْجِسَامِ مَفَاخِرُ

أَيَادِيكَ فِي الْمَاضِي عَلَى الشَّعْبِ جَمَّةٌ
سَيَعْقُبُهُ يَا أَيُّهَا الْفَذُّ حَاضِرُ

هَنِيئًا لَكَ الْمَجْدُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
أَتَتْكَ بِهِ صِيدٌ كُمَاةٌ أَكَابِرُ

وَعَزْمٌ وَحَزْمٌ ثُمَّ نَفْسٌ كَبِيرَةٌ
بِسَاحِ الْمَعَالِي مَالَهَا مَنْ يُكَابِرُ

عبد الرحمن المعاودة



جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

بقلم: د. محمد إبراهيم كاظم

سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أثناء الاحتفالات بتخريج دفعة جديدة من جامعة قطر



الجامعة مؤسسة حضارية ، وهي مؤسسة تعليمية ذات طبيعة خاصة ، الا انها فوق هذا كله مجتمع من العلماء ومن طلاب العلم الذين يبذلون كل ما لديهم من جهد وطاقة من أجل تطوير المجتمع باعداد الأجيال التي ستتحمل المسئولية في أمانة واخلاص ..

وبهذا المعنى نستطيع أن ندرك مدى الدور الملقى على عاتق جامعة قطر باعتبارها جزءاً من المجتمع القطري الذي هو بدوره جزء من المجتمع الخليجي والأمة العربية ، والأمة الاسلامية والمجتمع الانساني المعاصر بكل ما فيه من تراث شامل ورغبة في الوصول الى أعلى مراتب الحضارة .

فكرة الجامعة

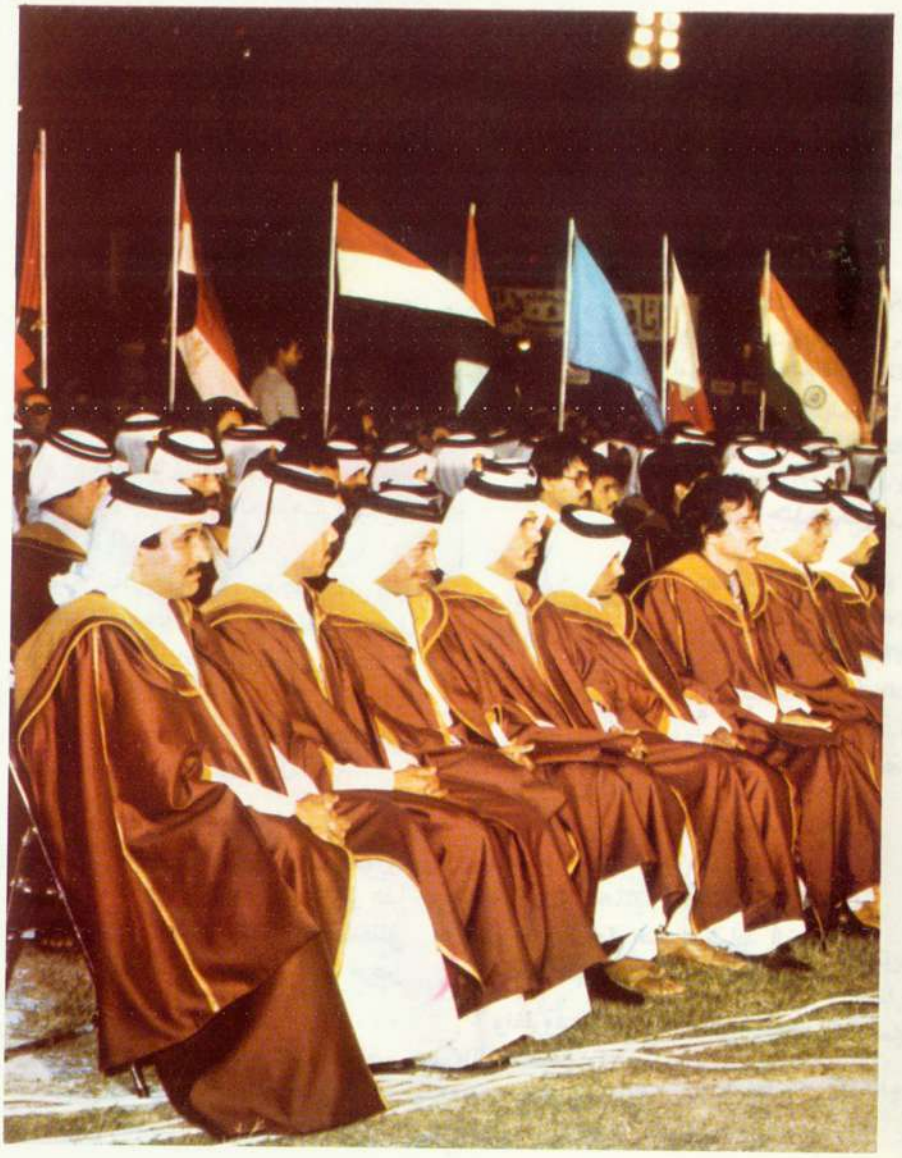
وكما نعرف فان المجتمعات تحتاج أثناء حركتها الى الامام الى مقومات نشطة وصحية ومثمرة وبعيدة عن العوائق حتى تؤدي وظيفتها ورسالتها في قوة واستقرار وهذا ما نراه في جامعة قطر التي تواصل رسالتها العلمية والثقافية بصورة مشرقة ومتطورة ، بفضل رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى والرئيس الأعلى للجامعة ، فقد كانت فكرة انشاء الجامعة ضمن أفكاره ، وكان الشروع في خطواتها التنفيذية يتم بموجب منه للهيئة التأسيسية عندما بدأت بكليتي التربية في عام ١٩٧٣ ، ومنذ ذلك الوقت يتابع سموه خطى الجامعة بالرعاية والتوجيه لتصبح جامعة قطر اليوم تضم الى جوار كليتي التربية : كلية العلوم ، وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم كلية الهندسة .

واذا ما تطرقنا الى واقع الحياة العلمية والثقافية داخل جامعة قطر ، لوجدنا أن كلياتها أصبحت تدرس الى جوار البرامج التقليدية المعروفة ، برامج للاقتصاد المنزلي بمفاهيمه الحديثة العصرية وبرامج للتخطيط الاقليمي وبرامج للاعلام وبرامج للخدمة الاجتماعية ، وبرامج علوم البحار ، وبرامج التعليم الابتدائي التي تفخر بها دولة قطر والتي تتجه الى أن يكون معلم الابتدائي معداً اعداداً جامعياً كاملا مع منتصف الثمانينات .

وهذا الواقع العلمي يتكامل مع نظام الدراسة الذي يقوم على العمل داخل قاعات الدراسة سواء في صورة محاضرات أو ندوات أو مناقشات وحوار وأعمال تجريبية في المختبرات والحقل ، بالاضافة الى دور المكتبة في الدراسات والبحوث التي يستقل فيها الطالب بعمله العلمي وتظهر أثناء ذلك مبادراته وايجابياته في المختبرات وفي الحقل . وهذا كله يتكامل مع مجموعة من الأنشطة الرياضية التي يشارك فيها كل طالب ، ومع الموسم الثقافي للجامعة الذي يمثل لقاء شبه أسبوعي في موضوعات متنوعة ومتشعبة تتجه الى جمهورها من الطلبة والطالبات وأعضاء هيئة التدريس والمثقفين في المجتمع ، بالاضافة الى الرحلات الجامعية السنوية لكل طلاب الجامعة .

وهذه النشاطات كلها سواء كانت علمية أو ثقافية تتكامل فيما بينها لتعطي تصوراً للمجتمع الجامعي في قطر ، فهي الوعاء الذي يتنسم فيه الطالب الحياة التي تسمح له بالانطلاق والنمو ..

مجموعة من الخريجين في جامعة قطر أثناء احتفالات التخرج



جامعة قطر حاضرها ومستقبلها

الصحافة الجامعية

ومعنى الخريج الجامعى فى جامعة قطر لا يقف عند حصوله على مجموعة من المقررات بنجاح ، ولكن ينصرف بالدرجة الأولى الى مجموعة من القدرات النامية التى تستمد ثراءها من الدراسة الأكاديمية والنشاطات الثقافية والاجتماعية والعلمية التى تحدثنا عنها والتى تضيف اليها الصحافة الجامعية ميزة أخرى ..

فالجامعة تموج بصيغ التعبير عن نفسها وعن نشاطاتها ، على هيئة صحف حائط ، وصحف مطبوعة مثل صوت الجامعة التى نأمل أن تصدر بصورة أسبوعية فى القريب العاجل ومجلة الجامعية التى يصدرها مكتب الخريجات والتى أصبحت ملتقى فكرياً ثقافياً اجتماعياً لزهرة شابات الأمة .

وبهذا يكون معيار نجاح الجامعة فى أداء رسالتها هو فى تقديم نوعية خريجيها الذين لا نوجههم فقط نحو استيعاب المعرفة ، ولكن ندربهم على حسن التصرف فى التطبيق والحياة العملية ..

كما نتجه الى أن يكونوا قادرين على استمرار النمو وتصحيح المسار ، مما يعطى للخريج كفرد وللخريجين كمجتمع بعداً أكبر للجامعة وأثراً أبقى وأكثر دواماً .

اعداد الطالب

وليس معنى هذا أن اعداد الطالب فى جامعة قطر يتم بصورة كاملة ، لأننا نقول دائماً ان الأعمال العظيمة لا تبدأ كاملة ولكنها تبدأ تامة ، وان الأعمال العظيمة لا تبدأ كبيرة ولكن تبدأ جيدة .. وجامعة قطر عندما تتحدث مميزة بين التمام والكمال فهى تميز بين الحركة والسكون .. التمام الذى نتحدث عنه هو بذل أقصى الجهد مما يترك فسحة مستمرة لمزيد يضاف كل يوم اقتراباً من الكمال الذى لا نصل اليه . فنحن رغم كل انجازات الجامعة وكل ما يتحقق بها وفيها ورغم المراكز المرموقة التى نجح خريجوها فى احتلالها ، رغم كل ذلك فان رضاءنا عنها فى نطاق محدود ، لأن طموحاتها أكبر من ذلك بكثير .

الكفاءة والجمال

وسوف يتم الاعداد بصورة أكبر عندما يتسع وعاء هذه الجامعة بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة فى العام المقبل .

وكم كنا نود أن تحتفل جامعة قطر بانتقالها الى مبانيها الجامعية الجديدة فى هذه المناسبة .

ولكن على أية حال سنحتفل فى هذه المناسبة بما حققته هذه الجامعة بفضل توجيه سمو الأمير الرئيس الأعلى ، وبفضل رعايته المستمرة واهتمامه بخطاها وبما سوف تحققه بعد انتقالها فى العام المقبل ان شاء الله .

وقد روعى فى هذه المبانى أن تتميز بالكفاءة والجمال معاً . والكفاءة المعمارية فى الجامعة إنما يقصد بها قدرة هذا الوعاء من المبانى على أن تنطلق نشاطاته محققة للمجتمع كل فرص التطور والنمو والحياة .

أما الناحية الجمالية فهى عنصر أساسى أيضاً ، ولقد روعى فيها أن تشتق من الذوق العربى الاسلامى المتطور .

ولست فى حاجة هنا الى أن أؤكد أن الجامعة كمجتمع متكامل ليست مجرد مؤسسة تعليمية موضعية الأغراض محدودة المقاصد ، فهى مكان تعايش انسانى كامل ولذلك يشترط فى الجامعة أن تكون مكاناً جميلا ، نظيفاً ، متنوع الوظائف ، قادراً على تحقيق دوائر متعددة من احتياجات الانسان الحى المتطور .

العنصر الحضارى

ولاشك أن ما أنجزته الجامعة فى تسع سنوات وما حققته لنفسها كمنارة رفيعة للفكر والثقافة وكصرح للحضارة الرفيعة الحية القادرة على التطور والبقاء ، يجعلنا ندرك أحياناً أنها جامعة عريقة .

فالواقع يؤكد بأن ما حققته جامعة قطر فى هذه الفترة الوجيزة من تأثير على اسراع حركة التغيير الاجتماعى فى قطر والخليج ، ومساهمة فى توجيه هذا التغيير ، مع الحفاظ والحرص على بقاء الأبناء والآباء جبهة متحدة متكاملة تتحرك معاً قدماً الى الأمام ، إنما يمثل أحد أكبر منجزات الدولة .

إن الدولة التى تتنبه الى العنصر الحضارى فى منجزاتها ، هى دولة قادرة على مقابلة التحديات والانتصار فى صراع الحياة .

كليتان جديدتان

وتتطلع جامعة قطر بعد الانتقال الى مبانيها الجديدة ، الى البدء بكلية الاقتصاد والادارة وكلية الاعلام ، ولا يعنى هذا أن جامعة قطر تريد أو تستطيع أن تحقق كل احتياجات المجتمع من الخريجين ، بل إن جامعة قطر تريد أن تركز على التخصصات التى تستطيع أن تنجزها على أعلى المستويات العالمية . ولذلك فهى تتجه الى أن يتكامل مع النشاط التدريسى والثقافى فيها النشاطات البحثية .

ولظروف قطر الخاصة الديمجرافية (السكانية) والاجتماعية ، فلقد انشىء بها أربعة مراكز للبحوث : مركز البحوث العلمية ، ومركز البحوث التربوية ،



الأجيال الجديدة من طلاب العلم لدى استلام شهادات التخرج من الجامعة

ومركز بحوث السيرة والسنة النبوية ، ومركز بحوث الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، كما أن بها مشروع دراسات التنمية لدول الخليج .

وهذه المراكز تتكامل فيما بينها ، لتتجه بالبحث العلمى المتانى والمتعمق الى الحصول على اجابات حقيقية قابلة للتطبيق ذى الجدوى الاجتماعية والاقتصادية ، وقادر على التكامل مع المفاهيم الشاملة للتنمية الحقة . وهى بالاضافة لذلك ، تعتبر مجالا للعمل البحثى للطلاب والأساتذة .

وبهذا تكون جامعة قطر قد حققت بالاضافة الى القيمة الاجتماعية والاقتصادية لبحوث هذه المراكز ، توفير مجالات البحث العلمى لعلمائها وطلابها بما يؤدى بهم الى مزيد من التقدم والحيوية .

الدراسات العليا

وتستعد الجامعة للبدء فى برامج الدراسات العليا المتمثلة بدرجة الماجستير والدكتوراه .

والواقع أن الدراسات اللازمة للبدء فى الماجستير والدكتوراه موجودة ومنتهية وكل ما هناك أننا فى انتظار استكمال المقومات الأساسية لنجاح هذه البرامج التى تحتاج الى كل عناية وحرص نظراً لما تتميز به من حساسية خاصة ومستوى رفيع .

ولاشك أن الانتقال للمبانى الجديدة وإتاحة الفرصة لتطوير المكتبات والحاسب الآلى بالجامعة وتوفير المكاتب المناسبة لأعضاء هيئة التدريس التى تسمح باللقاءات الأساسية للأساتذة المشرفين والطلاب ، وتوفير المناخ الجامعى اللازم للتقاليد الجامعية ، كل هذه عناصر تحقق المزيد من التقدم والازدهار .

الأرقام تتكلم

وإذا كانت الأرقام مقياساً لنمو وتطور الجامعة ، فاننا نلاحظ ازدياد اعداد الطلاب ، فقد وصل عددهم خلال هذا العام الى ٣٤٠٠ طالب وطالبة وسيرتفع العدد خلال العام الدراسى القادم الى ٤٠٠٠ طالب وطالبة .. وتمثل الطالبات من هذا العدد نسبة ثلثى التعداد الجامعى ، كما يمثل أبناء قطر حوالى ٧٠ فى المائة من التعداد الكلى للدارسين بينما النسبة الباقية أغلبها من أبناء الخليج ، فى نفس الوقت الذى تتسع فيه برامج الجامعة لدارسين من ٣١ جنسية متعددة يمثلون شعور دولة قطر بمسئولياتها الحضارية ، ويضيفون للمجتمع الجامعى فى قطر بعداً انسانياً ودولياً يثرى حياتها وفكرها .

ومن المتوقع أن يكون عدد الخريجين لهذا العام ٦٤١ طالباً وطالبة ، ومع ذلك فنحن نؤكد أن العبرة ليست بالعدد ، ولكن بنوعية الانسان .

المعيدون القطريون

ولا يجوز أن ننهى هذا المقال دون الاشارة الى أعضاء هيئة التدريس ، فمنذ بداية الجامعة وهى تعتمد بالدرجة الأولى على أفضل الأساتذة من الجامعات العربية والعالمية ، ولذلك فانها اليوم تضم أساتذة من الجامعات المصرية على وجه الخصوص والجامعات السورية والعراقية والسودانية والأردنية واللبنانية والأمريكية والبريطانية والأسترالية والكندية وسيريلانكا ، ويبلغ عدد هيئة التدريس فى الجامعة ٣٥٩ من بينهم ١١ مدرساً مساعداً من القطريين الحاصلين على درجة الماجستير ، و ٨٨ معيدة قطرية ، و ٣٧ معيداً قطرياً ، كما يوجد فى بعثات دراسية بالخارج ٢٦ قطرياً و ٣٢ قطرية يعدون للدراسات العليا ، ومن المنتظر تعيين ١٢ معيدة قطرية فى خلال هذا العام .

ومع منتصف الثمانينات نأمل أن يصل أعضاء هيئة التدريس من القطريين الى حوالى نصف أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة ..

كما تعتز الجامعة أيضاً بأن تكون رائدة وسباقة من حيث اداراتها القطرية التى تتميز بالحيوية والكفاءة ..

وهكذا نرى أن جامعة قطر فى خطواتها العلمية ، إنما تؤكد ذاتها بالجهد الشاق والعمل المستمر والاستفادة من كل وسائل التطور فى جامعات العالم .

د. محمد ابراهيم كاظم



الفن التشكيلي في قطر

فى عام ١٩٧٧ أصدرت وزارة الاعلام فى قطر كتاباً عن الفن التشكيلى تناول جوانب متعددة لتاريخ الفن فى قطر ومراحل تطوره والمؤثرات التى أحاطت به وتشجيع الدولة ورعايتها للفن والفنان ، كما تعرض الكتاب للفن القطرى بين العالمية والقومية وعلاقته بالمدارس الفنية .. وكان الهدف من الكتاب هو تعريف سائر البلاد العربية جانباً مهماً من جوانب النهضة الثقافية المتصلة بالتراث الروحى والحضارى .. ولذلك فقد اختارت وزارة الاعلام فناناً عربياً مرموقاً هو الفنان جمال السجينى الذى رحل منذ سنوات قليلة تاركاً لنا هذا الكتاب الذى يعتبر من المراجع الهامة فى الفنون التشكيلية فى قطر والذى نقدم منه هذه الصفحات ..

البعد الزمنى للفن التشكيلى فى قطر

إن قراءة تاريخ قطر القديم تشير إلى أن الفنان التشكيلى وجد على أرض قطر فى وقت مبكر . وتاريخ الفن فى قطر ليس قاصراً على الفترة الحالية فقط ، وإنما يعود إلى الانسان القطرى القديم .. وإذا تعمقنا فى دراسة تاريخ قطر لطالعتنا حضارات زاهرة عبر القرون الماضية .

فقد أسفرت عمليات التنقيب ، عن الآثار فى قطر ، والتى بدأت عام ١٩٥٦ فى منطقة « أم الماء » الواقعة على الشاطىء الغربى على بعد نحو ١٩ كم جنوبى الزبارة وما حولها من الأماكن المجاورة . وكذلك المنطقة ما بين دخان وسلوى ، أسفرت عن العثور على كثير من الآثار التى تعود إلى ما قبل التاريخ ، وتدل على وجود نوع من الحياة المستقرة فى شبه جزيرة قطر منذ أقدم العصور ، فقد استطاعت البعثة الدانمركية التى قامت بالبحث والتنقيب فى الأرض القطرية أن تعين حوالى أربعين قطعة يرجع تاريخها إلى العصور الحجرية المختلفة .

القطريون رجال بحر منذ أقدم العصور ، وهم من أشهر من ركبوا البحار قديماً . وظل اللؤلؤ عماد الحياة فى قطر منذ القدم إلى أن ظهرت صناعة النفط . فتناقص عدد البحارة لانخراطهم فى أعمال أخرى .. وكان ظهور اللؤلؤ الصناعى ـ الذى اشتهرت به اليابان ـ وأسعاره الزهيدة ، سبباً فى تدهور تلك.

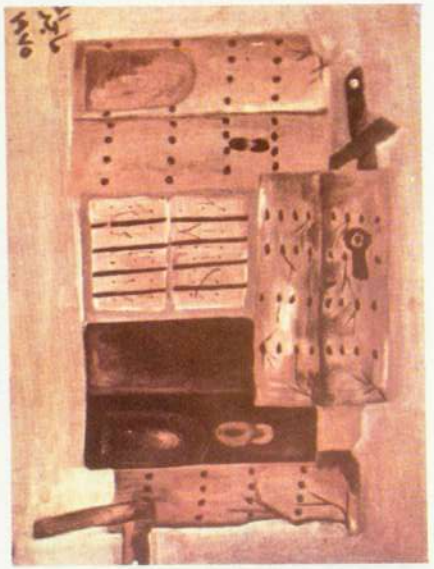


الضالة ـ جاسم زيني



من السوق ـ من الخلف

تكوين ـ ماجد المسلماني

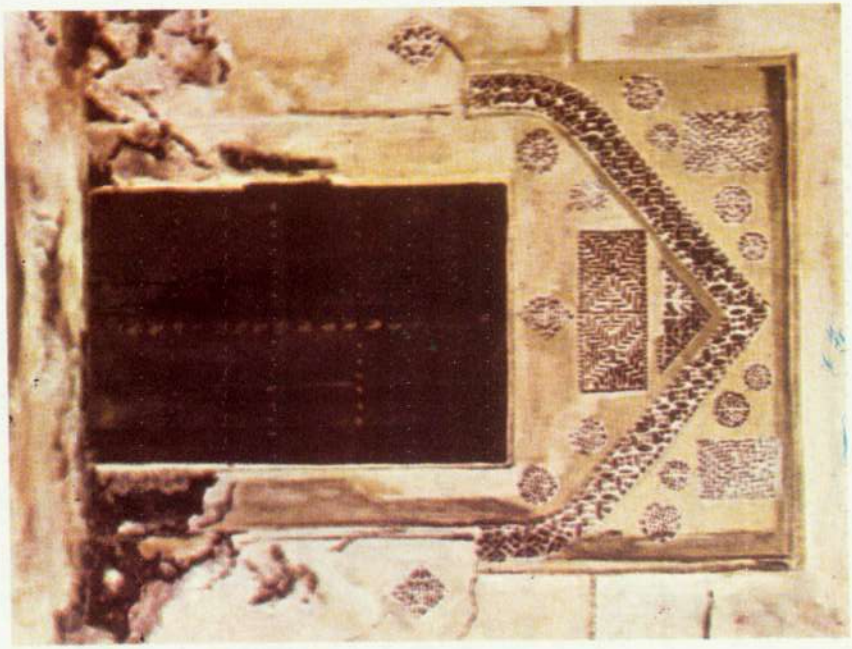


منظر خلوى ـ محمد علي عبد الله





نموذج من الفن المعمارى الاسلامى فى قطر ـ وفيقة سلطان.









الفن التشكيلي في قطر

الصناعة العريقة .

وكان للؤلؤ أثره الواسع فى تكوين قدره التشكيل والابداع لدى الفنان القطرى ، بما له من خيال خصب وواقع أكثر خصوبة ، ومن حديث ذى شجون وذكريات غاليه وفى إثراء خيال الفنان القطرى ، فصاغه أعمالا تشكيلية رائعة خلابة سجل فيها الصيد ، ومراحل استخراج اللؤلؤ والحركات الجماعية للصيادين ، وأغانيهم وأفراحهم عند العودة بالرزق الوفير ، كما عالج الفنان القطرى مشاق الصيد واخطاره فى خضم البحر الواسع ، كما كانت الصحراوات والبوادى لها تأثيرها أيضاً على نفسية الفنان .

وفى هذا الجو المشحون بالمؤثرات ، انطلقت الحركة التشكيلية ، انطلاقة عالج فيها الفنان القطرى موضوعاته معالجة فياضة غنية ، وظل هذا الجو مصدراً ملهماً لشاعرية الفنان ، فيه الخيال قائماً على قدم وساق إلى جوار الحقيقة التاريخية ، فيه الواقع والأسطورة .

مرحلة ما بعد استخراج النفط

وإذا تحدثنا عن الفترة الثانية من حياة المجتمع القطرى ، وما حققته من طفرة اقتصادية كبيرة ، انطلقت بالبلاد إلى مستوى متقدم من الحياة المعاصرة ، واستحدثت فى حياة الانسان القطرى الكثير من المنجزات الحضارية ، شملت كل المرافق ، فان تغيرات معينة قد طرأت أيضاً على المجتمع القطرى نتيجة لوفادة عناصر عربية وأخرى أجنبية إلى أرض قطر ، وإلى توافر الامكانيات الاقتصادية الكفيلة بفتح النوافذ على تيارات الحياة العصرية من كل جانب ، وإلى تحقيق الانطلاقة العلمية فى البلاد وكل ذلك أدى إلى احداث تأثيرات موضوعية بالنسبة للفنان القطرى وإنتاجه الفنى .

ولقد ظل الفنان القطرى يقظاً لقضيته ، متأثراً بها ، عاملا من خلال الاحساس بالواقع والتعايش معه ، مسايراً لايقاعات الحياة على أرضه .. وظل ذلك يمثل الجزء الأكبر من إنتاجه .

وكانت القومية رائداً للفنان ، وليست قيداً على انطلاقته ، فمع ارتباط الفنان القطرى بدور العلم والتطور فى مسيرته الفنية ، فانه لم يدخل فى نطاق الاغتراب الذى يبعده عن واقعه ، ويضعف من لغة التشكيل عنده ، ويمكن أن يقال : إن مدرسة الفنانين التشكيليين القطريين ، مدرسة تشعر بالمسئولية إزاء مجتمعها وقضاياها القومية وهى تترجم واقعها ، وتعبر عن تاريخها الطويل ، وعروبتها ، وهى تحقق فى نفس الوقت إضافة ثرية للحركة التشكيلية العربية وتسهم فى نموها .

* * *

يقول فنان تشكيلى قطرى عاصر المرحلتين : مرحلة ما قبل اكتشاف النفط ومرحلة ما بعد اكتشاف النفط :

كانت حياتنا القديمة غنية فنياً بمصادر عدة قد لا تتوافر اليوم فمثلا :

كانت النساء تخرج فى مناسبات الأعياد الدينية مثل : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، حيث يؤدين رقصة « المراداة » وكانت تؤدى جماعياً دون اختلاط بالرجال ، وذلك فى أزياء جديدة ملونة زاهية ، مطرزة بالخيوط الذهبية وهن متحلين بالحلى الجميلة من الذهب والفضة من صناعة الفنان القطرى .

وكان الرجال أيضاً يؤدون رقصة «العرضة» المنتشرة فى الجزيرة العربية والخليج العربى وذلك فى أماكن خاصة بهم .

وقد اختفت هذه الرقصات الآن ، ولم يبق منها إلا القليل الذى يؤديه الرجال فى مناسبات نادرة ، وعند زيارة ضيف عزيز للبلاد ..

وقد تميزت هذه الفترة بصناعة حلى النساء والملابس النسائية ، وكانت الحلى تصنع من الذهب والفضة : كالاقراط والأساور والخواتم والأشياء التى تزين صدر المرأة ، وصناعة الحلى ما زالت قائمة حتى الآن فى قطر ، وإن كانت الصناعة الآلية قد زحفت إلى مواقع الانتاج اليدوى للحلى ..

موضوع الفن القطرى

.. أول الحقائق عن الفن التشكيلى القطري وجود لمحات خليجية أصيلة ، تشير الى أن هذا الفن ومبدعه من الخليج العربى ، ذلك أن التكوين والتشكيل يترجم ما يختلج فى وجدان فنان الخليج من أسى على ضياع بعض ما اندثر من الماضي تحت وطأة المدنية الحديثة بكل عناصرها .

فالفنان القطري ، يسجل التراث القديم من خلال لوحاته ، وهى ذات مضمون عربى ، وان كان في الشكل يأخذ بالاسلوب العالمى في محاولة لتلمس الطريق الى أسلوب خاص للفنان القطري.

والفن القطرى عموماً ، يتناول موضوعات متصلة بالتراث الاسلامي ، والعربي المعاصر ، وموضوعات انسانية أخرى ، ذلك لأن الفنان اختزن تجارب ذاتية كونت شخصيته ، وهو يندفع الى التعبير عن نفسه وما يخالجها من أشتات الموضوعات ، والهامات الخواطر والمشاعر ، فالفنان ليس فرداً فقط ولا جماعة ، وانما هو فرد ينتمي الى جماعة ، وهو حين يعبر عن ذاته كفرد اجتماعي ، يعبر أيضاً عن قصد أو عن غير قصد في أن واحد ، عن الجماعة التي يعيش فيها ، فلا نستطيع أن نتصور فناً منقطعاً عن تيار الحياة الاجتماعية واذا اتجهنا الى الناحية العملية ، وجدنا أن الفن ، ليس أمراً خيالياً ، يتنافى مع حاجة المجتمع ، بل ان الفن يساعدنا في شئوننا اليومية بما يكسبها من عناصر الترتيب وأسباب الرفاهية ، فالفن يتصل بسلك خفي بكل ذرة من شئوننا .

والحقيقة أن الفن التشكيلى في قطر ، يلعب دوره الى حد مبشر في سبيل تنمية حاسة التذوق الفني ، وتطويرها عند المواطن القطري .

النهضة التعليمية تصقل المواهب

عندما بدأت النهضة التعليمية فى البلاد ، وفتحت المدارس المتعددة ، كانت مادة التربية الفنية ضمن المواد التى تدرس فى هذه المدارس ، كمادة دراسية مقررة على أبناء المدارس ..

وهكذا وفدت الى البلاد أول بعثة تعليمية تضم بين أفرادها عدداً من مدرسى التربية الفنية مع زملائهم من مدرسى المواد الأخرى ، وكانت هذه هى البداية لبناء حركة تشكيلية جديدة .. فبدأت المواهب الفنية الناشئة من أبناء البلاد تجد مناخاً مناسباً لنشاطها الفنى من خلال توجيه علمى ، ودراسة موضوعية ، وترشيد سليم ، فكانت تلك الدراسات ـ بوجه عام ـ ودراسات التربية الفنية بوجه خاص ، باعثة على خلق جيل من النشء يمارس هواية التشكيل أو يتذوق هذا الفن ، وقد عرف أساليبه وأشكاله المتعددة .

وعندما بدأ أبناء المدارس ينتجون أعمالهم ، بدأت المعارض تقام لعرض انتاجهم الفنى فى معارض سنوية ، تضم أعمال طلبة الصفوف المختلفة ، وكانت هذه المعارض بمثابة النافذة التى يرى منها المجتمع القطرى مواهب أبنائه من الطلاب . وقد شجعت حكومة البلاد والى أقصى الحدود اقامة هذه المعارض على مستوى الدولة كلها . وقد ساهمت قطر ابتداء من الخمسينات فى عدد من المعارض الدولية التى نظمت لرسوم الطلاب ، وحصلت بعض المعروضات على جوائز تقديرية . وقد استطاع المشاهدون الأجانب أن يروا قطر من خلال هذه الأعمال التى نقلت البيئة

القطرية وعبرت عنها فى بساطة وصدق للمشاهد الاجنبى .

وكانت هذه هى البداية لاشتراك قطر فى المعارض الدولية ، كما كانت أيضاً البداية لخروج الفن التشكيلى القطرى من دائرة المحلية الى دائرة العالمية ... ، وبدأ الفن القطرى يقوم بدور السفارة خارج حدود البلاد .

ونتيجة للحركة التصحيحية فى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ ، بدأت النهضة الشاملة فى البلاد ، فتغير العمل وأساليبه في مختلف القطاعات ، واتجه الركب نحو بناء المجتمع القطري الجديد ، وكان للفن التشكيلي حظه الوافر من الاهتمام ، وأولت الدولة الفنان الرعاية والتشجيع ، وهيأت له ولنشاطه الفني كل الفرص المناسبة حيث شعرت الدولة بأهمية الفنان ، وبالفن كشكل من أشكال الحضارة ، وعملت على تقديره وتقريبه للمواطن للتعرف على هذا الفن ، وتنمية الاحساس الجمالي عند المواطن .

كيف !!

الدولة .. والفن

ـ لأول مرة فى تاريخ البلاد قامت الحكومة بتوجيه دعوة عامة لجميع الفنانين التشكيليين في قطر ، لاقامة معرضهم الفني الأول الذي أقيم بمناسبة الذكرى الأولى لتولي أمير البلاد المفدى سلطاته الدستورية ، وقد شملت الدعوة أيضاً جميع الفنانين من الجنسيات المختلفة والموجودين في قطر .

وقد اشترك في هذا المعرض واحد وعشرون فناناًقطريا .. بحوالي خمسة وثلاثين عملا ، شاهدها المواطنون القطريون ، وأبناء الجاليات الأجنبية في قطر ، وضيوف البلاد ، وكان المعرض مقاماً في فندق الخليج بالدوحة ، وقد افتتحه أمير البلاد وحقق نجاحاً كبيراً .

ـ وقد رأت الدولة رعاية الفنان الى أبعد الحدود ، ونقله الى مرحلة الدراسة العلمية الأكاديمية ، فالموهبة وحدها لا تصقل الفنان . فصدر قرار الحكومة بتسهيل ايفاد الطلاب الراغبين في الدراسة الفنية ودون قيد أو شرط ودون مجموع محدد ، اللهم الا توافر شرط الموهبة وذلك الى عدد من الدول العربية لدراسة الفن وأصوله ، وقد عاد بعض المبعوثين ممن أتموا دراستهم الى وطنهم فنانين دارسين ، ومازال الابتعاث مفتوحاً أمام كل من يرغب فى الدراسة الفنية من أبناء البلاد .

ونتيجة لنمو الحركة التشكيلية فى قطر ، وزيادة أبناء المدارس والمبعوثين للخارج ، ونتيجة لرعاية الدولة للفن والفنانين ، أصبحت الحاجة ملحة الى زيادة عدد أماكن العرض ، فعملت الدولة على زيادة الأماكن المخصصة كمعارض فاقامت قاعة للعرض فى وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب ، وأخرى فى متحف قطر الوطنى ، وثالثة فى نادى الجسرة الثقافى ، ويجرى الآن اعداد قاعة أخرى فى المقر الجديد لوزارة الاعلام .

وكذلك أتاحت الدولة فرصة اقامة المعارض الجماعية للفنانين ، وعملت على تنظيم المعارض الفنية الفردية للفنانين القطريين .

واستحدث قسم للفن التشكيلى بادارة الثقافة بوزارة الاعلام ، للعمل على رفع مستوى التذوق الفنى على مستوى الدولة ، وتنظيم المعارض ، ورعاية شئون الفنانين ، وتدعيم العلاقات الفنية المتبادلة بين قطر والدول الأخرى وقد أسند الاشراف على هذا القسم لأحد الفنانين التشكيليين القطريين .

الفن القطرى بين المدارس الفنية

إن قطر .. وهى تضع على عاتقها اليوم مسئولية حضارية متمثلة فى وثباتها الصناعية ، والعمرانية والثقافية ، قد وضعت بالتالى فنانيها التشكيليين موضع المسئولية الحضارية .. وما عليهم إلا أن ينهضوا بتلك البداية الفنية الممثلة فى محاولات ناجحة فى المدارس الانطباعية أو السيريالية ، أو الفطرية أو المدرسة الطبيعية .

الطريق شاق وطويل ... والفنان دائماً وأبداً ، فى حاجة الى المزيد من منهل الطبيعة الرقراق ، والدراسة الصادقة لها .

ويمكن تقسيم مدارس الفن فى قطر على وجه التقريب الى المدارس الآتية :

● المدرسة الانطباعية :

وقد تأثر الفنان القطرى نتيجة لدراسته على أيدى بعض الأساتذة العرب الانطباعيين باللمسة السريعة المعبرة فى الظل أو الضوء ، وبالتوزيع التشكيلى لعناصر التكوين بشكل يسمح للمتلقى بانطباع خاص ، نتيجة الحيوية فى اللمسة واللون والتركيب الذى يخلو من التنظيم الارادى .

● المدرسة السيريالية :

ساعدت التقاليد الشرقية الأصيلة المستندة على روحانيات تميز الفنون الشرقية ـ أفريقية وآسيوية ـ على إفساح حاسة التخيل ذى التعبير الذى يتخطى حدود المعقول ، وينحو نحو التحليق فى آفاق معطرة بأريج الموضوع الذى يشغل بال الفنان .

● المدرسة الفطرية :

تتمثل فى أغلب اتجاهات الفنانين القطريين ... فنجدها واضحة المعالم فى الاتجاه السيريالى .. كما أنها تتخفى فى عجز بعض المحاولات الانطباعية ، كمحاولة بعض الفنانين ، تجاهل المنظور والعنصر الآدمى لنقص فى الدراسة العلمية ، ويا حبذا لو اهتم فنان الاتجاه الفطرى بتقوية سمات الفطرة ، والاطلاع والدرس لتاريخ عصور الثراء الفنى قبل المراحل الرسمية للحضارات عبر التاريخ .

● ـ المدرسة الطبيعية :

وهى المدرسة التى تتجه نحو محاكاة الطبيعة بشكل تقريرى ، لا أثر فيه لجهود الفنان الابتكارية ، فهو يرسم ما تسجله عيناه ، ولا شأن له بجوهر الأشياء ، بل تشغله مظاهرها ، وبريق سطحها ، والموضوع له شكل أقرب الى التعبير الأدبى وليس للغة الشكل واللون ، أو دراميتها أهمية الى جانب الرؤية التقريرية للأشكال .



الصيد مصدر الهام لكثير من أعمال الفنانين القطريين

الفنان القطرى المعاصر

والفنان القطرى حباه الله بعناصر ملهمة قلما تتاح لغيره .. فهو نبت أرض مباركة ساخنة رمالها ، نقية سماؤها ، ومياه فيروزية الموج حالم أفقها .. لذا نرى أعمال شباب الفنانين تنبض بالألفة والأصالة ؛ لانبثاقها من بنية واحدة وقومية موغلة فى القدم .



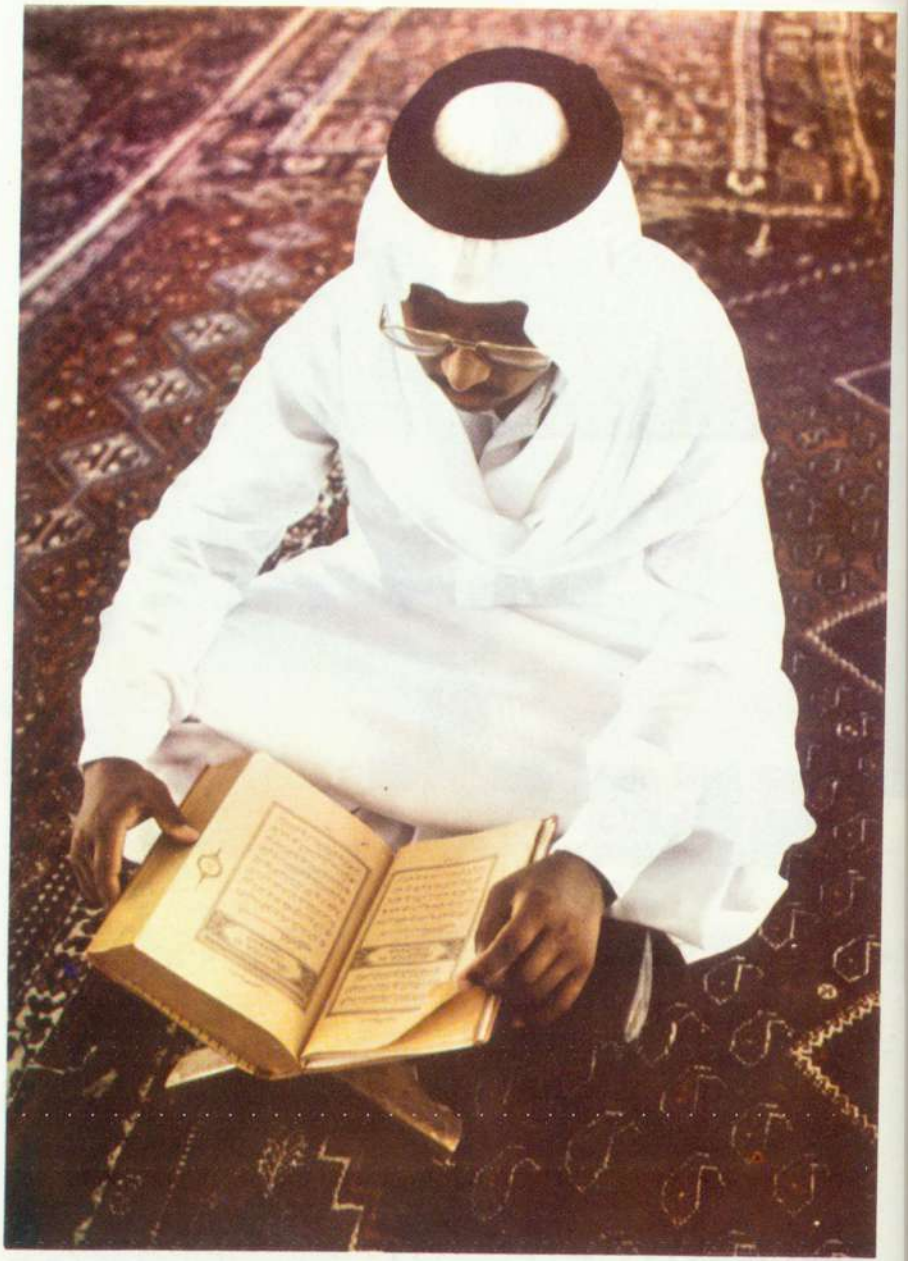
في متحف قطر الوطني

كيف نحمي تراث الخليج ؟

بقلم : درويش مصطفى الفار

حلى من الفضة والأحجار الكريمة .. صناعة يدوية عربية صميمة





الى اليمين – طالب يطلع على التراث بقراءة مصحف شريف قديم – والى أسفل لقطة أخرى لقارب بحرى عربى ، كان العرب به سادة البحار يوماً ما ، وهو قارب « البوم » .

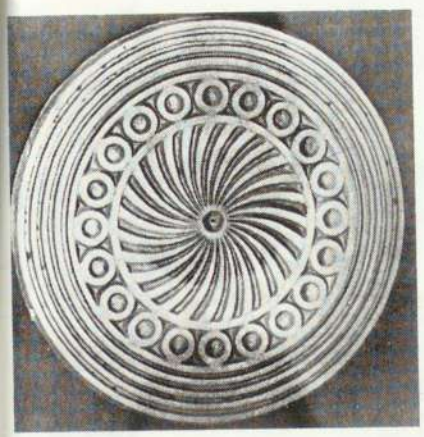
فى زمان تداعت علينا فيه الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، لا يخطرن ببال امرىء يعقل ، ان الدعـــوة إلى (إحياء التراث) هى دعـــوة التقوقـع والتحجر و (التعصب) اللاعقلانى للقديم ، على علاته ، والانصراف عن معايشة الحاضر والخوض فى بحاره ، علماً وفناً وتكنولوجية ، وانما إحيـــاء التراث ، كما يفهمه متحف قطر الوطنى ، دعوة إلى التبصر فى الماضى ، وفى انجازات الآباء والأجداد ، وما أدوه للحضارة البشرية وما غالبوا به البيئة المحيطة بهم ، حتى تستمر عجلة الحياة ويتعمق الانتماء ، وتتميز الشخصية العربية الاسلامية طوال قرون عديدة من الزمان ، فتتولد من ذلك شجاعة نتحدى بها كل تحد قائم امامنا ..

احياء التراث



وإحياء التراث ، فى متحف قطر الوطنى ، له انتماءات ثلاثة لا يمكن فصل احدها عن الآخر ، فهى ، أى دولة قطر ، ليست كوكباً منعزلا سابحاً فى اجواز الفضاء فى فلك وحده ، اذ هى ، بمن عليها من البشر الذين يعيشون على أرض شبه الجزيرة أو فى الجزر التابعة لها شرقاً وغرباً ، تنتمى إلى المشرق العربى ، فهى جزء من الوطن العربى بين المحيط والخليج ، وتنتمى الى الأمة الاسلامية المترامية الأطراف ، فضلا عن انتمائها الانسانى المعاصر فى هذا الزمن الذى تعددت فيه وســـائل المواصـــلات والاتصالات ، بحيث تلاشت الأبعـــاد

كيف نحمي تراث الخليج ؟









مجموعة لقطات .. الأولى والثانية للزخارف الجصية .. والثالثة لأنواع من الأعشاب للتداوى ، فطب الأعشاب جزء هام من تراثنا العربى الاسلامى .. أما اللقطة الرابعة فهى تمثل القهوة كجزء من تراثنا العريق ، لها تقاليدها ، وأدواتها وآداب صناعتها وتقديمها ، مما يحرص المتحف على شرحه واستيفائه .

الى اليسار ـ قصر الحاكم القديم قبل ترميمه واصلاحه ليكون نواة لمتحف قطر الوطنى الذى افتتحه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى فى ١٣٩٥/٦/١٤ (٦/٢٣/ ١٩٧٥) . وتبدو فى الصورة الأخرى واجهة المتحف القطرى من الجنوب فى ثوبه الجديد .

والمسافات ، وأصبح العالم كله فى حجمه الطبيعى كجزء تافه من المجموعة الشمسية بل والمجرة ذات الابعاد الفلكية الهائلة ، أى أن عالمنا الأرضى نقطة صغيرة لاتكاد ترى فى هـــذا المحيط الرحب الوسيع .

حياة البحر وطرز البناء

فالتراث المحلى القطرى فى متحف قطر الوطنى ، ممثل خير تمثيـــل فى ما يخص حياة البحر أيام الغوص بحثاً عن اللؤلؤ وفى مكونات بيت الشعر البدوى ، ووسائل العيش للنوم والملبس والطعام والشراب والتداوى والتعليم فى البادية والحاضرة ، وطرز البناء ومادته ، جداراً وطلاء وسقفاً وشكلا هندسياً وزخرفة .

والتراث القطرى ذو الانتماء العربى والاسلامى ، يتمثل فى أنواع القوارب التى كان يستخدمها الانسان العربى فى الخليج والمحيط الهندى منذ أيام أحمد ابن ماجد ، ومنها ستة أنواع قابعة على سطح البحيرة الصناعية داخل المتحف تشترك فيها قطر مع بقية بلاد الساحل العربى للخليج تســـمية وتفصيلا وفى المصـــنوعات اليـــدوية من نســـيج وأدوات خشـــبية ، وأدوية من الأعشاب ومصـــنوعات من الفخار والنحاس والجلد والذهب والفضـــة ، وأنـــواع الطيب والعطـــور وأدوات الزينـــة ،





كيف نحمي تراث الخليج ؟





وفى مضمار القهوة العربية والحلى والأسلحة ، وأسلوب تعليم القراءة والكتابة والحساب ، قبل بزوغ شمس المدارس والمعاهد والجامعات . ويقتنى متحف قطر الوطنى ، بحكم انتماء قطر العربى الاسلامى ، مجموعة نادرة من المسكوكات العربية الاسلامية ، سوف تتخذ نواة لانشاء (معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية) كما أمر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى الذى افتتح هذا المتحف فى الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة ١٣٩٥ (٢٣ / ٦ / ١٩٧٥) كمركز حضارى لاحياء التراث القطرى العربى الاسلامى ، وكتعبير عن البيئة القطرية بمفهومها الواسع الشمولى ، فى موقع من مدينة الدوحة العاصمة كان يشغله فيما سبق قصر الحكم الذى كان قد بناه المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني حوالى سنة ١٩٠١ م ، وتم ترميمه واصلاحه كنواة لمتحف قطر الوطنى فى ما بين سنة ١٩٧٢ ، سنة ١٩٧٥ ، حيث أصبح متنفساً ثقافياً وترويحياً وعلمياً لسكان العاصمة وزائريها ، وذاعت شهرته حتى طبقت الآفاق شرقاً وغرباً ، ولا يزال ينمو ويزداد سعة وشمولية على مر الأيام ، تنفيذا لتعليمات وتوجيهات القيادة العليا لهذه الدولة العربية المسلمة الفتية .

درويش مصطفى الفار





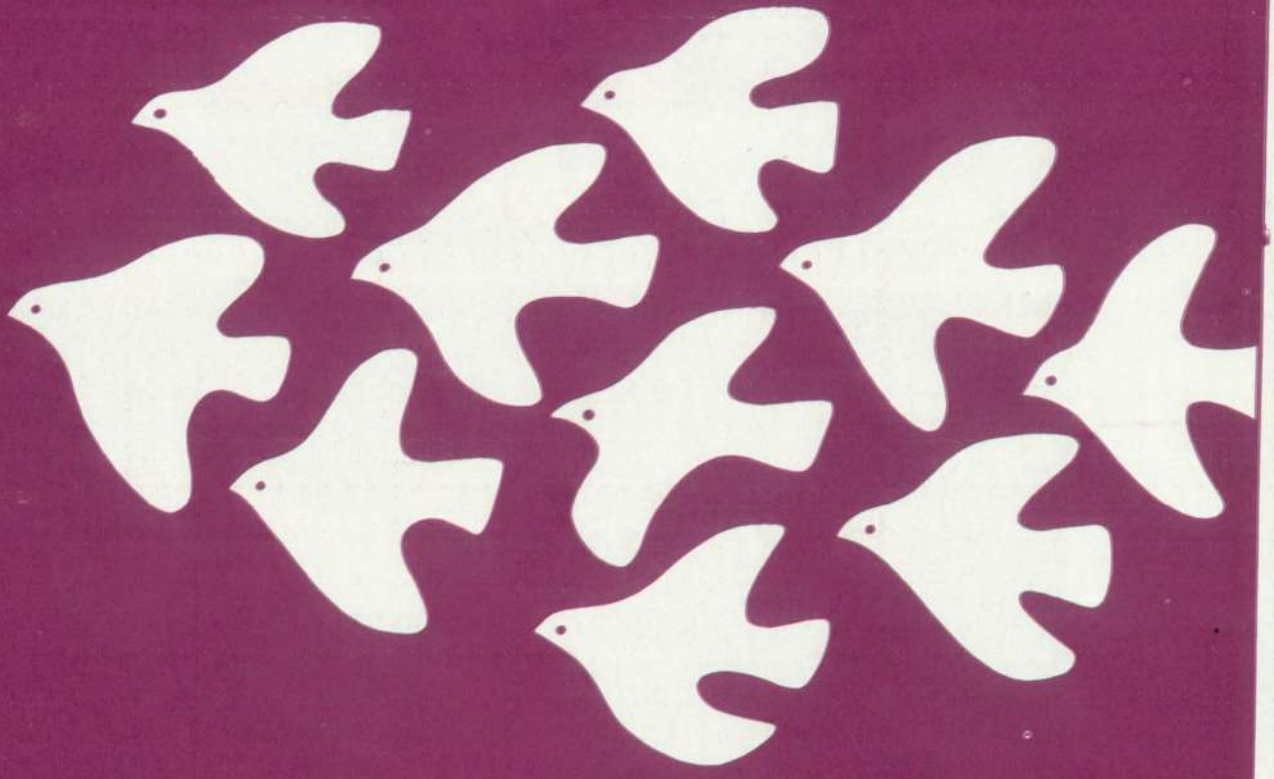




الى اليمين ـ المجلس الرسمى ، بقصر الحاكم القديم بالمتحف ، أسسه الشيخ عبد الله بن قاسم رحمه الله ، وكان يلتقى فيه بالكبير والصغير لحل المشاكل ..

وفى الصورة الأخرى ، نسيج يدوى من وبر الابل زاخر بالألوان والزخارف والأصالة .

الى أعلى بالترتيب ـ ثوب مطرز بيد قطرية .. ثم بعض أدوات البدوى فى صحرائه ، من قطر شرقا الى موريتانيا غربا ، لا تختلف فى أنها من تراث الصحراء العربية الخالد .. ولقطة ثالثة للدويرع ، وهو من الزخارف الجلدية البدوية التى يصنعها البدوى لتجميل بعيره أو ناقته .. وأخيرا اللقطة الرابعة لخنجر موشى بالذهب ، فمن تراثنا الاعتزاز بالسلاح .



"هنا في قطر نعتقد أن نوعية الدول لا تقاس
بحجمها، بل بمدى إنجازاتها في نطاق إمكاناتها..
والإنجازات لا تقاس ببدايتها الناجحة، بل
بالقدرة على مواصلتها بكفاءة وجد ومثابرة"

خليفة بن حمد آل ثاني



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

"الصدقة"

يأتى مفهوم : « الصدقة » فى بعض آيات القرآن الحكيم بمعنى : العطاء للطعام أو لغيره من رزق الله على الانسان ، لصاحب حاجة فى غير انتظار جزاء من أحد . يقول الله تعالى فى سورة المجادلة : « يا أيها الذين آمنوا : اذا ناجيتم الرسول (أى اذا اردتم التحدث اليه فى سرية فى شأن من الشئون التى تهمكم) فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (أى فاعطوا عطاء لصاحب الحاجة قبل دخولكم الى المناجاة مع الرسول عليه السلام) ، ذلك خير لكم وأطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم (أى فاذا لم تجدوا ما تعطونه لأصحاب الحاجة فان الله مع ذلك سيسعكم بمغفرته ويشملكم برحمته) . » (آية : ١٢) .. فالصدقة هنا : هى العطاء القائم على المشيئة الفردية دون الالزام ، من صاحب الفضل فى الرزق . وربط الصدقة هنا بالدخول لمناجاة الرسول عليه السلام هو التماس مناسبة عزيزة على المؤمنين جميعاً لحمل الموسرين على سد حاجات الناس بمحض اختيارهم ، وهى مناسبة اللقاء مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وربما يدخل فى مفهوم الصدقة دخولا أوليا - بجانب المشيئة فيها ، وعدم انتظار الجزاء من أحد عليها - أن يكون المعطى من طعام أو لباس . أى أن يكون مما يحتاج اليه صاحب الحاجة فى غذائه أو فى كسائه ، ومما يدفع به حد نفسه على الآخرين معه فى مجتمعه ممن يملكون تلبية حاجاتهم فى الأكل والكساء . لأننا لو رجعنا مثلا الى كفارة اليمين لوجدنا القرآن الكريم ينص على الطعام أو الكسوة من بين ما يطلبه فيها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته : اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم . (المائدة : ٨٩) . وكذلك ينص على الطعام فى كفارة الظهار ، فى قوله تعالى « فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا » . (المجادلة : ٤) .. والكفارة هنا هى التماس من الله جل شأنه : أن يغفر ذنباً أرتكب فى حقه سبحانه ، وهو عدم الوفاء بما أقسم الانسان بالله عليه . إذ القسم يعرض اسم الجلالة للزج به فيما ينبغى أن يصان عنه ، ولذا تستتبع آية الكفارة عن اليمين هنا قوله تعالى : « واحفظوا أيمانكم » عقب تحديد الكفارة .

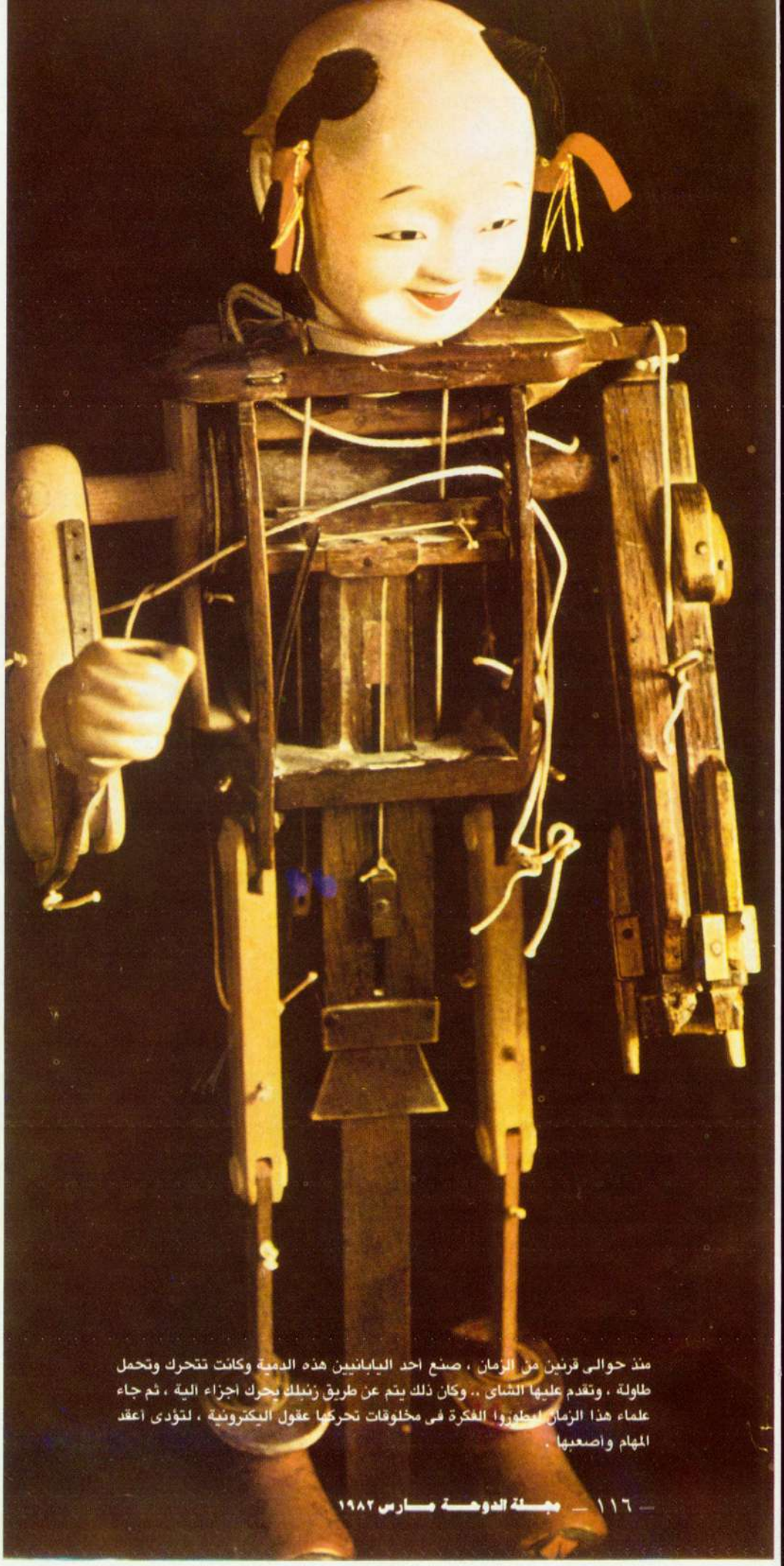
والكفارة فى المعنى : هى صدقة . لأن المكفر عن ذنب لا ينتظر جزاء من أحد من البشر عليه . والطعام أو الكساء كلاهما اذن أقرب الى مفهوم الصدقة ، وليس معنى ذلك أنه لا يجوز التصدق بالمال أو بأى شىء اخر مما يملكه الانسان أو يتفوق فيه على غيره : من علم ، أو حكمة . ،انما فقط : اعطاء المال لصاحب الحاجة قد يحمله على ادخاره وكنزه ، ويظل مع ذلك محروماً .. ويظل مع ذلك ينفث حقده بسبب حرمانه على الآخرين معه . ولكن اذا كان عطاء المال ، أو عطاء العلم والتوجيه أو العلاج من مرض أو عجز ما ، سيحمل الفقير ، أو الجاهل أو غير المدرب ، أو المريض والعاجز : على عدم السؤال والحاجة الى الآخرين .. فان التصدق بأى منها أفضل من التصدق بالطعام أو الكساء ، لأن ذلك ذو ثمرة طويلة ، بينما هذا مؤقت .

وقد يأتى مفهوم الصدقة فى بعض آيات القرآن الكريم أيضاً بمعنى الزكاة ، التى هى عبادة وفريضة لازمة . يقول الله تعالى : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » . (التوبة : ٦٠) .. لأن تحديد بعض المصارف هنا - بالاضافة لقوله فى آخر الآية : فريضة من الله - يعين أن تكون الصدقات هنا بمعنى الزكاة . فتحديد العاملين كمصرف .. والمؤلفة قلوبهم كمصرف آخر .. والغارمين كمصرف ثالث .. وفى سبيل الله كمصرف رابع .. وابن السبيل كمصرف خامس يوجب ان تكون الزكاة هى : المعنى من الصدقات هنا .

وربما يكون من أهداف التعبير عن الزكاة هنا بالصدقات : ان الزكاة وان كانت واجبة فهى مع ذلك كالصدقة التى تقوم على المشيئة وعدم الالزام : فى حسن جزاء الله عليها .. وفى أن أداءها لا يترقب عليه المزكى جزاء من أحد من البشر .

إلى أين أيّها الإنسان الآلي ؟

بقلم
د. عبدالمحسن صالح



منذ حوالى قرنين من الزمان ، صنع احد اليابانيين هذه الدمية وكانت تتحرك وتحمل طاولة ، وتقدم عليها الشاى .. وكان ذلك يتم عن طريق زنبلك يحرك أجزاء الية ، ثم جاء علماء هذا الزمان ليطوروا الفكرة فى مخلوقات تحركها عقول اليكترونية ، لتؤدى أعقد المهام واصعبها .

أن الأوان ، وجاد الزمان ، بمعلم أمين يعلم الأولاد اللغة والحساب ، ودون ارهاق فى دفع الأتعاب ، أو فى تأخير عن موعد سابق أو غياب ، أضف الى ذلك ان معلمنا المرتقب لا يستخدم العصا ، ولا ينهر الطلاب ، كما أنه صبور فى الشرح والتكرار ، ومحبوب عند الصغار والكبار ، وبالاختصار نراه معلماً مثالياً من كل الوجوه .. اطلبه تجده فى كل الظروف والأحوال !

ولاشك أن تلك بشرى طيبة تستحق منا ان نسعى لها سعيها ، وربما يسيل لها لعاب الآباء والأمهات ، فيتساءلون بلهفة : انى لنا اذن بمثل هؤلاء المعلمين الأوفياء ؟



طرازات كثيرة من دمى آلية تؤدى حركات مختلفة لتسلية الصغار والكبار وكأنما الانسان كان يحلم ـ من خلال ذلك ـ بانتاج مخلوق آلى يقوم بعمل البشر ، ولقد تحول الحلم الى حقيقة ، بفضل التقدم المذهل فى الحاسبات الاليكترونية .

الواقع أنهم الآن فى الأسواق .. لكنهم يتكلمون لغات أجنبية ، ولم يحن الوقت بعد للناطقين بلغة الضاد .. فمعلم اللغة بخمسين دولاراً ، ومعلم الحساب بسبعين ، ولكل معلم مستوى يتناسب مع عمر التلميذ ، والصف المدرسى الذى ينتمى اليه ، وكلما ارتقى الولد أو البنت فى مراحل التعليم ، كلما استدعى ذلك ان تشترى له معلماً متطوراً يتناسب ومستواه !

ليست هذه فى الواقع أضغاث أحلام ، ولا شطحات خيال ، فلقد وقعت أول مرة على واحد من هؤلاء «المدرسين» ـ أثناء وجودى فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ بين يدى طفل لا يتجاوز عمره ست سنوات ، وكان يحمله بسهولة بين يديه ، فاذا ضغط الطفل على الأزرار نطق « المدرس » بالحروف وبالكلمات ، حتى اذا أخطأ الطفل ، قال له أخطأت ، واذا اصاب قال له : أحسنت .. مدرس لاشك مسل وجذاب ، ودائماً مثير للانتباه ، ولهذا لا يمله الصغار ولا الكبار فلقد جذبنى بدوره ، وجلست اليه ، لأحاوره ويحاورنى فى تكوين الكلمات ، أو اجراء تمارين الحساب ، ولكن مستواه يتناسب مع مستوى مراحل التعليم الأولى ! .

طفرة فى وسائل التعليم

ولاشك ان معنى ما قدمنا فأوجزنا لا يخفى سره على لبيب ، فهؤلاء المعلمون الجدد هم ثمرة تطور مستمر فى استخدام الحاسبات والعقول الاليكترونية ، فالذى يعلم الأطفال والصبية مبادىء اللغة والحساب ، جهاز صغير يعمل ببطارية أو تيار كهربى ضعيف ، ولا يكاد يستهلك من الطاقة شيئاً مذكوراً ، وفى الجهاز ذاكرة اليكترونية تحتفظ بالمعلومات المطلوبة والمناسبة لمستوى التلميذ ، أى كأنما البرنامج الدراسى ـ أو جزء منه ـ مبرمج أو مسجل على هيئة دوائر اليكترونية دقيقة فى شريحة أو رقاقة صغيرة ، وعلى الجهاز عدد من الأزرار والمفاتيح التى توجه التلميذ .. فزرار منها لبداية الدرس وثان لاظهار الحروف على لوحة صغيرة ، ثم نطق الحروف بصوت واضح مسموع وثالث لتكوين الكلمات ، ورابع للاعادة ، وخامس لتغيير البرنامج ، وسادس وسابع .. الخ ، ليجعل هذا « المدرس» الآلى متعة حقيقية ، خاصة أنه لا يمل ولا يكل مهما بلغ غباء التلميذ !

لكن ليس معنى ذلك ان مراحل التعليم الأعلى لم يكن لها نصيب فى مثل هؤلاء المدرسين أو الأساتذة الاليكترونيين ، بل يرجع عدم شيوعهم الى اننا لازلنا فى بداية طريق يبشر بآمال عريضة ، وليس ببعيد ان يكون لكل مادة ، ولكل مرحلة من مراحل التعليم مدرسها الاليكترونى ، ليعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والرياضيات والمنطق والفنون والكيمياء والفيزياء ، وغير ذلك من علوم عصرنا ، أو قد تتطور الأمور الى ما هو أبعد من ذلك ، فيظهر « عقل اليكترونى » ليعلم عقول البشر مناهج دراسية مختلفة تناسب كل مرحلة .. أى سيصبح الحاسب الواحد بمثابة أستاذ الأساتذة !

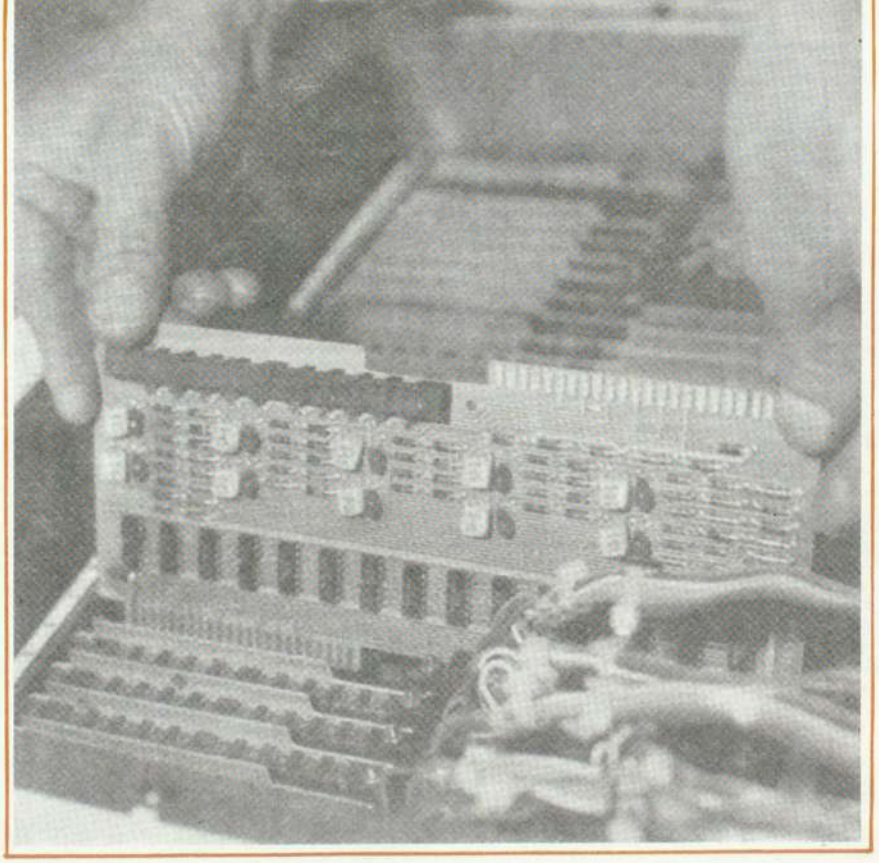
وليس ذلك ـ فى الواقع ـ خيالا محضاً ، لأن نواة هذه الأفكار الغريبة قد تحولت بالفعل الى تطبيقات عملية ، وهى بذلك تشير الى أن المستقبل سيكون أغرب مما نتصور ، فبجوار الآلة التعليمية الاليكترونية التى ذكرناها آنفا ، وتعرف باسم « تكلم وتهج » ، توجد آلتان جديدتان متطورتان طرحتا منذ شهور قليلة فى الأسواق ، ويطلق على الأولى « تكلم واقرأ » .. والثانية « تكلم واحسب » .. اى انهما يقرآن ويتكلمان ويحسبان ، ثم ـ فى الوقت ذاته ـ يعلمان بلغة قومهما ، ولاشك ان ظهور المدرس الآلى العربى آت لا ريب فيه .

حكاية هارفى المريض

لكن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد ، فلقد تطورت أيضاً الى تعليم طلبة وطالبات السنوات النهائية فى بعض كليات الطب بالدول المتقدمة دروساً فى الطب .. ولنقدم هنا ـ على سبيل المثال ـ « هارفى » .. انه مريض ، وانه الأستاذ ، وانه الممتحن ـ واضع درجات الامتحان ، فهارفى انسان آلى (انظر الصورة المنشورة على ذلك) ، وهو دائماً يستلقى على سرير فى مدرسة الطب بجامعة ميامى الأمريكية ، وبالتحديد فى قسم أمراض القلب برئاسة البروفيسور ميشيل سى . جوردون ، ومريضنا أو انساننا الآلى ذو جلد من مادة مرنة تشبه جلودنا ، ويتخللها شرايين واوردة تماثل شراييننا واوردتنا ، ويبدو عند تشغيله وكأنما هو يتنفس ، لكن الغريب فيه انه يحمل بروجراماً يحتوى على ٤٠ مرضاً من أمراض القلب المعروفة ، ليس هذا فحسب ، بل يستطيع أن يمثل لطالب الطب الذى يفحصه بعض هذه الأمراض وعلى الطالب أن يكتشفها ، فاذا شخص المرض تشخيصاً صحيحاً ، منحه الدرجة التى يستحقها ، واذا اخطأ ، اظهر له خطأه ، وعليه ان يسارع بتصحيحه ، فاذا فشل ، أو ارتكب خطأ فاحشاً ، اعلن المريض الآلى ذلك بطريقة توحى بأنه مات ، وعندئذ يتوقف البروجرام ، ولا يستجيب للفحص بعد ذلك الا بعد تشغيله فى دورة جديدة !

وليس الأمر مقصوراً على مجال القلب وحدها ، بل هناك مرضى آليون يمثلون أمراضاً اخرى كثيرة ، ففى مستشفى بوسطون العام بولاية ماساشوسيتس الأمريكية يوجد مريض آلى من هذا النوع ، وعلى الطالب ان يفحصه ، ويكتشف الداء عن طريق محادثة بينه وبين هذا الانسان الآلى المريض !

وفى جامعة بتسبيرج يوجد فريق



محتويات «المخ» أو «العقل» الاليكترونى عبارة عن لوحات ذات دوائر اليكترونية ، وهى توضع هنا واحدة بجوار الأخرى لتكون البروجرام المتكامل الذى يدير مصنعاً بأكمله .

علمى يتكون من ثلاثة ، اثنان منهما بشر ، والثالث انسان آلى ، فمن البشر دكتور جاك مايرز ، وهو متخصص فيما يسمى بالذكاء الصناعى ـ اى الذى يمكن اكسابه للآلة ، أو الانسان الآلى ، والثانى « هارى بويل » متخصص فى علـــوم الحاسبات الاليكترونية ، وعلى الأخص كيفية تزويدها بالمعلومات واختزانها ثم استخراجها على هيئة اجابات ، أما ثالثهم ـ الانسان الآلى ـ فهو خبير فى تشخيص اعراض ٥٠٠ مرض ، والعمل قائم ايضاً لتزويده بمائة وخمسين مرضاً اضافياً ، وربما بعد سنوات يزود بمعظم الأمراض التى عرفتها البشرية !

والطبيب الآلى فى اســـتنباطاته لتحديد الأمراض ، يشبه الى حد ما الطبيب البشرى ، اذ ان الأعراض التى يشكو منها المريض قد تشير الى أكثر من مرض ، وعلى الطبيب أن يقرر أى الأمراض أكثر احتمالا ، وكذلك الحال مع الطبيب الآلى ، فهو أيضاً يشتغل على مبدأ الاحتمالات ، ومن أجل هذا لـكل مرض اعراضه المبرمجة ، وقد تصل تلك الأعراض الى حوالى ٦٠ عرضاً لكل مرض ، ولهذا وضعت فيه كل صغيرة وكبيرة من المعلومات الدقيقة الملازمة للمرض .

وليس حتما ـ الآن على الأقل ـ ان يحدد الطبيب الآلى نوع المرض ، بل يقدم عدداً من الحلول ، وعن طريق مزيد من الأسئلة والاستفسارات بين الطبيب البشرى والآلى ، يمكن تضييق الخناق لتحديد هوية المرض ، ليس هذا فحسب ، بل أيضاً توضيح الأسباب التى ربما يكون المرض قد نشأ منها ، وبهذا يوجه الطبيب الآلى الطبيب البشرى الى معلومات جديدة قد تكون عليه خافية !

لكن ذلك كله يشير الى أننا لازلنا فى البداية ، أو كأنما هذه المرحلة بمثابة نبتة صغيرة ، والمستقبل كفيل بتغذيتها بعصارة الأفكار المتطورة ، لتنمو وتتفرع وتزهر وتثمر ثمار المعرفة ، ذلك ان الطبيب الآلى سوف يتطور الى درجات اكفأ ، وبحيث يحدثه الانسان ويتخاطب معه ـ دون حرج ـ بمرض قديستحيى ان يعرضه على الطبيب البشرى ، وعندئذ يحدد له مرضه ، ليس ذلك فحسب ، بل يقوم الطبيب الآلى بتوضيح كيفية وصوله الى هذا التشخيص بالتفصيل ، او كأنما هو يذكر لمريضه تاريخ المرض ، وكيفية نشأته ، وربما ايضاً طريقة علاجه مع نصائح أخرى لازمة فى فترة العلاج ، أو بعد تمامه !

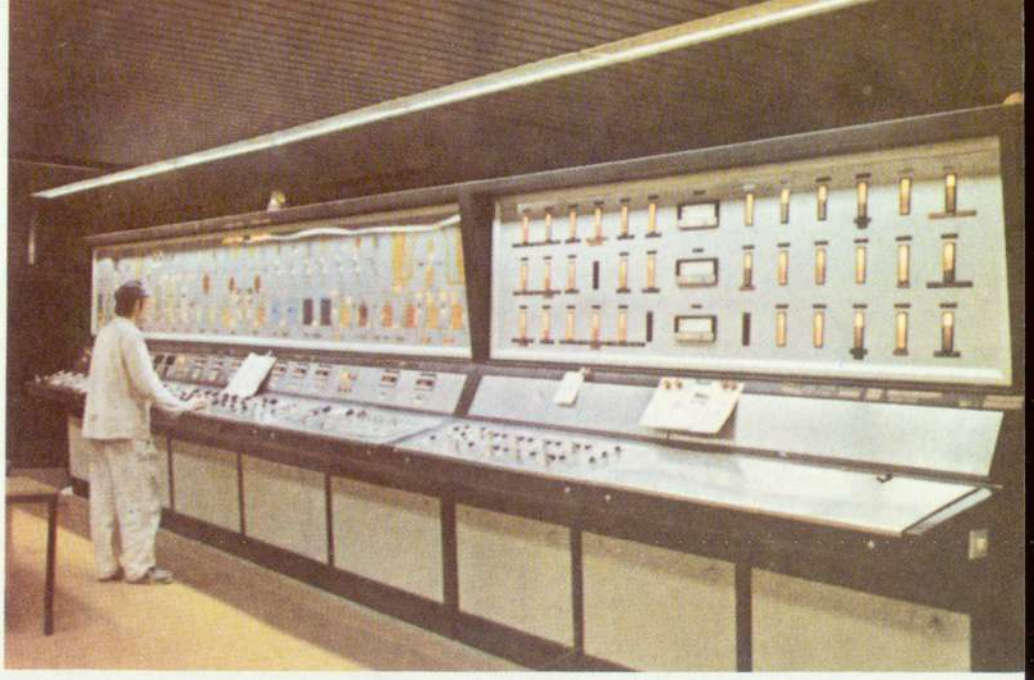
وليس الطبيب الآلى ولا المعلم الآلى هما نتاجا العقول البشرية فى ميدانى الطب والتعليم ، بل توجد بالفعل انماط أخرى كثيرة تؤدى اعمالا لا غنى عنها للبشرية .. فلقد توصلت جامعة ادنبره باسكتلندا الى تصميم اليكترونى لتشخيص ما قد تتعرض له آبار البترول من انهيارات ، أو ما قد يحل بالأرصفة العائمة من الخلجان والبحار من كوارث ليست فى الحسبان ، فتشير اليها ، وتحذر منها قبل فوات الأوان .

وفى جامعة استانفورد الأمريكيـــة جهاز اليكترونى آلى يحدد للعلمـــاء التركيب الكيميائى الدقيق لبعض الجزيئات المعقدة ، فلكل جزيء طيفه الضوئى ، أو بصمته التى لا يشاركه فيها أى جزء أخر ، وعندما يزود « الكيميـائى الآلى » بهذه الأطياف أو « البصـمات » ، فسرعان ما يحللهـــا بطريقتـه أو ببروجرامه الموضوع فيه ، ويوضح بطريقة ـ لا لبس فيها ولا غمـوض ـ التكوين الدقيق للجزيء الذى يعجز العلماء عن الوصول اليه الا بشق الأنفس .

والذى يتنبأ بحالة الطقس لأيام ، وربما لأسابيع قادمة ، حاسب اليكترونى يستقبل سيلا جارفاً من المعلومـــات ، « فيهضمها » ويفندهـــا ، ويشـــير الى احتمالات سقوط الأمطار ، أو هبـــوب الأعاصير ، أو أية تقلبات جوية قـــد تكون خطراً على الملاحة البحرية والجوية والفضائية ، وهو فى ذلك يجرى آلاف الحسابات ، ويطبق أصـــول المعادلات ، ويقدم الاجابات بسرعة فائقة فى أية لحظة بالليل والنهار ، وهذا ما لا يقدر عليه بشر !

ومن الســـماوات تنهـــال ملايين المعلومات على أجهزة حساســـة ، فتستقبلها وتغربلها وتفندها ، وتدفـــع بالحصيلة الى عقول اليكترونية فلكية ، فتعيد ما استقبلت ، وتترجمه الى لغـة بشرية مفهومة ، وهى ـ فى هذا المجال ـ تؤدى للانسان خدمات هائلة ، وتوضح له من اسرار السماوات ما يخفى على حواسه القاصرة ، وبذا يعرف أنباءها دون أن يصعد اليها ، أو يرقبها بحواسه لأن حواسنا أضعف من أن توضح لنا بواطن الأمور !

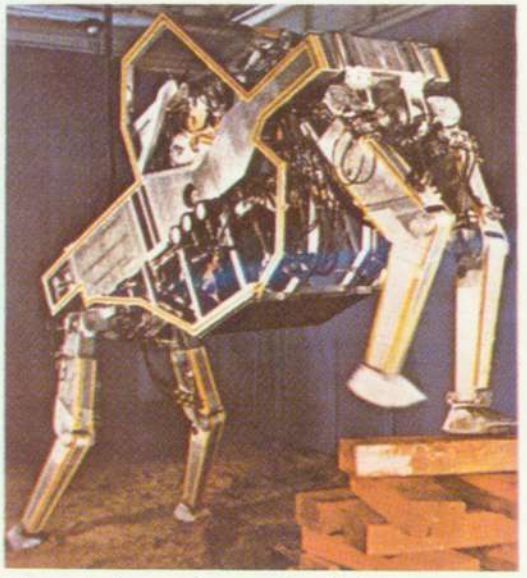
ونحن لا نريد ان نسترسل فى ذكـــر ، المزيد والا لخرج الموضوع من ايدينا ، لكن يكفى ان نذكر ان هـــذه الالات الاليكترونية الدقيقة قد أصبحت عين



«العقل» أو الحاسبة الاليكترونية التى توجه أوامرها الى الآلات التى تقوم بعمل الانسان داخل المصنع . وكل شىء هنا يحكمه عالم الأزرار .



وحدة كاملة فى مصنع وقد خلت من العمال البشريين ، إذ حل محلهم عمال اليون ، يؤدون عملهم حسب بروجرام محفوظ فى ذاكرة اليكترونية (الانسان الذى تراه هنا يراقب فقط من بعيد) .



انسان آلى بذراعين وساقين ، وبينهما بروجرامه المكدس فى ذاكرة العقل الاليكترونى ، وبه يتحرك ويدور ويؤدى بعض المهام .

إلى أين أيها الإنسان الآلي ؟

العلم التى يرى بها ، وأذنه التى يسمع من خلالها ، بل ومخه وفكره الذى يشتغل له ليل نهار ، دون أن يكل أو يغفو أو ينام فتريح العقل البشرى من الأجهاد الفكرى الذى يتعرض له فى كل آن وحين ، وكأنما هذه العقول الآلية توفر للعقول البشرية طاقاتها لمزيد من الخلق والتطوير والابتكار الذى نشهد ثمراته فى كل ما هو جديد ومثير وجذاب .

أكفأ واتقن من البشر !

ولنتصور بعد ذلك ان مناقشة قد جرت بين صاحب مشروعات صناعية ، وبين مورد يقدم له أكفأ العمال ، وان المناقشة قد جرت بينهما هكذا ، حيث يقول ثانيهما لأولهما : ما رأيك فى مجموعة من العمال الفنيين يشتغلون ساعات اطول ، وبأجر اقل ، ولا يقومون باضراب ، ولا يشكلون أية نسبة من الغياب ، ولا تصيبهم الأمراض ، ولا تطلب الدولة منك لهم أية تأمينات أو معاشات .. وهم مطيعون غاية الطاعة ، وانتاجهم غاية فى الجودة ، ولا يحتاجون لعلاوات ، بل العكس هوالصحيح ، لأن أجورهم قد تميل الى النقصان .. لا الى الزيادة ؟!

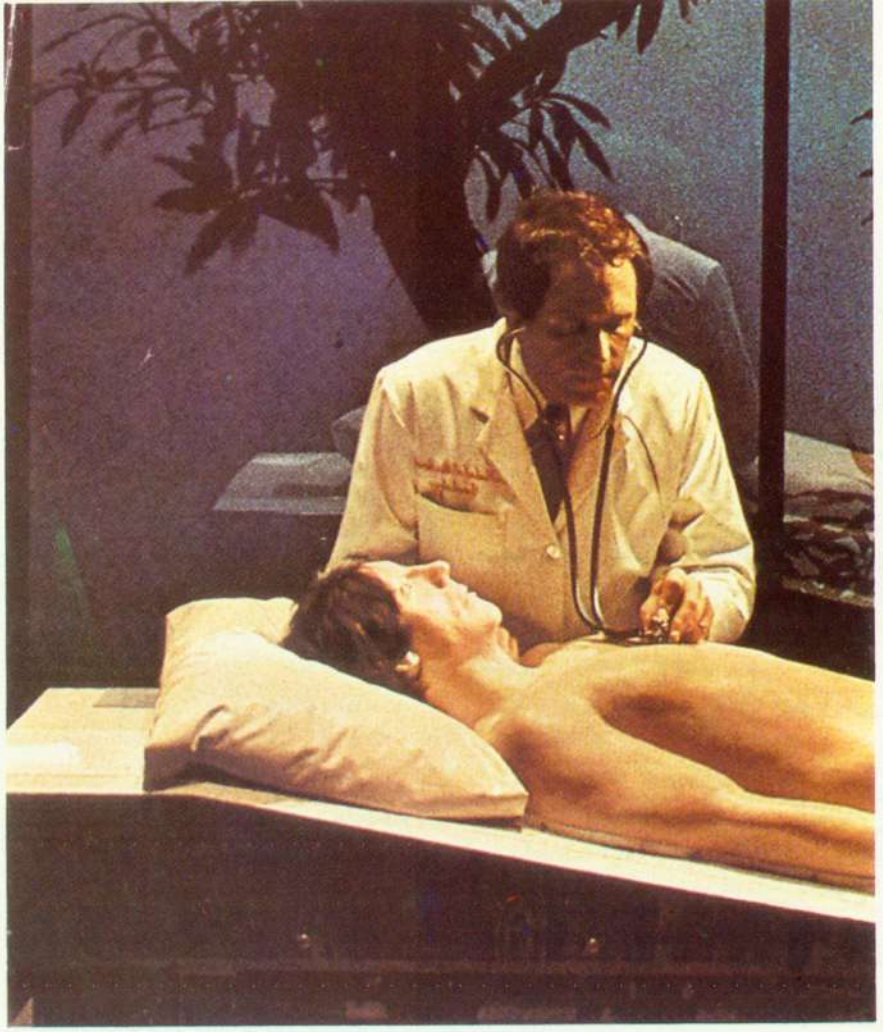
عندئذ قد يتنهد صاحب المشروعات بحسرة ، ويردف قائلا : انى لنا بهؤلاء إلا فى عالم الخيال والأحلام ؟ !

فيقول صاحب الفكرة : انهم موجودون .. وهم يتمثلون فى الانسان الآلى الذى لا يكل ولا يشكو ولا يتبرم !

وبالفعل ، فمنذ سنوات عدة بدأ الانسان الآلى ينتشر ويحل فى المصانع محل البشر .. فحيث يدفع صاحب العمل للعامل البشرى ما بين ١٥ ـ ٢٠ دولاراً فى الساعة ، فان العامل الآلى لا يتكلف فى المتوسط الاخمسة دولارات لا غير ، بما فى ذلك الثمن المدفوع فيه ، وصيانته والطاقة اللازمة لتشغيله ، وهو قادر على ان يشتغل دوريتين أو ثلاث دوريات فى اليوم الواحد ، ويستغل وقته فى العمل بكفاءة تتراوح ما بين ٩٥ ـ ٩٨٪ من الزمن الذى يعمل فيه ، فى حين ان العامل البشرى بالمقارنة لا يزيد عن ٧٥٪ (طبعاً فى الدول المتقدمة ، اما فى الدول النامية أو المتخلفة ، فما أكثر الوقت الضائع !) .

ان شركة جنرال موتورز تمتلك الآن وحدها أكثر من ٤٥٠ انساناً آلياً فى عمليات لحام ودهان وتجميع وربط وتفتيش على الجودة وما شابه ذلك ، ولما اثبت العامل الآلى قدرته وكفاءته ودقته ، فقد خططت الشركة لزيادة طاقة العمالة الآلية الى خمسة آلاف بحلول عام ١٩٨٥ تزيد الى نحو ١٤ ألفاً فى عام ١٩٩٠ .. لكن شركة جنرال موتورز ليست وحدها فى الميدان ، بل ان معظم شركات صناعة السيارات الكبرى مثل فيات وفولفو وتويوتا .. الخ ، بدأت تستخدم الانسان الآلى لدرجة ان بعضها قد استغنى عن حوالى ٥٠٪ من الأيدى البشرية ، وليس ببعيد ان يدار معظم اجزاء المصنع بالانسان الآلى ، وبهذا لا تمثل فيه القوة البشرية الا بنسبة ضئيلة قد تتراوح ما بين ٣ ، ٥٪ من العمالة الفعلية .

لكن ظاهرة الاستغناء لن تقتصر فقط على الفنيين والعمال والمهندسين ، بل ستتعداها الى الاداريين ، لأن حاسباً اليكترونياً ضخماً ومزوداً ببروجرام يجمع بين كل التخصصات الادارية ، يستطيع ان يقوم بعمل المئات ، وينجز



طبيب بشرى ، ومريض آلي يدعى هارفى ويحمل فى بروجرامه أربعين مرضاً من أمراض القلب التى يكشف لدارسى الطب أعراضها ، علهم يكتشفوا حقيقة كل مرض ، لاحظ أن بروجرام المريض الآلي موجود فى تصميم اليكترونى تحت المنضدة .

مهامه بمعدلات أسرع واتقن ، ولاشك ان هذا النوع من الحاسبات ينتشر الآن انتشاراً واسعاً ، وليس ادل على ذلك من ان جميع شركات الطيران تستخدم منذ سنين عدة هذه الحاسبات ، وكأنما هى بمثابة المرجع النهائى فى تنظيم رحلات الطيران !

مستقبل مظلم أو مشرق

الموضوع بعد ذلك كبير جداً ، لكن المجال هنا لا يتسع لذكر المزيد ، اذ مما لاشك فيه ان العالم مقدم على استخدام الانسان الآلى ، والعقل الآلى ، ليغزو بهما المجالات التى يعمل فيها البشر .. فمن مدرس آلى ، الى طبيب آلى ، الى عامل آلى ، الى اداري آلى ، الى طيار آلى الى غواص آلى ، الى مفتش آلى ، الى مترجم آلى ، الى مضحك أو مسل آلى الى آخر هذه القائمة الطويلة والعريضة التى تبدو وكأنما هى فى طريقها الى فرض نوع جديد من الاستعمار ، وبه تحل محل البشر .. مثل هذا التحول الغريب فى انماط الحياة ، قد يؤدى الى نتائج من الصعب التنبؤ بها أو بأبعادها فرغم ان فى ظاهرها الرحمة ، الا أنها تنطوى على نقمة ، اذ ستؤدى الى اردأ انواع البطالة والفراغ القاتل الذى سيتعرض له البشر ، وقد يؤدى ذلك ايضاً الى ثورة تقوم بها العقول البشرية ، فتعلنها حرباً مدمرة على هؤلاء المستعمرين الغرباء ـ اى الآلات الصماء التى تحاكى البشر ، وتقلدهم فى معظم أنشطة حياتهم !

ان الانسان الآلى هو ـ فى الحقيقة ـ آلة تحمل فى طياتها بروجراما يحتوى على المعلومات التى تحدد لها اختصاصاتها ، وكأنما هذا البروجرام بمثابة ذاكرتها أو مخها الذى يحرك فيها اجزاء محددة تؤدى بها عملها ، وقد يكون لها ساقان وذراعان وكفان بهما اصابع ، واذنان وعينان .. الخ ، ذلك أن البحوث المتطورة سوف تتمخض عن مخلوق آلى يسمع الأوامر وينفذها أو يرد عليها ، اى يكلمنا ونكلمه ، كما انه سيزود بعينين تليفزيونيتين يرى بهما الطريق ، فيتجنب العقبات التى تقابله ، أو ينتقى بهما الأشياء المكلف بتصنيفها وحملها ووضعها فى الأماكن الذى يوجهها إليه بروجرامه .. وبالاختصار فنحن مقبلون على زمن كل ما فيه غريب وعجيب ، ولقد بدأت بشائر هذه التطبيقات فى الظهور فى زمننا الحالى ، لكنها لازالت بمثابة النواة التى سيتمخض عنها تطويرات هامة فى هذه المخلوقات الآلية ، لتقوم بأعمال صعبة وشاقة ، وبحيث لا تتحملها طاقات البشر ، وعلى رأسها ـ مثلا ـ غزو كواكب المجموعة الشمسية .

ان سفينة الفضاء التى هبطت على كوكب المريخ منذ سنين عدة ، استطاعت ان تلفظ من جوفها آلات مبرمجة ، فكانت هناك بمثابة الكيمائى أو البيولوجى البشرى ، اذ قامت بتحليل تربة المريخ ، وأخذت منها عينات ، وأجرت عليها تجارب بيولوجية ، علها تكتشف فيها صورة من صور الحياة البدائية ، ثم قامت بتسجيل النتائج ، وتصنيف محتوياتها ، وبعثت بها الى كوكبنا ، لتستقبلها أجهزة أرضية ، فترجمتها وحولتها الى معلومات تناسب مداركنا ، وبهذا نعرف فى الأجرام السماوية من اسرار دون أن نبرح مكاننا .. اى انها قد حلت محلنا ، فادت لنا خدمات هى فوق قدراتنا الحالية .

على ان الأمر الأغرب من ذلك ، ان افكار العلماء تمهد الآن لانتاج اجيال من هذه الكائنات الآلية بحيث يمكن ان تتصل ببعضها ، وتكون مجتمعات قائمة بذاتها ، ولها لغات موجية تتفاهم بها فيما بينها ، وتتوجه على هداها ، وليس ببعيد ان يتحكم فيها عقل اليكترونى ارقى منها ، وقد يوجهها الى تحقيق أهداف محددة ، ويعنى ذلك ـ ببساطة شديدة ـ ان عليه الأمر ، وعليها الطاعة ، وكأنما نحن بالفعل أمام مخلوقات موجهة اسوة بما يحدث فى عالم البشر !

ان الأجيال البشرية المقبلة سوف تتصارع مع الأجيال الآلية ، وقد تكون نتيجة هذا الصراع نعمة على البشرية ،أو قد تكون عليها لعنة .. لا أحد يدرى يقينا ، ذلك أن المستقبل ليس غريباً فقط بل سيكون اغرب مما نتصور .

وان غداً لناظره قريب .

د. عبد المحسن صالح

● قصـــة ●

الرحلة داخل المغلف الرمادي

بقلم : نـــهى ســـمارة

ســـلفاً كانت تعرف مـــاذا داخل المغلف الرمـــادي الذى ناولهـــا اياه كريم .

فلسطين تدعوها بواسطة عائلتها في ورقة معبأة وممهورة بأختام سلطوية أذنة لها بزيارة « جمع شمل » لمدة شهر .

فلسطين تنتظرها ، لتنعش الصور ، لتمزق الصور ، لتخلق صوراً جديدة .

سلفا كانت تعرف رحلة التعبؤ : بالخوف بالهزيمة ، بالذل ، بالانفعال ... انها الصدمة التي كانت تنتظرها لتواجهها داخل المغلف الرمادي . الصفعة التي جاءت لتوقظها من ركامات الانسحاب والتقوقع ، ولتكشف الستار الذي أسدلته عنها طويلا .

كم يصعب عليها أن تقرر ، فكعادتها حين تسقط في حالة تردد ، تأخذ بقطعة نقود حجرية ، ثم : « طرة أو نقشة » ، الاختيار نتيجته عبثية بقدر ما تقرره وجها العملة .

كريم مازال يتأمل صفحة وجهها ، تسأله مازحة عن قطعة نقدية ، يضحك ويقول :

أهكذا حسب وجه العملة الساقط يكون قرارك .

ثم يقف ويقول :

سأترك لك أن تقرري بروية أكثر من عبئك هـــذا ، ان خالتك وأولاد عمـك سيفرحون لو التقوا بك بعـــد هذه السنوات .

ماذا يعنى هنا العامل الانساني ؟! أن تضيء عيوناً فرحة للقائها . ثم تنطفىء حزناً لفراقها .

الآخرون كم يصغرون اليوم أمـــام موضوعها ، هذه المرة لن يكون قرارهـــا صدى لاسعاد الآخرين .

لاحظت كريم يتمشى بعصبية أمامها ، لو حدثته بعوالم معلناتها لأجابها جازماً لا افهم ، ستسافرين أم لا ، حتى اتدبر لك رحلة العبور الى عمان ، ثم جسر الأمير محمد وبعدها .... وبعدها تلجين الأرض .. المحتلة .

قالوا لها في عمان ينادي سائقو السيارات العمومية :

« نابلس ، طولكرم .. جنين . القدس » كما كان ينادي سائقو الباصات العمومية في بيروت : « عين الرمانة ، الشياح ، الطيونة » .

وهي في طريقها لأول مرة الى باريس وقفت تنتظر تاكسياً يقلها الى المطار ، ثم جاءها باص مترهل وقف في وجهها حائلا دون رؤية الشارع ، ودعاها المنادي الذي يقف على عتبة الباص والذي يجمع الركاب بصراخه والحاحه : « الشياح الشياح » ، أومأت له يومها بالرفض ، فظل يصيح بوجهها « الشياح الشياح » ... لم يبتعد كأنه استمتع بغضبها الصامت وهو يرى حقيبتها قربها تلهث مثلها بالركض نحو المطار ...

اليوم نسيت الركض ، نسيت معنى اللهفة على الوصول ، فقدت حماسها بالركض أيضاً خلف الأشخاص والمواعيد ، وفقدت أيضاً لذة الامتلاك ، ما ان نمتلك شيئاً جميلا حتى نبادر باهدائه لأي قريب .. منذ وقت تشعر انها معزولة ومبعدة ، بل أصبح وقع الحياة عليها أشبه بأصداء صوت يتسرب من خلف ثقب جدار ، كبطل « بروست » في رواية الجحيم ، تنتظر معجزة ولا تأتي ، وكل شيء ينقلها من قبو بارد الى قبو يوم رطب والدفء أصبح الضفة الأخرى التي يعيش فيها الآخرون .. أما هى فما تبقى ليس إلا الاستمرار بحيادية وسلم .

الصفعة جاءت اليوم بواسطة المغلف الرمادى ، عليها المواجهة . أن تقـــوم بأخطر رحلة : « اكتشاف الجذور » .

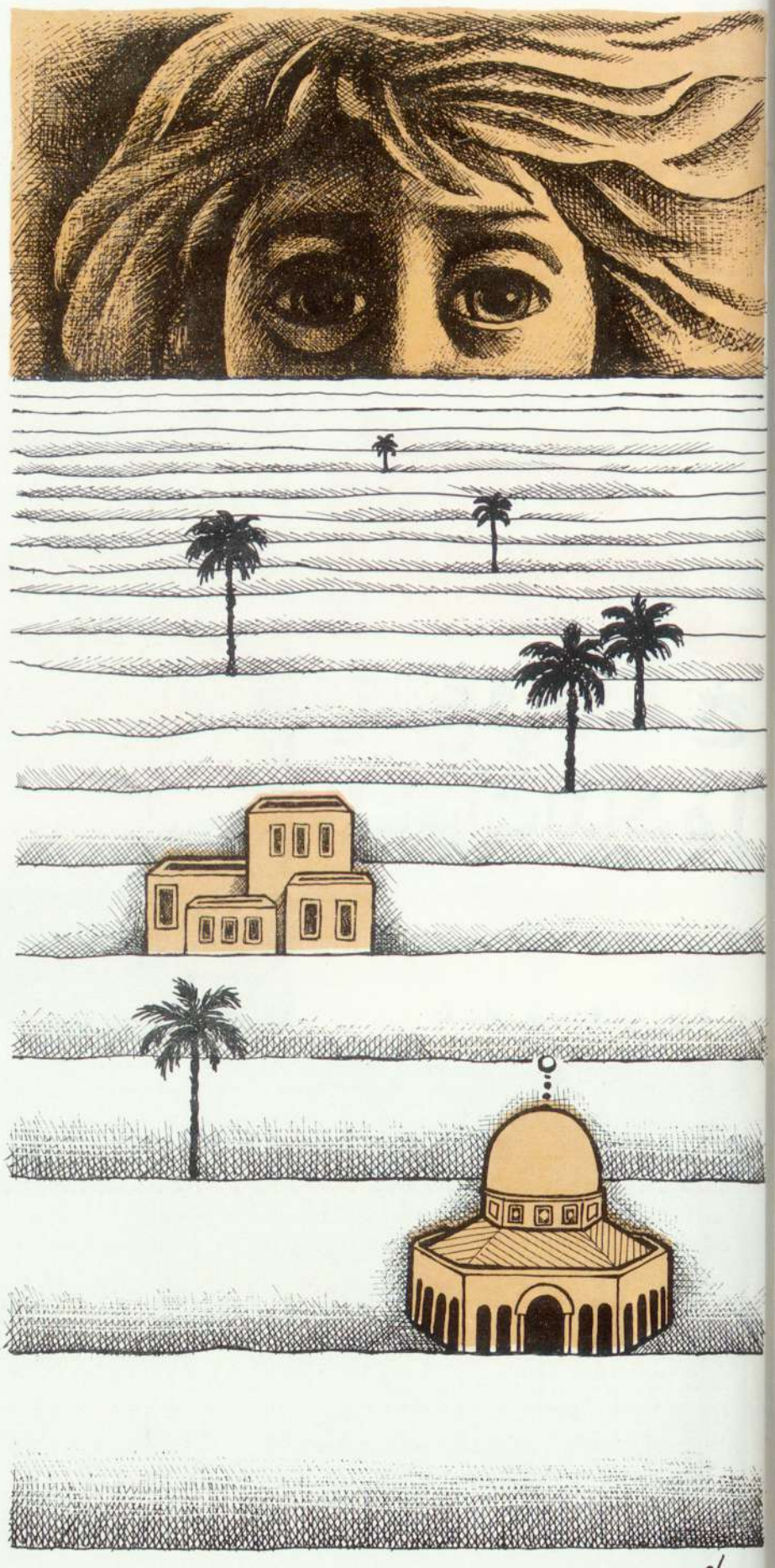
ولكن ما معنى : لو ظلت هناك ولم يحصل ذلك الاحتلال .. ماذا كانت لو لم يكن ؟! .. هل تكون أكثر فى مدرسة ، أو خياطة القرية التى جاءت منها . أو زوجة تكثر من الأنجاب والبـــدانة .. أليس الاقتلاع عن الوطن هو اقتلاع أيضاً عن التقاليد والأعراف ؟

ولكن ! بعيداً هنا خارج الرداء الذى لبسته العائلة ، المجتمع ، التقاليد .. ماذا فعلت ؟ لم تتمرد على خلعه ، ولم تستمتع بارتدائه والاندماج مع المجموع .. وبدت الحياة كأنها « قصة يرويها أبله ولا يعنيها أى شيء » .

ربما لأجل هذا لم يعد للاختبار لديها دلالة ، كذلك التحدي ، تتحدى من ؟ ولأجل ماذا ؟ تؤكد جدارتها لمن ؟ إنها بلا عائلة تود أن تستقطب اعجابها ، وليس لها أصدقاء تسابقهم الركض نحو الوصول ، المنافسة ربما كلمة يعرفها الانسان الذي يعيش داخل وطنه ... خارج كل هذا يبدو كل شيء كأنه يعرض على شاشة ما .

حضرت مرة فيلماً مدهشاً ، كان اسمه الانفجار ، في بداية الفيلم شاب يشتغل كمصور ، يمر يوماً في طريقه بفريق لعبة كرة الطائرة ، الأرض مخططة دائرية تفصل اللاعبين عن المارة ، رمى اللاعبون الكرة نحو الشاب برغبة زجه في اللعبة

يتناول الشاب الكرة ويرميها اليهم متجنباً الدخول في دائرة اللاعبين ... ثم تقحم الحياة الشاب المصور في حكاية يكون الشاهد الوحيد عليها ، ويصبح متورطاً في الموضوع ، طرفاً انسانياً فيه ... في نهاية الفيلم يمر الشاب المصور بذات ساحة اللاعبين ، ترمى اليه الكرة كالسابق عليه ، ينفعل ، يلتقطها ، يدخل ساحة اللاعبين ، يبدأ اللعب تأخذ سحناته ايقاعاً أكثر صخباً ، يبدو أكثر سعادة ونضارة ، يصبح هو والحياة ولاعبوها شيئاً واحداً .



اليوم ! جاءتها الكرة داخل المغلف الرمادى وساحتها الماضى ، وبيت صغير ، وقطعة أرض خضراء غفل عنها الأعداء ، وأوراق واشياء مازالت هناك فى حراسة وجوه الماضى . الأمل هو الساحة ، لكن هل فى قدرتها مواجهة فسحة الأمل هذه ؟! أتستطيع أن تراهم يمضغون العلكة ببذلاتهم العسكرية ونجمة داوود على أذرعتهم ؟ أتستطيع أن ترى جباههم ملوحة بشمسها ، ويبصقون العلكة حين يضجرون فوق ترابها ، قالت لها هدى مرة : أكثر ما أزعجنى حين وقفت قبل حرب ٦٧ ، أطل فى القدس العربية الى قدسهم المغتصبة ، منظر حبال الغسيل إذن ، انهم يعيشون حياتهم بسلام ، تتسخ ثيابهم فيغسلونها ثم ينشرونها ثم يرتدونها من جديد .. ولتستهلك .. وليشتروا أخرى جديدة . هذا الأطمئنان . يظنون انهم باقون .. تأوهت وقالت : « الحمد لله لم أشم رائحة طبيخهم » .

وهى .. ! هل ستحتمل صوت أحذيتهم العسكرية الغامقة ، ونظراتهم فوق وجهها وجسدها وروابيها تصول وتجول بلذة الامتلاك ؟

ثم تفاصيل كثيرة ، هل تدخن من تبغهم ؟ تتداول عملتهم ؟ تأكل اللحم الذى علفته حيواناتهم فى أرضها ؟ وحيواناتهم ، أهى فلسطينية أو اسرائيلية ، هل ستحب البقر والماعز والقطط هناك ؟ وما رجع رحيق الورد والقرنفل والياسمين عليها ؟

وما رأى هؤلاءاذا سئلوا الى من كان انتماؤهم ؟

ضحك جدها الفلاح مرة وقال هذه الأرض خصبة ، اذا رميت فيها صحناً نبت ألف صحن ؟ . « هل لأجل هذا لم ينس الفلسطيني أرضه ؟ ! » .

المغلف الرمادى أمامها يصيح ، يصرخ كهنادى باص بيروت المترهل .. أين يكون قرارك .. حيث هى ، راحة أشبه براحة الميت فى قبره .. وحيث الرحلة ، لقاء الوجع ، لقاء الشريان الذى يمتد حتى الوريد النابض الأحمر نحو القلب ..

القرار !! العباقرة أو المجانين وحدهم يعرفونه ..

« طرة أو نقشة » !!

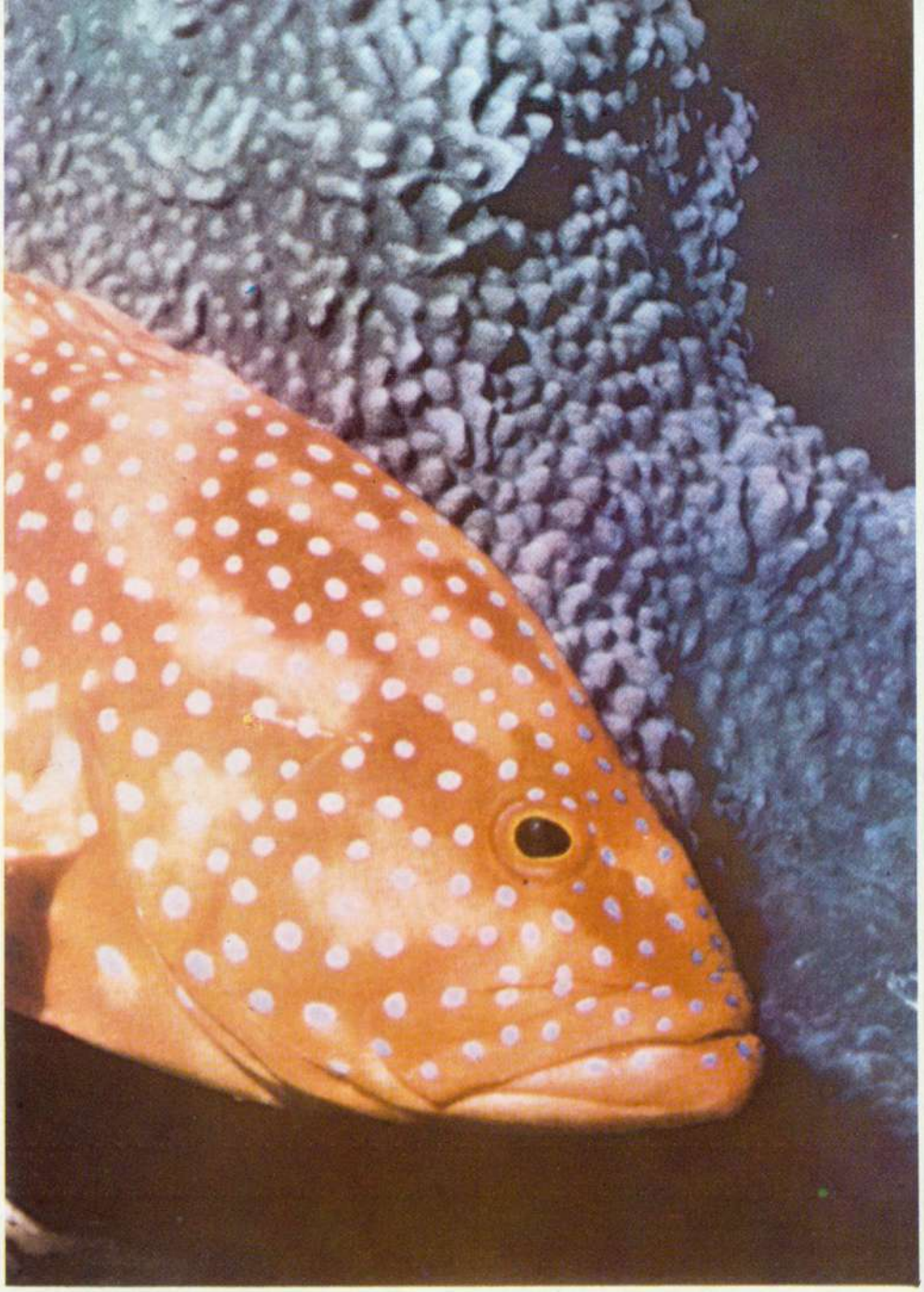
ذهب كريم ، وليس عندها قطعة نقود حجرية لتأخذ عنها حجم القرار . !

ساحى

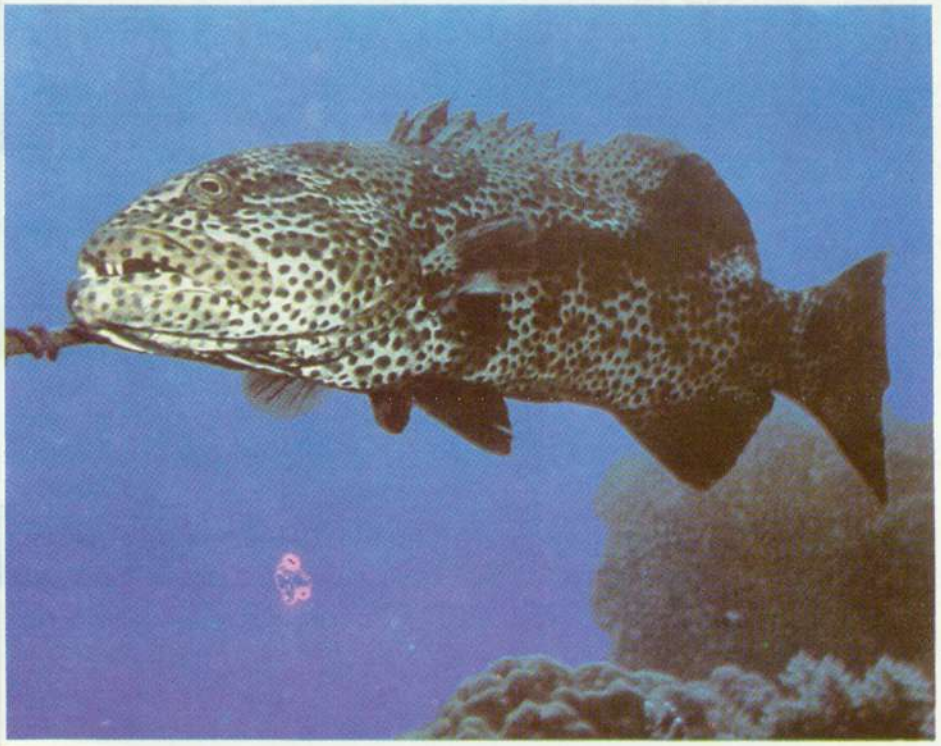
الحياة والموت في بحر ملون

الكِشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

بقلم : صنع الله إبراهيم



كشر البحر الأحمر .. فى المرآة !



أكبر وأشهر أنواع الكشر بالبحر الأحمر والخليج العربى على السواء .. ويعرف باسم كشر «تونه» ويتميز بأنه صائد من الدرجة الأولى يجمع بين الدهاء والسرعة .

هذا الكثر من سكان البحر الكاريبى .. لكنه نفس النوع الذى يعيش فى مياه البحر الأحمر ، ويتميز بقدرته على ابتلاع أسماك تماثله حجماً .



سمكة الحريد أو الببغاء التى تتغـــذى على الصـــخور المرجانية .

ربما كان السبب فى اطلاق اسم « الكثر » على هذه السمكة ، التى تعتبر من أبرز أسماك الشعاب المرجانية ، وتنتشر أنواعها العديدة فى مياه البحر الأحمر والخليج العربى على السواء ـ هو التكشيرة الغاضبة التى تعلو رؤوسها بصفة دائمة ..

لكن البعض يرون أن صحة الاسم هو «القشر» اشارة الى القشور الغزيرة التى تغطى اجسادها

وأيا كان الأمر ، فان بطل قصتنا ، طوال اليوم الذى انتهى بطريقة مأساوية ، كان يعوم نافخاً شدقيه ، ناصباً أشواكه ، خافضاً رأسه المحدبة عظيمة الجمجمة ، مبرزاً شفته السفلى ، فى تعبير واضح عن الاستياء والسخط .

والواقع أنه كان غاضباً بالفعل ..

فكلما بدرت من ذيله حركة عنيفة ، شق جانبه ألم حاد لا يحتمل ، من آثار معركة شرسة خاضها بالأمس مع سمكة أخرى من نفس النوع ،

الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة!

اجترات على حدودة الاقليمية ..

والكشر الآخر يسكن الى جواره مباشرة . ومعنى ذلك أن ثلاثين متراً على الاقل تفصل بينهما ، يقع فى منتصفها الخط الوهمى الذى يفصل بين منطقة كل منهما ، الويل لمن يعبره ..

ولسبب غير مفهوم عبر الجار الخط الوهمى ، فكان لا مفر من المعركة ، وما تمخضت عنه من اصابات ..

وأمثال هذه المعركة وما تلحقه من اصابات يقع كل يوم ، ولا يلبث الالم نفسه أن يخف تدريجياً . وبهذا كان فى وسعه أن يتجاهل الأمر كلية ، لولا انه كان يوشك على الاختناق ..

فالليوم الثالث على التوالى ، بلغت درجة الحرارة فى الغور الذى يعيش و «يعمل» به ، حداً من الارتفاع لا يطاق . وعند الظهر وصلت الى خمسين درجة بمقاييس البشر ..

هجران المكان

ورغم أن احياء المياه المدارية لا تطيق الجو البارد ، فانها أيضاً لا تحتمل شدة الحرارة . وبالاضافة الى ذلك ، كان الغور المذكور يتميز بشىء من الضحالة ، الأمر الذى ضاعف من معاناة سكانه .

فقد ازداد انكماش بوليبات المراجين والشقائق ، واعترى الذبول اغلبها .

وكفت النجمة الهشة عن استخدام اذرعها الطويلة المرنة فى حركاتها الراقصة ، إذ تقف على طرفى ذراعين منها وتتارجح مع حركة الماء وقد ثنت الاذرع الاخرى . وسرعان ما رقدت جامدة بين ثنايا الشعاب ، وماتت .

وجفت الجلود العارية للبزاقات الصغيرة ، وتحولت الوانها المزركشة اللامعة ، الى زرقة قاتمة . وتخلص بعضها من معاطفه الجلدية ، مما سيعجل بموته .

بل إن الكائنات الكبيرة التى تتميز بقوة الاحتمال ، مثل السلاحف البحرية ، تجمدت فى اماكنها ، عاجزة عن الحركة .

وقرب السطح طل واحد من ذكورها ـ ساعات طويلة ـ متشبثاً بقوقعة انثى بمخالبه الأمامية وذيله ، رغم أن الجماع الذى لا يستغرق فى العادة اكثر من عشر دقائق ، كان قد انتهى من زمن .

وتحت السطح مباشرة استلقت اسماك كثيرة وقد أصبحت هى وغيرها بين نارين ، الموت شياً عند السطح أو اختناقاً فى الاعماق .

ذلك أن السطح الذى لم تعبر به نسمة هواء واحدة ، صنع ملاءة شديدة الحرارة ، تحول دون مرور الأوكسجين . فالماء الدافىء اخف من البارد الذى تحته . ودون الهواء الذى يزيح الطبقات العليا الدافئة ، لن تتمكن السفلية الباردة من الوصول الى السطح ، للتزود بالأوكسجين .

ولم يعد أمام الكشر وغيره سوى أن ينتقل بين المستويين ، ملتمساً البرودة فى الاعماق ، والأوكسجين الذائب فى الماء قرب السطح الملتهب ، بعد أن تخلصت منه الكائنات الدقيقة ، مستعينة بضوء الشمس .

لم يكن بوسعه أن يهجر المكان برمته الى جزء آخر من الشعاب الممتدة الى ما لا نهاية ، تكون المياه فيه اقل ضحالة ، وبالتالى اقل تاثراً من ارتفاع درجة الحرارة .

فهو من حيوانات الشهاب المقيمة ، التى لا تغير مواطنها بسهولة . فهنا ولدت ، وهنا ستموت .

وبالاضافة الى ذلك ، كان الكشر يتمتع فى هذا الغور ، بمسكن ممتاز ذى مدخلين ، فى افضل المواقع . ومن المستحيل أن يجد مسكناً مماثلا فى أرجاء الشعاب المزدحمة بالسكان ، وخاصة فى هذا الوقت من العام الذى تفد فيه كثير من حيوانات الاعماق والمياه الخارجية ، فى اعداد ضخمة ، من اجل التكاثر ووضع البيض .

العجز عن الحركة

رقد الكشر قرب السطح ، وخياشيمه تعمل فى جهد .

وفى كل مكان من حوله رقدت آلاف الأسماك مثله ، فى غير حراك ، وهى تتنفس فى صعوبة .

وهو أمر كان ـ وحده ـ كافياً لاثارة الغضب .

فالكشر من الاسماك المفترسة التى تعيش على لحوم الأسماك الاخرى . وهو يتمتع بشهية غير محدودة لا يبزه فيها سوى القرش ، زعيم المفترسين . فمهما كانت معدته ممتلئة ، لا يتورع عن مهاجمة اية فريسة تقابله . وكثيراً ما يشاهد وقد تدلى من فمه جزء من سمكة ، ليس له مكان فى معدته . ويمكن أن يستمر هذا الوضع عدة ساعات . وفى النهاية يذيب الجزء المختفى من السمكة ـ بما فيها من عظام ـ بواسطة عصاراته الهضمية . وبذلك يتمكن من استيعاب الجزء الآخر .

لكن الصيد لم يكن متوفراً بسهولة .

كانت الوانه تماثل الوان المرجان والاسفنج الأمر الذى يساعده على التخفى والتربص بين الشقوق ثم الانقضاض فى الوقت المناسب .

لكن الفرائس كانت تتمتع أيضاً بنفس الميزة وما تحمله على اجسادها من نقوش وزخارف وخطوط وبقع ، يؤدى الى ارباك اعتى المهاجمين ويتيح لها أن تلتحم بالشعاب وتصبح جزء لا يتجزأ منها .

ومثل هذه الفرصة التى هياها الطقس ، لم تسنح له قط من قبل .

فلم يحدث أبداً أن القى نفسه محاطاً بكتل من الأسماك الشهية ، لا تفصله عنها سوى اقدام قليلة ، وتبدو كانما فقدت كل قدرة على الحركة فضلا عن المقاومة والهرب .

مثلما يتراءى له ـ بالضبط ـ عندما يحلم .

وما كان يبعث على الغضب حقيقة ، انه كان عاجزاً عن اغتنام هذه الفرصة الذهبية ، لانه كان مثلها ، فاقداً لكل قدرة على الحركة أو التنفس يسيطر عليه خدر كالغيبوبة .

هروب الطريدة

خفت حدة الشمس اللاهبة مع بدء الغروب فدب شىء من النشاط بين الأسماك الراقدة قرب السطح .

كانوا يعرفون أن أمامهم فسحة ضيقة من الوقت ، سيعود بعدها كل شىء ـ بالرغم من اختفاء الشمس ـ الى اسوأ مما كان ، طالما ظل الهواء معدوماً .

فمع حلول الظلام ، يكف سكان مملكة الكائنات الدقيقة عن التخلص من الأوكسجين ، ويبدأون فى استهلاكه بشراهة . وبذلك يفقد التواجد قرب السطح ميزته الوحيدة .

وخلال الفسحة المتاحة من الوقت حتى حلول الظلام ، كان على هذه الأسماك أن تجد ما تاكله وتعود الى مساكنها ومنتجعاتها الليلية .

وهو ما انتوى الكشر أن يفعله ، عندما مرت بالقرب منه سمكة صغيرة زرقاء اللون ، تمتد على ظهرها شرائط طولية صفراء .

انباه النتوء الحاد الذى يشبه مبضع الجراح ويبرز من بطنها ، أنها من جنس «سحل» الشهير بسمكة الدكتور أو الجراح .

وكان يعرف أن ذيل السمكة يحمل على طرفيه المتباعدين ، شوكتين قويتين تلحقان بمن يتعرض لهما اصابات بالغة .

لكنه لاحظ فى نفس الوقت شيئين مهمين .

أولهما أن السمكة فى حالة من الاعياء البالغ .

والثانى أنها وحيدة تماماً .

فهى تتجول ـ عادة ـ فى افواج كبيرة ، عندما تتلقف غذاءها من فوق مسطحات الشعاب .

ولم تلتقط أعصابه الجانبية ما يوحى بأن ثمة فوجاً منها على مقربة .

استجمع قواه ، وابتلع كميات من الماء ، ثم

عام خلف السمكة .

وشعرت الأخيرة به ، فبذلت اقصى ما تملك من جهد لتبتعد عنه .

وبدأت مطاردة فى ادغال الشعاب .

فقد انطلق الكثر خلف سحل عبر سهوب من مراوح البحر ، وصفوف من اسفنج بنى اللون على شكل الكاس ، واجمات من المرجان والشقائق ذات الوان بيضاء ووردية وزرقاء ، وكتل متشعبة بفروع ذهبية اللون .

لمحها تتجه الى فجوة ضيقة ـ تشبه الكهف ـ بين صخرتين كبيرتين . فايقن انها سقطت فى حباله . إذ انباته حواسه وتجاربه بان الكهف ليس له منفذ آخر .

ورأها تقترب من مستعمرة مرجانية ، ذات فروع بيضاء ، على عتبة الكهف .

وفجأة اختفت .

أبطأ فى عومه وقد انتابه شىء من القلق . فسحل فريسة لا يمكن الاستهانة بها ، وربما كانت تدبر شيئاً .

اقترب فى حذر من مدخل الكهف وقد أرهف كل حواسه .

كانت بوليبات المستعمرة المرجانية الصغيرة منكمشة داخل كؤوسها الحجرية ، فتيسر له أن يتبين على الفور أن السمكة الهاربة لم تتوار بين فروعها .

وجه اهتمامه الى جدران الكهف التى غطاها نسيج كثيف من الكائنات المتشابكة ، فى أشكال والوان فريدة ، يبدو اغلبها كانه معلق فى الماء دون أطراف تثبته الى الجدار .

تحاشى أن يدنو من لوامس مجموعة من الشقائق الخضراء اللون ، تدلت فى الماء وخلاياها اللاسعة على أهبة الانطلاق . وابتعد بالمثل عن محقنة بحر ، تشبه قربة بفتحتين بارزتين فوق أنبوبين صغيرين ، تنتظر من يلمسها لترشه بالمياه .

ورغم ذلك ، تأكد له بعد لحظات أن الكهف يخلو تماماً من المنافذ والشقوق التى يمكن أن تهرب منها طريدته .

فأين اختفت ؟

سلاح الدفاع الاحتياطى

حرك رأسه وهو يمتص المياه . وأدت هذه الحركة الى حركة مماثلة داخل كيس غشائى فى كهف عظمى بمؤخرة رأسه . فقد تدحرج ببطء نتوء جيرى به ، فوق شعرات حسية مغموسة فى مادة سائلة . وانتقلت حركة النتوء على الفور الى المخ .

واصل تحريك رأسه وامتصاص الماء فى الوقت نفسه من اتجاهات مختلفة . وتتابعت حركات النتوء الجيرى الداخلى ، كل حركة منها مختلفة عن الأخرى فى القوة والسرعة ، طبقاً لتنوع الأصوات المحيطة بالكثر .

وكان ثمة خلايا ميكروسكوبية قريبة الشبه بهذه «الأذن الداخلية» ، تنتشر فى سلسلة من الفتحات الدقيقة المتجاورة على طول الجسم ، تعرف بالخط الجانبى ، وتتصل بعصب خاص يمتد الى المخ . وتحمل كل خلية عدداً من الأهداب التى تهتز لأدنى حركة فى الماء ، فيتلقى المخ هذه الاهتزازة على الفور ، ويترجمها الى المعنى المناسب .

وعلى الشفتين والوجنتين والخياشيم ، انتشرت براعم التذوق ، تجمع مختلف الاحاسيس ، وتلتقط الأطعمة والروائح .

لكن أياً من هذه الأجهزة الدقيقة لم يلتقط اثر السمكة . كانما ذابت كلية فى الماء .

والحقيقة انها لم تذب فى الماء ، بل انها لم تختلف أصلا . فقد كانت أمامه طول الوقت ، أو على الأصح ، تحت قدميه ، باستخدام التعبير البرى .

فخلال المطاردة ، اكتشفت سحل أمرين :

أولهما ، أن الكثر يلاحقها فى تصميم عنيد ، يبلغ مرتبة الاستماتة اليائسة ، ولا أمل بالتالى فى أن يمل المطاردة وينصرف عنها .

والأمر الثانى ، أنها فى حالة من الاعياء لن تمكنها من الافلات ، ومن باب أولى ، لن تتيح لها الاشتباك معه فى قتال .

استولى عليها الرعب نتيجة لهذا الاكتشاف . وأحدث الرعب نشاطاً معيناً داخل جسدها ، تأثرت له الغدد اللونية ، التى تمثل سلاح الدفاع الاحتياطى لديها .

واذا أبصرت بالمستعمرة المرجانية البيضاء فى مدخل الكهف ، اتجهت اليها رأساً ، بينما كان لونها الأزرق يختفى تدريجياً .

وما كادت تبلغ المرجان ، حتى كان لونها قد أصبح يضاهيه فى البياض ، فيما عدا أثر خفيف من الشرائط الصفراء ، فالتصقت به وتجمدت فى مكانها ، وأصبحت هى والمستعمرة البيضاء كتلة واحدة .

لم يلحظ الكثر ما حدث لأنه كان بعيداً عنها بعدة أقدام ، وهى أقصى مدى لقوة ابصاره .

أما لماذا لم يلتقط رائحتها ، فلانها ـ فى دهاء ـ رقدت فى اتجاه تيار خفيف من الماء حركته نسمة ريح بدأت تهب على السطح . وكان التيار ينساب بعيداً عن أجهزة السمكة المفترسة.

يئس الكثر أخيراً من العثور على السمكة المراوغة ، فاستسلم لفشله .

تحول منصرفاً فلمح رأساً بارزة من بين المرجان لدودة عملاقة من سكانه ، فمد خطمه ليستعيض بها عن الفريسة الضائعة . لكن الدودة التى تعيش فى أنبوب جيرى من افرازها ، أسرعت بالانسحاب داخله ، بل وأغلقت فتحته .

لماذا يكرهها ؟

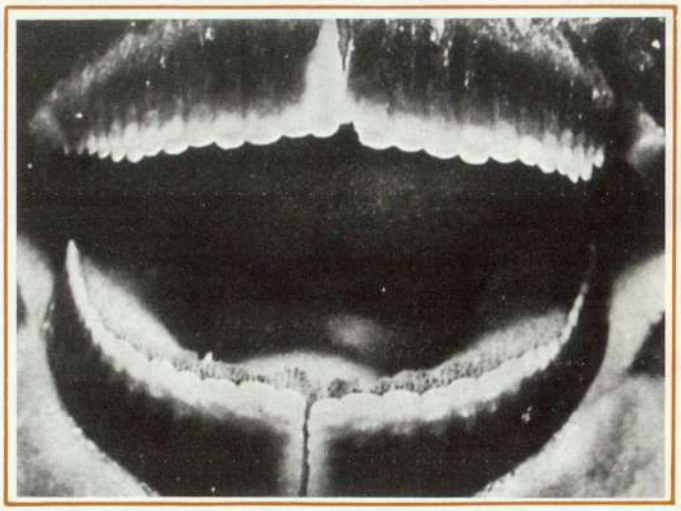
استشاط الكثر غضباً فهاجم الأنبوب . وكان سطح فتحته دون السطح الخارجى للمرجان ، فاصطدم خطمه بالصخر صدمة آلمته .

التقطت حواسه فجأة دورة الهواء المتجدد التى أحدثتها نسمات السطح ، فاقبل يبتلع الماء فى نهم ثم يطرده من فتحتى الخياشيم ، بعد أن يحتجز ما به من أوكسجين .

شعر بحركة فى الماء ، وما لبث أن لمح عدة أسماك على مبعدة تعوم فى هدوء نحو القاع . وتبين الكثر بعد لحظات أنها تختلف فى ألوانها وزخارفها ، فدب فيه الحماس . فقد استنتج من ذلك أنها أفراد متفرقة ، وليست فوجاً من نوع واحد تصعب مهاجمته .

لكنه كان مخطئاً .

فقد كانت الأسماك القليلة جزءاً من فوج كبير من السمكة المعروفة بأبى النوم ، يتبعها عن كثب



تشكل منقار الحريد بحيث يساعدها على نحت المرجان .



تعيش دورة الأنابيب العملاقة بين المرجان داخل أنابيب جيرية تفرزها بنفسها .. وتتغذى هذه الدورة بواسطة لوامس مروحية تراها فى وسط الصورة .. وعند الخطر تتراجع داخل أنبوبها وتغلق فتحته بغطاء جيرى مزود بأشواك بارزة مثل قرون الغزال كما يبدو فى الركن الأيسر العلوى من الصورة .

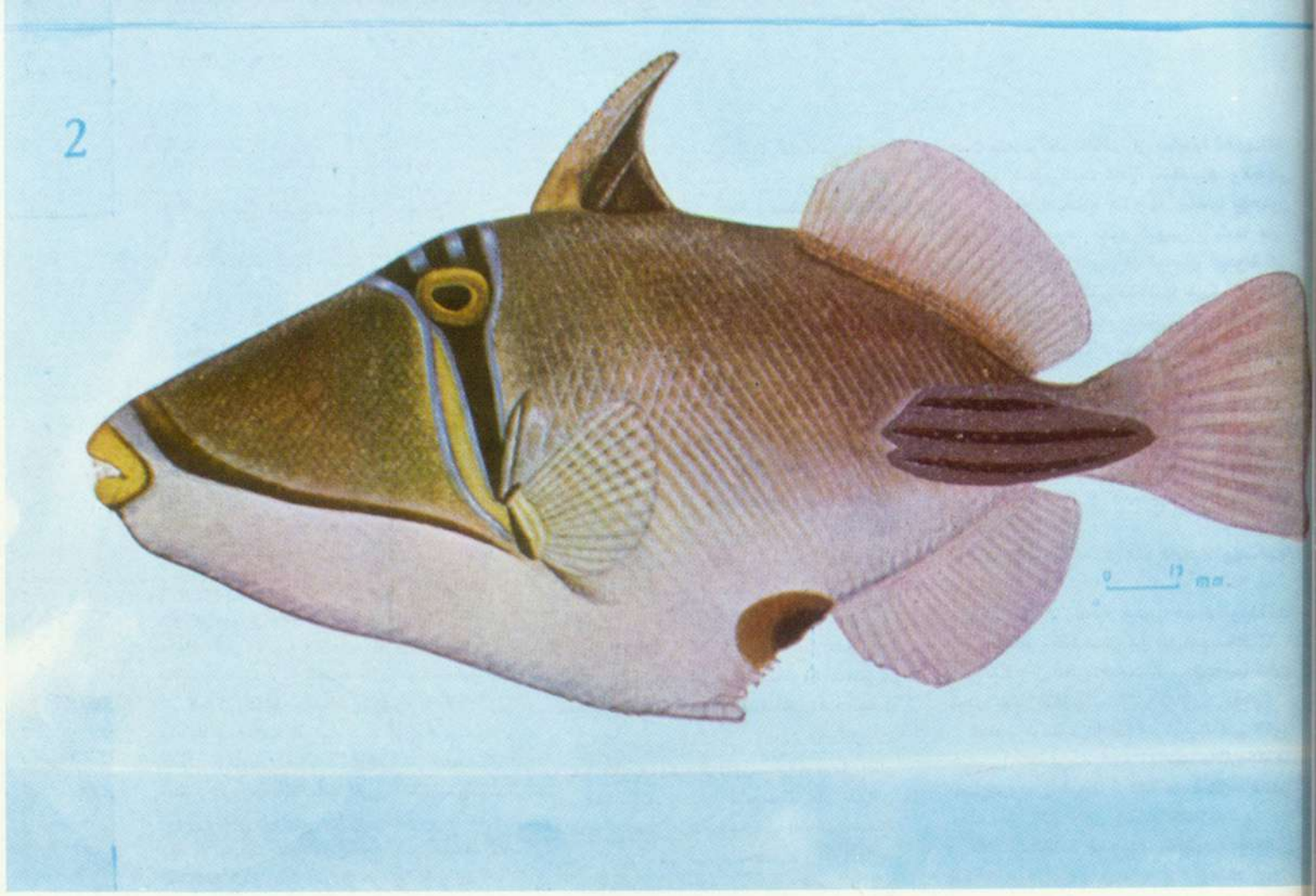
الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة !

أما اختلاف الألوان والزخارف فلا يعنى اختلاف النوع ، وإنما اختلاف مراحل العمر .

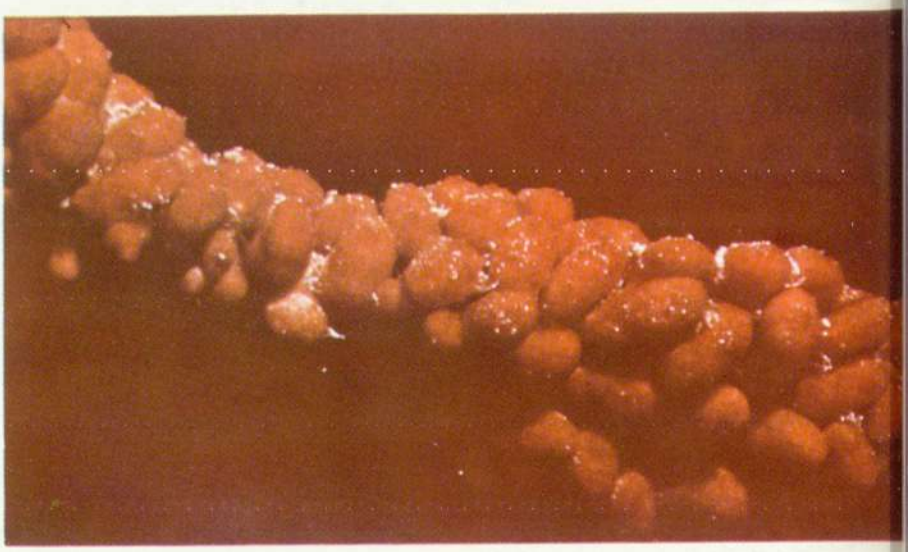
فاصغر سمكة من هذا النوع العجيب ، الذى استبدل الأسنان بمنقار ، لا يزيد طولها عن ١٦ ملم ، وتتميز بلون أسود تعترضه خطوط بيضاء . وباضطراد نمو الجسم يزيد عرض الخطوط البيضاء حتى تصبح بعرض المساحات السوداء ثم تنقلب الآية بالتدريج ، فيزداد عرض الخطو البيضاء حتى تبدو السمكة بيضاء ذات شرائ سوداء .

أما أكبر هذه الأسماك سنا ، ويربو طولها عل نصف المتر ، فتتميز ببياض سابغ ، تتخلله نق سوداء من أثر الشرائط الغابرة .

وقد تبين الكشر حقيقة الأمر عندما از



واحدة من أجمل أسماك الشعاب المرجانية وتوجد فى أماكن مختلفة من العالم ، وتسمى أحياناً بسمكة «بيكاسو» بسبب زخارفها وألوانها الغريبة .



مستعمرة من الحيوان المعروف بالمحقنة البحرية أو بطاطس البحر .

اقتراب الجماعة منه .

كان يحمل كراهية شديدة لهذا النوع من الأسماك ، بسبب ما يصدر عنها من أصوات حادة عندما تحك جانبى المنقار الذى يعلو فكيها ، وهى أصوات تسبب له انزعاجاً بالغاً .

وكان يعرف أنها تبتلع ـ اذا ما انفعلت ـ كميات كبيرة من المياه فى جيب خاص بمعدتها مما يؤدى الى انتفاخها بدرجة تخلق لمن يحاول افتراسها عقبة لا يمكن تخطيها .

أثر السلامة فابتعد صوب أحد الممرات ، وعلى وجهه المتجهم ذى العينين الدقيقتين المحدقتين ، أمارات الاستياء .

مر بسمكة من عائلة الخنزير ترقب بيضها الذى أودعته احدى الفتحات . لكنه لم يفكر فى مهاجمتها . فقد كان يعرف أنها الآن فى أقصى حالات الاستنفار والاستعداد للاستبسال فى القتال دفاعاً عن بيضها .

تبع سمكة خضراء ذات زعانف وردية ، تنتشر على جسدها نقاط داكنة ، وزخارف متنوعة .

وراها تتجه الى مستعمرة مرجانية ذات فروع لينة ، بزغت بوليباتها الصغيرة مبكرة

الكشر يقع في فخ المناورات الماكرة!

كانت السمكة من أقارب أسماك الزناد المعروفة التى سميت بهذا اللقب بسبب جهاز غريب على زعنفتها الظهرية يشبه جهاز الأمان فى البندقية . ويتألف هذا الجهاز لدى السمكة من شوكتين ، احداهما كبيرة سميكة ، بالغة القوة ، والثانية صغيرة وتقوم بتثبيت الأولى عند انتصابها لتبقى على هذا الوضع مهما حدث .

ظن الكشر أنها ستمارس هوايتها فى التهام لحم البوليبات الحية ، فتتعلق بها بواسطة فمها وتجمد فى موضعها موجهة رأسها الى أسفل ، وذيلها الى أعلى ، مما يجعلها فريسة سهلة . لكنها لم تلبث أن اختفت داخل أحد الشقوق .

أصيب الكشر بإحباط مفاجىء . فما كان يستطيع مهاجمة السمكة فى شقها ، إذ سيعوقه خطمه العريض عن ذلك . وكان من العبث أن ينتظر خروجها منه . فقد كان موقناً أنها ولجت الشق لتقضى الليل ، وأنها الآن آمنة بين جدرانه بعد أن ثبتت شوكتها الكبرى فى السقف لا يستطيع كائن ما ـ فى البحر أو على البر ـ انتزاعها .

وكان يتدبر أمر العودة الى مياه السطح عندما تلقى خطه الجانبى صدمة مفاجئة، فعام نحو مصدرها .

ولم يكد يتقدم قليلا حتى رأى سحابة الرمل .

تحركت خياشيمه بسرعة ، وبدأت عصاراته الهضمية تسيل .

فليس للسحابة الرملية غير معنى واحد ، هو أن «الحدية» تتقيأ .

تنتمى سمكة الحدية الى واحدة من أشهر عائلات الأسماك فى البحر الأحمر ، هى التى تعرف باسم عائلة الحريد ، ويطلق عليها فى البحار الأخرى ، اسم أسماك الببغاء ، بسبب مشابهة رؤوسها وألوانها لرؤوس وألوان الطائر المعروف .

وتتميز الحدية عن بقية أسماك الحريد ، بأجسامها الكبيرة التى يربو طولها على القدمين وزعانفها القوية الزرقاء ، وفكوكها الثقيلة المزودة بمناقير ببغاوية .

لكن السمكة التى اجتذبت انتباه الكشر كانت تتميز ـ فوق ذلك ـ بنتوء بارز فوق رأسها ـ بين العينين ـ جلب لها اسم «الحدية أم رأس» .

وتعيش هذه السمكة على المراجين الميتة بعد أن تتحجر وتنضم الى صخور الشعاب . فتقترب منها وهى تلوى رأسها الى أسفل ، ثم تنطح كتلها الصخرية ، محدثة صوتاً واضحاً ، هو الذى التقطته أعصاب الكشر .

وسرعان ما تزيح بمنقارها قطعة من المرجان فى حجم بيضة النعامة . فتطحن هذه البيضة بين أسنان بلعومية قوية ، متضامة وملتحمة بالمنقار الببغاوى ، وتتلقى معدة السمكة المسحوق الناشىء ، فتهضم ما يتخلله من مواد عضوية تخلفت عن البوليبات الميتة ، وتطرد الباقى فتتقيؤه السمكة على شكل سحابة من الرمال البيضاء .

عدة ضربات من الرأس تتلوها عدة هجمات بالمنقار ، ثم سحابة من غبار أبيض يملأ خمسين متراً مكعباً من الماء .

والواقع أن كافة أسماك عائلة الحريد ، التى تضم بين أنواعها الحدية والحريد والحدية أم رأس وأبا ربيع وغيرها ، تتغذى بنفس الطريقة . وقد قدر العلماء أن السمكة الواحدة من هذه العائلة «تنتج» خمسة أطنان من الرمال فى العام .

وتتحلل هذه الرمال فى الماء حتى تبلغ درجة التشبع فتتبلور على شكل صخرى يساهم فى تشكيل القاعدة الحجرية للشعاب المرجانية .

وما كان الكشر ليفكر فى مهاجمة الحدية ذات الرأس القوية ، لكنه أدرك أن سحابة الرمال التى تصنعها ، وتؤدى الى «الشوشرة» على حواس السمك ، يمكن استغلالها فى افتراس سمكة أخرى اقتربت فى هذه اللحظة من أطرافها .

اقتحم السحابة كالسهم مقدراً أنه يستطيع عبورها فى وقت مناسب بحيث يخرج منها الى جوار الفريسة مباشرة ، قبل أن تراه وتشعر به .

لكنه أخطأ التقدير ، فقد بلغت السمكة أطراف السحابة قبل أن يبزغ هو منها ، وسرعان ما اختفت بين طياتها .

أوشك أن ينطلق خلفها عندما اجتذبت انتباهه الظلال اللونية لسمكة عابرة ، فاندفع نحوها .

كانت السمكة من نوع الحريد الفاتن ، الذى تتجلى ألوانه الزاهية فى ضوء النهار وقد امتزجت فيها الزرقة بالخضرة بالاضافة الى ظلال برتقالية تتدرج الى اللون الوردى .

اكتشفت الحريد على الفور أن الكشر يتجه اليها ، فغاصت الى أسفل ، وحاولت أن تتخلص منه مستغلة اللحظات الأخيرة من زحام الغروب فضلا عن معرفتها بالممرات والمتاهات والشقوق مزدوجة الفتحات .

لكن الكشر كان على معرفة جيدة ـ مثلها ـ بأركان الشعاب وخباياه . كما تلاشت البقية الباقية من أشعة الشمس ، وانتشرت الظلمة فى الماء ، فخلت الممرات من العابرين .

أدركت الحريد أن الكشر لاحق بها لا محالة ، فانتابها الهلع وجعلت تتلمس فى لهفة شقاً ضيقاً تتوارى فيه .

فرغم امتلاء جسدها ، إلا أنها تتمتع بميزة فريدة ، إذ يمكنها أن تلوى ذيلها فتتحول الى قرص مسطح قادر على النفاذ من أضيق الشقوق حيث يتعسر على الكشر أن يطولها .

لكن الشقوق كانت عامرة بساكنيها ، والخالى منها استقر أصحابه خارجها ، كأنما يؤجلون بعض الوقت موعد النوم اليومى .

لم يعد أمامها سوى أن تواصل الهبوط الى الأعماق المعتمة ، التى تتجنبها عادة . وغاص الكشر خلفها وقد أصبح يعتمد فى تحديد مكانها على رائحتها القوية ، بعد أن انعدمت الرؤية تماماً .

وقادته الرائحة الى هيكل ضخم ، غريب الشكل ، تغطيه سحابات من الأسماك وشبكات من البوليبات المرجانية المتنوعة ، وتتخلله فتحات بيضاوية أو مستديرة ، بين ضيقة وواسعة .

تقدم الكشر من احدى هذه الفتحات ونفذ منها ثم توقف مرتبكاً .

فقد انقطعت رائحة الحريد فجأة ، واختفت آثارها تماماً ، كما حدث من قبل مع سحل .

والواقع أن الحريد كانت أقرب اليه مما كانت سحل عند اختفائها .

فعندما مرقت من الفتحة ، توارت على الفور خلف أول كتلة مرجانية قابلتها ، بينما كان جلدها الخارجى يفرز خيوطاً شفافة من سائل مخاطى ما لبث أن التف حول جسمها كالملاءة .

وحجبت الملاءة العجيبة رائحتها عن حواس الكشر .

مولد مستعمرة

لم يكن الجسم الغريب سوى بقايا سفينة ضخمة ، اصطدمت منذ سنوات بصخور الشعاب وغرقت ، فاستقر هيكلها فوق قاع رملى على عمق حوالى خمسين متراً .

وكان ذلك بمثابة الفصل الأول فى واحد من كتب الحياة المألوفة بالبحر .

فلم تمض أيام قليلة ، إلا وأصبح الهيكل الغارق محوراً لحياة حيوانية نشطة ، بسبب عاملين .

أولهما أنه يقدم مجموعة من التجاويف والممرات والشقوق تصلح بمثابة مساكن جاهزة لأفواج الأسماك .

والثانى أنه يمثل أطاراً يمكن أن تنمو فوقه الأشكال الحيوانية الثابتة مثل المرجان .

فلم تلبث المياه أن حملت الى الهيكل الغارق يرقة دقيقة للغاية ، على شكل كمثرى تغطيها الأهداب ، تعجز العين المجردة عن تبينها . واستقرت اليرقة على سطح نظيف لم تلوثه بعد افرازات الحيوانات أو بقايا موتاها ، فتوفر لها أهم شرط لنموها . وبعد أن كونت قرصاً قاعدياً التصق بسطح السفينة ، بدأت على الفور تفرز كأساً جيرياً من كربونات الكالسيوم التى امتصتها من المياه .

وعندما اكتمل تكوين الكأس ، كانت اليرقة

نفسها قد تحولت ـ فى قاعة ـ الى بوليب رقيق ، عبارة عن أنبوب رفيع من الأنسجة الشفافة يتوجه فم تحف به ملابس كبتلات الزهور . وما لبث هذا البوليب أن نما وتفرع مكوناً مستعمرة كاملة من عشرات البوليبات .

وهكذا ولدت من بوليب واحد لا يزيد قطره على ثلاثة ملليمترات ، مستعمرة يبلغ حجمها عدة أقدام ، ويرتبط أفرادها سوياً ارتباطاً وثيقاً يبلغ درجة الاشتراك فى قناة هضمية واحدة .

وتتابع وصول اليرقات التى نمت مكونة مستعمرات متباينة الألوان والأشكال غطت الأسطح والممرات الصدئة للسفينة الغارقة .

فالبعض تشكل فى دوائر غير منتظمة من الوسائد أو الأوراق الشوكية المسطحة . وتجمع آخرون فى كتلة هائلة يتآلف سطحها الخارجى من أخاديد ملتوية تشبه تلافيف المخ البشرى .

وبرز البعض الآخر فى فروع تشبه القرون الملكية لوعل ضخم . وتفرع غيرهم برشاقة مثل باقة من الزهور المتألقة المشعة . وازدهر الأعضاء البالغو الرقة من الأسرة المرجانية مثل مراوح البحر العريضة ، وسياط البحر الرفيعة ، التى لا تجمعها هياكل جيرية ، وإنما تغطى نفسها بدلا من ذلك بافراز جلدى سميك .

وخلال ذلك انضمت جيوش من الاسفنج والطحالب الخضراء الى حطام السفينة ، فتدلت من هيكلها المتعرج المتآكل مثل الحشائش فى غابة استوائية .

وسرعان ما انتشرت فى أرجائها الحلازين والمحارات والبزاقات ، والمحاقن البحرية التى تشبه القرب المنتفخة . واستقرت جماعات الأسماك فى الأركان المختلفة .

أرهف الكثر حواسه وهو يعوم فى بطء وحذر فى أنحاء الهيكل الغامض ، وغضبه يتصاعد شيئاً فشيئاً .

فقد شعر أن الحريد أفلتت منه ، وأن لا أمل فى اصطيادها .

بل لا أمل فى اصطياد شىء بالمرة ، فى هذا المكان الحافل بالسكان .

فقد كانت الأسماك تتنبه لوجوده من قبل أن يحس بها ، فتتوارى على الفور فى فجوات وأركان لا يستطيع بلوغها أو تتجمع فى كتل متراصة لصق أحد الجدران ، مستمدة من تجمعها الحماية الكافية .

مرت من أمامه جماعة محدودة العدد من أسماك صغيرة الحجم للغاية ، ولفت انتباهه أنها لم تكن تتحرك فى تشكيل منتظم متلاحم كعادة الأفواج ، وإنما صنعت كتلة شبه كروية كان كل فرد داخلها يعوم بزاوية مختلفة عن الآخر .

شجعه هذا الوضع على أن يغامر باختطاف أقرب الأفراد اليه ، فاندفع نحوه فى هجمة صاعقة .

شعرت الجماعة بحركته ، وبدلا من أن يلوذ أفرادها بالفرار ازدادوا قرباً من بعضهم البعض حتى تحولوا الى كتلة متماسكة ، ثم استداروا جميعاً فى لحظة واحدة لمواجهته .

وفى اللحظة التالية انفجرت فى وجهه كشافات من الضوء المبهر .

كان الكثر يواجه احدى أسماك البحر الأحمر المثيرة التى تعيش فى أعماقه وتسمى بالفوتوبلافيرون .

وتحمل هذه السمكة الصغيرة ، التى يمكن أن تضمها قبضة انسان بالغ بسهولة تامة ، عدة مليارات من بكتريا بالغة الدقة ، داخل جيب خاص أسفل كل عين من عينيها .

وتعيش هذه البكتريا على امتصاص دماء السمكة ، فتستمد منه حاجتها من السكريات والأوكسجين . لكنها تتفاعل مع هذه المواد بصورة فريدة تؤدى الى توليد الضوء .

وتتضاعف قوة هذا الضوء بفضل طبقة من البلورات الفضية داخل كل جيب ، تقوم بتركيزه . كما يحمل الجيب على جداره الخلفى طبقة أخرى من مادة لونية معتمة تحول دون تسرب الضوء خلف الجيب ، كى لا يحرم السمكة من القدرة على الرؤية .

ورغم أن هذا الضوء يتوهج بصورة مستمرة طالما ينبض قلب السمكة ، فانه يظهر ويختفى حسبما تشاء بفضل طية جلدية أسفل كل جيب ، يمكن أن ترتفع لتغطى المنطقة المضيئة كلها ، مثلما يفعل جفن العين البشرية عندما ينزل ـ على العكس ـ فوقها .

جمد الكثر فى مكانه وقد أعماه الضوء المفاجىء غير المألوف ، وشل قدرته على التفكير .

وفجأة اختفى الضوء كما ظهر .

فقد رفعت الأسماك الصغيرة جفونها ، وأخفت كشافاتها .

اندفع الكثر غاضباً الى المكان الذى صدر منه الضوء ، فلم يجد أثراً للأسماك الصغيرة .

جمد فى مكانه حائراً ثم استدار فى بطء ، وإذا بالضوء يسطع أمامه مباشرة ، كاشفاً عن جدار بينهما تتوسطه فوهة دائرية فاغرة ، كانت فى الماضى نافذة لاحدى ممرات السفينة الغارقة .

اتجه نحو الفوهة كالقذيفة العمياء ، ولم يكد يبلغها حتى تلاشى الضوء مرة واحدة ، فاصطدم بحافتها الحديدية .

أثارت الصدمة آلام جانبه التى تمخضت عن معركته مع جاره ، فتضاعف غضبه ، وتمكن فى صعوبة من النفاذ بجسمه الممتلىء خلال الفوهة .

أصبح داخل القمرة الحالكة الظلمة ، وفى هذه اللحظة عاد الضوء من جديد ، صادراً هذه المرة من قاع القمرة .

وعلى مدى الدقائق التالية ، ظهر الضوء ثم اختفى فى أماكن مختلفة متباعدة ، مجتذباً الكثر الهائج كل مرة الى محاولة فاشلة للامساك به أو مهاجمته ، وقد وقع فى فخ المناورات التى تلجأ اليها الأسماك المضيئة الماكرة عندما يتهددها الخطر .

وفى احدى المرات فوجىء الكثر بالضوء قريباً منه للغاية ، فانتابه الذعر ، وتراجع الى الوراء فى حركة عنيفة ، فارتطم ذيله بحائط معدنى صلب .

وفضلا عن الألم الذى أحدثته هذه الصدمة ، فانها كانت كافية لأن تفتح باباً أوهنت الرطوبة والمياه من مفاصله على مدى السنوات المنصرمة ، ولم يكن ينتظر سوى دفعة صغيرة ليكشف عن محتوياته .

واستدار الكثر فى حنق ليتبين سر الحركة المفاجئة التى شعر بها خلفه ، فاذا به يرى كثراً آخراً أمامه .

والذى حدث أن الباب المفتوح كان يحمل مرآة مثبتة على مصراعه الداخلى ، فسقطت أضواء الكشافات السميكة عليها ، وتبدت للكثر صورته .

لكن المخ الصغير للكثر لم يدرك غير شىء واحد ، هو أن جاره الذى اعتدى عليه بالأمس وأحدث به اصابات مازالت تؤلمه ، قد لحق به ووجه اليه اللطمة التى أصابت ذيله ، وأنه يبغى الاستيلاء على صيده الخاص .

وفقد الكثر صوابه .

ودون تفكير ، ألقى بنفسه على عدوه .

وبالطبع ارتطم بسطح المرآة ارتطامة قوية ألمته فعاود مهاجمتها بعنف .

لكن عدوه بقى أمامه لا يريم .

هاجم المرآة للمرة الثالثة . وفى هذه المرة تحطمت وتناثرت قطعها فى الماء .

وفوجىء الكثر باختفاء عدوه كما سبق أن اختفت فرائسه واحدة بعد الأخرى بطريقة غامضة .

جن جنونه فانقض على قطع الزجاج المتناثرة وابتلعها فى عصبية ، بينما كانت الأسماك الصغيرة الداهية تتسلل خارج القمرة فى سكون .

وكتب الجهاز الهضمى للكثر النتيجة المحتومة لثورته العمياء ، والنهاية المأساوية لأحداث اليوم كله .

فهو ـ رغم قوته ـ لا يستطيع هضم الزجاج .

ولم تكد الشمس تشرق فى الصباح ، حتى سقطت أشعتها ـ أول ما سقطت ـ على جثة الكثر المنكود وقد طفت فوق سطح البحر !

صنع الله ابراهيم



الفنان القطري يوسف أحمد :

بين الحرف العربي وقضايا التراث

جمال قطب

ثلاث لقطات .. الأولى للفنان القطرى يوسف أحمد .. ثم لوحتان للفنان يمثلان تشكيلات الخط العربى فى أعماله

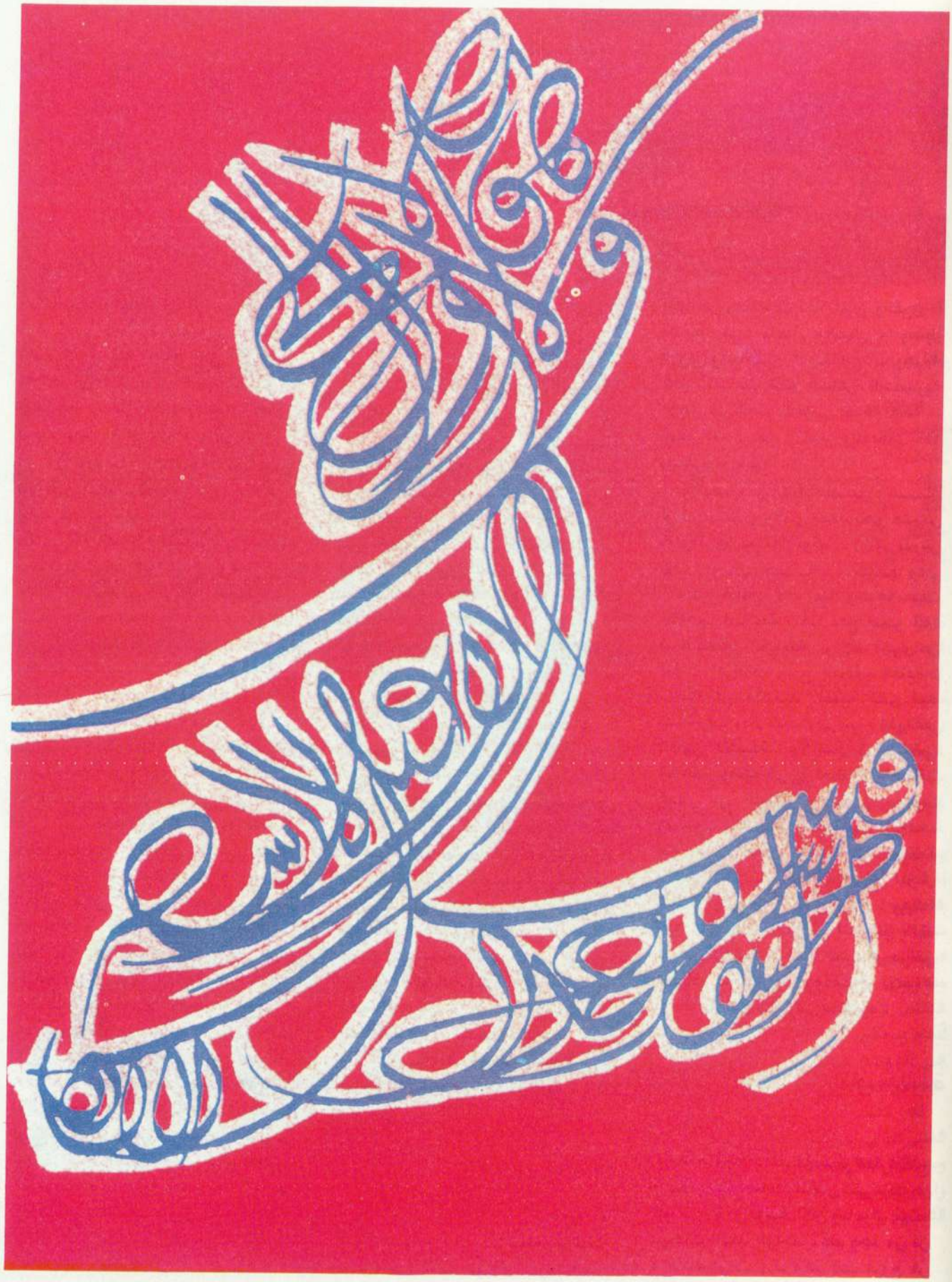




المتتبع لمسيرة الفن القطرى ـ وهى من أحدث مظاهر الحضارة المعاصرة ـ يجد أن حركة الفنون التشكيلية لم تكمل بعد العقد الأول من عمرهـــا ، فعشر سنوات أو نحو ذلك ، من الاهتمام بالفن ، ليست بالمدة الكفيلة ببلوغ التألق والازدهار ، ولكنها سنوات مثمرة خيرة ، أصيلة فى عطائها ، نبيلة فى فحواها ومرماها ، وكان لابد لهذه الحركة من أن تنمو فى أحضان النهضة الثقافية الشاملة ، تلك التى تفتحت عليها عقول القادة والمسئولين بالبلاد . فنجد أن الفنان القطرى لم ينسلخ أبداً عن تراثه وعاداته البيئية الراسخة فى وجدانه ، ورأينا الرعيل الأول ، وقد التصق التصاقاً عضوياً بأرضه وتقاليده ، ولم يشتط فى معالجته (التكنيكية) التى جرفت معظم الفنانين فى العالم الثالث . ولكنه التزم من حيث الموضوع والشكل معاً بما يتفق ومفاهيم المواطنين الذين يسعون حثيثاً إلى تعويض مافاتهم من استكمال البناء الفكرى والتذوق الجمالى وهذا ، إن دل على شىء ، فانما يدل على دعامتين هامتين فى العمل الابداعى : تقدير المسئولية وصدق الأداء !

المضمون من البيئة

وكان فناننا يوسف أحمد ـ رغم



بين الحرف العربي وقضايا التراث



حداثة سنة وثقافته الفنية ـ يمثل حجر الزاوية فى كل النشاطات فى السنوات الأخيرة ، فقد جعل من الأساليب المعاصرة المستحدثة ، مجرد تطوير فى المعالجة ، أما المضمون فكان ومازال دائماً مستمداً من البيئة والتراث .

بدأ ممارسته الطليقة منذ بضع سنوات بأسلوب تعبيرى بين التأثيرية والرمزية .. وكان فى مجمله تعبيراً متحرراً ذا أصول واقعية . واستهوته أبحاث (البعد الواحد) أو ما يعرف عالمياً (بالكاليجرافى) ، فغاص فى أعماق (الحرف العربى) ، وجعل من الحروف والكلمات تشكيلات بصرية معالجة بتجريدات لونية مختلفة ، وسرعان ما اتخذت لوحاته طابعاً خاصاً به ، واكتسب شخصية مميزة . ووصل فى هذه الاجتهادات إلى درجة مبشرة ، وأصبح علماً فى جميع المعارض القطرية المحلية والدولية . وقبل سفره إلى أمريكا كان دائب الحركة لا ينقطع عن البحث والممارسة ، وكان يراعى مقتضى الحال ، ويميز بين ما يعرضه فى (معارض الهواء الطلق) بالدوحة والأقاليم القطرية ، وبين ما يمثل الفن القطرى فى المعارض الدولية .. وكثيراً ما تنازل طواعية عن أعماله التى استأثرت بجل اهتمامه فى أبحاث البعد الواحد ، وصاغ لوحاته بأسلوب أقرب إلى الواقعية ، لكى يخاطب أكبر عدد من الجماهير القطرية .. ولكنه فى كل الأحيان يؤدى موضوعاته بمسطحات لونية تصل بلوحاته فى شكلها العام إلى وحدة بصرية هى أقرب إلى التجريد اللونى ، ولم تستول عليه دقائق اللوحة أو تستأثر باهتمامه ، ومن هذا المنطق ، حافظ على شمولية التكوين ، واكتسب شخصيته المميزة !

الدراسة الفنية

ومنذ عامين ، ذهب يوسف أحمد إلى أمريكا لدراسات فنية تكميلية فى التصوير الزيتى .. ووجد الفرصة مهيأة بغير حدود للبحث عن قيم جديدة تتسم بحرية التعبير تحت لواء التجريدية الحديثة وتشجع الفكر الذاتى للفنان . ومن المعروف أن أبحاث (التكنيك) التى تعنى بالشكل والبناء الهندسى ، أصبحت هى السائدة حالياً فى مجالات الابداع الغربى بشكل عام . ولاشك أن هذا الاتجاه قريب كل القرب لروح الفنان واهتماماته بأبحاث البعد الواحد وتشكيلات الحرف العربى ، وهو ما يدخل فى نطاق التجريدية بمعناها الشمولى .

وساقت له الأقدار أحد أساتذته الصينيين وهو (دكتور وو) خبير الفنون الشرقية ، والذى يقوم بتدريس فن الخط الصينى ، ولم يكد يوسف أحمد أن بهرته تشكيلات الحروف الصينية ـ وهو الذى يهيم حباً بالحروف العربية ـ فاتخذ من هذه المقارنة الفنية الرائعة مادة لبحثه الذى يعكف عليه حالياً .. ويقول الفنان :

« إن الخط الصينى ـ وهو من أعرق الفنون الشرقية ـ يبلغ فى عراقته مبلغ الهيروغليفية ، المصرية ويعتمد مثلها على التكوينات التجريدية ، مكوناً جملا هى فى الحقيقة لوحات متكاملة » !

الابداع والوعى

والحياة فى أمريكا بالنسبة لفنان عربى شاب ، تبدو مثيرة ومبهرة للغاية : المعارض والمتاحف تملأ المدن والقرى .. والعمل فيها بالليل والنهار .. وسيل الزوار والباحثين لا ينقطع .. وحركة الفن التشكيلى تمثل الظاهرة الحضارية الأولى فى الفكر الغربى بصفة عامة .. ويلقى الفنان من التقدير والتبجيل مالا يحظى به غيره ..

ولنتصور أن مدينة مثل (سان فرانسيسكو) والتى تبعد نحو عشرين كيلومتر من مدينة (أوكلاند) التى يدرس فناننا يوسف أحمد باحدى كلياتها وهى (ميلز كوليج) ، بها وحدها مئات المتاحف النوعية ، كما تعج بنحو ألف قاعة للفنون الجميلة ، وآلاف أخرى من قاعات المزادات وبيع التحف الفنية ! ناهيك عن المجلات الفنية التى تعد بالعشرات ، ولا تبحث فى شىء آخر غير الفنون الجميلة ! ولا تسل كيف يقضى الفنانون وقتهم فى أى لحظة من لحظات النهار أو الليل .. فالفنان مطلوب ومرغوب ، تتهافت الناس على انتاجه ، وتغمره المحافل والمنتديات الفنية بالدعوات لاستضافته وإفساح المجال لأعماله وعرض آرائه وأفكاره ! وهكذا وجه الحضارة المشرق .. إنه الفن ، لقد أصبح اللمسة الواعية على كل مرافق الحياة المعاصرة ! وأصبح الابداع مرادفاً للوعى فى أرقى مظاهره !

آفاق جديدة

من هذه الأجواء المعبقة بعطر الفكر تتفتح الآفاق رحبة فسيحة للفنان لكى يزيد من خبراته ، ولأن يوسف كان وما يزال مهتماً بأبحاث البعد الواحد ، فقد وجد من فن (الليثوجراف) ـ وهو أحد فروع فن

الى اليمن ـ لوحة «دح الموية» وهو الثوب الشعبى القطرى لقديم .
والى اليسار ـ لوحة توضح جمال وابداع الخط العربى داخل التشكيل الفنى .

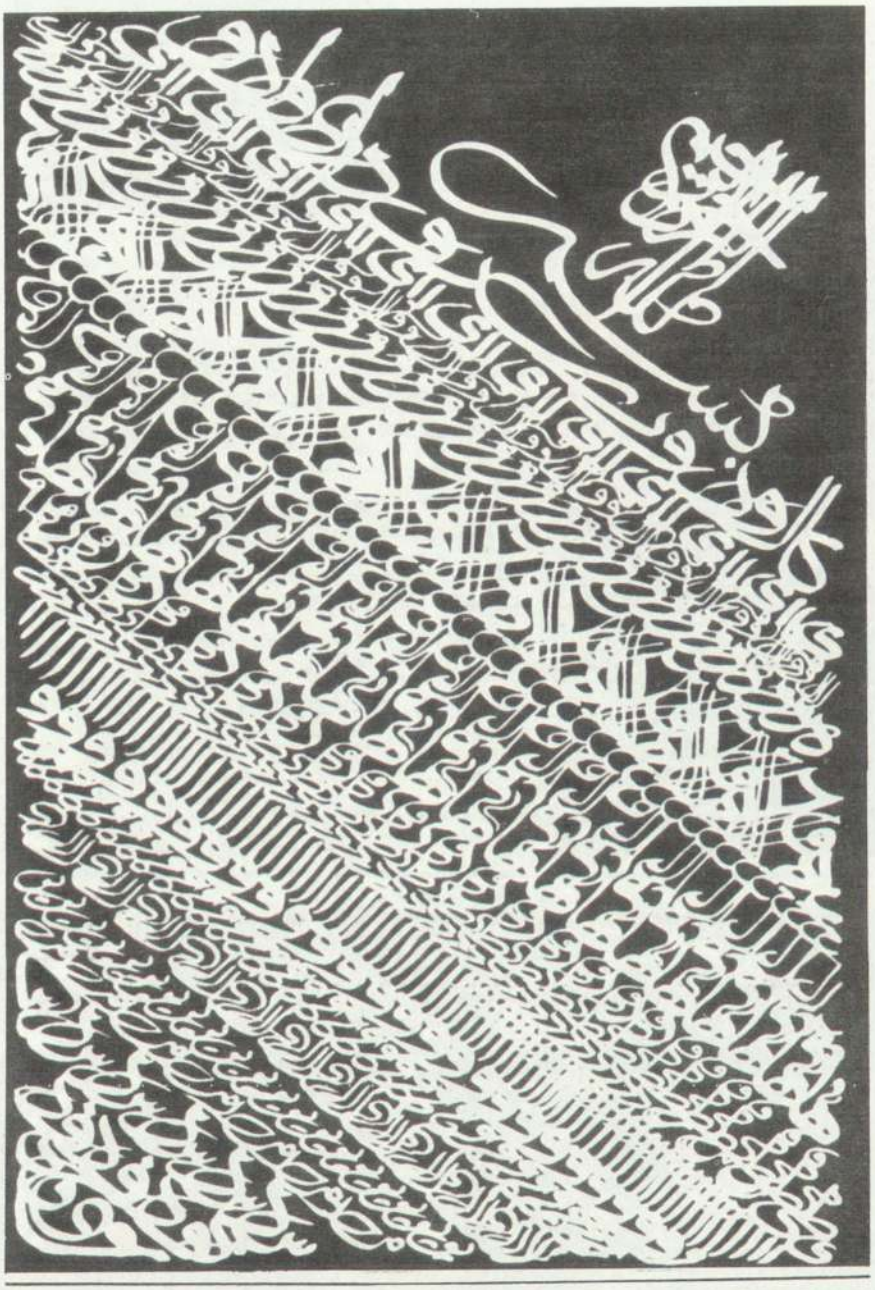
الحفر ـ بغيته ، حيث يستطيع استنساخ العديد من اللوحات المطبوعة بألوان مختلفة من أصل لوحة واحدة !

ونجحت تجاربه فى الليثوجراف ، واستمر فى الممارسة العملية على يد أساتذته من أمثال : أورنالد بومباديرو ، رولف دوكاس ، روبرت ديمار ودكتور وو فنان الخطوط الصينية ومع كل هؤلاء سيظل الحرف العربى هواه الدائم فى دراساته وأبحاثه التقنية المتقدمة .

وبنفس الحركة والنشاط المستمر فى نفس الفنان ، لم يكف عن إقامة المعارض .. ويتردد اسم قطر فى الدوائر الفنية الأمريكية : ففى مارس ١٩٨١ أقام معرضا خاصاً لأعماله فى مدينة (بافالو) وهى إحدى مدن ولاية نيويورك على الحدود الكندية والتى تعرف بشلالات نياجرا الشهيرة ، وقد لاقت المعروضات استحساناً لما حوته من عناصر التراث والحرف العربى وتشكيلاته الجميلة . ومعرض آخر ، يعد له الفنان منذ الآن ، حيث تقوم السفارة القطرية على اقامته فى إحدى قاعات سان فرانسيسكو ، ثم ينتقل إلى واشنطن فى شهر يونيه من العام الحالى . ومعرض ثالث دعا إليه المركز العربى الثقافى (التابع للجامعة العربية) ليقام ببعض المدن الأمريكية ، ثم ينتقل إلى الدوحة ليكون أول معارض الفنان عند عودته فى الصيف القادم .

لقد كانت هذه ومضة من الاشعاع الفنى الذى يشرق على الأرض القطرية .. وسرعان ما يعم الآفاق بنور الفكر والمعرفة فى المستقبل الزاهر إن شاء الله .

جمال قطب



يوسف أحمد فى سطور

● تخرج عام ١٩٧٦ فى كلية التربية الفنية بالقاهرة .

● عمل موجهاً للتربية الفنية عقب عودته ، ثم انتقل إلى إدارة الثقافة والفنون رئيساً لقسم الفنون التشكيلية بها .

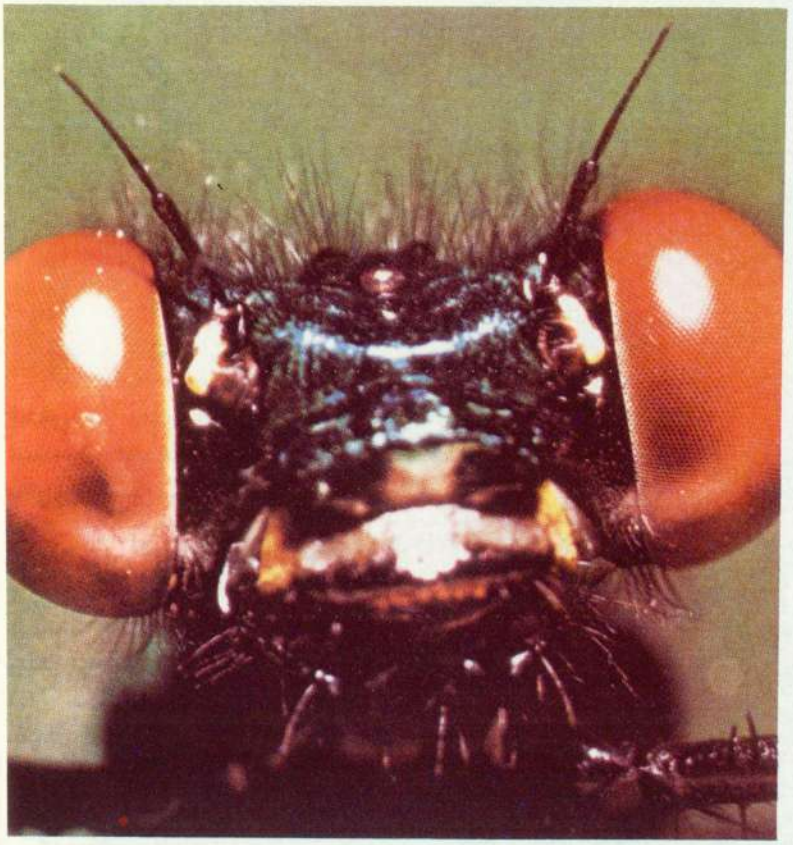
● اشترك فى جميع المعارض المحلية والخليجية والدولية التى تمثل الفن القطرى فى هذه المحافل .

● استحدث فكرة (معارض الهواء الطلق) مع زميليه حسن الملا ومحمد علي وطافت هذه المعارض معظم المدن القطرية .

● فاز بعدة جوائز وشهادات تقدير ، كان آخرها من معرض روما فى أكتوبر ١٩٨١ .

● أوفد فى بعثة فنية لمدة ثلاث سنوات للحصول على ماجستير فى الفنون الجميلة (من يونيه ١٩٧٩ الى يونيه ١٩٨٢) من كلية ميلز بأوكلاند ، وهى إحدى مدن ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

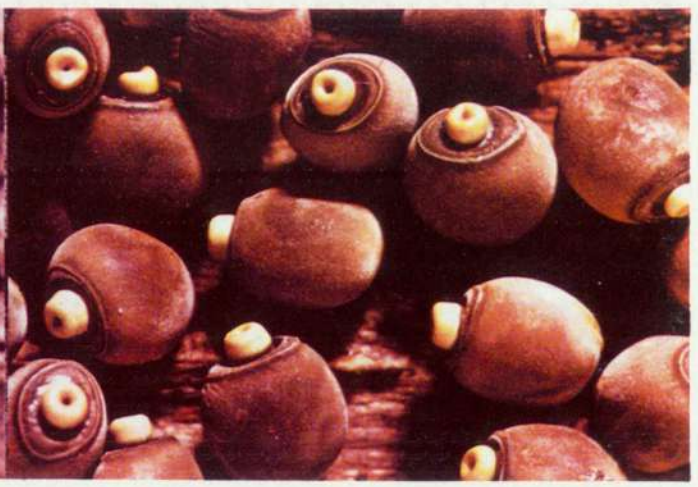
لقطات من الكون المثير



خلايا ضوئية .. في تصميمات اليكترونية ؟!

كانما هى جهاز اليكترونى ذات أسلاك وتوصيلات وملفات وتصميمات متداخلة ومعقدة أشد التعقيد ، وهى فعلا كذلك ، لأن الصورة لراس نوع من أنواع الذباب ، ولقد جاءت بهذا المنظر المخيف ، لأنها مكبرة حوالى ١٨ مرة ، وكلما كانت درجات التكبير أعظم ، ظهر المنظر أبشع ، والتفاصيل أوضح ، لكن حمداً لله أن جاءت هذه الكائنات بأحجامها المناسبة ، وإلا لحسبناها مخلوقات أخرى جاءت من الفضاء ، وأكثر ما يجذب النظر فى هذه الصورة هما العينان الكبيرتان اللتان تبرزان على الجانبين ، فاصبحتا أكبر من رأس الحشرة ، وهذا ينبئك بأن الله يخلق ما يشاء بغير حساب .. ولو دققت النظر فى احدى العينين ، لوجدت أن كل عين مركبة من عدد كبير من العوينات التى تبدو كنقط صغيرة ، وهى هنا أشبه بالخلايا الضوئية ، إذ عندما ينعكس عليها الضوء ، فانه يتحول الى نبضات عصبية كيميائية اليكترونية ، لتصب فى مركز الابصار فى راس الذبابة ، وبهذا تستطيع أن ترى عالمها بالصورة التى تلائمها ، ولكل خلق ما يناسبه .



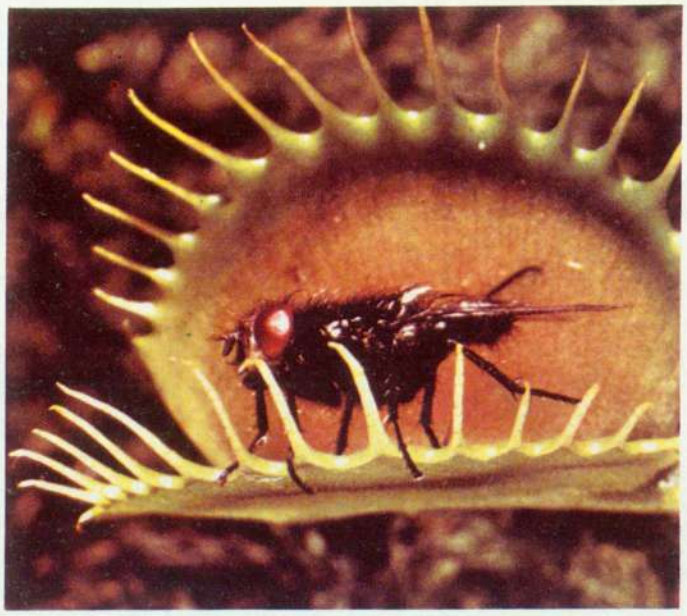


قماقم .. أم قنابل ؟

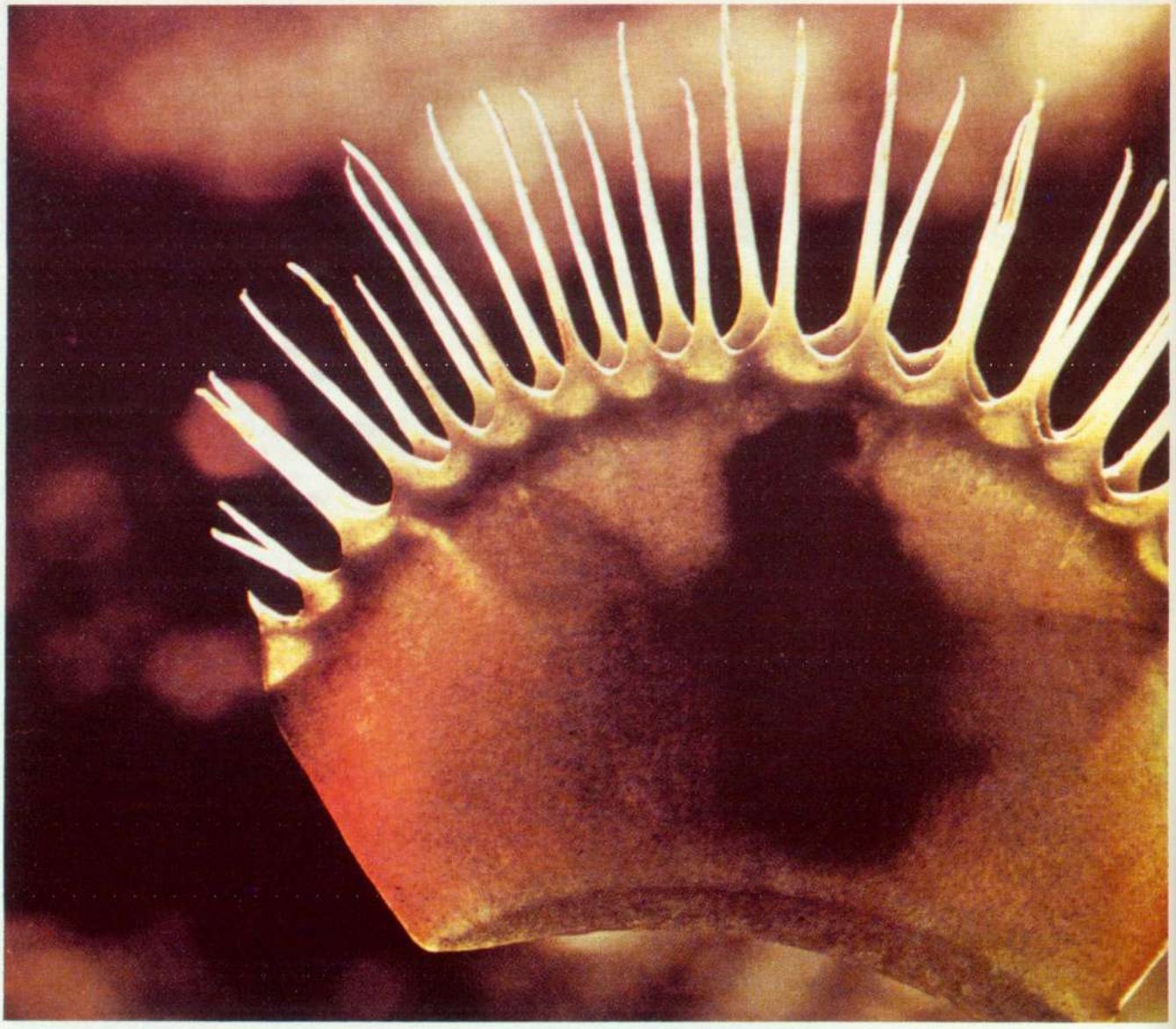
من أول نظرة قد تحسبها قنابل أو قماقم أو «شيكولاته» بيضاوية من ذلك النوع المزود بحلية لتعطيها شكلا ومذاقا خاصا يجذب اليها الآكلين ، أو قد تكون أى شىء آخر يطوف بالبال ، لكن كل ما خطر ببالك ، فالصورة غير ذلك ، لأن ما نراه هنا ليس إلا «قماقم» أو أوعية تحمل فى داخلها كائنات خافية عن عيوننا .. هلى عرفتها ؟ .. إنها بويضات حشرة اسمها «الحشرة العصا» ، لأن الحشرة ذاتها تشبه الأغصان الجافة ، ولقد جاءت البويضات بهذا الشكل والحجم الواضح ، لأنها مكبرة حوالى ١٨ مرة ، وعندما يتطور «الجنين» فى داخلها ويكتمل ، نراه يضغط على الغطاء المميز أو «المختوم بسدادة» صفراء ، وكأنما هو يفتح «صندوق» الحياة ، ليخرج الى الحياة كأى كائن آخر .. ولكى تتبلور هذه الحقيقة فى أذهاننا ، فلا أقل من عرض صورة للخروج أو «البعث» من توابيت أو قماقم الحياة .. ما عليك إذن إلا أن تلقى نظرة على الصورة الأخرى المنشورة هنا ، لترى ما يخفى علينا من غرائب الحياة .

ثم خروج «المارد» من القمقم ، أو اليرقة من البويضة (الصورة مكبرة حوالى ٣٠ مرة) .. لكن كيف تكور هذا «العملاق» داخل هذا الحيز الضيق ، وكأنما هو يعيد الى أذهاننا أسطورة الجنى والقمقم ؟ .. الواقع أن ذلك يرجع الى مبدأ اقتصادى من مبادىء الحياة ، نعنى تصميم أكبر قدر ممكن من التكوينات الحية ، داخل أقل حجم ممكن من الحيز أو المكان ، دون اخلال بما هو كائن وسيكون !

نبات يأكل الحيوان



أن يأكل الحيوان النبات ، فهذا أمر طبيعى ، ولا يشذ عن المألوف ، ومع ذلك ، فلكل قاعدة شواذ ، إذ قد تنعكس الصورة ، فيعيش النبات على التهام اللحوم ، وكأنما قد جاء « بمعدة » يهضم بها ما أكله .. وهذا هو الحادث تماماً ـ مع الاختلاف بين معدة حيوان ونبات ـ فالصورة (الى اعلى) توضح كيف انعكست الآية ، إذ عندما جاءت هذه الذبابة لتتغذى على الرحيق السكرى الذى تفرزه الورقة ، لتستدرج به الحشرة ، ينقلب الأمر ، فيصبح الأكل مأكولا ، أو الصياد صيداً .. والفكرة التى قامت عليها حياة هذا النبات أعمق وأتقن من فكرة الفخ التى تمخضت عنها عقول البشر ، إذ عندما تحط الحشرة على الورقة ، نراها وقد تحركت ببطء وحرص حتى لا يحس الصيد بحركة الفخ الذى يضم شقيه وكأنما هما يتحركان على مفصلات ، وبالفعل تطبق الورقة على الحشرة (الى أسفل) ، وتفرز عليها عصاراتها الهاضمة ، فتذيب أو تهضم لحمها ، ثم تمتصه على هيئة أحماض أمينية ، فتوزعها على أنسجة النبات المختلفة ، لتبنى بها بروتيناتها ، وهذا ما يحدث تماماً فى معدتنا وأمعائنا ، فكأنما هذه الورقة قد ضربت عصفورين بحجر واحد .. لكن ، لماذا هذا الشذوذ عن المألوف ؟ .. لأن مثل هذه النباتات تعيش فى ارض فقيرة بالمركبات النيتروجينية وكان لابد للحصول عليها من مصدر آخر ، فتحورت أوراقها لتعيش على اللحوم .. وكل مخلوق قد جاء لما هو ميسر .





كمال الشناوى فى دور العم ، وقد ارتضى بحياته المتواضعة بعد رحلة طويلة من التجارب

الخروج من الظل

بين السينما التسجيلية والسينما الروائية

وتساؤلات يثيرها فيلم مصري جديد

بقلم : رءوف توفيق

فنانو السينما التسجيلية فى وطننا العربى .. يعيشون غالباً فى الظل .. اسماؤهم غير متداولة ، وغير مشهورة .. وأفلامهم لا تعرض الا نادراً وفى المناسبات .. ربما من خلال مهرجان سينمائى لا يتابعه غير النقاد والمهتمين أصلا بالسينما .. وربما من خلال هوجة حماس لعرض بعض هذه الأفلام فى القرى والمدن الصغيرة ، كنوع من التوعية ، وشحذ الهمم .. وغالباً ما يستقبلها الجمهور فى تلك الأماكن ، بنوع من عدم الارتياح .. لأنهم عندما يجلسون امام شاشة السينما .. فهم يتوقعون ان يروا النجوم الذين يسمعون عنهم .. ويروا حدوته فيها الشجيع والمغامر الذى يدخل فى معارك ومازق لانقاذ حبيبته !!



العامل (احمد بدير) في محلج القطن قبيل أن يبوح بالحقيقه



المخرج بشارة



المصور محمود عبد السميع

والسينما التسجيلية ليس فيها نجوم .. وليس فيها حدوتة .. وليس فيها مطاردات عسكر وحرامية .. أو مغامرات عشاق .. أو خيال مؤلفين يعرفون كيف يقدمون الوهم .. ويبيعون الاحلام .. ويمسكون بانفاس المتفرجين !

فهى سينما تعتمد على الواقع .. ومادتها لا تخضع لأى خيال .. وانما من قدرة فنان على الملاحظة .. والاختيار من الواقع ، لأعادة صياغته داخل أطار فكرة تعرض فى دقائق قليلة .

والسينما التسجيلية .. لها تاريخ طويل ، ومدارس متعددة ، ومعروفة فى العالم أجمع ... كأخطر الفنون المرئية .. لقدرتها على التعبير المركز ، والتأثير السريع .

وفى الدول المتقدمة يعاملون السينما التسجيلية باحترام شديد .. ويضعونها فى اهمية السينما الروائية .. وربما قبلها !

اما عندنا .. فالوضع مختلف .

انها سينما من الدرجة الثانية .. لاتحصل الا على الرعاية الأقل .. وفتات الأهتمام !

سينما تكاد تكون سرية .. يصنعها فنانون مجهولون ، قد يقضون طوال حياتهم فى صراع من أجل تقديم افلامهم .. على أمل ان يراها أحد .. ويعيشون على هذا الحلم حتى يموتوا ! .. وربما لا يعرف أحد بخبر وفاتهم الا من خلال سطور النعى فى صفحة الوفيات بالجريدة اليومية .

● مصرع مخرج تسجيلى

وفى الأيام الأولى من هذا العام .. فجعت السينما التسجيلية فى مصر .. بمصرع المخرج الشاب « سامى المعداوى » ـ ٤١ عاماً ـ الذى لقى حتفه فى حادث سيارة وهو عائد من دمياط بعد تصوير لقطات من فيلم تسجيلى عن حياة الدكتور يوسف أدريس .. كانت معه فى السيارة الصغيرة ، أسرته المكونة من الزوجة وطفليه .. وقع الحادث فى ثوان .. مات على الفور سامى المعداوى .. اصيبت زوجته بعدة أصابات ، وانتابها حالة غياب عن الوعى .. اما طفلاه فقد اصيب احدهما بارتجاج فى المخ .. واصيب الأخر بعدة كسور !

وهكذا انتهى احد فرسان السينما التسجيلية .. فى صمت مأساوى ..

الخروج من الظل

وقد هزنى الحادث تماما .. فانا اعرف سامى المعداوى من خلال افلامه القليلة ، ومن خلال لقاءاتى به فى مهرجان ومسابقات الأفلام التسجيلية .. حتى رأيت له فيلما تعليميا قصيرا بعنوان « فول الصويا » يشرح فيه للمزارعين كيف يتعاملون مع هذا المحصول الجديد .. ورغم جفاف الموضوع ومباشرته .. الا اننى أحسست بمدى إيمانه بالرسالة التى يؤديها .. صريح .. ومحدد .. وواضح .. يعرف كيف يبسط المعلومات ، ويركزها فى اقل وقت .. داخل صورة معبرة وصافية . وتحمست كثيرا لهذا الفيلم – وكنت وقتها عضوا فى لجنة التحكيم – ودافعت عنه طويلا باعتباره نموذجا سينمائيا متميزا .. ولم يحصل الفيلم الا على شهادة تقدير .. لأن نتيجة التصويت كانت من نصيب افلام أخرى نافسته بشدة .. وتقبل سامى الفوز الأقل بروح عالية .. وبسعادة من حقق نصرا ولو محدودا .. وزاد احترامى له .. حتى كانت النهاية المؤسفة التى اختطفته ، وهو يسعى لتحقيق حلم اخر صغير !

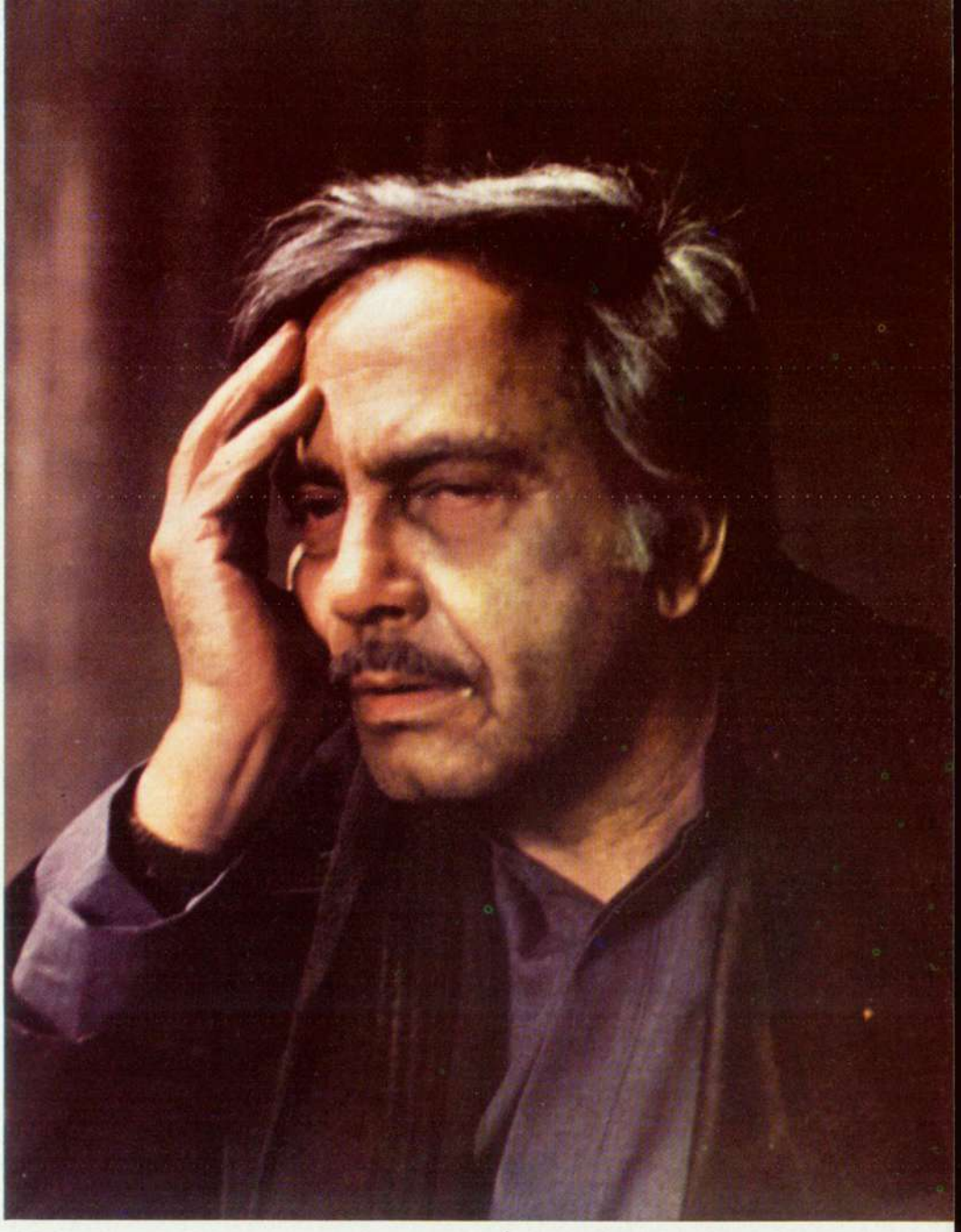
● الفيلم المفاجأة

وقد شغلتنى طويلا .. الأحلام الصغيرة لفنانى الافلام التسجيلية .. والقضايا الكبيرة التى يسعون لطرحها فى افلامهم القصيرة .. الى ان شاهدت فيلم « العوامة رقم ٧٠ » الذى ابدعه اثنان من فرسان السينما التسجيلية فى مصر .. المخرج خيرى بشارة .. والمصور محمـــــود عبد السميع .. ليقدما من خلاله أزمة مخرج فى الافلام التسجيلية .

والفيلم مفاجأة حقيقية على كافـــة المستويات .. فهو يتخطى الاشكال التقليدية للسينما المصرية .. ليقف على نفس مستوى السينما العالمية الجديدة . فى اللغة البصرية .. وفى تدفق المشاعر والتساؤلات .

● قصة الفيلم

يحكى الفيلم قصة هذا الشاب (احمد زكى) الذى يعمل مخرجا تسجيليا .. والذى اختار ان يكون فيلمه الجديد عن « القطن



كمال الشناوى يتذكر حكاياته

تيسير فهمى .. واحمد زكي ، ومحاولة للفهم





لحمد زكي وماجدة الخطيب .. ومحاولة لاعادة الماضي

العامل (احمد بدير) والصحفية (تيسير فهمي)



الخروج من الظل

المصرى الآن » .. وينتقل مع مجموعة الفنيين الى احد المحالج الصغيرة المنتشرة على خريطة مصر .. لتصوير جزء من رحلة القطن .. وهناك داخل المحلج ، يتعرف على الماكينات القديمة التى يعود تاريخ صنعها الى اوائل القرن الحالى ، والتى مازالت تعمل حتى الآن .. ويتعرف على عمال المحلج .. ومنهم نسبة كبيرة من الأطفال الصغار الذين يقضون بجوار الماكينات يلقمونها بالات القطن .. وكثيراً ما تلتهم الماكينات أذرعهم الصغيرة فى غفلة منهم .. ولهذا اطلق العمال على هذه الماكينات اسم « العفريتة » !

ويكتشف المخرج التسجيلى اثناء تصويره لهذا الفيلم .. ان احد العمال يسعى متلهفاً لأن ينفرد به ليحكى له عن الجرائم التى تدور فى المحلج .. ويحدد له موعداً فى العوامة التى يسكنها على النيل

ويأتى العامل (يلعب الدور أحمد بدير) خائفاً مترددا .. حتى يشعر بالأمان .. ويحكى للمخرج وخطيبته الصحفية (تلعب الدور تيسير فهمى) كيف تتم طرق تبديد القطن ، وتهريبه .. تحت ستار افتعال حرائق باكثر من طريقة !

وتتحمس الخطيبة الصحفية للموضوع .. اما المخرج الشاب فهو يتلقى معلومات العامل بنوع من الشك .. واحياناً بنوع من اللامبالاة .. وان كان يؤمن تماماً بأن احتمال التخريب موجود .. سواء فى هذا المحلج .. أو فى غيره من مواقع الانتاج .. وان النشر فى الصحف ، لن يتم الا اذا كان هناك دليل مادى يؤمن كلامها .. وهى هنا لا تملك دليلا مادياً ! .

ولكن الخطيبة تحسم الموقف بضرورة الالتجاء الى الشرطة لابلاغها باقوال العامل .. ويوافق العامل .. ويخرج من العوامة على موعد فى اليوم التالى بمركز الشرطة .. واثناء خروجه من العوامة .. يتلقفه اثنان من عمال المحلج ، واللذان كانا يراقبانه .. وينقضان عليه فى صمت حتى يفتكا به .. ويلقيان جثته فى النيل .. وتنحشر الجثة تحت العوامة بضعة أيام !

ويتسبب اختفاء العامل فى قلق الصحفية .. لماذا لم يحضر فى الميعاد .. ولماذا اختفى ايضاً عن المحلج .. بينما المخرج الشاب اعتبر ان الموضوع قد انتهى بالنسبة له .. فقد توقع منذ البداية ، بأن كلام هذا العامل .. ما هو الا مجـــرد « هلوسة » !

حتى تحدث المفاجاة المرعبة .. تطفو جثة العامل القتيل مرة أخرى أمام العوامة .. لتفتح طريقاً من التحقيقات ، التى تنتهى الى لا شىء .. ويدرك المخرج انه تسبب بلا مبالاته فيما جرى .. ويعذبه دائماً منظر جثة العامل القتيل .. يقول لخطيبته فى لحظة ندم : « مهما حاولت اشغل نفسى بأى حاجة .. باشوف الجثة فى كل وقت .. مرة شفتها فى كابوس .. ودلوقت باشوفها وأنا صاحى » !

ويسرع المخرج الى غرفة المونتاج ، لينهى العمل فى الفيلم التسجيلى الذى صوره فى المحلج .. انه هنا يحاول ان يقول رأيه فيما يحدث .. فيقترح ان تكون أول لقطة من الفيلم هى لقطة العامل الذى قتل ، والذى صوروه فى المحلج .. لينزل عليها صوت المعلق قائلا « هذا العامل قد قتل اثناء تصوير الفيلم .. لأنه حاول ان يكشف جريمة من اخطر الجرائم التى تهدد الاقتصاد القومى المصرى » ! .

ويتوقف المونتير فى دهشة .. لينظر للمخرج متسائلا .. بأن هذا يعتبر خروجاً عن الموضوع الاصلى للفيلم .

فينتفض المخرج مشدوداً .. متحمساً .. وكأنما أراد أن يسترد بعضاً من جرأته .. ليقول بصوت محدد .. انه يتحمل مسئولية الفيلم كاملا .

ولكن .. هل هذا يكفى .. انه يشعر بأن عليه ان يفعل شيئاً ملموساً أكثر .. فيسعى الى عمه (يلعب الدور كمال الشناوى) الذى كثيراً ما يجلس إليه يستمع الى تجاربه الطويلة فى الحياة .. فى تلك الليلة كان العم يحكى عن جريمة قتل قام بها ضد الجنود الانجليز فى معسكرات الانجليز ايام احتلالهم لمصر .. يقول العم ملخصاً تجربته « تعلمت ان أبادر .. قبل ان يبادر الآخرون » .

ويلتقط المخرج الشاب .. هذه الجملة .. ليسرع فى اتجاه المحلج .. ليبحث عن الحارس ، الذى شهد ويشهد عمليات تهريب القطن .. ويعرف من هم قتلة العامل الذى حاول ان يكشف الحقيقة .. وعندما يرى الحـــارس ينقض عليه ضرباً ولكماً .. يحاول انتزاع الاسماء منه .. ولكن زملاء الحارس يخلصونه من قبضته .. ولا يحصل المخرج على شىء .. فيعود الى عوامته .. وقد قرر أن يصفى حسابه مع نفسه .. وان يقطع كل الارتباطات التى يتصور انها تعوق حركته .. حتى علاقته مع خطيبته .. التى تفاجأ بأنه يخلع دبلة الخطوبة ، ويلقيها جانباً .. فتنظر له بدهشة وقد هزتها الصدمة .. لتقول له وكأنها تصحح موقفه « بقى بعد الحواجز اللى بينا كلها ما انكسرت .. بعد ما بقينا واقفين على الأرض لأول مرة فى حياتنا .. تيجى انت بمنتهى السهولة ترمى اجمل حاجة فى حياتنا .. أجمل حاجة فى حياة اثنين فى اى حته فى العالم » !

ينظر بعيداً .. وفى عينيه كل الاصرار والتحدى .. ليقول « فيلمى الجاى عن البلهارسيا .. اللى ماخفش منها اخويا وابن عمى لغاية دلوقت .. مين المسئول ؟ » !!

وينتهى الفيلم بهذه الكلمات .

● التصوير فى الأماكن الحقيقية

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » .. جرعة مكثفة من المشاعر .. تقتحم المتفرج ، هادرة ، متدفقة .. لتضعه على نفس الأرض التى يتحرك عليها ابطال الفيلم .. فكل شىء صور فى اماكنه الطبيعية .. وبكاميرا حساسة واعية لا تفسد الواقع بالاضاءة الصناعية .. وانما يشع كل مكان بالضوء الحقيقى له .. وبعد دقائق من عرض الفيلم تكاد تنسى انك فى قاعة عرض تشاهد فيلماً .. وانما ينتابك هذا الاحساس بانك جزء مما تراه .. فهذه الهموم والتساؤلات .. وهذا القلق ، والرغبة فى الفرار ، ثم الرغبة فى الاقتحام .. وهذا اليأس والاصرار .. هى مشاعر حقيقية ربما انتابتك يوماً .. او احسستها فى صديق او قريب !

● الممثلون

وجسد الممثلون ادوارهم ببراعة وصدق وفهم ..

احمد زكى .. الفنان الذى ينطلق فى السينما المصرية بسرعة رهيبة ، متجددا ، متنوعا ، كأنه نصل سيف حاد ، يمزق كل الانماط التقليدية فى التعبير .. ليعرض مبدأ الصدق والتقمص الكامل للشخصية التى يؤديها .. وفى هذا الفيلم يعطى احمد زكى جزءاً من طبيعته الخاصة .. كفنان قلق .. عصبى .. وعندما جلست معه لاناقشه فى دوره بالفيلم .. احسست بمدى حماسه له .. وكأنه يتكلم عن تجربته الشخصية فى الحياة .. يقول لى انه عندما عرض عليه سيناريو الفيلم .. وافق دون اى شروط .. لأنه على حد تعبيره .. وجد فيه بعضاً من نفسه .. واثناء التصوير .. شعر انه لا يمثل .. وانما يعيش حياته !

وقدم الفيلم .. الوجه الجديد « تيسير فهمى » ليضعها فى مصاف الممثلين الكبار ..

ونجحت « تيسير » فى ان تكون النغمة الصحيحة داخل هذه المعزوفة .

ولعب « كمال الشناوى » و « ماجدة الخطيب » احسن ادوارهما فى السنوات الأخيرة .. واذكر بالتحديد ماجدة الخطيب التى اعادت الى اذهاننا تالقها الفنى فى فيلمها « زائر الفجر » .. انها هنا تلعب دور ابنة القرية التى هجرتها مع عائلتها ، بعد خلافات كثيرة مع عائلة المخرج الشاب .. كانت تكبره بست سنوات .. وكان هو طفلا صغيرا يخرج من بيته .. ليلعب معها .. ثم ينام على ساقيها .. وكبر كل منهما .. وتغيرت احوالهما .. انها الآن تعيش فى القاهرة .. ترعى ولدها المشلول الذى اصابه المرض بعد رحيل ابنه الوحيد الى امريكا .. انهار الأب .. وعاشت هى تحاول ان تتماسك .. حتى التقت بالمخرج من جديد وشعرت من قلقه انها من الممكن ان تعطيه بعض الاستقرار .. ولكنها كمن قبضت على الهواء

● السيناريو

وقد استطاع سيناريو الفيلم الذى كتبه « فايز غالى » ، كما كتب الحوار ايضا ، ان يضمن الفيلم العديد من المواقف والتفاصيل الانسانية الصغيرة .. التى تشكل فى النهاية هذا الواقع القلق للشباب فى مرحلة الصراع والتحولات الأخيرة التى مرت بها مصر .

فهذا المخرج التسجيلى الشاب .. بطل الفيلم يستطيع ان يصنع افلاما تسجيلية جريئة تثير الاهتمام .. ولكنه لا يستطيع ان يعيش حياته بنفس الجراة .. وهو لهذا يشعر بالتوتر .. والحيرة .. والقلق .. وبقدر حيرته يصبح لغزا بالنسبة للذين يتعاملون معه ..

انه فى احدى لقاءاته مع عمه .. يشعر برغبته فى المكاشفة .. فيقول له : « تعرف يا عمى .. اجمل حاجة فى حياتك انها غنية .. الواحد لما يبص لها .. ويبص لحياتى يلاقيها فاضية .. او على الاصح متلخبطة .. الغريبة ان انا وسط كل اللى بيحصلى .. مش لاقى حكاية .. حكاية واحدة ممكن احكيها زى حكاياتك » ! !

ويقول هو عن نفسه بين اصدقائه .. يشكو لهم عدم فهم خطيبته له :

« انا كده .. وحا افضل كده .. جايز فى يوم اتغير .. وجايز فى يوم ما اتغيرش .. لكن اللى اعرفه ان افلامى حتعيش .. وحتحرك الناس يوم ورا يوم » ! !

وربما هذه الكلمات الأخيرة .. هى أحسن تعبير عن حلم مخرجى السينما التسجيلية ، فى صراعهم المرير من أجل تأكيد رسالتهم السينمائية .

● حوار مع المخرج

والمخرج خيرى بشارة – ٣٤ عاما – قدم للسينما التسجيلية عددا من الافلام الهامة منها : صائد الدبابات – طبيب فى الأرياف – حديث القرية .. وفاز عن هذه الأفلام بعدة جوائز .. وله ايضا تجربة سابقة فى الأفلام الروائية الطويلة حيث اخرج فيلم « الأقدار الدامية » عن ماساة هزيمة حرب ٤٨ .. وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو فيلمه الروائى الثانى .. وقد كتب هو قصته .

وفى لقاء معه .. سألته عن المعنى الذى يقصده من عنوان فيلمه « العوامة رقم ٧٠ » ؟ .

اجاب – اننى اقصد فترة السبعينات التى مرت بها مصر .. وقلق جيلى خلال عشر سنوات .

سالته – ما الذى تريد ان تقوله فى الفيلم ؟

اجاب – الفيلم مجرد تشخيص حالة .

– وما الذى وصلت اليه فى هذا التشخيص ؟

– ان الحل الفردى ليس هو الاسلوب الأجدى لمواجهة المشاكل .. بل هو الحل الجماعى .

– اين انت من بطل هذا الفيلم ؟

– الفيلم عنى .. وليس عنى .. فجذورى ليست ريفية .. ولم احتك بجريمة كبيرة فى حياتى .. ولكن كل القلق الذى مر به بطل الفيلم .. مررت به انا .. والمتغيرات التى حدثت فى المجتمع المصرى انعكست على حياتى فى شكل صراعات مستمرة .. هل ابيع نفسى واخرج افلام الحواديت .. أم استمر فى الافلام التسجيلية .

– لقد عشت فترة فى بولندا .. ما الذى استفدته هناك ؟

– بعد تخرجى من المعهد العالى للسينما .. اكتشفت اننى تزودت بثقافة سينمائية .. ولكنى افتقر الى خبرة الحياة .. وفى لحظة يأس .. قطعت تذكرة ذهابا بلا عودة على ظهر مركب مسافره الى بيروت .. ومنها تنقلت الى اكثر من بلد .. حتى وصلت الى بولندا .. كان عمرى وقتها ٢١ عاما .. عشت هناك عامين .. لم اتلق فى بولندا دراسة عن السينما أو الايدلوجيات .. ولكنى درست الحياة وتاثرت جدا باسلوب البولنديين فى حبهم الشديد للحياة .. والروح الساخرة عند الفنانين فى نظرتهم للواقع .. وتعرفت على افلام كبار المخرجين البولنديين .. وعندما عدت للقاهرة .. اكتشفت اننى جاهل بمصر .. وقلت وداعا للغة السينمائية .. وداعا لانبهارى بها .. وبدأت أغوص فى قرى ومدن مصر .. أبحث عن الحقيقة والانسان .

– ماذا استفدت من تجربة العمل فى السينما التسجيلية ؟

– استفدت الكثير .. ربما اهم شىء .. اننى اقتربت اكثر من الناس .

● حوار مع المصور

وفيلم « العوامة رقم ٧٠ » هو أول فيلم روائى طويل يصوره الفنان محمود عبد السميع بعد رحلة طويلة مع الأفلام التسجيلية صور منها ما يزيد عن المائة فيلم .. وفاز بعدة جوائز .. وهو عندما يحكى عن تجربته السينمائية ، يقول انه بالرغم من تخرجه من كلية الفنون التطبيقية الا ان تخرجه الحقيقى جاء من جمعية الفيلم « فانا عضو فيها منذ انشائها عام ١٩٦٠ .. حتى اصبحت رئيسها فى الفترة الأخيرة .. ومن احتكاكى بالمثقفين والنقاد ومشاهداتى للافلام .. قررت ان اكون على نفس المستوى

سالته كيف تفهم التصوير السينمائى ؟

اجاب – التصوير بالنسبة لى ليس بحثا عن جماليات الصورة .. وانما بحثا عن قوة التعبير عن الموضوع بالصورة .. فانا ضد التكوينات المفتعلة .. أو الكادرات الغريبة وما ياسرنى تماما هو قوة الموضوع ومدى واقعيته .

– من الواضح فى فيلم العوامة .. تحكمك فى توزيع الأضاءة ..

– لقد علمتنى تجارب التصوير فى الافلام التسجيلية .. أن اتصرف فى أضيق الامكانيات .. فقد تعرضت لمواقف صعبة وكان على ان أصور بلا اضاءة تقريبا .. وبالفعل صورت افلاما تسجيلية على كشافات السيارات ولهيب أعواد الكبريت .. ان قلة الامكانيات تولد حلولا عظيمة .. ولكن من أهم الأشياء التى تعلمتها من الأفلام التسجيلية .. ان المكان لا يقل أهمية عن الانسان .. فمثلا الحائط لا يقل عندى أهمية عن أى ممثل .. فالاثنان يمثلان أمامى ..

وهكذا أهدت السينما التسجيلية فى مصر .. اثنين من أفضل رجالها .. الى السينما الروائية ..

وكان السينما التسجيلية هى الأم .. التى تربى أولادها .. حتى يكبروا .. ويستقلوا بانفسهم .. ويخرجوا من بيت العائلة الى بيوتهم الجديدة ..

ربما كان هو خروجا من الظل .. الى دائرة الضوء .. والشهرة .

ولكن .. نادرا ما ينكر أحد منهم ، فضل السينما التسجيلية عليه .. انها المدرسة الحقيقية للسينما الواقعية .. ولهذا يعود إليها الكثيرون اذا ما شعروا يوما بصعوبة الحياة .. واشتاقوا الى دفء الأم .. وحنانها .. وصدقها . !

رءوف توفيق



الزجاج

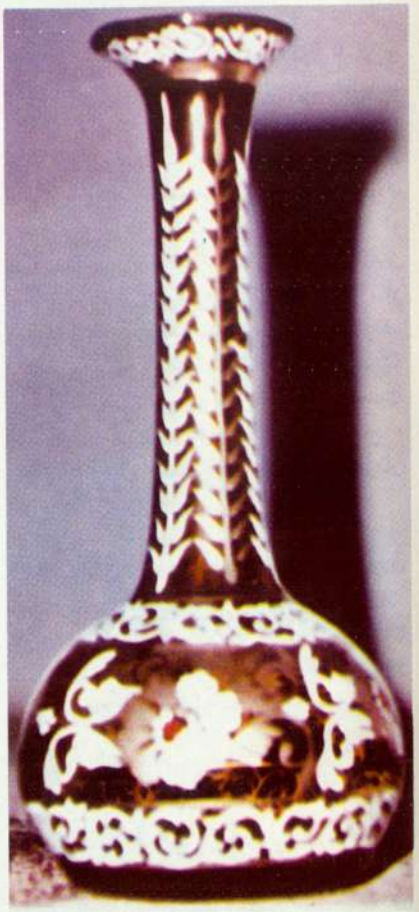
بين يدي الفنان السوري

بقلم: عادل أبو شنب



احد العمال يصهر الزجاج

لحدى الاواني الجميلة



من الزجاج يصنع الزجاج . هذا هو العنوان الكبير ، لكن التفاصيل أكثر من مثيرة .

فى وقت ما ، ربما قبل عدة آلاف من السنين عرفت دمشق بانها من اوائل المدن التى صنعت الزجاج ، وفى الآثار المكتشفة ما دل على أن صناعة الزجاج فى هذه المدينة كانت رائجة ، لكن المدن الاخرى سرقت هذه الصناعة واحتكرتها وطورتها ، ونبذت طرائقها القديمة ، واستنبطت طرائق جديدة ، يصنع الزجاج فيها آلياً ، وحدثت المفارقة عندما تنكرت دمشق لتراثها ، وأقامت عدداً من المصانع التى تنتج الزجاج آلياً . اثنان او ثلاثة رجال فقط .. تمسكوا بتراث دمشق فى هذا النوع من الصناعة ، فانشاوا معامل تصنع الزجاج يدوياً ، كما كان الأجداد يفعلون .. وبالتحديد ، تصنع الزجاج بطريقة النفخ .

القديم الجديد

فى بعض الأوقات ، كان رجال شعبيون يطوفون بحارات دمشق وأزقتها ـ ومازالوا حتى الآن ـ يقايضون على قطع الزجاج المكسرة بشىء مما يسلى الاطفال . وكان كثيرون يتساءلون : ماذا يصنع هؤلاء الرجال بشقفات الزجاج المكسورة الى أين ياخذونها ؟ وماذا يفعلون بها ؟ وهل من الممكن الاستفادة من قطع الزجاج التى تنبذ عادة ؟ كان الرجال يبتسمون اذا ما جوبهوا باسئلة كهذه ، ومن ثم يحملون اكياسهم فوق ظهورهم ، ويسرعون بها الى معامل الزجاج اليدوية . فهناك ستصهر شقفات الزجاج التى لها آلف لون ولون ، وستصبح سائلا لزجاً من شدة حرارة الفرن الذى تصهر فيه ، وهناك ستتحول الى زجاج جديد . نعم .. من الزجاج القديم يصنع زجاج جديد .. وبالطريقة نفسها التى كان الأجداد يصنعون بها الزجاج فى دمشق قبل آلاف السنوات ، أى بطريقة نفخ السائل الزجاجى المستخرج من الفرن (لنلاحظ أن الفرن يعمل الآن بالمازوت وهو تطوير اقتضته الظروف) .

هاهنا تتدخل المهارة والخبرة والذوق . فالعمال (الذين صاروا قلة والذين يندثرون واحداً بعد الآخر) يتكيفون بكتل الزجاج اللزج التى يخرجونها من الفرن بانابيب حديدية



مجموعة من الاواني الزجاجية

الزجاج

مفرغة . ينظر واحدهم الى الكتلة التى أخرجها مقدراً حجمها ، بضوء الأنية التى ينوى صنعها ، ثم يهيئها للصناعة بطرقها على مصطبة رخامية أو حجرية موضوعة فى فم الفرن ، ثم ينفخها ، واحياناً يلوح بها الى الأعلى والأسفل عدة مرات ، فبهذه التلويحات تتمدد كما يشاء ، ثم يضعها فى قالب حديدى مصنع بحجم الأنية ، ثم يضيف اليها القطع اللازمة أو التزيينية المطلوبة ، ومن ثم يسويها بملقط خاص ، ثم يضعها فى الفرن لمدة محددة حتى تشوى ، وبعد ذلك يخرجها ، ليضعها مساعده فى مكان التبريد المعد ، وهو يضعها بحرفية ، إذ عليه أن يتخلص من الأنبوب الحديدى الملتصق بها ، ويتم ذلك بضربه متأنية عليه ، فينفصل عنها ، ويصبح جاهزاً لاستخدامه فى صنع أنية جديدة .

اعادة تشكيل

وبقدر ما فى العودة من تأكيد على قيمة التراث الشعبى .. فان هذه العودة تتيح للذوق الشعبى أن يعلن عن نفسه ، لأن المهارة فى تكوين الأنية الزجاجية فى مصنع كهذا .. تعبير عن قدرة الفنان الشعبى على الابتكار فى اعداد كل نموذج كما يريد ، وعلى هذا فان تصنيع الزجاج ، هنا ليس فلكلوراً فحسب ، بل هو ميداناً فنياً تتاح فيه للمواهب أن تبرز وتتكامل . ومن المؤكد أن المتلقين ، أى الجمهور يقبلون على هذا النتاج الزجاجى باعتباره نتاجاً فولكلورياً وفنياً ، وغالبا ما يعرض للفرجة أو الزينة وليس للاستعمال . ولقد عرف عمال ومنتجو هذا الزجاج هذا .. فاتجهوا الى التجديد فى التزيين ، بل اتجهوا الى انتاج انية تنفع فى العرض أكثر من نفعها اذا ما وضعت فى الاستخدام اليومى . فالثريات المصنوعة من مئات القطع الصغيرة تحف فنية تفى بالغرضين ، الاستخدام والفرجة ، والعقود الزجاجية التى توضع فى نحور الفتيات .. لها الخاصية نفسها ، لكن الأباريق الصغيرة وبعض « الفازات » لم تصنع الا لتعرض .. وجمالها فى معرفتك بانها نتاج يدوى ، وأن الفنان الشعبى هو الذى أبدعها بهذه الصور وأنه ليس فى العالم ما يماثلها حرفياً .

ان الفرجة على فنانى الزجاج اليدوى السورى وهم يعملون .. مثير والسواح الأجانب غالباً ما تجد فى برامجهم زيارات لمعمل الزجاج اليدوى ، يجلسون ، يرون كيف يقوم الفنان بعمله أمام الفرن ، وكيف يستخدم مهاراته فى تحريك الأنبوب أو فى نفخ المادة الزجاجية السائلة ، أو فى طرقها على الرخامة السوداء المثبتة فى الفرن ، أو فى التدخل لتوسيع فمها أو تضييقه ، أو وضع اضافات تزيينية من الزجاج . ودائماً يقف المعلم (وهو أبو أحمد صاحب المعمل فى محلة الباب الشرقى بدمشق) يمنح النصح ويتحدث عن دقائق العمل وخواص الزجاج المنتج ، ويرحب بك .. وياخذك بنفسه الى صالة العرض لترى النتاج الرائع .

نعم .. من الزجاج يصنع الزجاج . والفارق بين الزجاج المكسور والزجاج المشكل من جديد ، هو الفارق بين ما هو مادة خام وبين ما هو نتاج فنى . ان الفارق كبير اذن ، والفنان الشعبى هو الذى يجعل ما لا قيمة له .. شيئاً ذا قيمة كبرى .

عادل أبو شنب

مع أنور المعداوي في كتابه كلمات في الأدب



بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

حين أكتب اليوم عن أنور المعداوى ـ بعد نحو ستة عشر عاماً من وفاته ـ تعود بي الذاكرة الى عهد مجلة (الرسالة) القاهرية الزياتية فى أواخر أعوامها ، حين كان أنور المعداوى من أكبر النقاد الذين يصولون على صفحاتها ويجولون بأقلام قوية جريئة ، لا تتردد فى أن تفقأ الدمامل حيثما وجدتها ، ولا تخجل من أن تقول للأعور « أعور فى عينه » ، فى مجالات الأدب والفكر .

من المؤسف أن المعداوى اليوم غاب فى طيات النسيان ، فما عاد يتردد اسمه على الأقلام الا نادرا . ولولا وفاء صديقه الأستاذ رجاء النقاش ، الذى شاء أن يحيي ذكره بكتابه « صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر » ، لقلت أن ادباء الجيل الحاضر قد نسوا المعداوى كل النسيان .

ولعل الكتاب الذى أكتب حوله الآن ، وهو كتاب «كلمات فى الأدب» ، لأنور المعداوى ، المطبوع فى لبنان سنة ١٩٦٦ ، بعد وفاة المعداوى بسنة واحدة ، هو الكتاب الوحيد الذى قرأته للمعداوى . وهو يقع فى ١٧٢ صفحة من القطع الكبير ، ويضم اثنى عشر فصلا من بحوث الأدب المختلفة التى كان يكتبها المعداوى . ويذكر النقاش فى كتابه (صفحات مجهولة) أن للمعداوى كتابين مطبوعين غير هذا الكتاب ، وهما : (نماذج فنية فى الأدب والنقد) ، ١٩٥١ ، و (علي محمود طه الشاعر والانسان) ، المطبوع فى العراق سنة ١٩٦٥ ، قبل وفاة المؤلف بشهور .

هذا الكتاب ينبش أمورا كثيرة : من الأدب العربى المعاصر ، ومن غير الأدب العربى ، لكنها

مع أنور المعداوي في كتابه

كلمات في الأدب

كلها من أمور الأدب : ابتداء من «المسرح الاتجاهى بين سارتر وتشيكوف» و «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» و «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، الى «رواية الأرض ، بين ايديولوجية الفن وواقع الحياة» ، و «من واقع الأدب فى مصر» وما بين هذه الفصول من دراسات أدبية أخرى .

فالكتاب مجموعة دراسات من مقالات المعداوى التى كان ينقل بها الى القراء أفكاره ومفاهيمه الأدبية ، فى زمن لم تكن قد طغت فيه مفاهيم الثورة السياسية والانقلابية العسكرية على مفاهيم الأدب والفن وجرفتها فى طريقها .

الأثر الفنى بين الفهم والتذوق

من هذه الدراسات المركزة التى شاء المعداوى أن يشق بها لنفسه طريقا الى القراء ، ويشق بها للقراء طريقا الى نفسه ، باعتباره ناقدا له موقف وأفكار ، وله مفهوم واتجاه ، المقال الثانى من الكتاب ، وعنوانه : «الأثر الفنى بين الفهم والتذوق» : وقد اختط فيه المعداوى دربا فى النقد الأدبى دعاه (الأداء النفسى) ، وشاء أن يجعل من هذا «الأداء النفسى» ميزانا يزن به ما يريد دراسته من أدب الأدباء وفن شعر الشعراء . والذين قرأوا كتاب النقاش (صفحات مجهولة) ، يذكرون أن النقاش قد أطال الحديث فى كتابه عن المقال ليؤكد أهميته بالنسبة الى المعداوى ، ويقول عنه انه : «ليس نظرية ولا مذهبا أدبيا ، ولكنه فكرة ذكية» (صفحات مجهولة ، ص ٣٢ وما بعدها) . وهو فعلا مقال جدير بأن نقف عنده ، ونقدم نماذج من آراء المعداوى الواردة فيه .

يهتم المعداوى بأن يؤكد أن «الفهم» وحده للأثر الفنى ـ والفهم عملية عقلية صرف ـ لا يكفى ، بل لابد مع الفهم من «التذوق» ـ وهو عملية وجدانية مشاركة فى الاحساس بالأثر الفنى ـ وهو يشرح ذلك فى الصفحة (١٦) من الكتاب ، فيقول :

«إن الفهم أداته الذهن الثاقب ، وأن التذوق أداته الاحساس الرهيف ... انهما طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية» .

ويقول أيضا فى الصفحة عينها : «أن فهم الحياة هو أن نفتح «لمشاهدها» أبواب العقل ، أما تذوق الحياة فهو أن نفتح «لتجاربها» أبواب الشعور .. اننا «نراها» هناك تحت اشعاع الومضة الذهنية ، ولكننا نتلقاها هنا تحت تأثير الدفقة الوجدانية» .

والمعداوى يقدم بهذا الشرح الموجز لفكرة «الأداء النفسى» ، التى يعتبرها «نظريته» الخاصة وطريقه الى القراء ، وطريق القراء اليه كناقد متميز : فهو يقول بعد ذلك مباشرة :

«هذه الكلمات هى معالم الطريق الى «الأداء النفسى» ، أو الى هذه المحاولة المذهبية التى تحمل ذلك العنوان ، وهدفها أن تزن قيم الفن بميزان جديد ....» (ص ١٧) .

وهو يرى أن الفن فى جوهره ليس فهما للحياة يقف بنا عند حد الرؤية المادية والاثارة العقلية .. وإنما هو الى جانب ذلك حركة فى الوجود الخارجى ، تعقبها هزة فى الوجود الداخلى ، يتبعها انفعال : انفعال يحدث تلك المشاركة الوجدانية بين منتج الفن ومتذوق الفن» (ص ١٧) .

وما هو الفن ؟

يشرح المعداوى الفن فيقول :

«ان الفن ، فى حقيقته المثلى ، عملية استقبال حسية ، تعقبها عملية ارسال نفسية ... وإننا لنفرق ، تبعا لهذا التحديد ، بين انتاج فنى لا يهز من الكيان الشاعر غير الحواس الخارجية ، وانتاج آخر يثير فى هذا الكيان ما أثاره الانتاج الأول ، ثم يزيد عليه حقيقة أخرى حين يطرق أبواب الشعور فى صدق وأصالة» (ص ١٨) .

والخلاصة : «ان المحور الرئيسى الذى ندور حوله منذ البداية ، هو التذوق الشعورى الكامل للوجود الخارجى حين يتحول الى تجربة داخلية كاملة فى النفس الانسانية» (ص ٢٢) .

ويضيف قائلا : «هذا التذوق الشعورى الكامل هو أساس الأداء النفسى» (ص ٢٣) .

وأيضا : «إن الأداء النفسى لا يكمل معناه إلا وهو قائم على دعامتين ، هما : الصدق الشعورى والصدق الفنى ، متحدين فى مجال صورة تعبيرية . أما الصدق الشعورى فهو ذلك التجاوب بين التجربة الحية ومصدر الاثارة ....» (ص ٢٤) .

لقد أطلت فى الاقتباس من أقوال المعداوى فى شرح فكرة «الأداء النفسى» . والحقيقة أن المعداوى كان فى الكثير مما قاله يكرر المعنى نفسه ، على طريقة المعلمين فى محاولة ادخال الأفكار والمعلومات الى عقول طلابهم بواسطة التكرار . والمهم أن المعداوى شرح فكرته ـ بهذا التكرار ـ شرحا وافيا ومنطقيا ومعقولا . وكان تطبيقه لفكرته ـ أو فلسفها «نظرية» ، كما يريد هو أن يسميها ـ على النماذج التى اختارها : من حكاية فرانز ليست وزميله فريدريك شوبان ـ وهما من أعاظم الموسيقيين ـ وكذلك من قصة (أم) لفرانسوا مورياك ، موفقا ومقنعا كذلك ، ودالا على ذكاء ، وعلى مقدرة نقدية جديرة بالاحترام .

بين مي وجبران

ثم ننتقل من هذا المقال الى المقال الذى يليه ، وعنوانه : «مشكلة العلاقة بين مي وجبران» ، وهو كذلك بحث جدير بأن نقف عنده وقفة خاصة لنرى كيف ينظر المعداوى الى هذه العلاقة بين مي وجبران .

والمعروف أن علاقة حب بالمراسلة قامت يوما بين جبران ، فى أمريكا ، ومي زيادة ، فى مصر : ولم يحاول أى من الحبيبين الأديبين أن يلتقى بحبيبه : وكان من أسهل السهل عليهما أن يلتقيا لو أرادا ، ولو كانا جادين فى حبهما ، وأن يخرجا عن طور المراسلة الورقية ـ الحب على الورق فقط ـ الى طور النظر والسمع واللمس .. ولكنهما لم يشاءا ، ولم يلتقيا قط .

يرى المعداوى فى مي رأيا لا أعرف أحدا سبقه اليه . وأنا أرى فى جبران أيضا الرأى عينه : وقد سجلت رأيى هذا فى أكثر من مقال لي .

يقول المعداوى فى مقدمة البحث : «الحقيقة التى قتلها الدارسون «المسرعون» هى أن عاطفة الأنوثة فى مي لم تتجه يوما الى جبران !! (ص ٢٥) .

ثم يضيف الى ذلك قوله : «إن صورة تلك العلاقة قد بدأت فى نفسى وهى داخل اطار من الشك المثير . أما مصدر هذا الشك فهو طبيعة من الأنثوية : لقد بدت لي هذه الطبيعة يوما وهى مغلفة بالانحراف ، ملفعة بالشذوذ ... هل كانت مي امرأة ؟ امرأة ورثت ، كغيرها من النساء ، تلك التركة الخالدة عن الأم الأولى حواء» (ص ٢٥) .

ويشرح المعداوى ما يعنيه بالانحراف والشذوذ ، فيقول :

«المرأة الطبيعية ـ فى رأيى ـ هى التى يستيقظ فى أعماقها الشعور بالرجل ... أما المرأة الشاذة فهى تلك التى (تنام) فى أعماقها مثل هذه (اليقظة) ... هى مي فى حقيقتها العميقة التى لم

«تتذوق» طعم الحب ، لأنها فقدت «شهية الأنوثة» (ص ٢٦) .

والمعداوى يؤكد أن هذا الذى يقوله « كان نتيجة لتتبعه حياة مي النفسية وهى بين الرجال ، وهى فى صالونها الأدبى فى أيام الثلاثاء» . وهو يرى أن امرأة مثلها «كان يحيط بها رجال ممتازون ، بعضهم لا تنقصه الرجولة ، وبعضهم لا تنقصه الشهرة ، وبعضهم لا تنقصة المكانة الأدبية والاجتماعية» ، فلم تلتفت قط الى واحد منهم ، رغم أن فيهم من كانوا يكتبون اليها الرسائل الملتهبة بالشوق ، والمضطرمة بالعشق ، ومنهم ولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعى ، واسماعيل صبرى ، وغيرهم .

ثم يتساءل المعداوى ، بعد أن يورد أمثلة من رسائل ولي الدين يكن والرافعى اليها : «أتكون مي قد نظرت الى الرجلين نظرة المرأة المدلة بكبرياء الأنوثة الى كل حب ذليل ؟ أم قد تكون نظرت اليهما كأديبين نظرة الأديبة المعتزة بشرف الثقافة الى كل أدب غير خلاق» ؟ (ص ٢٧) .

ويعلق على ذلك بقوله : «فتور عجيب يزلزل فى نفسك قوائم الايمان بأنها كانت امرأة : امرأة يضطرب بين جنبيها الاحساس الخالد بالأنوثة ، وينطلق من وجودها الداخلى نداء الأعماق» (ص ٢٨) .

قد يكون المعداوى على حق فيما استنتجه من صالون مي الأدبى ، ومن صلاتها الطويلة والمستمرة مع رجال من صفوة المجتمع المصرى ، وقد نستطيع أن نفسر تصرف مي هذا فى أنها لم تجد قلبها فى واحد منهم ، لانه كان مع واحد آخر بعيد ... كل هذا ، وغير هذا أيضاً ، جائز .

ولكن المعداوى لا يكتفى بما ساقه من حديث الصالون الأدبى ومن كانوا يؤمونه من الرجال ، بل ينطلق من هناك ليبحث فى علاقة مي وجبران معتمداً على بعض ما دار بينهما من رسائل ، ومقتبساً فقرات منها : واقتباسه موفق فعلا .

المعداوى يرى أن جبران كان محباً حقيقياً لمي يشعر نحوها بنداء الأعماق لدى الرجل الذى يسعى الى نصفه الآخر . ولكنه يرى فى مي أنها هى التى لم تكن تلك الأنثى الباحثة عن نصفها الآخر فى الرجل ، بل كانت «مقتولة الأنوثة» ، كما يقول .

«أنوثة مقتولة ولو التمست لها مي الأسباب والمعاذير ، ولو حاولت أن تبرر شذوذها وهى تقول لجبران ... «... ما معنى هذا الذى أكتبه ؟ اننى لا أعرف ماذا أعنى به ، ولكننى أعرف أنك محبوبى ، وانى أخاف الحب . اننى أنتظر من الحب كثيراً ، فأخاف الا يأتينى بكل ما انتظر ... كيف أجسر على الافضاء اليك بهذا ...» ؟ الحمد لله اننى أكتبه على الورق ، ولا أتلفظ به ، لأنك لو كنت حاضراً بالجسد ، لهربت خجلا ... ولاختفيت زمناً طويلا ، فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى» (ص ٣٠) .

أما تعليق المعداوى على هذا فهو كما يلى :

«تزعم مي أنها تخشى الحب ، ولو صدقت لقالت انها لا تستطيع أن تتذوقه ، لأنها ـ كما سبق القول ـ قد فقدت أبرز الخصائص عند المرأة الطبيعية» (ص ٣٠) .

ويقول : «لقد أرادتها صداقة فكرية ، وأرادها ـ أى جبران ـ علاقة وجدانية» (ص ٣١) .

والخلاصة كما يراها المعداوى : «على ضوء هذا كله تستطيع أن تقول ان علاقة مي بجبران لم تكن علاقة قلب ، وإنما كانت علاقة فكر» (ص ٣٥)

وأنا أضيف الى ذلك أن علاقة جبران بمي أيضاً كانت علاقة فكر ، ولم تكن قط علاقة قلب : فالذى يراه المعداوى فى مي ، أرى مثله تماماً فى جبران . ودليلى على ذلك شيئان :

● رسائل جبران الى مي ـ كما جاءت فى كتاب (الشعلة الزرقاء) ، لسلمى الحفار الكزبرى ، والدكتور سهيل بشروئى .

● مذكرات مارى هاسكل ، كما جاءت فى كتاب (أضواء جديدة على جبران) . لتوفيق الصائغ .

وحسبك من مذكرات مارى هاسكل اعترافها بمحاولاتها العديدة اغراء جبران بها ، ومرة واحدة عرض عليها جبران أن يتزوجها ، لا لأنه يريد الزواج حقاً ، ولكن لأنه يريد أن يرد لها الجميل الذى أضفته عليه منذ شبابه الباكر حتى آخر عمره .

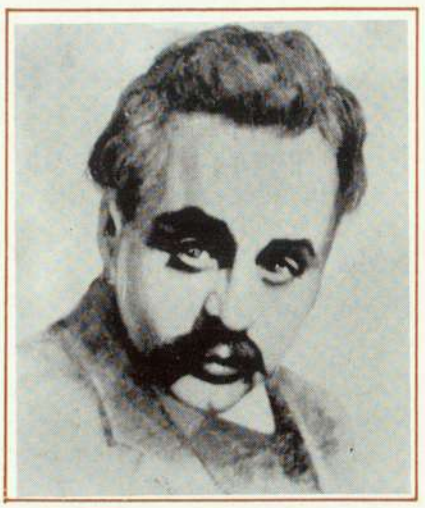
فى رأيى أن جبران كان «مقتول الرجولة» ، مثلما يقول المعداوى ان مياً كانت « مقتولة الأنوثة» . وهكذا كانت العلاقة بينهما علاقة فكر لا علاقة حب . ولو لم تكن حقيقتهما كذلك ، لكان من المؤكد أن يسعى أى منهما للقاء الآخر ، لتحويل الحب من مجرد كلام على الورق ، الى لقاء ، فزواج ، كما هى خاتمة كل حب طبيعى . ولقد كانت فرص اللقاء متاحة لكليهما : فى مصر أو فى أمريكا ، وكانا قادرين عليه لو أرادا . حتى لو لم يكونا قادرين عليه مالياً ـ وهذا عكس الواقع ـ فان الحب الطبيعى يتغلب على كل العوائق لكى يصل الى غايته . ولكن ثمة شيئاً أساسياً كان يعوز هذه العلاقة ، من طرفيها معاً ، بين الأديب الكبير والأديبة الكبيرة ، لكى تصبح علاقة حب حقيقى .

فى نظرى أن دراسة المعداوى لهذه العلاقة بين مي وجبران ، دراسة مهمة وفى الصميم . ولكن يبدو أن المعداوى فهم حقيقة أحد طرفيها فقط ، وغابت عنه حقيقة الطرف الثانى : فجبران ومي كانا ، كما يبدو ، فاقدين لرجولة الرجل الكاملة ، ولأنوثة الأنثى الكاملة : وكلاهما كان يتسلى عن نقصه الكبير بالحديث عن الحب العقلى لا الحب العاطفى . ولذلك ظل حبهما على الورق فحسب .

الدكتور عيسى الناعورى



مي زيادة



جبران خليل جبران



في مالطا أدب له جذور عربية

أنطون بوتجيج

رئيس جمهوريّة مالطا وشاعرها الأول

بقلم : عبد العزيز السيد المصري

بالرغم من هذا الشعر الأبيض
الذى يكلل رأسى
بالرغم من هذه التجاعيد ..
والأخاديد
التى تركتها الأيام فى وجهى
لم أهرم
لأنى شاعر
وشاعر الجماهير ..
قلبى عض
وأجنحتى مازالت قوية
قادرة على أن تحلق بى هناك ...
وراء الأفق
اننى أغنى للكادحين والشرفاء
وأغنى للحب .. والأمل
وأغنى لجمال الطبيعة
ولجمال الروح
فأنا شاعر الأشياء .. كل الأشياء
بلا خجل
أغنى للصغير
وأغنى للكبير
وإذا مات جسدى
فستظل روحى حية خالدة
تسكب أنغامى فى ضوء كل فجر
وتغنى للدنيا بمزمارى من وراء زرقة
السماء

قائل هذا الشعر ليس غريباً عنا ، إنه يتحدث لغة ثمانين فى المائة من ألفاظها ـ على الأقل ـ ألفاظ عربية ، وبقاؤها حية حتى الآن يعد إحدى الظواهر العجيبة فى البحر المتوسط ، فالمتحدثون بها لا يزيدون عن ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة ، ويعيشون فى جزيرة صغيرة تقع فى منتصف المسافة بين شمالى افريقيا وأوربا ، ولم تعش لحظة من تاريخها بمنأى عن أحداث التاريخ وحركته ، فقد استوطنها الفينيقيون ومن بعدهم الرومان ، ثم جاءها العرب بالاسلام واللغة العربية ... لم يتخذوها مستعمرة بل اتخذوها كعادتهم موطناً عمروه .. وعرفت جزيرة مالطا لأول مرة فى تاريخها معنى الاستقلال الاقتصادى .. والاكتفاء الزراعى الذاتى حين فرش العرب وجهها الحجرى الأبيض بالتربة الحمراء ، وانتشرت ظلال أشجار الفاكهة فى كل

مكان ... وامتدت الخضرة الجميلة فى معظم بقاع الجزيرة القاحلة ... ولم تعد مالطا مجرد محطات تجارية ، ولا أوكاراً للقراصنة من هنا وهناك ، ولا مركزاً عسكرياً استراتيجياً تتنازعه قوى العصر الكبرى .. وعرفت الاستقرار والازدهار والأمان وترعرعت جذور لغتها السامية فى الحديقة العربية ، وامتزجت بها امتزاجاً ، وامتدت جذورها عميقة فى وجدان السكان الأصليين ، ولم تستطع موجات الاستعمار التى تعاقبت على الجزيرة بعد أفول الشمس العربية فى ربوعها منذ سنة ١٠٩٠ م أن تزيلها. وما استطاعت لغات المستعمرين التى فرضوها ـ مستعمراً وراء الآخر ـ لغة رسمية أن تقتلع هذه الجذور أو تضعف تمسك أهلها بها . بل كانت هذه اللغة هى هويتهم التى بقيت لهم من عبث الاستعمار بكل ما خلفته الحضارة العربية من آثار فى الجزيرة .. ظلت تكافح من أجل الحياة منزوية فى أحراش الجزيرتين « جوزو ومالطا » ، وفى أكواخ « البدو » الفلاحين ، وفى قيعان مراكب الصيد وفى الحانات المنعزلة بين صخور الشطئان ، وبين آنية المطابخ فى بيوت السادة الأجانب .

ولوى الاستعمار وجه مالطا الصغيرة ناحية أوربا ، فاتخذت الحروف اللاتينية أبجدية لها بدلا من العربية ، واتخذ شعراؤها من قوالب وإيقاعات الشعر اللاتينى والأوروبى الحديث قوالب وإيقاعات شعرهم ، ولكن اللفظ العربى .. التركيب العربى .. النكهة العربية لم تمت بعد . وجاهد مثقفو مالطا وأبطال الوطنية فيها من أجل بعث اللغة المالطية وترسيخ قواعدها وتأكيد شخصيتها ، وإثبات وجودها كلغة حية لمجتمع حى .. وبذلت جهود فى جميع المجالات منذ ٥٠٠ سنة حتى ازدهرت وصارت لغة ذات أدب وتراث وقواعد وقواميس .. الخ مما شجع الانجليز على أن ينتهزوا فرصة تورط ايطاليا فى حرب الحبشة سنة ١٩٣٤ ويعتبروها اللغة الرسمية الأخرى لمالطا مع الانجليزية بدلا من اللغة الايطالية ، ثم صارت فيما بعد اللغة الرسمية الوحيدة لجمهورية مالطا بعد استقلالها .

كان شاعرنا انطون بوتجيج واحداً من شعراء الرعيل الأول الذين أمدوا اللغة المالطية بروحهم الشعرى ، وارتقوا بأدائها الفنى إلى مستوى اللغات الحية الحديثة ، وأعطوها من ملامحهم الفنية سمة الانسانية والشمول ، والنضال من أجل الحرية والصلاة فى محاريب السلام والجمال ، والتفاؤل ورفع رايات الأمل بيضاء بلون الفجر فوق غيوم اليأس والألم .. إلى جانب عالم الانسان الفرد بهمومه وأفراحه وأمانيه ..

تعلم أنطون بوتجيج وحصل على ليسانس الآداب من جامعة مالطا ثم درجة الدكتوراة فى القانون وعمل مفتش شرطة ثم محامياً ثم اجتذبته الحياة السياسية فانضم لحزب العمل الاشتراكى ومثله فى مجلس النواب ، ثم صار نائباً لرئيس الحزب ثم نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، ووزيراً للعدل والشئون البرلمانية ثم تولى فى أواخر سنة ١٩٧٦ منصب رئيس جمهورية مالطا ولا يزال يشغله حتى الآن .

كتب « انطون بوتجيج » شعره كله باللغة المالطية .. وقد ترجم مجموعة منه إلى اللغة الانجليزية صديقى الكاتب الشاعر المالطى فرنسيس إبير ، وقبلت هذه المجموعة ضمن سلسلة اليونسكو للترجمات الأوروبية .

أذكر فى حديث عابر مع الشاعر الكبير فى احدى الحفلات الوطنية الرسمية أنه قال : إنه لم يطل على الشعر العربى الحديث إلا من نافذة جبران خليل جبران .. وأنه يشعر أن بينه وبين روح الشرق نسباً ووشائج قديمة .. وإنه يطرب لكل إيقاع شرقى يسمعه ، ويحس بمزيد من الحرية والأصالة ، وهو ينسج شعره على نوله .. ولذا لم يتردد أن يكتب شعراً على مثال « الهايكو » اليابانى عندما اطلع عليه ، و « الهايكو » يعد من أقصر قوالب الشعر اليابانى يركز فيه الشاعر تجربة شعرية سريعة قصيرة سواء أكانت مجرد صورة لمنظر طبيعى أو حالة نفسية عابرة منفصلة :

أنا كالفجر
أبتكر كل يوم عالماً جديداً
يفيض بالجمـــال .
فؤادى هو الشرق
وأنت الشمس
تشرقين منه فى بهاء
إلهى .. أشكرك
أشكرك على الشياه والحملان
وأشكرك على ... الأفاعى
يأكل الشـحاذ
ويلتقط الطير من حـوله
فتات خبزه
أيتها الشجرة .. رميت فى حضنى
ورقة ذابلة
أنا أدركت ...
فهمت يا شجرة
أيتها القوقعة الصغيرة
بالرغم من صغر حجمك ..
علمتنا كيف نعشق بيوتنا
بسط الطفل
أصابعه العشر
ليبدى لى مقدار حبه

كما كتب شـــعراً متـأثراً بقوالب « التانكا » اليابانية أيضاً . ومنه قصيدة تحتوى على واحد وثلاثين مقطعاً فى خمسة أبيات ، فى كل من البيتين الأول والثانى خمسة مقاطع وكل من الأبيات الثلاثة الباقية يتكون من سبع مقاطع :

الربيـــــع

أطل الربيع من الشرق
مع نور الفجر
كان يتنفس برقة
فاستحال كل نفس من أنفاسه
إلى وردة

ماريـــا

بيت ماريا بعيد منعزل
وماريا تقيم فيه وحيدة

● إنه واحد من شعراء الرعيل الأول الذين أمدّوا اللغة المالطية بروحهم الشعري وارتقوا بأدائها الفني إلى مستوى اللغات الحيّة الحديثة

● تطربه كل الإيقاعات الشرقية التي يسمعها ، ويحسّ بالمزيد من الحرّية والأصالة وهو ينسج شعره على نولها

أنطون بوتجيج
رئيس جمهورية مالطا
وشاعرها الأول



لكن الربيع ذهب إلى فنائها
وملأ إصصها بأجمل الأزهار

أجراس مالطا

كنسوة ذوات السنة طويلة
تضايق العباد
ولكن من يستطيع
أن يقطع لسان أيهن ؟

على شواطىء مالطا

كانت هناك صبية غضة
خلعت بجمالها ومرحها على الشاطىء بهاء
كانت ترتدى « البكينى »
وكان الناس مشمئزين
لكنهم يحملقون

حزمة قصب

كنت فى الحياة
كحزمة قصب فى مهب الرياح
لم تحطمنى .. لم تقتلعنى الريح أبداً
ولكن لا تسلنى
كم مرة كفأتنى ، ولعقت الرماد

النعناع

دخلت الحديقة مساء
لم أر شيئاً .. كان الظلام كثيفاً
ولكن النعناع
نادانى برائحته العطرة
أنا هنا .. بأى شىء تريدنى أن أبوح

الموسيقار

عندما تسكن كل حركة من حولى
ويلفنى الصمت الشامل
يشرع قلبى فى العزف على قيثارته
لأنه موسيقار السكون .

شاعر كل الأشياء

يقول الشاعر أنطون لوبجيج انه شاعر الأشياء كل الأشياء . وهذه حقيقة . فانه في شعره يرصد اللمحات الخاطفة ، ويبرز ما قد تتخطاه العين ويلتقطه كما يفعل ناقد خبير ، ويتصيد الومضات الدقيقة من عمر الأشياء ، ويبرز ذلك كله من خلال احساس دافق بجمال وقيمة الأشياء كل الأشياء ، لكنك تجده دائماً وراء كل ومضة أو لقطة أو لمحة أو احساس عابر هو هو بآرائه واتجاهاته الفكرية والسياسية والاجتماعية .. وتكاد تلمح وجهه بابتسامته الرقيقة العذبة التى لا تفارقه وراء ذلك كله . ولكنه يستغرقه الحزن فتشعر برطوبة دموعه ورجفة قلبه وشحوب النور فى عينيه ، فى كلماته ، وصوره، لا تكاد تتوقع أن يجف نهر الدموع ويخمد أوار الحزن وينقشع ليل اليأس ولكنك سرعان ما ترى كل شىء مشرقاً نضراً رقيقاً يتطلع ببسمته الحلوة إلى نور الأمل البهى الرفيق .. ففى قصيدته « وفاة الرفيقة » عن زوجته الأولى التى رحلت إلى السماء وتركت ثلاثة أطفال يقول :

طائران : ذكر « الصفنج » وأنثاه
كانا يحلقان فى غابة جميلة
وبينما هما يرفرفان بين الأشجار فى سعادة
وينتقضان ويلتقطان الديدان
ويطعمان فراخهما
طائران سعيدان في ميعة الشباب
استقبلا وليدهما الثالث منذ وقت قريب
يكافحان ليطعما نفسيهما وأفراخهما
منهمكان يستطعمان أفراح الحياة
بينما هما كذلك

سمعت فجأة طلقة
لطخت الشظايا الأوراق بالوحل
أصيبت أنثى الصفنج في صدرها
وسقطت ميتة في مياه النافورة
تمزق قلب الزوج
ولكنه كان عليه أن يعود ... وحيداً ... الى العش
ماذا يمكن أن يحدث لأفراخه
لو أنه تركها وحدها بين أشجار الغابة؟
بكى حتى جفت مآقيه
وصمت عن الغناء
وظل يربي ـ باكياً ـ ثلاثة أفراخ
لم يكن في مقدور أحدهم أن يفهم أنه فقد أمه !!

وفي قصيدته سان مارك يقول :

حطت حمامة بيضاء على كتفي
وحدقت في عيني
قالت لي : عرفتك منذ ثلاث سنوات
لقد اخذت مع زوجتك صورة تذكارية في
هذا الميدان .. وقد أكلت إذا كنت تذكر
من يدها
فلماذا أتيت وحيداً
ومنها :
فقالت : الى أين أنت ماض
انني منطلق هائم مع الايام
وحيداً .. أهيم خلال دروب هذا العالم القفر
أبحث عن حبي الذي لم أجده في أي مكان

ويقول في قصيدته «أقبل الربيع» :

أقبل الربيع وسألني : أين زهور شبابك ؟
أين الفراشات ؟ أين النحل ؟
قل لي : أين أحلامك المشرقة ؟
فأجبته :
لم يمل الخريف فى حديقتي بعد
انظر ... كثيرة هي الازهار في جنتي
املأ جرابك

وانثر أزهار الحب في كل مكان
ويقول في قصيدته «في الساحة» :
عندما كنت صبياً
ذهبت الى الساحة
وأخذت أتكلم
فقالوا لي : دع الكبار يتكلموا
اسكت .. انك ما زلت صبياً
وعندما صرت كهلا
عدت الى الساحة
أخذت أتكلم .. فلووا وجوههم عني
وقالوا :
دع الشباب يتكلموا
اسكت فانت رجل عجوز
فتساءلت : اذن متى أستطيع الكلام ؟
فردوا جميعاً قائلين
نحن آسفين .. لقد ولدت في غير زمانك

وفي قصيدة «الفجر» يقول :
الفجر يبزغ
انظر فوجه البحر ينور
وشعاع من ضياء يظهر
فوق سحابة حمراء
وتتفتق الورود فى حديقتى
ان الفجر يلتقط براعم البحر والسحب
لكنه يدع ورود حديقتي لي

وفي قصيدة «الدار» نقرأ له :
أملك داراً جميلة
مليئة بالورود
الناس جميعاً يودون استئجارها
بيد أني سأعطيها هبة
عندما تتفتح كل وردة فيها
بلا أشواك

وفي قصيدة «الفانوس» :
كل مساء
والضوء يلفظ أنفاسه الاخيرة
والنهار تخور قواه
يأتي «مايسى» بسلمه الصغير
ويشعل تحت نافذتي فانوساً صغيراً
يذوب الظلام
وتخور قواي مع كل نهار
لكنما .. هناك أنشودة
تتسلق سلمها الصغير
كل مساء
فتضيء في قلبى فانوساً يبدد وحشته
حزين هو اليوم الذي يتخلف فيه «مايسي»
فلا يشعل الفانوس
وحزين هو اليوم الذي لا تتسلق فيه
أنشودة سلمها الصغير
لتبدد من قلبي وحشته .

ويقول فى قصيدة «تنهيدة» :
يا الله
قلب الانسان .. أصلب من الجرانيت
أشد البرونز ...
تسلقت الجبال
لأشعل مصباحاً في فناء معبدك
لكن الأنفاس الباردة ... أطفأت المصباح
أشعله فتطفئه ... أشعل فتطفىء
ضاعت محاولاتي سدى
وساد سلطان الظلام
يا الله

الشمس التي خلقها لتضيء للانسان
قد أخفقت .. كما أخفقت وأنا
أشعل مصباح المعبد
يا الله

من أجل قلب الانسان المكدود
اخلق شمساً جديدة .. أبهى ضياء
من تلك التي شاخت وذهب رواؤها
يا الله

لا تسخر مني وتقول
ماذا يريدني أن أفعل
هل أرغم الانسان على فعل الخير؟
يا الله

لا أجد الجواب
لكن تنهيدة المرضى والجياع
المكبلين في الأغلال ...
والقتلى الابرياء في حروب مجرمة أثمة

تجعلني أتنهد أمامك دون ملل
كالبحر في ليلة عاصفة
ألتمس السكينة والهدوء

وبعد أخشى أن يطول بى الحديث وأنا اتنقل معك في حديقة الشاعر الفسيحة المتعددة الأشجار والأزهار والثمار فدعني أعرض عليك الآن مقطوعة صغيرة من شعره كما كتبها هو بلغته المالطية

تورؤ تا مالطا
بليسيم تآ لأديسين

فوين يعيشو شياتين

وهي قريبة جداً من كثير من اللهجات العربية العامية مثل الطرؤ بتاع مالطا «طرق مالطا» بالاسم بتاع الاديسين «بأسماء القديسين» في وين يعيشو الشياطين «فأين تعيش الشياطين»

أرأيت ألم أقل لك من قبل ان الشاعر يتحدث لغة قريبة من لغتك ..؟

عبد العزيز السيد المصرى

● كنت في الحياة كحزمة قصب في مهب الرياح .. لم تحطمني .. لم تقتلعني الريح أبداً .. لكن لا تَسَلْنى : كم مرّة كفأتي ولعقت الرماد؟

● دخلت الحديقة مساء .. لم أَرَ شيئاً .. كان الظلام كثيفا .. ولكن النعناع نادانى برائحته العطرة : أنا هنا .. بأي شيء تريدنى أن أبوح ؟

ميشيل خليفي

أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة

بقلم : سمير فريد

أسبوع النقاد الدولى الذى يقيمه اتحاد نقاد السينما هو أقدم البرامج الموازية فى مهرجان كان . وقد أقيم عام ١٩٨١ للمرة العشرين حيث عرض ٧ أفلام طويلة من ٧ دول من بين ٩٩ فيلماً من ٢٨ دولة شاهدتها لجنة الاختيار ، وكلها الأفلام الأولى والثانية لمخرجيها حسب قواعد الأسبوع .

وأهم فيلمين عرضا فى أسبوع النقاد العشرين هما الفيلم الألمانى من ألمانيا الاتحادية «مالو» اخراج جانين ميرافيل ، والفيلم الفلسطينى «صور من مذكرات خصبة» اخراج ميشيل خليفى ، وهو فى الواقع فيلم بلجيكى صور فى فلسطين المحتلة (اسرائيل) ، ولكن مخرجه فضل أن يعرضه باسم بلاده فلسطين .

ومن غريب المصادفات أن يعبر فيلم «مالو» عن المشكلة اليهودية بينما يعبر فيلم «صور من مذكرات خصبة» عن المشكلة الفلسطينية . وأن تكون مخرجة الفيلم الأول يهودية ، ومخرج الفيلم الثانى فلسطينياً . أما فيلم «مالو» فيعبر عن «المشكلة اليهودية» من خلال مدرسة ألمانية تدعى حنا تعيش مع زوجها المهندس فى برلين الغربية ، وتحاول أن تعرف كل شىء عن والدتها «مالو» التى هربت فى الثلاثينات من الاضطهاد النازى ، وهاجرت مع زوجها الى الأرجنتين حيث ماتت هناك . والفيلم سيرة ذاتية لمخرجته التى عاشت سنوات الحرب مع أسرتها فى الأرجنتين وعادت الى المانيا الغربية بعد الحرب ورغم جودة الفيلم من الناحية الفنية ، إلا أنه فيلم ميت يكرر اسطوانة مشروخة عن اضطهاد اليهود فى عهد النازى ، والمؤكد أنه لم يكن جديراً بالفوز بجائزة فيبريسى لأحسن افلام البرامج الموازية .

أما فيلم «صور من مذكرات خصبة» فهو أحد أهم أفلام مهرجان كان ١٩٨١ بصفة عامة ، وليس فقط افلام برنامج أسبوع النقاد . وقد عرض لأول مرة فى مهرجان قرطاج سنة ١٩٨٠ وفاز بجائزة العمل الأول وجائزة النقاد ، وكان اكتشاف المهرجان بحق ، بل لقد خسر المهرجان التونسى بعدم فوز هذا الفيلم بالجائزة الكبرى سواء من الناحية الفنية أم من الناحية السياسية. ففيلم «صور من مذكرات خصبة» يمثل فصلا جديداً فى تاريخ سينما المقاومة الفلسطينية ، أنه أهم فيلم تسجيلى فى السينما العربية منذ الفيلم السورى «الحياة اليومية فى قرية سوريا» اخراج عمر أميرالاى عام ١٩٧٢ .

ميشيل خليفى ولد فى قرية يافة الناصرة بالجليل فى فلسطين المحتلة عام ١٩٥٠ هو ظاهرة فى حد ذاته . انه من جيل فلسطينى ولد فى ظل الاحتلال الصهيونى الاستيطانى لفلسطين ، فتعلم العبرية مع العربية منذ نعومة أظافره ، وحمل هوية «اسرائيلية» منذ أصبحت له أوراق رسمية وقد كان المتوقع بالنسبة للسلطات الاسرائيلية أن يكون هذا الجيل هو أقل الأجيال الفلسطينية قدرة على مقاومة الصهيونية ، بل لقد كان هذا ما يعتقده بعض العرب أيضاً خارج وداخل الأرض المحتلة ، ولكن على العكس تماماً يبدو هذا الجيل من خلال فيلم «صور من مذكرات خصبة» أكثر الأجيال رغبة فى المقاومة ، وأكثرها قدرة على المقاومة أيضاً . انه جيل يعرف جيداً ما هى اسرائيل وما هى الصهيونية . ومعرفة اسرائيل والصهيونية جيداً تجعل أى انسان فى العالم ، وليس فقط فى فلسطين المحتلة ، معادياً لاسرائيل والصهيونية .

ولقد شاهدت أغلب الانتاج السينمائى الصهيونى الذى صور فى فلسطين وكذلك أغلب الانتاج السينمائي الاسرائيلى ، ولكن المرء لا يستطيع أن يتعرف على «المكان الفلسطينى» إلا فى فيلم ميشيل خليفى . انهم جميعاًيصورون داخل الغرف المغلقة ، أو فى المعسكرات الحربية ، أو شوارع المدن التى تم بناؤها على اطلال القرى العربية ، ولكننا فى فيلم «صور من مذكرات خصبة» نشاهد لأول مرة الأرض

الفلسطينية وجمالها الطبيعى الخلاب ، والعمارة الفلسطينية القديمة . بل ونشعر بايقاع مختلف ، واحساس مختلف بالضوء واللون .

ويبدو هذا الأمر للوهلة الأولى مثيراً للدهشة . ولكن الواقع انه أمر طبيعى تماماً . فميشيل خليفى يصور أرضه ، وأولئك الغزاة يصورون فى أرض غيرهم والغزاة يشعرون دائماً بوعى أو بغير وعى انهم غزاة . و «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى فى تاريخ السينما . فقبل الاحتلال عام ١٩٤٨ لم يتمكن أى فلسطينى من اخراج فيلم بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وبعد الاحتلال لم يتمكن أى فلسطينى من صنع فيلم داخل فلسطين إلا ميشيل خليفى مستغلا هويته «الاسرائيلية» الرسمية ، وتناقضات الكيان الصهيونى

درس ميشيل خليفى بالمعهد القومى العالى لفنون العرض فى بروكسل وتخرج عام ١٩٧٧ بدراسة عن الأدب والثقافة عند العرب فى «اسرائيل» وفيلم تجريبى بعنوان «حدود» عن قصة قصيرة للكاتب الفلسطينى أميل حبيبى واثناء دراسته عمل ميشيل خليفى مساعداً للمخرج الفرنسى روبير حيروتيس فى مسرحية «القصر فى الحقول» التى قدمت على المسرح القومى البلجيكى عام ١٩٧٥ م ، وفى مسرحية «السلطة البيضاء» التى عرضت فى باريس فى نفس العام .

وبعد تخرجه ، عمل ميشيل خليفى فى التلفزيون البلجيكى مساعداً للمخرج ميشيل جاكار فى فيلم «المناجم» عام ١٩٧٧ ، ومخرجاً لثلاثة تحقيقات سينمائية هى «الضفة الغربية : أمل الفلسطينيين»و«المستعمرات الاسرائيلية فى سيناء» عام ١٩٧٨ ، و «الفلسطينيون والسلام» عام ١٩٧٩ . كما اشترك فى اخراج تحقيق «الحرب فى جنوب لبنان» و «الاشرفية» عام ١٩٧٨ . واخرج للراديو البلجيكى ثلاثة برامج عن الموسيقى العربية ، ورواية «المرأة الثانية» للكاتب الارجنتينى جوليو كورتازار عام ١٩٧٩ ، واشترك فى اخراج رواية «أرض المنفى» للكاتب البلجيكى بيير ميرتينس فى نفس العام .

وبالتعاون بين خمس شركات صغيرة اثنتان فى بلجيكا وثلاث فى هولندا تمكن



سحر خليفة فى فيلم ميشيل خليفي

ميشيل خليفى من اخراج فيلمه الطويل الأول «صور من مذكرات خصبة» الذى صوره آيف فاندرميرسين ومارك أندريه باتين وقامت بمونتاجه المونتيرة التونسية مفيدة التلالى .

وكما أن «صور من مذكرات خصبة» هو أول فيلم فلسطينى يصور داخل فلسطين فى تاريخ السينما ، كذلك هو أول فيلم يعرض باسم فلسطين فى تاريخ مهرجان كان . ومن المعروف أن مهرجان كان هو أكبر ميدان تستخدمه الدعاية الصهيونية فى مجال السينما . وقد كان وجود كلمة فلسطين فى البرنامج ولو مقرونة بكلمة بلجيكا حدث هام . والفضل فى ذلك يرجع الى البندقية الفلسطينية التى تفرض الوجود الفلسطينى على عالم لا يعترف إلا بالقوة ، ثم الى المستوى الفنى الرفيع للفيلم الذى لم تملك ادارة المهرجان ازاءه إلا أن توافق على رغبة المخرج فى عرض الفيلم باسم فلسطين حتى يحظى جمهور المهرجان بمشاهدة هذا الفيلم الجميل الأصيل .

يبدأ فيلم «صور من مذكرات خصبة» بكتابة أهم تواريخ القضية الفلسطينية فى لافتة واحدة من المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ الى حرب ١٩٧٣ مروراً بفرض الانتداب البريطانى على فلسطين وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، ثم انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ .

وهذه اللافتة الموجزة التى تسبق عناوين الفيلم تشير الى موضوع الفيلم فمن خلال التركيز على حديثين طويلين لامراتين من فلسطين قد يبدو الموضوع هو المرأة الفلسطينية ، ولكن الواقع أن موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية ، والأرض الفلسطينية ، وما المرأة هنا إلا رمز للارض ، ورمز للأمومة والخصوبة المتجددة .

وما يؤكد ذلك ان المرأة الأولى وهى فرح رومية من يافة الناصرة أى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٤٨ ، وان المرأة الثانية وهى سحر خليفة من رام الله بالضفة الغربية ، أى من الأرض المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ . وان كلا منهما تقاوم الاحتلال ، ولكن بطريقتها الخاصة النابعة من بيئتها والطبقة التى تنتمى اليها والزمن الذى عاشت فيه . وتكمل كل منهما الأخرى على نحو مدهش فهذه عاملة فى مصنع وتلك كاتبة من الطبقة الوسطى . هذه من قرية وتلك من مدينة . هذه مسيحية وتلك مسلمة . هذه فى الخمسينات من عمرها وتلك فى الثلاثينات . هذه تقاوم عن طريق التمسك بالأرض ، وتلك تقاوم بالكلمة عن طريق الكتابة .

وليس معنى أن موضوع الفيلم هو القضية الفلسطينية والأرض الفلسطينية أنه لا يتناول قضية المرأة ، وهى هنا المرأة الفلسطينية فى ظل الاحتلال ولكنه يتناول هذه القضية فى اطار تناول القضية الأساسية التى

أول مخرج فلسطيني من الأرض المحتلة



فرح روميه فى فيلم ميشيل خليفي

يعانى منها الانسان الفلسطينى رجلا كان أم امرأة . والحقيقة التى تبدو فى الفيلم أن المرأة الفلسطينية من خلال مقاومة الاحتلال تنهى كل الأوضاع الشاذة الموروثة للمرأة العربية حيث يصبح تحرير المرأة شرطاً للمقاومة ، ويصبح تقييدها تكريساً للاحتلال . ومن الملاحظ أن كلا المرأتين تعيشان بدون رجل .

فالأولى فرح رومية أرملة مات زوجها فى بيروت بعد حرب ١٩٤٨ ، وكان عليها أن تعمل لتربى أولادها . والثانية سحر خليفة مطلقة لم تستطع أن تعبر عن نفسها بالكتابة إلا بعد طلاقها .

تقول سحر خليفة «تزوجت وانا بنت ١٨ سنة ، وطلقت بعد ١٣ سنة وبدأت من جديد . كانت أمنية حياتى أن أعبر عن نفسى بطريقة أخرى . بعد أن طلقت فكرت أرجع للدراسة . دخلت جامعة بير زيت ودرست أربع سنين .. وفى هذا الوقت نشر كتابى الأول . وبعد أن انتهيت من الدراسة نشر كتابى الثانى .. والآن أنا أعمل فى نفس الجامعة ، وقد انتهيت من كتابى الثالث» . وتقول الكاتبة التى أصدرت ثلاث روايات عندما يسألها المخرج من وراء الكاميرا عن المرأة الفلسطينية المناضلة تحت الاحتلال «شو بتقصد بالمناضلة .. اذا كان بدك مناضلة صحيح مش لازم تكون أنا .. أنا لي حياتى العادية لا باخرج بالمظاهرات ، ولا سجنت ، ولا عملت اللي ممكن أتسمى بيه مناضلة .. نضال حقيقى» . وفى هذا تعبر سحر خليفة بصدق عن شعور الكاتب بالعجز ازاء البندقية .

ويبدو التركيز على قضية المرأة فى الحوار مع سحر خليفة ، وذلك بحكم تكوينها وثقافتها . فالى جانب حديثها عن حياتها الخاصة كمثال على قدرة المرأة العربية على التحرر من سيطرة المفاهيم الموروثة السائدة ، نراها تتحدث فى زهو عن ابنتها التى تدرس طب الأطفال فى ليننجراد ، وتشترك مع فرقة موسيقية للشباب فى اعداد اغنية ذات طابع فولوكلورى تسخر من الرجل التقليدى الذى يتعامل مع المرأة مثل الديك ، ولا يترك للمرأة من البيضة إلا قشرتها ، ومن الفرخة إلا ريشتها .

وبقدر ما تمثل سحر خليفة مستقبل الانسان الفلسطينى ، بقدر ما تمثل فرح رومية ماضيه العريق ، وبقدر ما يمثلان معاً حاضره المضطرم حيث يواجه هجمة شرسة لم يتعرض لها شعب آخر فى التاريخ الحديث والمعاصر . تغنى فرح رومية لحفيدها "شادى" اغنية فلسطينية قديمة من أغانى المهد ولكن هذه الأغنية تتحول بالتدرج الى أغنية حزينة تندب الأرض الضائعة . وفى مشهد آخر تحكى فرح رومية عن عائلتها المشردة فى أقطار العالم من خلال صور ألبوم العائلة . فهذا فى أمريكا وذاك فى كندا ، وهذه فى الأردن ، وتلك فى لبنان . يجسد هذا الحديث «الشتات الفلسطينى» أدق تجسيد .

وفى مشهد من أروع المشاهد فى السينما العربية نرى فرح رومية فى المطبخ تقشر البطاطس ، ومعها ابنتها وزوج ابنتها . يطلب منها زوج الابنة أن تبيع قطعة الأرض الصغيرة التى صادرتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، فتقول لا . يرد عليها بان الأرض ضائعة لا محالة ، وعلى الأقل تستفيد العائلة من ثمنها . تقول لا ، لقد عملت من أجل تربية أولادى ، والآن كبروا وتزوجوا ويعيشون مثل كل الناس . ويرد عليها بأن هذا الوضع استمر ثلاثين سنة ، ومن الممكن أن يستمر ثلاثين سنة أخرى . تقول لا ، ولو استمر ثلاثمائة عام .. لا .. لن أبيع الأرض .. لا يتوقف الحوار إلا عندما تنهيه ابنتها قائلة لا فائدة ، ولا داعى لارهاق العجوز أكثر من ذلك .

لقد قال الملوك والرؤساء العرب ثلاث لاءات ، وقالت فرح رومية مائة لا وهى تجلس فى المطبخ تقشر البطاطس . ولو عاش بريخت ورأى هذا المشهد لانتفض من الفرح فالمقاومة الحقيقية هى مقاومة الانسان العادى وهو يمارس أعماله العادية حيث تصبح المقاومة جزءاً من الحياة اليومية ، وليست ترفاً لاثبات الذات ، أو اخفاء الشعور بالذنب

ان فرح رومية تملك هذا الحس التاريخى اليقظ بأن الزمن مهما طال لا يجعل الحق باطلا ، ولا يجعل الباطل حقاً . انها تدرك أن الانسان الفلسطينى عاش على هذه الأرض قروناً طويلة ومن يحسب تاريخه بالقرون لا يؤثر فيه عشر سنوات ، أو ثلاثين ، أو ثلاثمائة على حد تعبيرها . وهذا الحس التاريخى سواء كان مدركاً بوعى كامل ، أو دون وعى دقيق ، هو الذى يحمى الانسان الفلسطينى من الفناء الثقافى ، كما تحميه البندقية من الفناء الجسدى وينتهى فيلم «صور من مذكرات خصبة» ببطلته فرح رومية وهى تمارس عملها فى

المصنع ، وتضرب القطن بقوة ، وفى ايقاع منتظم ، وتتوقف الصورة لتركز عليها طويلا .

وتبدو أصالة ميشيل خليفى فى تعامله مع الواقع الفلسطينى الذى يعرضه باعتباره جزءاً منه ، وليس طرفاً ينظر اليه من عل فنرى أحد المشاهد يصور فتاة تتجمل وهى تغنى أغنية «غازلاله يا امه بايدى الطاقيه» ، وإزاى يامه ما يلبسهاش» من أولها الى آخرها . ومع استمرار الأغنية ، نرى العديد من اللقطات لفتيات ينتظرن فى الشرفات والنوافذ . وفى مشهد آخر يصور فرح رومية وهى تذهب الى أحد «الشيوخ المباركين» حتى يصنع لها تعويذة تحميها ، وتحمى أسرتها وأرضها . وطوال المشهد نرى لقطات طويلة للأرض على صوت الشيخ ، وهو رجل مسلم يستشهد فى مناجاته بالعديد من آيات القرآن الكريم .

إن أغلب المخرجين العرب وخاصة أصحاب الشعارات الكبيرة والأحاديث الكثيرة يترددون فى تصوير مشهد للعذارى ينتظرن الرجال فى فيلم يدافع عن حقوق المرأة ، أو فى تصوير مشهد تستعين فيه البطلة بالتعاويذ لكى تحمى أسرتها وأرضها فى فيلم عن النضال من أجل حرية الانسان وتحرير الأرض ، بل وفى تصوير امرأة مسيحية تستعين بشيخ مسلم يردد آيات القرآن . ولكن ميشيل خليفى لا يتردد فى تصوير كل هذا ليس فى اطار وصف الواقع ، فنحن بازاء فيلم تحليلى من الدرجة الأولى ، وإنما لانه يسعى لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية بكل جوانبها ، ولأن هذه الشخصية بكل جوانبها وليس بجانب منها فقط ، هى التى تقاوم الاحتلال الصهيونى .

ويبدو هذا السعي لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية أيضاً في المشاهد التى يصور فيها ميشيل خليفي شوارع قرية يافة الناصرة وحقولها ، والفلاحين وهم يعملون فى هذه الحقول ، والمشاهد التى يصور فيها مدينة نابلس حيث تعيش سحر خليفة ، وبناياتها المتميزة فى سفوح الجبال ، وكذلك في المشهد الذى تتطلع فيه اسرة فرح رومية الى التليفزيون يعرض مسلسلا يمثله يوسف شعبان مع تيسير فهمي فى ملابس عربية قديمة ، وفى مشهد العرس الفلسطيني الذى تحضره هذه الأسرة ، والذى يقدمه بكافة تفاصيله وطقوسه، ومشهد زيارة النساء للمقابر فى الأعياد والمناسبات الدينية .

والبناء الدرامي لفيلم «صور من مذكرات خصبة» يوضح طابعه التحليلي فهو يقدم فرح رومية تحكي قصة حياتها على شريط الصوت ، بينما نراها فى حياتها اليومية على شريط الصورة تذهب الى محطة الأتوبيس وتنتظر لتذهب الى عملها . ثم يقدم بعد ذلك سحر خليفة فى منزلها . وبعد تقديم بطلتيه ، وتحديد المكان الذى تنتمي اليه كلا منهما على الشاشة والزمان الذى يتم فيه اللقاء معهما عام ١٩٨٠م ، يبدأ مونتاج متواز طويل بينهما ، ولكنه ليس المونتاج الذى يقارن ، فيقدم لقطة هنا ولقطة هناك ، وانما المونتاج الذى يدرس ويحلل بمنطق جدلي . فقد نستمر مع فرح رومية طويلا ونعود فجأة فى لقطة سريعة الى سحر خليفة . وقد نستمر مع هذه طويلا ، و نعود الى تلك فى لقطة أخرى وهكذا .

إن ما يحكم الانتقال بين لقطة وأخرى عند ميشيل خليفي ليس هو منطق الرد ، وانما منطق التعبير عن فكره . فنجد الانتقال من حوار فى سيارة سحر خليفة عن ظروف المقاومة ، الى أغنية «ياديك يا أبو القنبره عليش طلقت المره » . ومن فرح روميه تغني لحفيدها فى المهد ، أى العمل فى الحقل . ومن الحديث عن العائلة المشتتة أى العرس الفلسطيني . ومن النساء في المقابر ، الى ابنة فرح روميه تنظف طفلها .

وفيلمنا ليس مزيجاً من السينما الروائية والسينما التسجيلية ، وانما هو من هذه الأفلام التى يمكن أن نطلق عليها الى حين العثور على تسمية أفضل بأفلام السينما الخالصة . فقد يقال انه فيلم تسجيلي يتقن مخرجه ادارة شخصياته كما يدير المخرج الروائي ممثليه ، وقد يقال انه فيلم روائي يستخدم مخرجه شخصيات عادية بدلا من الممثلين المحترفين . ولكن الابداع السينمائى هنا فى علاقة الكاميرا بما تصوره ، وهي علاقة مباشرة وحميمة . والحديث عن المخرج بين السينما الروائية والسينما التسجيلية هو نوع من العبودية لتقسيم الأجناس السينمائية ، وهو فى جوهره عبودية للغرب ولمنطق ديكارت .

ويجمع ميشيل خليفى بين فكر المناضل واحساس الشاعر . والشعر هنا هو شعر اللغة السينمائية حيث يصبح فنان السينما فناناً تشكيلياً فى تكويناته واستخدامه للألوان ، وفناناً موسيقياً فى التعامل مع الفيلم كمساحة فى الزمان وفى استخدامه للموسيقى والمؤثرات الصوتية ولحظات الصمت . والموسيقى فى فيلم « صور من مذكرات خصبة » تنويعات على لحن شعبي فلسطيني يعبر عن رؤية الفنان للواقع ، ويؤكد سعيه لابراز الشخصية الثقافية الفلسطينية .

وتبدو شاعرية ميشيل خليفي منذ اللقطة الأولى بعد العناوين ، وهي لقطة «طبيعة صامتة» للخضروات والفاكهة فوق مائدة مطبخ . وفى اللقطات التالية لمنزل فرح روميه من الخارج ، والحياة اليومية فى قرية يافه الناصرة فى الصباح المبكر . وعندما تحكي فرح روميه عن عملها فى إحدى الأديرة قبل أن تعمل فى المصنع ، نرى لقطات للدير ولتمثال العذراء ، تعقبها لقطات للعمل فى المصنع . ومن أروع مشاهد فيلمنا مشهد العمل في الحقل ومشهد أغنية المهد التى تغنيها فرح روميه لحفيدها ، والتى تبدو مثل لوحات رمبرانت . وهنا تبدو الخلفية الثقافية لمصوري الفيلم ، وإن كان من الممكن أن نشاهد مثل هذا التكوين فى لوحات فناني أوربا التى تصور حياة المسيح في فلسطين . ويقدم المخرج أغنية المهد فى لقطتين طويلتين الأولى عامة والثانية متوسطة مع تحول معاني الأغنية .

إن ميشيل خليفي شاعر سينمائى فلسطيني عربي مسيحي يملك من الموهبة ، ومن الاصالة ، ما يجعلنا نأمل الكثير فى أفلامه القادمة ، ولعله يفرحنا دائماً ، كما أفرحنا فى فيلمه الأول . وإذا كان الاعجاب هو الشعور الغالب أمام بعض الأعمال الفنية فان الفرحة هى الشعور النادر : الفرحة العميقة التى تسيطر على كل الوجدان . إن « صور من مذكرات خصبة» عمل لا مثيل له فى السينما العربيـــة .

سمير فريد

العالم في محنة

جمال كنانى

لماذا لا يفكر الإنسان المعاصر إلا في الدمار والانتحار ؟!

البشرية فى محنة لأنها تقف على شفا هاوية سحيقة تكاد تتردى فيها لولا أن الله لطيف بعباده فالبشرية تتفنن فى اتقان واعداد وسائل انتحارها وتدميرها لذاتها .

والبشرية فى محنة لأنها لم تقنع بالقنبلة الذرية سلاحاً يفتك بالناس كما فتكت بهيروشيما وناجاساكى ، بل أضافت اليها القنبلة الهيدروجينية ليكون الفتك أشمل والدمار أعم والقضاء أكثر حتمية على أكبر عدد من المخلوقات ..

وليت البشرية اكتفت بذلك كله ولكنها أضافت القنبلة النيوترونية لتصون البيوت وتفنى ساكنيها .. قنبلة رحيمة بالحجارة والأصنام ، تبيد بنى آدم والأنعام .

والبشرية فى محنة لأن الانسان بما اخترع وما ابتكر قد حرم نفسه حرية اتخاذ القرار فكل من الدولتين الأعظم مثلا تنظر الى الأخرى وتحسب لها ألف حساب قبل أن تتخذ أى قرار له أية صبغة دولية .

ولعل أحد أسباب هذه المحنة أن التوازن بين العلم من ناحية وبين الفن والأدب وما اليهما من ناحية أخرى قد اختل تماما فرجحت كفة العلم وشالت كفة الأدب والفن والفلسفة وما اليها ورجحت مع العلوم كفة الماديات وشالت مع الفنون كفة المعنويات والمثل والقيم . وفى عصر العلم الذى يعيشه المجتمع ويعتمد فيه على التكنولوجيا ـ وبالتالى على العلم نفسه ـ يحمل العلماء على أكتافهم أكبر قسط من المسئولية .

العلم نفسه يواجه أزمة .. وأزمة العلم تؤثر على بقاء الانسان مباشرة ، ولها مدلول عميق فيما يتعلق بمعتقداته وحكمه على القيم .

ومن العلماء من ينكر أن هناك أزمة ، ومنهم من ينكر أن العلم يواجه محنة ، وهؤلاء يواصلون عملهم كما واصل غيرهم العمل على مدى نصف القرن الماضى .

علماء أمريكا واليابان يزورون المختبرات البريطانية ويبدون إعجابهم بما تتمتع به من هدوء وسكينة واستقرار .. ومن هنا ندرك مدى اختلاف الظروف التى يواجهها العلماء فى مختلف البلاد ..

والمعروف أن مبنى البحوث العلمية فى إحدى الجامعات الأمريكية نسف ودمر ، وأن العمل فى بعض المختبرات الأمريكية الرئيسية قد تعطل لأشهر طوال .. وأن الاضطراب شاع فى اليابان من زمن غير بعيد بعد أن كان العلم فيها يسير قدماً .. وعلى حين أن مرجع هذا الاضطراب ، أو الجزء الأكبر منه هو القلق الذى يملأ قلوب طلاب الجامعات ، وما يدركونه من فشل السياسية والسياسيين ، فاننا نرى أن بعض هذا الاضطراب يرجع الى العلم نفسه بماله من منظمات وأسبقيات اجتماعية .

والملاحظ أنه حتى أولئك العلماء الذين يعملون فى هدوء بعيداً عن الاضطرابات ، قد تغيرت اتجاهاتهم نحو عملهم منذ نهاية الحرب بدرجة كبيرة . وعلى الرغم من ان العديد من العلماء لا يناقشون ما يعملون لا أننا نلمح ، على وجه العموم ، بعض التغيير . والسبب الرئيسي هو « القنبلة » .. فمن العلماء من كاد يفقد ثقته التى لا تتزعزع فى قيمة العلم . أما غير العلماء فيتساءلون علنا وبقدر متزايد عن قيمة العلم . وهناك من يذهبون الى أبعد من ذلك ويعترضون على الفكر العقلانى كلية ويلاحظون أن العقل وحده لا يحيط إدراكا بالتجربة الانسانية بكاملها ، وهم لذلك يشجبون العقل وينادون بأن يكون التصوف وحده هو الذى يهدينا خلال حياتنا ويوصلنا الى المستقبل .. ونرى شواهد انعدام الثقة فى العقل ممثلة فى الشعبية التى اكتسبتها الأنواع الدنيا من علم التنجيم . والدليل على أن هذا الاتجاه المنافى للعقلانية قد أخذ يسود وينتشر هو أنه اليوم رائج بين الشباب ومنهم المثقف . كما أن تلاميذ المدارس لا يقبلون كثيراً على المواد العلمية رغم الدور الهائل الذى يلعبه العلم فى الحياة اليومية .

القيمة الفعلية للعلوم

ولما كان أمر القنابل النووية وما يتبعها من تلوث اشعاعى يشغل بال الناس ، فاننا نجد أن الملايين قد أخذت تتساءل عن القيمة الفعلية للعلوم . ولكن حتى اذا صرفنا النظر عن النواحى السلبية والتدميرية للقنابل النووية فاننا نجد أن المبالغ الفلكية التى تنفق على رحلات الفضاء والوصول الى القمر والدوران حول المريخ وغيره من الكواكب والأجرام السماوية تحدونا الى التشكك فى الفوائد التى تعود بها هذه المغامرات على البشر . زد على ذلك أن الناس فى هم وقلق بسبب السرعة التى بها يغير العلم حياتنا ونظمها ونسيجها .. السيارة والطائرة وأقراص منع الحمل والكمبيوتر وغيرها تغير تفكيرنا واتجاهاتنا . وهذا التغيير السريع لا يمكننا من الافادة مما نمر به من تجارب .. فالعلم يبدو وكأنه يجردنا من انسانيتنا .. نحن نعيش فى عالم جديد ... له قصصه الأسطورية الجديدة ... أجنة فى أنابيب اختبار ، ورجال يستبدلون بالكمبيوتر وغيرهم بالميكروتشب .. والفكر المنطقى المجرد يقضى على الدفء الانسانى والشعر .. فالراديكاليون اليساريون يعتبرون أن العلم وسيلة بعض الحكام لاخضاع الناس ، أكثر منه قوة لتحسين المجتمع وتغييره .

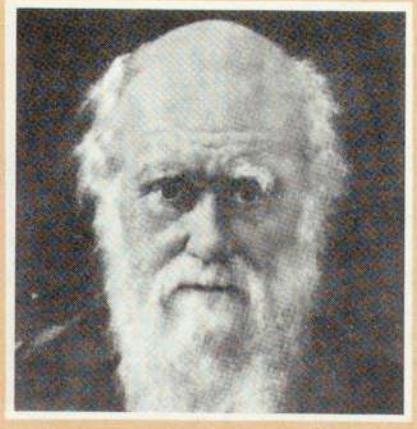
والعلماء ينظرون الى هذه المصائب كل من زاويته . والغالبية منهم تعمل بميل غريزى مبهم غامض دون أن تكون لها القدرة الكلامية والبلاغة اللازمة للرد على نقادهم . ومنهم من يرى أن مناقشة الصعوبات التى يواجهها العلم قد تؤثر على الوضع الراهن وتؤكد الجوانب غير المرغوب فيها . وهم يدينون الفئة التى تبشر بالويل والثبور ، لأن هؤلاء إما يرفضون العلم رفضاً تاماً أو أنهم يدفنون رؤوسهم فى الرمل . والعلماء ينفرون بفطرتهم ممن يكثرون وعظهم ولفت أنظارهم الى مسئولياتهم الاجتماعية . ولعل غريزتهم تصدقهم فى ذلك إذ أن العالم لن يحرز تقدماً لمجرد أن يضيف طبقة رقيقة من المسئولية الاجتماعية الى كتلة ما حققه العلم . والعلماء على حق فى قولهم إن العلم لكى يزدهر يحتاج الى أكبر قسط من الحرية وهم مع ذلك يسلمون بأن حرج موقف الانسان قد بلغ حداً يستلزم ويتطلب اجراء سريعاً .

وأهم ما فى هذه الاعتبارات جميعاً هو تكوين فكرة سليمة عن قيمة العلم حالياً . وليست الحاجة الى احساس بالقيم أمراً قاصراً على العلم وحده ، ولكنها تنتمى الى درجات المعرفة العليا على وجه العموم . وليس يخطىء من يقول إن للعلم قيمة لأن فى تطبيقه ما يعود على الانسان بفوائد جمة ، لكن هذا القول على صحته وسلامته لا يكفى . فهذه الفوائد معظمها مادى ، مثل تحسين مستوى المعيشة أو التغلب على الأمراض . ولهذه الاعتبارات الأسبقية الأولى فى المجتمعات المتخلفة ولكن الحاجة الى تقدم مادى فى البلاد المتقدمة تكنولوجيا ليست ماسة بهذا القدر ، والناس ، وخاصة الشباب يولون أكبر اهتمام لنوعية الحياة من حيث قيمتها الروحية وما فيها من علاقات انسانية .

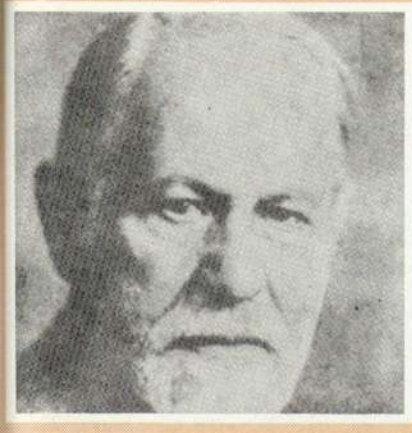
وعلينا إذن أن نحدد قيمة العلم من ناحية تتعدى الناحية المادية وأن نذكر أن تطوير العلوم التجريبية فى القرن السابع عشر اكتسح الأثر العقدى السلبى الذى جاء نتيجة لعدة قرون من السكولاستية ، وفتح السبيل أمام عصر الفكر والثورة الفرنسية .

وكان افتتاح العالم الجديد رمزاً للتحرير الروحى للانسان ، ولازال من الممكن حتى يومنا هذا أن نمارس شيئاً من النشوة المبدعة التى صحبت ذلك التحرير ... خذ مثلا ذلك الفرع من الطب الذى يتعلق بالجهاز العصبى ... مثل هذا العلم يجب أن لا يقتصر على التحكم فى الأمراض العصبية وحسب ، بل يجب أن يمهد لنا سبل فهم الطريقة التى يعمل عقل الانسان بمقتضاها وأن يلقى ضوءاً





داروين



فرويد

على ذات العقل نفسه ... داروين وفرويد كلاهما غير تفكير الانسان تجاه نفسه ، وكلاهما غير احساس الانسان بالقيم ... ومن نتيجة ذلك أننا نستطيع الآن أن ندخل الطبيعة الحيوانية فى حسابنا ونحن نقيم التسامح بين الناس ونرفعه على عمد وأصول جديدة . ولنا أن نتوقع عندما يتقدم علم النيورو بيولوجيا ، أى عندما يتواشج علم النيوروفسيولوجيا وعلم النفس بصورة أتم ، ظهور أضواء جديدة تلقى على طبيعتنا البشرية ، وأن تؤثر معرفة الذات على ما عندنا من قيم . فالعلم مفيد إذن من ناحية تعريفنا بذاتنا ومادمنا جزءاً من هذا العالم المادى فواجبنا هو دراسة ذلك العالم كله لكى يكون فهمنا لأنفسنا أكمل وأتم . وفى هذا تكمن قيمة العلم .

وواجبنا هو أن نسلم بأننا لا نستطيع اليوم استعادة أو استرجاع تلك الثقة والدفعة التى مهدها العلم للانسان فى الماضى . فعلى الرغم مما هناك من توقعات ، منها مثلا معرفتنا لذاتنا عن طريق علم الأعصاب ، فاننا ندرك أن زيادة معرفة الذات لا تعنى بالضرورة زيادة فى الحكمة . ثم إن هناك ما يخاف من سوء استخدام هذا العلم فى السيطرة على بعض العقول . والهم الذى نحمله ، نتيجة قصورنا وعجزنا ، والذى كتف أيدينا ومنعنا من استعمال القنابل الذرية مرة أخرى هو الخوف وليست الاريحية أو التسامح .

ومن الناس من يسأل عن الحاجة التى يسدها العلم ..

المفروض هو أن تطوير العلوم جاء نتيجة للقدرة على حل المشاكل ... تلك القدرة التى حصل عليها الانسان عن طريق الانتخاب الطبيعى ، لمواجهة الحاجات اللازمة للبقاء .

واذا قبلنا أن الانسان فى حاجة أساسية الى تطوير عقله وتنميته ـ وإلا تاخر وتراجع عقلياً ـ فان هذه الحاجة نفسها تنتمى الى مستلزمات البقاء ، وبهذا تتصل حاجات الانسان الأساسية بعضها ببعض .

ويجب لكى نوضح قيمة العلم أن نستغنى عن فكرة الفصل بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية وحاجات الانسان وهكذا ... ويجب أن لا يبتعد البحث العلمى وتدريس العلوم عن الحياة بجملتها (أى النواحى العاطفية للفرد والنمو العقلى والنشاط الثقافى والتنظيمات الاجتماعية ...) ونذكر أن اللورد سنو أشار ذات يوم الى ثقافتين مفصولتين فى مجموعتين من الرجال ـ العلوم والآداب ... وتقول إن الأدهى أن يكون هذا الفصل والانفصام فى داخل الفرد الواحد .. وفكرة المسئولية الاجتماعية فى العلم توحى بأن للعلم جزأه التفكيرى وجزأه العاطفى .. فاذا أمكن التوحيد بين الجزئين كان انتساب العلم لحاجات الانسان وآماله أفضل وأتم ، وكانت نواحى تجريد العلم للانسانية أقل ، وأصبح العلم قوة وأداة لتحسين المجتمع ، والمسئولية الاجتماعية جزءاً من كيان العلم نفسه .

وقد تتضح هذه الأفكار اذا نحن بحثنا ماهية العلاقة بين العلم والفن .. فهناك أولا مشكلات بينهما مشتركة .. وأزمة العلم ليست إلا جزءاً من الأزمة الكبرى للثقافة . كما أن الفن والعلوم المتقدمة والسياسة والاقتصاد لا تنتمى كلها لحاجات الانسان تماماً وكلها مفتتة مقسمة . ولهذا أصبح الفن ، شأنه فى ذلك شأن العلم ، بعيداً عن مجرى الحياة ولم يعد كما كان مثلا فى بعض المجتمعات البدائية ، جزءاً من التراث لا يتجزأ يتواجد فى كل نواحى الحياة ، وفى كل الأمور والشئون اليومية ، وفى الدين . لقد أصبح الفن منفصلا ومتخصصاً لا يفهمه إلا القلة ، معزولا فى صالات العرض والمتاحف وصالات الموسيقى (وهو كالعلم يستعمل لأغراض سياسية وأغراض تجارية) .

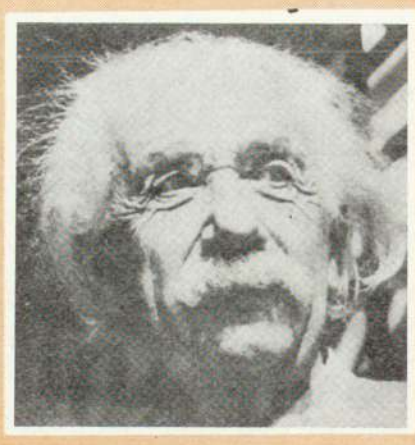
بين العلم والفن

على أن هناك ما يدل على عودة التقارب بين العلم والفن ... هناك بعض معارض الفن / التكنولوجيا وغيرها مما يوحى بأن الثقافة تحاول بناء كيان جديد على قاعدة أوسع ، وفى هذا ما قد يؤدى الى تغيير يدخل على العلم نفسه ... ونحن نلمح بعض تباشير هذا التغيير ، فمن الطلاب من يلح فى المطالبة بنوع العلم الذى يتصل بالمجتمع .. وهناك البحوث العلمية فى مشاكل البيئة .

ومن الناس من يفترض أحياناً أن الحرص على تجنب التطبيقات الخطرة للعلوم ، قد يحمل المجتمع على فرض قيود بغيضة على البحث العلمى ، لأن فى العلوم ناحية لا يمكن توقع نتائجها الفعلية ، وقد نحرم من نتائج بحوث مفيدة بهذا السبب .. فالكنيسة مثلا كانت تؤمن باخلاص بأنها إنما تقوم بواجبها الاجتماعى لما حاولت منع جاليليو من ممارسة عمله . على أن مثل هذا الموقف لا يكون خطراً اذا لم يكن العلم فى عزلة تامة عن المجتمع ، فالمجتمع فى هذه الحالة يقر ويسمح بالقدر من الحرية اللازم للبحث العلمى ويعتبره حاجة من حاجات الانسان الأساسية .

فى القرن السابع عشر ، مر تطور العلم بمرحلة كانت حرجة للغاية ولكنها كانت مرحلة ايجابية تنطوى على ثقة فى العلم . أما اليوم ، وبعد تطور هائل على مدى ٣٠٠ سنة ، فالعلم يواجه مرحلة حرجة أخرى ولكنها هذه المرة مرحلة سلبية تعوزها الثقة فى العلم ومواجهة هذه الأزمة تقتضينا أن نتوقع أن يحتاج العلم الى وسائل جديدة والى اتجاهات جديدة تبلغ من الراديكالية حداً يعادل راديكالية القرن السابع عشر التى واجهت الأزمة حينذاك .. ويجب هنا أن نلجأ الى الطريقة التجريبية ، وقد نصل الى نتائج غير متوقعة عن طريق اعداد مشاريع جديدة للبحوث ورسم دراسات جديدة للطلاب وتنظيم ندوات ومناظرات وغير ذلك .. وليكن بدء الحوار محاولات لبناء أطر عقلانية ، ومناقشة قيمة العلم. ثم علينا بعد ذلك أن نبحث بعض نواحى علم الحياة وتطبيقاتها العلمية ، لأننا لا نستطيع بحث كل النواحى .. فهذا عمل ضخم ..

لنبدأ مثلا بالخصائص والصفات الوراثية للمكروبات ، ثم للانسان ، وننتقل بعدها الى بيولوجيا الجزيئات والخلية ، ثم الى الطب . ونحن نبحث هذه الحقول العلمية المختلفة لا لأننا نهتم أساساً بتفاصيلها ـ رغم أن دراسة التفاصيل قد تكون لازمة لما نحن بصدده ـ ولكن لأننا نهتم بما قد تكشف عنه هذه الاعتبارات فيما يتعلق



اينشتاين

بالنظريات العلمية العامة والمجتمع .

وهناك أزمة الضمير التى تواجه العلم والعلماء .. هل نجح العلماء فى حل هذه الأزمة يوم اتفقوا على صيغة قسم أو يمين جديد أقرها الاتحاد البريطانى لتشجيع العلوم فى اجتماعه السنوى الذى عقد فى عام ١٩٧٠ .. وهاك نص اليمين :

«نقسم بوصفنا علماء مسئولين اجتماعياً بأن لا نخفى على الناس أية معلومات تتعلق بالطبيعة العامة للبحوث التى نجريها أو عن استعمالاتها الخطرة» .

على أن من العلماء من يرى أن هناك من المواقف ما قد يرغم العالم على إخفاء نتائج بحث من بحوثه اذا رأى أن للنتائج مدلولات خطرة أو أن فيها مثاراً للنزاع .. ويعارض هذا الرأى فريق يقول بأن ما يخفيه أحد العلماء اليوم قد يكشفه غيره وينشره غداً .. فلا داعى اذن لاخفاء النتائج بل الواجب أن تنشر على الملأ .. ويذكر الناس المشكلة التى واجهها عالم الفيزياء المجرى زيلارد ، أحد من اكتشفوا أهمية فلق الذرة ، والاشعاع الذرى ، فلجأ الى صديقه أينشتاين وطلب منه أن يعلم الرئيس ايزنهاور بالأمر حتى لا يكون للألمان السبق فى اختراع قنبلة ذرية يكون فيها هلاك العالم أو إذلاله ... ترى هل كان العالم المجرى على حق فيما فعل ؟ ألم تكن نتيجة عمله ضرب هوريشيما وناجاساكى بقنابل الأمريكيين الذرية ؟ وهل هناك فرق أخلاقى أو مادى بين قنبلة ذرية يلقيها الأمريكيون وأخرى يلقيها السوفييت أو غيرهم ؟

يجب أن نذكر أن العالم قد لا يكون كفواً لما يخترع .. قد يخترع ماردا ويعجز عن وضعه فى قمقم ... الاختراع قد يكون أكبر من المخترع ، والعلم أقوى من العلماء مجتمعين . ونعود الى صاحبنا زيلارد ونقول إنه كتب فى يوم ٢ فبراير ١٩٣٩ لصديقه البروفسور جوليو كورى الفرنسى مقترحاً أن يعقد علماء الذرة اتفاقية ثورية مبتكرة تلزم كل من يوقع عليها بألا ينشر أى كشف جديد يحققه فى مجال الانقسام النووى لليورانيوم . وكان ذلك فى أعقاب ما جرى فى ميونخ ، وهتلر فى أوج قوته وجبروته يدق طبول الحرب ...

وحدث أن نشر بعض العلماء إذ ذاك ما يدل على أن ذرة اليورانيوم يمكن فلقها وحذر زيلارد من عواقب التفاعل المتسلسل ومن أنه يوسل حتماً الى قنبلة ذرية بالغة الفتك والخطورة وهكذا نجد أن عالماً نووياً من وزن زيلارد ومكانته قد عبر عن حلم رجل الشارع الذى يطمع فى فرض موراتوريوم على العلم والحد من نشاطه .

أسئلة تشغل بال العلماء

على أن ما تلا ذلك من «يمين» أعده العلماء كما ذكرنا يدلنا على ناحية من نواحى الأزمة التى يواجهها العلم . ثم إن فرض موراتوريوم على العلم يعتبر اليوم ، كما كان يعتبر من قبل . أمراً غير واقعى وغير عملى ، إذ يستحيل فرضه إلا اذا أوقفت الحكومات والمؤسسات كل ما تقدم من عون مالى للبحوث والعلماء ... وهل توجد اليوم فى العالم حكومة مهمة تقدم على ذلك والعالم فى قبضة سباق التسلح ؟ والمفروض أن العالم الذى يسعى الى اضافة جديدة الى العلم لا يمكن أن يقبل مختاراً أن يفرض موراتوريوم على عمله ..

على أن فكرة الموراتوريوم الذى يقترح البعض فرضه قد تحتوى فى طياتها على بذور فكرة أخرى قد تكون أقرب الى حيز



التنفيذ .. ونعنى بذلك فكرة اتفاقية اختيارية تبرم بين العلماء .. لأنه اذا جاز للعلم أن يعبر عن دخيلة ضميره فلابد وأن يكون التعبير تلقائياً صادراً عن محض اختيار العلماء أنفسهم وهنا يتساءل أهل الشك : هل يمكن التبشير والتأثير على العلماء وهم كتلة واحدة ؟ وهل العلم قادر على أن يخلق فى العلماء احساساً جماعياً بالمسئولية ؟ وهل يمكن للعلماء مجتمعين أن يقبلوا الأحكام الأخلاقية التى يفرضها عليهم مركزهم فى هذه الحضارة ؟

هذه أسئلة تشغل بال العلماء ، ولا تسمح لبعضهم بنوم هادىء ... ويمكن أن نقسم هذه الأسئلة الى قسمين يشغل كل منهما ناحية مختلفة من نشاط العالم وشخصيته ، رغم أن كلا منهما ينتمى الى الضمير الأخلاقى .

فالقسم الأول من هذه الأسئلة يتعلق بوجه عام بموضوعات «إنسانية» والثانى يتعلق بما نسميه التمامية الخلقية .

فالناحية الانسانية تتعلق بموقف الانسان من كفاح الشعوب المستمر للتفوق على غيرها وخاصة فى القدرة على شن الحروب . وعلى العالم أن يوازن بين شعوره بالوطنية وبين احساسه بالانسانية الكونية فاذا كان هناك ما يخصه هو أكثر مما يخفى غيره فهو شعوره كعالم بأنه ينتمى الى عشيرة دولية .

أما الناحية الثانية ، ناحية التمامية الخلقية ، فهى تنبع من ظروف العمل التى يفرضها العلم على من يزاوله ، فالعلم بحث عن الصدق والحقيقة لا ينتهى ، وعلى من يكرس حياته للعلم أن يقبل قيوده الصارمة ، وعليه أن لا يخفى أية حقيقة لأى سبب كان ولأى غرض ما يكون ، وعليه أن لا يفرق بين الهدف والوسيلة فالعلم لا يعترف إلا بالصدق والحقيقة وهو لذلك يرفض الوسائل الملتوية التى يلجأ اليها بعض الحكام الذين يستعملون وسائل غير مشروعة بحجة أنهم يحققون بها أغراضاً نبيلة .

ويندر أن نجد بين الناس عاقلا متحضراً يرضى مختاراً أن يشن على غيره حرباً نووية .. أو حرباً يستعمل فيها قنابل النابالم أو الصواريخ الموجهة ، ولكنا نعرف أن الكثير من الحكومات تشجع تطوير هذه الأسلحة لأن واجبها نحو شعوبها يقضى عليها بذلك . لهذا نجد أن رجل الشارع يتمنى لو أن العلماء احتفظوا لأنفسهم بما يكشفون من أسرار رهيبة وهو يعلم أن رئيس حكومته مغلوب على أمره لأن مهمته الأولى هى حماية الشعب .

ومن العلماء من يرى أن الواجب الوطنى يقضى باطلاع رئيس الدولة على كل سر يكشف ، ولرئيس الدولة أن يتصرف فى ضوء ما يعرف من ظروف وبما يضمن مصالح بلاده . ومن الواضح إذن أن العالم الذى لا يجد من ضميره وازعاً على اجراء البحوث التى تساعد مجهود بلاده الحربى ، يجب أن لا يقبل القيام بأى جزء من هذه البحوث . واذا كان العالم ممن يكرهون الحرب ويشجبونها فواجبه هو أن لا يقبل أى منح أو مكافآت تقدمها أية هيئة عسكرية. ونحن نسلم بأن هذا عسير تنفيذه وخاصة فى بلاد مثل روسيا أو الولايات المتحدة حيث تتولى الدوائر العسكرية تحويل البحوث الفيزيائية كلها إما بطريق مباشر أو عن طريق غير مباشر .

ولعل الوقت قد حان للوصول الى طريقة يمكن أن يفصل بها العلم عن الحكومة فصلا يكاد يكون تاماً فى جميع انحاء العالم . والذى نعنيه هنا هو فصل من نوع الفصل بين الحكومة والكنيسة مثلا ... وعندنا على ذلك مثل كابتزا الذى رفض أن يمتثل لأوامر ستالين فى روسيا وماكس فون لاو الذى رفض العمل من أجل ألمانيا الهتلرية .

وهذا الفصل بين السلطتين ـ سلطة العلم وسلطة الحكومة ـ يعنى حتماً استبدال السياسات الوطنية بسياسات دولية يناقشها العلماء ثم يضعون صيغها التى يتفقون عليها . والأمل هو أن يكون حكمهم صائباً ، وكل حكم فى هذه الحياة يحتوى على تقدير صامت للقيم الانسانية والاجتماعية ، ولن يستطيع ممثلو العلم أن يتخلوا عن ذلك. ولسنا نضمن أن ينجح العلماء فى التوفيق بين العلم والانسانية ولكن الوقت قد حان لأن يواجه العلماء التزاماتهم الأخلاقية .

جمال الكنانى



ستالين



هتلر

انطلاق

شعر: شهاب غانم



اريد البكاء
فيمنعني الخوف .. لا الكبرياء
وفي أضلعي جبل من شقاء

•

أريد السؤال
ولكن محال
لأن الظلال
تصيخ الى كل قيل وقال

•

أريد التنفس والانطلاق
وإلا فبعض هواء يطاق
فقد حز في لحم روحي الوثاق
وكدت اموت من الاختناق

•

اريد ولو لحظة من سلام
واحلم بالنور يولد بين الركام
بصيصا ..
فيضاً يمزق حولي ستور الظلام
فاحظى بقهقهة في القتام

•

اريد ولو لحظة من أمان
اريد .. ويهزأ منى الزمان
ويغرز بين ضلوعي السنان

•

اريد الذهاب
ولكنه مثل لمع السراب
وامنع من ريشة فى عقاب
فقد أوصدوا ألف باب .. وباب

•

اريد الرحيل
فكيف السبيل ؟
وفي كل ركن تردى قتيل

•

اريد
ولكن .. ولكن .. ولكن ..
أريد الخلاص
ولو دكني وابل من رصاص



سوق الفن نحو أزمة عالمية

فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية

رسالة باريس

من : عبود عطية

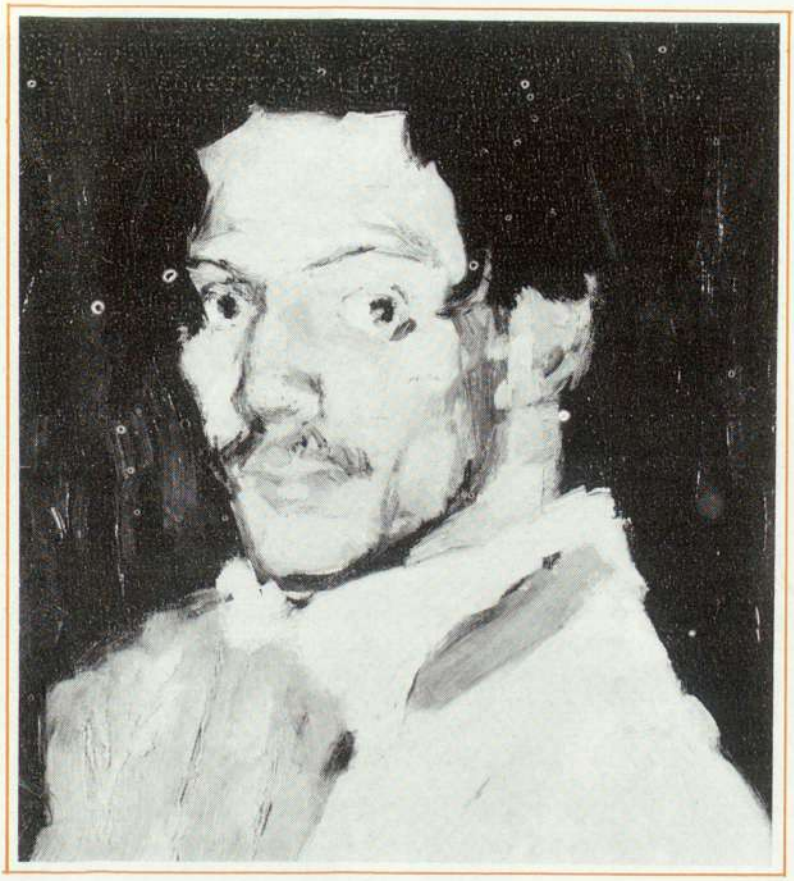
في سنة ١٨٢٥ ، تزوج احد الموظفين في مكتبة قرطاسية في باريس ، ويدعى « جان دوران » من صاحبة المكتبة الآنسة « روبيل » وخطر على باله أن يضيف الى بضاعته بعض المواد التي يحتاجها الرسامون . مثل الاقمشة ، الدهان ، الريش الخ ... فكانت مناسبة لأن يتعرف على الكثيرين منهم الذين كانوا يعطونه بعض لوحاتهم مقابل المواد التي كانوا يأخذونها منه وبسرعة كبيرة ، اتبع نفس النظام ثلاثة من أصحاب المكتبات القرطاسية في باريس . صحيح ان هذه اللوحات كانت تباع باسعار بخسة جدا ، وكانت تؤجر في غالب الأحيان ولا تباع ، ولكن خطوة « جان دوران » كانت نقطة الانطلاق في تأسيس نظام تجارة الفن المعاصر . هذا النظام الذي سيضيف الى الذهب والنقد النادر الفن الذي أصبح بدوره نقدا نادرا ، وجزءا مهما من اقتصاد القرن العشرين واليوم ... ؟



قطعه من الفن الاسلامي من الهند .. عرضت في اشهر مزاد في العالم ◀

● العرض بدأ يفوق الطلب، وبعض الأعمال الهامة لا تجد من يشتريها

● فشلت محاولة استدراج ثروات العرب والشرق عبر سوق الفنون الإسلامية



أغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين .. بيكاسو بريشته .. واللوحة ثمنها خمسة ملايين و ٣٠٠ ألف دولار .

بيعت ، خلال شهر أيار من العام الماضى ، مجموعة لوحات حديثة حطمت أرقاما قياسية عديدة : «جولييت ومربيتها» للانكليزى «تورنر» حصلت على أغلى سعر دفع مقابل أية لوحة فى التاريخ : ٢٦٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك فرنسى (حوالى ٦٫٤ مليون دولار) . « حديقة الشاعر » «لفان غوخ» بيعت بـ ٢١٫٤٠٠٫٠٠٠ فرنك فرنسى لتصبح أغلى لوحة من الانطباعية الجديدة . لوحة أخرى لبيكاسو وجدت من يشتريها مقابل ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك وأصبحت بذلك أغلى لوحة رسمت فى القرن العشرين . وخلال صيف هذا العام تحطمت الأرقام القياسية المدفوعة لأعمال بعض الرسامين مثل فرنان ليجيه ،سيسلي ، راوول دوفي ، بالتوس وبيكاسو . كل هذا يوحي بأن سوق الفن بات فى عز ازدهاره . ولكن ..

صالات العرض

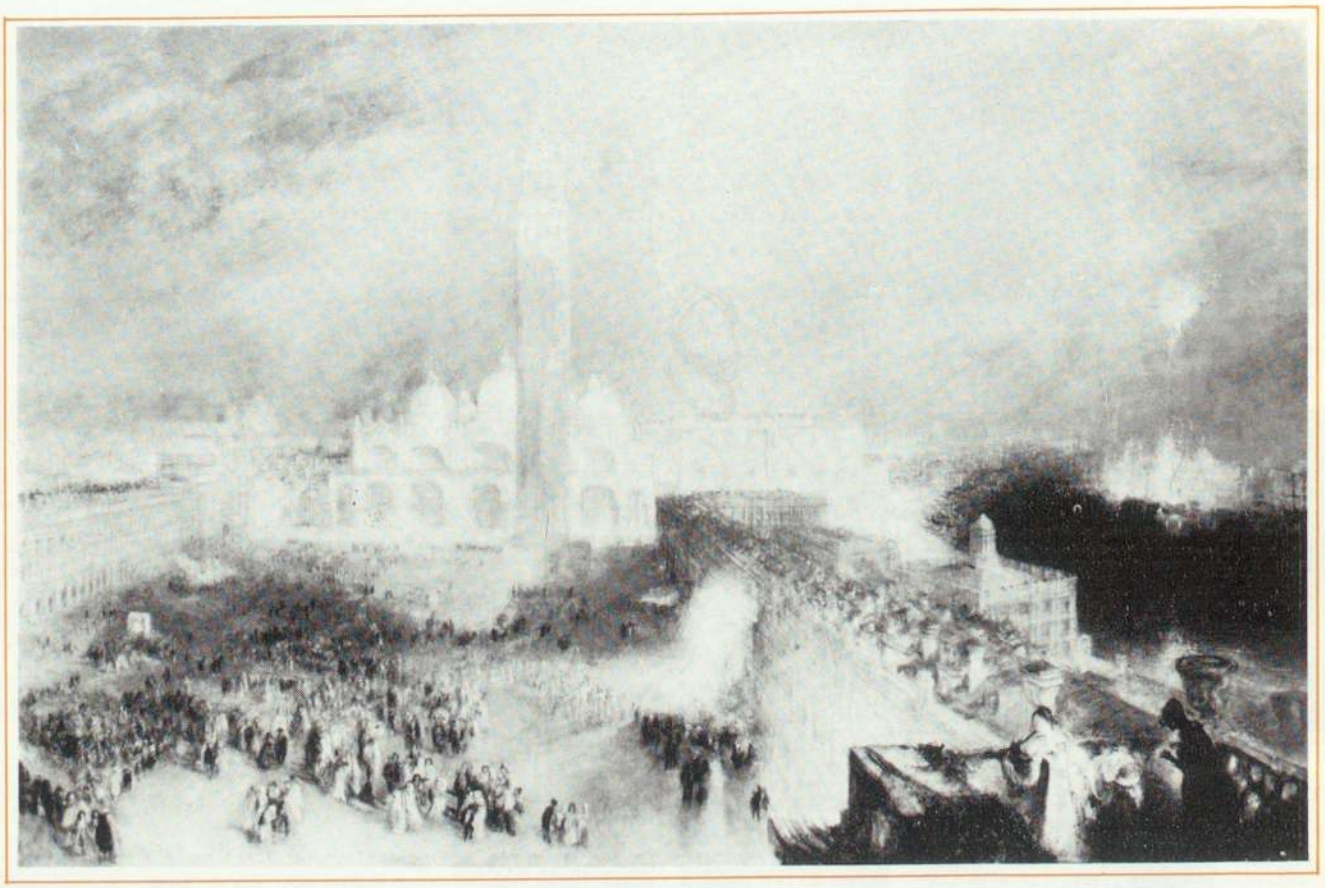
لجس نبض سوق الفن ، وللحديث عن ازدهاره وأزماته ، لابد من العودة الى نقطتى انطلاق مترابطتين :

أولهما : نظام صالات العرض التجارية . عندما تقيم صالة عرض معرضاً لفنان معاصر تأخذ بالاضافة الى العمولة المالية على المبيعات ، عدداً معيناً من اللوحات اذا كان هذا الرسام جديداً . المهم فى هذه الناحية ، انه عندما تتبنى صالة عرض معينة رساماً ما ، تقيم له أكثر من معرض ، وأحياناً تلزمه بعقد يمنعه من التعامل مع غيرها فى بلدها . أي انه مع الوقت ، تصبح هذه الصالة صاحبة عدد من لوحات هذا الفنان ، ويجب أن تبيعها والمعروف انه كى تباع اللوحات بأسعار مرتفعة ، يجب أن تكون نادرة . أي بات على الصالة تحويل ما تملكه إلى نادر . الأمر ليس صعباً : فى الموسم التالى تتبنى الصالة رساماً جديداً ينتج بشكل مختلف . أي تساهم فى خلق مدرسة فنية جديدة . كي تصبح اللوحات المجمعة لديها منتمية الى مدرسة قديمة . لكنا نعرف أن الانطباعيين احتاجوا الى عشرات السنين كي يتم الأعتراف بهم كرسامين كبار . « الفن النظرى » لم يحتج الى أكثر من ٦ أشهر كي يصبح مدرسة رسمية . « والواقعية الدقيقة » أصبحت مدرسة عالمية خلال بضعة أسابيع فقط . حتى المتاحف التى كانت ما تزال متأخرة عن اللحاق بالسوق ، بدأت تساهم بشكل فعال وأكثر من صالات العرض ، فى تتويج بعض الرسامين .. متحف الفن الحديث فى نيويورك بات ينظم « معارض شاملة » تدعى « اعادة رؤية » لرسامين شباب . مثل المعرض الذى أقيم سنة ١٩٧٠ للرسام فرانك ستيلا . ولم يكن الرسام قد بلغ آنذاك ٣٤ عاماً. هذا التسارع ، كان ولابد من أن يؤدى الى أزمة ولكن كي تكون الأزمة حقيقية يجب أن ترافقها أزمة توزيع .

سقوط الأسعار

أما النقطة الثانية فهى العرض والطلب ، فمبدأ سوق الفن لا يختلف عن غيره : عرض وطلب . وكي تستمر أسعار الأعمال الفنية فى الارتفاع يجب أن يبقى العرض دون الطلب والمثال الأوضح هو بلا شك الأسعار المدفوعة للوحات بيكاسو . فالمعروف أن بيكاسو ترك وراءه أكثر من ١٣ ألف لوحة ومنحوتة . ومع ذلك لا توجد فى باريس كلها سوى ما بين ٦ و ١٠ صالات عرض تملك أعمالا لهذا الرسام . ومن بينها لا توجد سوى ثلاث صالات فقط تملك لوحات مهمة من صنعه . فى حين أن الأكثرية الساحقة من أعماله مخبأة فى خزائن المصارف السويسرية والأمريكية .

ولكن الحفاظ على التوازن بين العرض والطلب لا يخضع دوماً لمشيئة التجار أو الهواة . ففى سنة ١٩٧٤ ، كان سوق الفن أول ضحايا الأزمة الاقتصادية التى وقعت فى الغرب . والسبب هو أن هذه الأزمة أثرت على القوة الشرائية عند الهواة الذين هم فى غالب



جولييت ومربيتها للفنان الانجليزى « تورنر » .. أغلى لوحة فى التاريخ .. ثمنها ستة ملايين و ٤٠٠ ألف دولار

الأحيان رجال أعمال ، وأصحاب أموال مستثمرة . فقد توقف هؤلاء الهواة عن الشراء لفترة . فسقطت الأسعار .

وتراوح السقوط ما بين ٢٠ و ٥٠ فى المائة ، وطال كل الفنون من الكلاسيكية حتى الحديثة مرورا بالانطباعية وغيرها ، ولكن سقوط الأسعار فى السوق يعين هبوط قيمة المجموعات التى يملكها الهواة بنفس النسبة .. وهكذا وجد الهواة انفسهم مجبرين على الشراء ، على الأقل للحفاظ على قيمة ما يملكونه . وبالرغم من ذلك ، فان اثار هذه الأزمة ما تزال واضحه المعالم على السوق حتى اليوم !

مؤشرات المستقبل

والسؤال المطروح الآن : وغدا ماذا سيحدث ؟

لاستكشاف وضع سوق الفن فى المستقبل القريب ، لابد من العودة الى بعض المؤشرات الحالية ، إن كانت هذه المؤشرات توحي بأن الطلب سيفوق العرض ، فلا خوف عندها على وضع هذا السوق ، ولكن إن كان العرض سيفوق الطلب ، فان السقوط سيكون عندها اكيدا . وقد يصعب الآن حسبان نتائج هذا السقوط ، ومعرفة الدرك الذى سيصل اليه .

وإذا ما نظرنا إلى مؤشرات الأزمة لوجدنا أن :

١ ــ عند افتتاح « مركز جورج بومبيدو للفن والثقافة » ، كان أكثر من ٤٥ تاجرا فرنسيا قد استاجروا صالات عرض فى الشوارع المحيطة بالمركز ، لأنهم اعتقدوا بأن وجودهم بالقرب من هذا القطب الثقافى سينشط أعمالهم . ولكن الرياح جرت بمالا تشتهي السفن ، فاضطر بعضهم لاعلان افلاسه ، وانسحب بعضهم من الميدان قبيل وصوله الى حافة الأفلاس . من هذه الصالات يمكننا أن نذكر « لوبالكون دي زار » ، التى قدمت بضجيج كبير معرضا جماعيا لسبعة رسامين من امريكا اللاتينية ، وبعد انتهاء المعرض بأسبوع ، تحولت صالة العرض الى ... مطعم . واليوم ، لا يمكننا أن نعدد أكثر من ١٥ صالة عرض تمكنت من النجاة وبقيت فى المنطقة المذكورة .

٢ ــ فى « شارع السين » (وول ستريت الفن فى باريس) ، بدأ الركود يظهر بشكل واضح .. السيدة ليليان فرانسوا ، صاحبة الصالة التى تحمل نفس الاسم ، أكدت بأنها دفعت ١٣ فرنكا فرنسيا فقط كضريبة دخل عن فصل الشتاء المنصرم . بالرغم من أنها لم ترفع أسعار معروضاتها الغرافيكية والليتوغرافية منذ عامين . هذا وشهد الشارع المذكور والأحياء المحيطة به فى الضفة اليسرى من باريس ، افلاس خمس صالات عرض خلال الموسم الماضى ..

٣ ــ تتوقع دار المزاد العلنى البريطانية « سوثبي » أن تبلغ مبيعاتها حتى نهاية العام الحالى ٣١٧ مليون ليرة استرلينية . أى بزيادة ٣٤٪ عن العام الماضى الأمر نفسه ، تقريباً ، ينطبق على دار المزاد العلني كريستي التى تتوقع أن تبلغ مبيعاتها هذا العام ٥ر١١٧ مليون ليرة استرلينية . أى بزيادة ١٦٪ عن العام الفائت . وإن كانت هذه الأرقام تبعث السرور فى قلوب المسؤولين فى هاتين المؤسستين ، فانها تبدو للعديد من المراقبين خطرة وملغومة . وذلك لسببن :

● هذه الأرقام تفضح ضخامة الكميات المعروضة للبيع . وتدل على ظهور اختلال بين العرض والطلب .

● هذه الأرقام تحوي ايضا الأسعار التى دفعها أصحاب المجموعات لاعادة شراء مجموعاتهم . مثل ما حدث عند « كريستي » خلال مبيعات شهر تموز من هذا العام ، والتى كانت نتيجتها فى غاية السوء ، اذ أن أكثر من ٥٠٪ من اللوحات المعروضة للبيع اضطر اصحابها الى اعادة شرائها ، لأنها لم تجد من يدفع مقابلها الحد الأدنى المطلوب . ومن جملة



Myles Birket Foster, R.W.S., *The Ferry*, one of a pair, both heightened with white, signed with monogram, each 17·5 by 12·5 cm.



Sir Edward John Poynter, Bt., P.R.A., H.R.S.A., R.W.S., *The Princess and the Frog*, signed with monogram, 58·5 by 43 cm.



Helen Allingham, R.W.S., *Gathering Firewood*, signed, 51 by 43 cm.



Charles Edward Wilson, *By the Cottage Door*, signed and dated 1904, 53 by 37 cm.



Buddig Anwylini Pughe, *The Nurse*, heightened with bodycolour, signed and dated 1896, inscribed on a label on the backboard, 62 by 81·5 cm.



Edward Killingworth Johnson, R.W.S., *The Arrival*, heightened with bodycolour, signed and dated 1878, 48 by 76 cm.



Myles Birket Foster, R.W.S., *A Village near Witley, Surrey*, heightened with bodycolour, signed with monogram, 23 by 33 cm.



Edward Robert Hughes, R.W.S., *A Viking: Portrait of Harold Norbury*, heightened with white, signed inscribed and dated 1903 on a label on the backboard, 51·5 by 32 cm.



George Goodwin Kilburne, R.W.S., *The New Arrival*, 28 by 24 cm.

Enquiries:
Simon Taylor

صفحة من كتالوج مزاد « سوزى » الذى تم فيه بعض الصفقات الخيالية

اللوحات التى لم تبع بعض القطع الهامة مثل لوحة تمثل الملكة « مارى ـ انطوانيت » رسمتها « فيجيه ـ لوبرون » ، وبعض رسوم « جان فوكيه » .

٤ ـ الجزر اليابانى : حتى سنوات قليلة مضت ، كان اليابانيون فى عداد زبائن الفن الأوربى المهمين . ولكن بعد أزمة ١٩٧٤ بدأ اليابانيون انسحابهم التدريجي . ولأول مرة ظهروا كباعة وليسوا كمشترين . خلال معرض « بال » للفن الحديث فى العام الفائت اقتصر حضور اليابان على ثلاث صالات فقط . وفى سوق الفن المعاصر فى باريس من نفس العام تمثلوا بخمس صالات فقط . الأمر ملفت للنظر بشكل خاص بسبب حضور اليابانيين القوى الذى اعتادته المعارض الأوروبية فى الماضى .

ضرائب على الفن

٥ ـ الا ان أهم مؤشر لهذه الأزمة ظهر فى باريس خلال شهر اكتوبر من هذا العام ، عندما تقدم الوزير الفرنسي « لوران فابيوس » بمشروع قرار تعتبر بموجبه الأعمال الفنية من ضمن الثروات الخاضعة للضرائب .. صحيح أن مشروع القرار هذا قد الغي بتدخل من الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران شخصياً . ولكن الحملة العنيفة التى خاضها تجار الفن والمعارضة اليمينية عبر وسائل الأعلام فضحت اكثر من عيب فى وضع سوق الفن فى باريس . كما أن هزيمة الوزير « فابيوس » لم تكن ساحقة . اذ استطاع فرض قيدين جديدين على سوق الفن :

● رفع الضرائب على سماسرة ، المزاد العلني بنسبة ٥٠٪ ودفعة واحدة .

● منع كل بائعي الأثريات والأعمال الفنية من قبول ثمن اية قطعة فنية نقدا ان كان هذا الثمن يتجاوز مبلغ ٥ آلاف فرنك فرنسي . واجبار المشترين على توقيع شيك بالمبلغ لتسهيل مراقبته من قبل السلطات . وهذا يعني انه بات من الممكن أن يبيع الهاوى وهو مجهول . ولكن من المستحيل شراء قطعة فنية ذات قيمة كبيرة دون الافصاح عن هوية المشترى ، وبالتالى لفت الانظار الى ثروته فى فرنسا الاشتراكية . وهذا امر قد يدفع بالعديد من الهواة الى الابتعاد عن هذه السوق الملغومة . مما يصيب التوازن بين العرض والطلب باختلال كبير ، هذا الاختلال ظهر بشكل واضح فى تصريح لصاحبة مخزن الأثريات « ليتي » فى باريس ، حيث لا توجد أية قطعة سعرها اقل من ١٠ آلاف فرنك ، اذ قالت : « انى لم ابع اية قطعة منذ ثلاثة أشهر .. وللاثبات ، الأمر بسيط : لم ادفع أي قرش كضرائب » .

التهريب إلى الخارج

٦ ـ الصحف الفرنسية بأسرها بدأت تتحدث عن تهريب التحف والأعمال الفنية الى خارج فرنسا . خاصة بعدما شددت المتاحف الفرنسية فى فرض حظرها على الأعمال الهامة ومنعها من الخروج من البلاد . ولكن الهواة الذين تمكنوا من تهريب مجموعاتهم من فرنسا والتجار الذين بدءوا يعتمدون على الزبون الرئيسي المتبقى ، أى الزبون الامريكى ، اصبحوا اشبه بمقامرين منجرفين فى لعبة خطرة ، وذلك لسببين :

● اضطراب السوق الأمريكى . صحيح ان نيويورك هى المدينة التى تعرف أكثر من غيرها تحطيم الأرقام القياسية فى سوق الفن . ولكن الصحيح أيضاً ، هو ان السوق الأمريكى هو الأقل خضوعاً للمنطق والقوانين . العالم بأسره يتذكر ما حدث فى أواخر العام الماضى عندما اعلن متحف « ويتني » ، ومن دون اية مقدمات ، عن شراء لوحة لجاسبر جونس بمبلغ مليون دولار . وهو أغلى سعر دفع لأية قطعة فنية ما يزال صاحبها على قيد الحياة . وكأن السوق الأمريكى اراد وضع هذا الرسام ، وفجأة ، فوق شاغال ودالى وأمثالهما . الأمر الذى علق عليه « جاسبر جونس » نفسه بالقول : « انها دعابة .. ليس لها اية علاقة باللوحة » . من ناحية أخرى ، نرى ان السوق الأمريكى لم يرفع قط من قيمة أعمال : « فرنسيس بيكون » و « دايفيد هوكني » و « اندى وارهول » بنفس المستوى خلال العامين الماضيين . هذا اذا تجاهلنا الهمس الذى يدور فى باريس حول سقوط أسعار لوحات اندى وارهول .

● ارتباط الهواة الامريكيين بوضع الدولار

● الاضطراب يقلّص عدد المشترين للوحات في فرنسا

وبنسبة الفائدة المدفوعة عليه . ان كان الفرنسيون يفضلون بيع لوحاتهم لأمريكيين ، وقبض قيمتها بالدولار . خاصة بعد سقوط الفرنك الفرنسي . فمن الغباء التوهم بأن الأثرياء الأمريكيين سيرمون بدولاراتهم في سوق الفن من دون تفكير ، في حين أن المصارف باتت تعرض فوائد تتجاوز الـ ٢٠٪ ، وارتفاع اسعار الفائدة على الدولار الأمريكي ، سيجعل من عائدات الودائع في المصارف اضمن واكبر من عائدات الاستثمار في الفن . وسيقلص عدد الزبائن في السوق .

سوق للعرب

وبما أن هذا التحقيق موجه أساساً الى القراء العرب ، تجدر الاشارة الى بعض نقاط علاقتنا بالموضوع . وهي علاقة أكبر مما حاول البعض ان يظهرها حتى الآن .

بعد أزمة ١٩٧٤ ، انتبه تجار الفن في أوربا الى ان العرب والايرانيين باتوا يملكون ثروات طائلة فحولوا قطع الفن الاسلامي التي كانت تباع كهدايا في مخازن قليلة ، الى سوق منظمة ، لها مزادات علنية خاصة بها ، ولكن ، وان عرفت بورصة الفن الاسلامي صعوداً مذهلا ومستمراً حتى عام ١٩٧٩ ، فيجب الاعتراف ان هذا السوق لم يعرف أبداً الاستقرار . ومنذ عام ١٩٧٩ باتت كل الدلائل تشير الى فشل المحاولة الهادفة الى جر الرساميل العربية والايرانية الى هذا الميدان . ويمكننا ان نذكر من أسباب الفشل ما يلي :

● جهل الخبراء الأوربيين بالبضاعة الجديدة . والأمثلة هنا أكثر من ان تحصى . منها ما جرى عند « كريستي » في ٢٤ نيسان من العام الفائت عندما بيعت مخطوطة انجزت في أيلول سنة ١٦٢٩ وتحوي ٨٠ رسماً ، قال عنها الخبير انها مجهولة الصانع . في حين انها موقعة بيد « محمد صادق بن محمد الحافظ » . وللرسام نفسه مخطوطة مؤرخة ١٦٣٢ ومحفوظة في المكتبة الوطنية في طهران وخلال نفس المزاد ، وصف الخبير احدى القطع كما يلي : « .. وعاء اسباني ـ عربي من الفولاذ صنع في القرن السادس عشر » . في حين ان القطعة هي من البرونز وصنعت في ايران في القرن التاسع . وفي باريس ، بيعت مجموعة من القطع الاسلامية في ١٨ نيسان من العام نفسه ، وجاء المزاد العلني حافلا بالمفاجآت والفضائح . نكتفي هنا بذكر بعضها: خنجر ايراني من القرن التاسع عشر كتبت عليه صلاة معروفة . صحيح ان احرفها متداخلة وتتعقد قراءتها ، ولكن الصلاة تحولت عند الخبير . الى اسم صاحب القطعة . كما ان قطعة تحمل بيتاً شعرياً بالفارسية للسعدي معناه « الهي ، اجعل المصير سعيداً » (الهي اكتب محمود كردان) أو شيء من هذا القبيل ، ظن الخبير انه توقيع الرسام . وقرأه « من عمل محمود كردان » ، اسم وهمي آخر . الى كل هذا يضاف بعض « الأخطاء » . كان يقول الخبير : « وعاء نحاسي من تركيا ، صنع في القرن الثامن عشر » .. في حين ان نفس الوعاء يبدو مألوفاً جداً في سوق الحميدية في دمشق ، وتفوح منه رائحة القرن العشرين .

● جهل الهواة . وهم في معظمهم ايرانيون ولاعطاء أمثلة يمكننا ان نبقى في نفس المزاد الذي تحدثنا عنه (١٨ نيسان ١٩٨٠ في باريس) . في هذا المزاد ، رأينا أحد الايرانيين يشترى صحناً تركياً من السيراميك يعود للقرن السادس عشر (قطره ٢٩ سم) بمبلغ ٢٣٫٥٠٠ فرنك في حين انه يستحيل بيعه في أوربا باكثر من ١٠ ـ ١٢ الف فرنك فرنسي . وقطعة من مخمل الحرير صنعت في ايران في القرن السادس عشر (١٢٢ × ٤٥ سم) ومصابة باضرار كبيرة بيعت بـ ٢١٫٥٠٠ فرنك . في حين قطعة قماش صوفية من مصر الفاطمية وعليها النص التالي « نصر من الله لنزار ابي المنصور الامام العزيز بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه . باسم الله الرحمن الرحيم » . هذه القطعة تعود الى القرن العاشر ونادرة جداً (٧١ × ٣٢ سم) قدرت قيمتها بـ ١٥ الف فرنك على أقل تقدير . ولكنها بيعت بـ ٦ آلاف فقط . كما ان معظم المخطوطات والرسوم الهندية بيعت في نفس المزاد بنصف قيمتها المقدرة . واحياناً أقل .

● عدم انجراف العرب في هذا السوق وذلك لسببين رئيسيين وهما أن نسبة القطع العربية الأصل لا تتجاوز ١٠٪ من مجموع القطع الفنية الاسلامية المطروحة للبيع في أوربا . وقد يمكن فهم موقف المتاحف العربية التي لا ترى نفسها مهتمة بقطع فنية من صنع ايران أو الهند أو تركيا . خاصة وانها لم تستكمل بعد سيطرتها على كنوزها الفنية الخاصة بالبلاد العربية .. والسبب الثاني يكمن في أن مستوى القطع الاسلامية المعروضة في أوربا لا يضاهي موجودات المتاحف والمكتبات في الشرق ، بالرغم من أن مخطوطات وكنوز المكتبات العربية لا تلقى الأضواء التي تستحقها .

قلق التجار والهواة

والآن ماذا سيحدث .

١ ـ قد لا يحدث شيء يستحق الذكر ، الا أن أكثر التوقعات تفاؤلا ، والتي تؤكد ان هبوطاً ملحوظاً في سوق الفن امر غير وارد ، بدأت تعترف بأن ارتفاع الأسعار بالشكل الذي عرفناه في الستينات وبداية السبعينات بات حلماً يصعب تحقيقه .

٢ ـ نظام سوق الفن بات يشبه صخرة كبيرة ـ تسندها حصاة صغيرة . وبامكان أي هاو كبير ، أو أي تاجر كبير أو وزير ، أن يزيح هذه الحصاة لتتدحرج الصخرة وينهار كل شيء . اذ يكفي اليوم ان يسجل سوق الفن هبوطاً لا يتجاوز ٣ ـ ٥٪ كي يسارع الهواة الى طرح مجموعاتهم للبيع بسبب قلقهم والجو المشحون الذي يعيشون فيه حالياً ، وهذا ما سيجعل الأمور تتطور في واحد من ثلاثة اتجاهات .

● استمرار هبوط أسعار الأعمال الفنية حتى وصولها الى أدنى مستوى عرفته سابقاً . أي خسارتها ما بين ٢٠ و ٥٠٪ من قيمتها التجارية ، وهذا ما عرفناه سنة ١٩٧٤ . وبعدها يعود الهواة الى الشراء لوقف التدهور وللحفاظ على قيمة ما يملكون .

● ان يتابع الهواة طرح مجموعاتهم للبيع ولو بخسائر كبيرة . فيكونون بذلك اشبه بمن يطفىء النار بالبنزين . خاصة اذا كان المناخ الاقتصادي العام لا يوفر هواة جدداً ، وعندها قد تهبط أسعار الأعمال الفنية بنفس الشكل والمستوى الذي هبطت فيه الأسهم الأمريكية خلال أزمة ١٩٢٩ .

● أن يتوقف الهواة عن الشراء ، وأن يمتنعوا عن البيع تماماً ، عندها قد يلجأ التجار الى تخفيض الأسعار للترهيب أكثر مما هو للترغيب . ولكن الكل يعلم انه ليس باستطاعة التجار تخفيض اسعار بضائعهم أكثر من ١٠ ـ ١٥٪ على الفنون القديمة ، و ٢٠ ـ ٤٠٪ على الفنون الحديثة . تبدأ بعدها سلسلة من إعلانات الافلاس في صفوف التجار .

قد تبدو هذه التوقعات متشائمة . ولكن وضع سوق الفن حالياً يبرر كل أنواع القلق . خاصة وان الفن الذي كان يفترض به ان يكون تعبيراً عن مشاعر وتطلعات انسانية ، وان يقدم الملجأ والطمأنينة اللذين يبحث عنهما الانسان باستمرار ، تحول الى مصدر لقلق يقض مضاجع المستثمرين من تجار وهواة !

عبود عطية ـ باريس

ضحكات الشهر



صلاح الليثي



جاء الشتاء ... !!



... !!

بدون كلام



كرسي هندسي .. !!



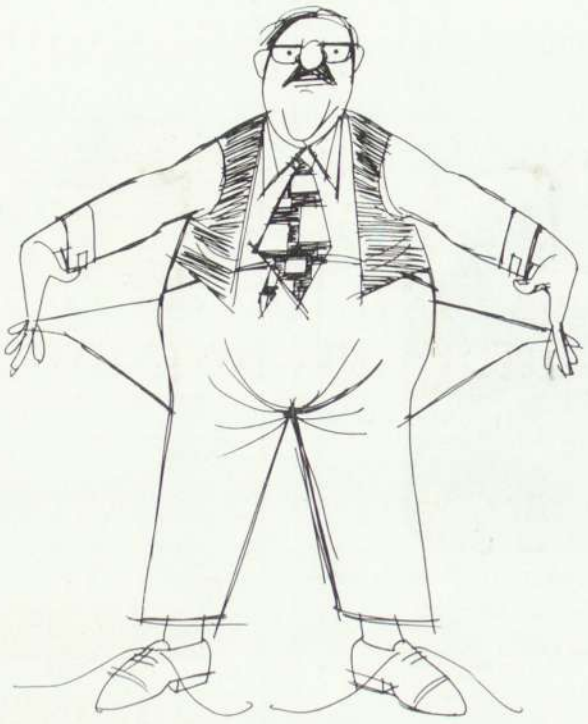
... !!

الكاتب الجالس القرفصاء .. !!

– .. اتفضل يا بيه .. استريح .. !!



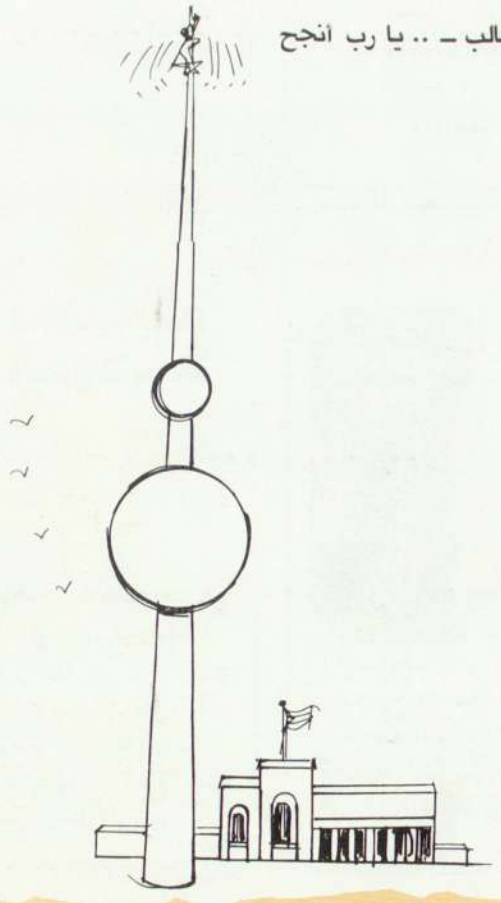




عصر الفضاء



... طبيخ الكوره ... !!



طالب ـ .. يا رب أنجح



الايرلنديون المضربون عن الأكل حتى الموت)
حرامى لحرامى .. ونضرب عن السرقة والنهب حتى نموت



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



صورة ١ بلدة عربية تطل على أحد الأنهار الشهيرة ، وتعد الميناء الرئيسى للدولة التى تقع بها، منها يتم تصدير أهم منتجات تلك الدولة وهى البلح والقطن والبترول .. كما ينسب اليها كثير من أئمة اللغة العربية .. ما اسم البلدة ـ وأين تقع ؟



صورة ٢ عالم عربى ولد بتونس عام ٧٣٢ هـ وعاش بالمغرب ، ثم بمصر .. يعد المنشىء الأول لعلم الاجتماع حيث استفاد العالم كله من تجاربه ومشاهداته فى شئون الاجتماع الانسانى عندما كتب بحثاً طويلا فى هذا الشأن ، كما كتب فى التاريخ والفقه وامتاز أسلوبه بالسهولة والوضوح والتعبير الدقيق عن الحقائق .. من هو هذا العالم .. وما اسم مؤلفه الشهير ؟ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٧٣



الصورة الأولى :
اسم العاصمة فينا ، والنهر الذى يمر بأرضها هو الدانوب .
اسماء الفائزين :
ـ عبد السلام بونوير ـ الجزائر .
ـ حمود بركات ـ اليمن .



الصورة الثانية :
مغنية الأوبرا هى ماريا كالاس .

أسماء الفائزين :
سلطان الراشدى ـ أبو ظبى .
مها محمد أحمد ـ مصر

كلمات لها معنى

● إذا أردت أن تحيا بعد موتك فافعل واحداً من اثنين .. اكتب شيئاً يستحق أن يقرأ ، أو اعمل شيئاً يستحق أن يكتب .

● الغضب ريح تهب .. فتطفىء سراج العقل .

● المثل العليا نجوم لا يسعك أن تلمسها بيديك ، ولكنها كبوصلة البحار يتخذها المرء مرشداً له ويتبعها فيبلغ غايته .

● أحسن الناس من إذا مدحته خجل ، وإذا هجوته سكت .

● اعرف صاحبك بصاحبه قبلك .

عبد العظيم السعدنى ـ الزقازيق

من نوادر العرب

قال المنصور للفضل بن الربيع يوماً :

« ما أطيب الدنيا لولا الموت يا ربيع »

فقال الفضل : « ما طابت الدنيا الا بالموت يا أمير المؤمنين » ..

فقال المنصور متعجباً « وكيف ذلك يا أبا الفضل » ؟ ..

قال « لولا الموت لما وصلت اليك الخلافة » ! **صالح ناطور ـ سورية**

ذكاء طفل



أحضر رجل طفله الى مجلس أحد الخلفاء فأراد الخليفة أن يختبره ، فأراه خاتماً من الماس في يده وقال :

ـ أرأيت أحسن من هذا الخاتم .؟ .

أجاب الطفل :

ـ نعم الاصبع التى فيها .

ثم سأله الخليفة سؤالا آخر :

ـ أيهما أجمل .. دار أمير المؤمنين أم داركم ؟ .

فاجاب الطفل :

ـ اذا كان أمير المؤمنين فى دارنا كانت أجمل .!! **يوسف طه معتوق ـ البصرة**

لقطة الشهر



تمر بدون جريد

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال . القارئة هدى احمد برمو ، جمهورية مصر العربية

إطالة الحياة في خلايا المخ !



توصل فريق من الباحثين اليابانيين بمعهد أمراض المخ بجامعة توهوكو الى ابتكار طريقة جديدة لاطالة حياة خلايا المخ بعد الاصابة بانسداد فى الأوعية الدموية !

وتتمثل هذه الطريقة فى حقن المريض بمحلول المانيتول الذى يعمل على تخفيض الضغط الداخلى على المخ خلال فترة زمنية محددة تتراوح ما بين نصف ساعة و ساعة ، ثم تليها حقنة من دم صناعى مركب من الفلورين والكربون الذى يحدث تأثيره بالدخول حتى فى الشعيرات الدقيقة لان جزئيات هذا الدم الصناعى أصغر من مثيلاتها من الدم الطبيعى ، ثم تتكرر هذه العملية كل ساعتين ، وبالتالى تبقى خلايا المخ حية لمدة ست ساعات دون أن تحدث اى آثار جانبية عندما يبدأ الدم الطبيعى فى التدفق بعد انتفاخ الشعيرات مرة أخرى .

والجدير بالذكر أن الانسداد فى شرايين المخ والسرطان يشكلان ٥ فى المائة من أسباب الوفاة فى اليابان .

مرتضى أنور على ـ عدن



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟	أين ؟	ما ؟
: مؤرخ عاصر أول اتصال فى العصر الحديث بين أوروبا والوطن العربى، عبر عن دهشته اذ يرى لأول مرة بعض انجازات العلم وطريقة القضاء بأسلوب متميز انفرد هو به ،	: البلد العربى الخالد الذى كتب فيه المؤرخ المذكور اعلاه تاريخه المشهور .	مـــا : حجر اكتشفه العلماء أيام المؤرخ المذكور اعلاه وكان لاكتشافه وفك رموزه فضل عظيم على المعرفة والعلم .
اسمه من سبعة أحرف :	اسمها من ثلاثة أحرف :	اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :
٣ ـ ١ ـ ٤ ـ ٥ عربى اسس علم الكيمياء الحديثة .	١ ـ ٣ صمغ عطرى من جنـــوب جزيـــرة العـــرب استعمل فى الطب منذ القدم .	٥ ـ ٤ ـ ٣ ما يتطاير من النار الموقدة .
٢ ـ ٧ ـ ٦ للتمنى .	٢ ـ اسم احدى سور القرآن الكريم .	٦ ـ ١ ـ ٧ ـ ٢ ينظر بجنب عينه .

الإجـــابـــة الصحيـــحـــة

١ ـ كنية كافور الأخشيدى الذى حكم مصر فى سنة (٣٥٥) هـ ، هى أبو سمرة ـ أبو المسك ـ أبو دومة ـ أبو سنجة .

٢ ـ «بيبض اليربوع مرة واحدة كل سبعة أشهر» .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟؟ .

٣ ـ اذا لم تخش عاقبة الليالى أكمل البيت ، وانسبه الى قائله .

٤ ـ رتب البلدان العربية التالية من الغرب الى الشرق :
مكة المكرمة ـ السلوم ـ مسقط ـ قنا ـ العريش ـ مكناس .

٥ ـ الخليج الواقع بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر هو خليج :
هرمز ـ باب المندب ـ سلوى .

٦ ـ أحد المركبات التالية هو الأمل الكبير لدى العلماء فى تحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية للاستخدام اليومى ، اقتصاديا :
كلوريد الصوديوم ـ فلوريد السليكون ـ كبريتات الكالسيوم .

٧ ـ مؤلف كتاب «البيان والتبيين» هو
قدامة بن جعفر ـ الجاحظ ـ المبرد ـ ابن الأثير

٨ ـ وقعت معركة الكرامة على الجانب الشرقى لنهر الأردن وهزم فيها الصهيونيون شر هزيمة فى مارس سنة : ١٩٦٨ ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٤٨

٩ ـ يبلغ طول الساحل الجنوبى لشبه جزيرة العرب بين عمان شرقا وعدن غربا :
٢٤٥١ ـ ٧٢١٨ ـ ٩٩٠٤ كيلو مترا

١٠ ـ صنع انسان العصر الحجرى القطرى رءوس السهام والحراب من حجر :
الدولومايت ـ الصوان ـ الجرانيب .

حـــل مســـابقـــة العـــدد ٧٣

الاجابة الصحيحة

مـن : الخوارزمى
أيـن : خان يونس
مـا : العفة

١ ـ قطر الندى
٢ ـ ست مرات .
٣ ـ مجلس الشورى .
٤ ـ الكفايين .
٥ ـ العرب .
٦ ـ ١٩٥٦/١٠/٢٩ .
٧ ـ غير صحيحة علميا ، لأن العدوى تنقل عن طريق بعوضة الأنوفيل .
٨ ـ غزة .
٩ ـ وطنى لو شغلت بالخلـــد عنه نازعتنى اليه فى الخلـــد نفسى
قائله أمير الشعراء أحمد شوقى .
١٠ ـ ٦١ ألف كيلو متر .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة :
الحل : العصفورة ـ الحواجب ـ الشارب ـ الفم ـ شامة على الخد ـ الشعر ـ تجاعيد الجبهة .
الفائز : طارق اسماعيل خليل العسكرى ـ دمنهور ـ ج.م.ع

٢ ـ لوحة لم تتم :
الحل : نزار قبانى
الفائز : محمد عزيز سعيد الملاح ـ الموصل ـ الطيران ـ العراق

٣ ـ دورى الكاريكاتير :
الحل : اللاعب رقم ٩
الفائز : منـــى محمـــد كاظـــم الدراز ـ البحرين

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
عايدة عبد الغنى يونس ـ الشارقة ـ ص.ب ٨٥٣ ـ الامارات العربية المتحدة .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئ :
محمد عدنان محمد أسعد
الدوحة ـ قطر ـ ص . ب ٨٠

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارئة :
أمل حامد سالم قاسم ـ الجامعة الأردنية / كلية الشريعة / قسم الفقه ـ السنة الرابعة .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ عفاف محمد مرسى سالم ج.م.ع
٢ ـ عبد العزيز عبد القادر الريس ـ الامارات
٣ ـ محمد كامل أحمد أبو سعدة ـ ج.م.ع
٤ ـ يوسف عبد الله الشبعان ـ البحرين
٥ ـ عبد الله محمد القرشى ـ سلطنة عمان
٦ ـ سامى حسين حسن محمد ـ الأردن
٧ ـ منى محمد مراد ـ الكويت
٨ ـ مراد عبد الغنى محمود ـ الأردن
٩ ـ حسين أحمد أبو مطر ـ ليبيا
١٠ ـ رجاء سليم عدى ـ أبو ظبى
١١ ـ حسنة يوسف ناصف ـ بورسعيد
١٢ ـ خالد حسن عباس ـ أم القيوين

أستراحة الدوحة العدد ٧٣

٤ ـ يخلق من الشبه أربعين :

الحل : الصورة رقم ٥
الفائز : مصطفى حسن احمد
الخرطوم ـ السودان

٥ ـ لأقوياء الملاحظة

الحل : ساعة ـ تفاحة ـ راديو ـ فنجان ـ طبق ـ زجاجة
الفائز : عايض سعد الغامدى
حالة عمار ـ المملكة العربية السعودية

٦ ـ أجمل تعليق :

«انت مالك اتلخبطت كده هو السؤال صعب للدرجة دى ؟»
الفائز : نبيل عبد المنعم السيد يوسف طلخا ـ المنصورة ـ ج.م.ع

قرأت

قطار المترو والسرعة الخارقة!

أقبلت دول الغرب المتقدمة على انشاء القطارات الأرضية أو المترو فى عواصمها ومدنها منذ مطلع القرن حتى بلغ عدد شبكات هذه القطارات مائة أو يزيد .. ولا عجب .. فالقطار الذى يسير تحت الأرض هو الحل الحاسم لمشكلة ازدحام المرور .

وتأتى شبكة مترو باريس فى طليعة الشبكات جميعاً ، فهى من أقدمها وقد بدأ انشاؤها سنة ١٩٠٠، وذلك بمناسبة المعرض الدولى الذى أقاموه آنذاك فى باريس .

أما شبكة موسكو فهى الأولى أناقة وفخامة باجماع الكثيرين ، وقد بنيت محطاتها بالمرمر وكثرت مظاهر التزيين فيها .

وقد أنشئت شبكة موسكو سنة ١٩٣٥ ، وأعقبتها شبكة لينينجراد سنة ١٩٤٨ ثم شبكة كييف سنة ١٩٦٠.

ولعل أطرف ما يذكرعن قطار المترو شعور ركابه وكأن سرعته كبيرة أو خارقة فأنت تظن وهو ينطلق بك أن سرعته تبلغ ١٥٠ كيلومتراً أو تزيد ، وهى فى واقع الحال لا تزيد عن ٣٥ كيلومتراً فى الساعة ، إذ لا يمكن لهذا القطار أن يسير بأسرع من ذلك نظراً للمحطات العديدة التى يجب أن يقف عندها .. أما الشعور بالسرعة الفائقة فسببه جدران النفق الضيق الذى يسير ضمنه القطار ... فهذه الجدران التى تبدو لك متحركة تبعا لحركة القطار قريبة جداً بحيث توحى لك بانها تسير بسرعة فائقة جداً خلافاً للواقع .



محمد أحمد المصمودى ـ تونس

الاعتقاد الخاطئ !

يروى أن امرأة فقدت طفلها جاءت الى « بوذا » لاعتقادها أنه يستطيع ان يعيد ابنها الصغير الى الحياة ثانية ، ولكن بوذا أمرها أن تأخذ اناء فارغاً وأن تستعطى حبة من الفلفل الأسود من كل بيت وأمرها ألا تأخذ شيئاً من أى بيت مات فيه أب أو أم ، أو زوجة ، أو زوج ، أو ابن أو ابنة واخبرها بأن الحياة ستعود لطفلها عندما يمتلىء الاناء .

وبدأت الأم المسكينة نهارها يحدوها الأمل ، ولكن حينما جاء المساء لم تكن هناك حبة واحدة فى الاناء .. وهنا أدركت أنه لا يوجد بيت واحد لم يدخل اليه الموت والحزن.



عونى فوزى عبد النور ـ أسيوط



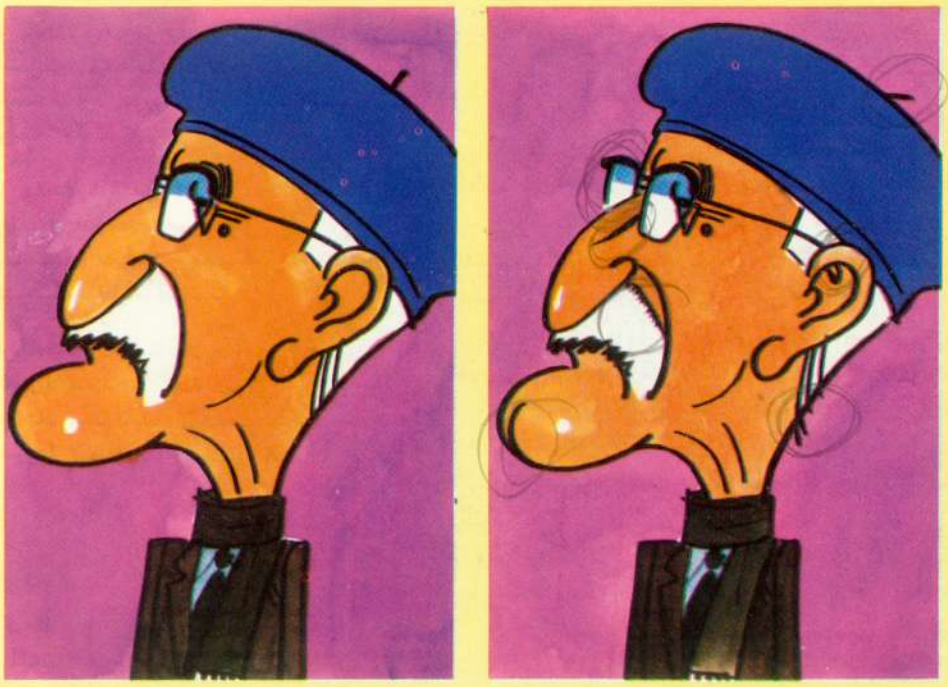
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

الفائزون فى مسابقة استراحة الدوحة تنشر اسماؤهم بداية من العدد القادم ..

أصل وصورة



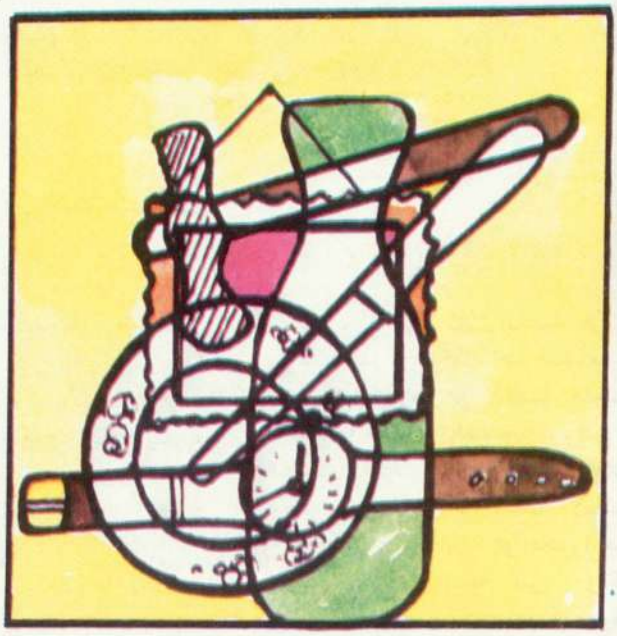
هناك سبع اختلافات بين أصل وصورة عملاق الأدب العربى عباس محمود العقاد .. هل يمكنك التعرف على هذه الاختلافات ؟ (الجائزة ٦٠ ريالا)

دوري الكاريكاتير



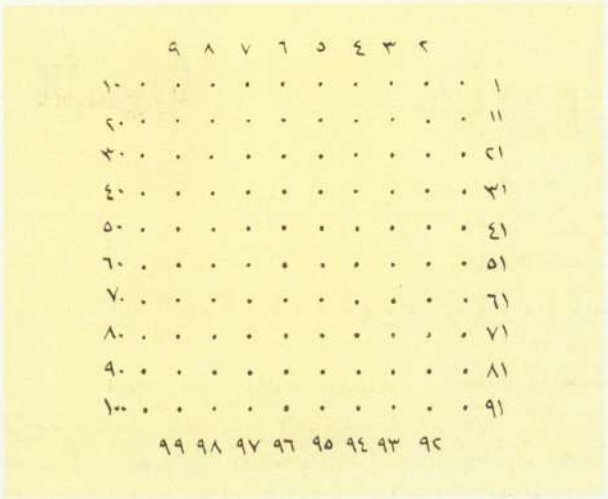
اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ .. وسجل هدفاً رائعاً .. زلزل مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد رقم فانلة صاحب هذا الهدف بدون استعمال القلم ، أى بالنظر فقط ؟ .. إذا نجحت فى ذلك فجائزتك (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. اذا توصلت الى الحل أرسله الينا لتحصل على جائزة (٦٠ ريالا) .

ارسم مع رؤوف



الحلقة الثانية : رسم هذه الحلقة يتكون من أربعة خطوط فقط .. أوصل أرقام كل خط على حده :

الخط الأول : ٥٩ ـ ٣٨ ـ ٣٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ١٨ ـ ١٦ ـ ٣٥ ـ ٢٤ ـ ٣٣ ـ ٥٥ ـ ٩٧ ـ ٦٧ ـ ٦٩ ـ ٤٩ ـ ٢٨ ـ ٣٨

الخط الثانى : ١٨ ـ ٧ ـ ٥ ـ ٣٣ ـ ٧٥ ـ ٩٧

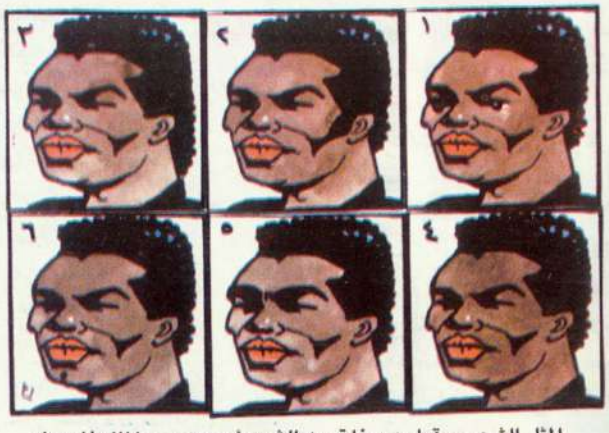
الخط الثالث : ٥ ـ ٤ ـ ٤١ ـ ٥١ ـ ٦٣ ـ ٧٣ ـ ٨٢ ـ ٨١

الأخير : ٧٣ ـ ٧٥

بعد الانتهاء من توصيل الأرقام سوف تحصل على رسم لتمثال كبير من أشهر تماثيل العالم وقد تم صنع هذا التمثال منذ أكثر من ٧ آلاف سنة . أرسل الحل وسوف تحصل على جائزة قدرها (٦٠ ريالا) .

يخلق من الشبه أربعين





المثل الشعبى يقول : «يخلق من الشبه أربعين» .. ولذلك فان هذه الصور الست المنشورة تحت صورة البطل العالمى محمد علي كلاى ، لست شخصيات شديدة الشبه بالبطل الذى خسر مبارياته الأخيرة .. ومن بين هذه الصور واحدة فقط مطابقة تماماً لملامح البطل ، فهل يمكنك التعرف عليها .. فى انتظارك جائزة (٦٠ ريالا) .

لوحة لم تتم!



هذه لوحة بدأ فنان يرسمها لشاعر عربى كبير وقبل وضع اللمسات الأخيرة عليها توقف ولم يكملها .. هل تستطيع التعرف على شخصية هذا الشاعر ؟ .. الجائزة (٦٠ ريالا) .

أدب سياحي

بقلم : عباس خضر

قرأت المقال الذى كتبه الاستاذ درويش مصطفى الفار فى « الدوحة » ـ العدد ٧٢ ـ بعنوان « أدباؤنا والبادية » والذى ذكر فيه أدباء الغرب الذين جاسوا خلال البوادى العربية واندسوا بين البدو وخالطوهم ، ثم ألفوا عنهم الكتب ونشروا المقالات والبحوث ، ثم نعى على أدبائنا العرب أن أحداً منهم لم يفعل مثل ذلك ، إذ قال :

« وتتلفت باحثاً ، لاهثاً ، عن قلم أديب عربى غاص صاحبه فى أعماق الصحراء أو حتى قرب من مشارفها يستطلع البادية والبدو ، فلا تجد » .

أقول : لا داعى لعناء البحث وكفاك الله شر اللهاث .. فمن نحو خمسة عشر عاماً فعلها الكاتب القصصي المصرى صُبرى موسى (غير موسى صبرى) إذ منحته وزارة الثقافة المصرية منحةً تفرغ لمدة سنة قضاها في « جبل الدرهيب »وهى الصحراء التى تقع شرق الصعيد وتمتد الى البحر الأحمر ، وتشارف حدود السودان جنوباً . وخالط البدو هناك وعايشهم ، ثم كتب رواية اسمها « فساد الأمكنة » كشىء لا مثيل له فى أدبنا العربى الحديث ، وأظن أنه نال بها جائزة الدولة التشجيعية ، وقد تناول فيها رجالا من البدو ورجلا يونانياً جاء الى هذه البادية وعاش فيها ، ثم لحقت به ابنته وأقامت معه .

والحق ان ذلك عمل لم يتكرر ، والحق مع الأستاذ درويش فيما قال ، فى ما عدا رواية صبرى موسى ، الحق معه فى تقرير الظاهرة ، لا فيما أخذه على أدباء العرب ، فأدباؤنا مساكين .. من منهم يستطيع أن يترك عمله الذى يرزق منه ويجوب الصحراء ؟ أدباء الغرب يرتزقون من كتاباتهم وتاليفهم ، بل أن كتبهم تدر عليهم ما يعيشون منه مترفين ويسيحون فى الارض . أما نحن فلا أديب منا يحترف الأدب بحيث يستمد من جهده فيه ما يقوم به حياته ، ولولا منحة التفرغ ما استطاع صبرى موسى أن يفعل ما فعل وهل يستطيع الأستاذ درويش أن يفعل ؟ اذا كان يستطيع فهيا ...

الأديب منا يصدر الكتاب فلا يجد له صدى يشعره بان الناس يتجاوبون معه اذا كانت الناس لا تقرأ الكتاب فكيف يجوب لهم المؤلف الصحارى ويعيش مع البدو ؟

على أن الذين يستطيعون ذلك من القادرين على الانفاق ليسوا في الغالب من الأدباء ، وموسرونا يتجهون الى الغرب : الى لندن وباريس وما اليهما طلباً لأجواء أخرى غير التى يعيشون فيها ، كما يأتى بعض الغربيين الى البوادى لنفس الغرض ، فكل منهم مشتاق الى جديد مختلف عما هو فيه .

وأقول : ان ما يكتبه السائحون عن البدو والبادية انما هو « أدب سياحى » فلا يعرف دقائق الحياة الا من يكابدها . والنفس الانسانية لها أغوار لا يسبرها الا صاحبها ، فلا يستطيع التعبير الصادق عن البدو الا من كان منهم ، عاش حياتهم التى هى حياته وعرف دخائلها وما يضطرب فى أعماق أهلها .

حتى رواية « فساد الأمكنة » لا أظنها صورت وعبرت كما كان يمكن أن تكون لو كتبها واحد من أهل الدرهيب تيسر له أن يتعلم ويتأدب .

عرفت شاباً نوبياً أديباً اسمه عبد الوهاب الأسوانى كان قد تقدم بقصة الى مسابقة نادى القصة بالقاهرة ، ففاز بالجائزة الأولى . كانت القصة عن ناس من بلاد النوبة ، وكنت أحد المحكمين فى المسابقة ، ولابد أن القصة أعجبتنى فأعطيتها الدرجة القصوى . رأنى عبد الوهاب داخلا الى دار مجلة الاذاعة وكان رئيس تحريرها الأستاذ رجاء النقاش ، وكان هو محررا بها فتفضل بتقديم نفسه الى ، وذكرنى بقصته الفائزة ، وكنت سعيداً بمعرفته وان كان اللقاء الشخصى لم يتكرر ، ولكن اللقاء الأدبى لم ينقطع ، إذ قرأت له عدداً من القصص النوبية . لم أقرأ أدباً عن بلاد النوبة مثل ما قرأت لعبد الوهاب الاسوانى عن قومه النوبيين .

ويذكرنى ذلك بالرحلات التى كانت تنظمها جمعية الأدباء بالقاهرة الى غزة ، كى نرى هناك اللاجئين الفلسطينيين فى خيامهم وسوء حالهم . فتنقعل ونكتب عنهم .. وكان معنا المرحوم مأمون أنيس شوشة الأديب الاذاعى الذى كان مشهوراً اذ ذاك ولم يعد يذكر الآن ، كان ظريفاً فى تعليقاته ونكاته ، رآه أحد الزملاء خارجاً من الفندق فقال له : الى أين ؟ : قال ذاهب لأنفعل !

لم يكتب كاتب ولم يقل شاعر عن محنة فلسطين مثلما كتب وقال الفلسطينيون العائشون فى الأرض المحتلة ، وحسبك منهم فدوى طوقان .

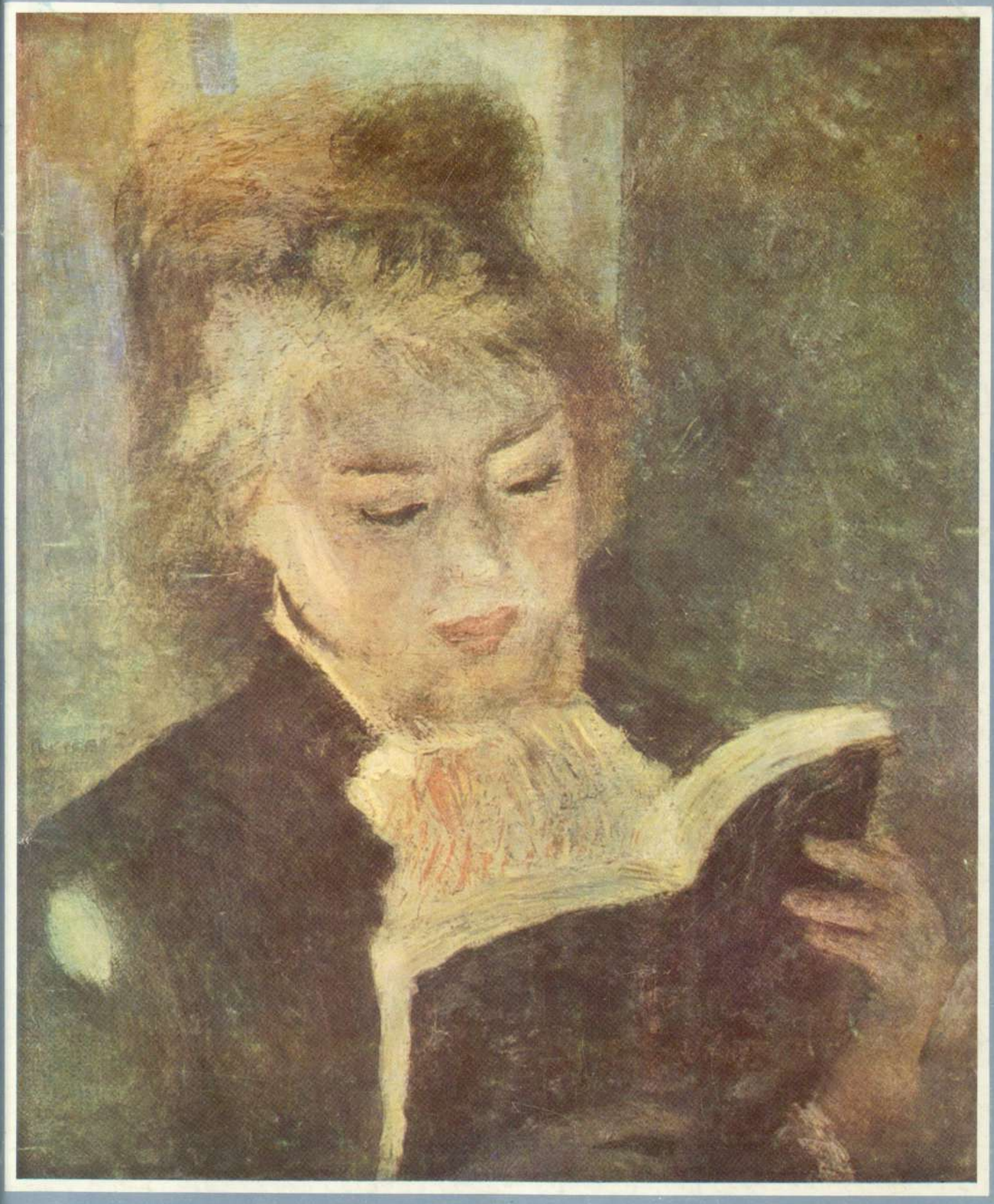
وأقول أخيراً : ان مجلتنا هذه « الدوحة » وقد اقترح عليها الأستاذ درويش أن تفعل شيئاً فى هذا الموضوع تستطيع أن تتحفنا باستطلاع أو تحقيق صحفى عن احدى البوادى .. أما الأدب الصادق العميق الذى يرجى أن يكتب عن البدو فلن يكتبه غير البدو أنفسهم حين يتاح لهم ذلك .

عباس خ



بيبسى

مشروب الجيل الصاعد



ثقافة

للفنان الفرنسي: رينوار "١٨٤١ - ١٩١٩"